منهج العرفان

عند الإمام علي عليه السلام

الشيخ
عبد الرضا البهادلي

مكتبة أم أبيها

منهج العرفان عند الإمام علي عليه السلام

الشيخ
عبد الرضا البهادلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذا الجهد الى أولياء النعم محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وإلى سيدي الأستاذ والأب الروحي الذي كنت أعيش أنفاسه وألحاظه، والذي أولدني من جديد بعد أن كنت ميتاً، وأخرجني من حيّز البهيمية والحيوانية إلى حيّز الانسانية.

إليكم يا سادتي أهدي هذا الجهد، راجياً من الله قبول ذلك بقبول حسن.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

الغاية والهدف مقصودٌ للعقلاء فكل عاقل يهدف الى شيء من عملهِ. فالذي يبني منزلاً يقصدِ بهِ السكن والذي يعمل يقصد تحصيل المال وهكذا ......فإذن لا يوجد عاقل إلا ويقصد شيئا من عملهِ، كيف وإن الله سيُد العقلاء بل خالق العقول وواهبها. إذن لابّد وأن هناك غاية وهدف ومقصد من خلق الإنسان. وقد بين الله تعالى في القران الكريم، هذه الغاية وهذا الهدف بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)].

ولكن نحن نعتقد بان العبادة هي وسيلة وواسطة الى غاية اخرى وهي الوصول الى اليقين والمعرفة القلبية الشهودية ،ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[(٢)] . واليقين وإن فسر عند المفسرين للقرآن بالموت. [(٣)] ولكن فسره العرفاء والفلاسفة، بأن اليقين هو الوصول إلى حالة الرؤية القلبية والحضور والشهود ورؤية الآخرة في الدنيا

---

(١) سورة الذاريات : الاية ٥٦.

(٢) سورة الحجر : الاية ٩٩ .

(٣) انظر جوامع الجامع، الطبرسي: ٢: ٣١٢

ومشاهدة الغيب في الظاهر ومعاينة الحقائق.. .)[١].

والدليل على أن اليقين المراد بهِ الرؤية القلبية ورؤية الآخرة في الدنيا قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٢]، وصف اليقين بالمشاهدة الملكوتية.

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[٣].

وهناك من الاحاديث القدسية ما يشير الى الغاية القصوى من خلق الانسان وانها المعرفة بالله تعالى، كالحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[٤].

وكذلك الحديث القدسي الأخر: «يابن أدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[٥].

وقد ورد في الحديث عن المعصوم، إن المقصود من خلق الانسان هو المعرفة، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام :خرج الإمام الحسين عليه السلام: «فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادتهِ عن عبادةِ سواه »[٦].

---

(١) انظر تفسير القرآن، مصطفى الخميني: ٣: ٥٦.

(٢) سورة الانعام : آية ٧٥ .

(٣) سورة التكاثر : آية من٥الى ٧.

(٤) رسائل الكركي: المحقق الكركي: ٣: ١٥٩.

(٥) الجواهر السنية: الحر العاملي: ٣٦١.

(٦) علل الشرائع: الصدوق: ١:٩.

وقال صدر المتألهين الشيرازي قدّس سرّه:

«وكل الشرائع جاءت لكي تسوق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقائهِ والارتقاء بهِ من حضيض النفس إلى ذروة الكمال ومن هبوط الأجسام الدنية إلى شرف الأرواح العلية وذلك لا يتيسر إلا بمعرفةِ الله تعالى»[1].

إذن الخلاصة ان الغاية من خلق الانسان هو معرفة الله تعالى المعرفة التامة الكاملة، القلبية الشهودية.

وعلم العرفان: هو العلم المتكفل ببيان الطريق والمنهج والاسلوب، الذي يوصل الى معرفة الله تعالى المعرفة القلبية الشهودية.

وربما تعرض العرفان كغيره من العلوم إلى سوء فهم من قبل طبقة معيّنة من الناس باعتبار أن الناس أعداء ما جهلوا فوصموا هذا العلم الشريف بما يجعله علماً خارجاً عن المنظومة الإسلاميّة وجعلوه دخيلاً على الإسلام ومستورداً من الغير، والحال أن العرفان من العلوم الأصيلة والمتجذرة في النصوص الإسلامية من الآيات والروايات، ولهذا فإن البحث في هذه المسائل يكتسب أهمية كبيرة لا تقل إن لم نقل أكثر عن أهمية سائر العلوم الإسلامية الأُخرى.

وقد وجدت أن هذا العلم وهو العرفان ، قد اهمل إهمالاً كبيراً بقصد أو بغير قصد، في المحافل العلمية، من المدارس والحوزات الدينية فضلا عن الجامعات الاكاديمية، فلا تكاد تجد شخصاً يتصدى لتدريس ما كتب عنه فضلاً عن الكتابة فيه؛ ولذا فقد توكلت على الله تعالى وتصديت لتدريس

---

(١) المبدأ والمعاد: صدر الدين الشيرازي:٦٢٣.

هذه المادة لدورتين كاملتين، في كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلاميّة، في مدينة العمارة وهي أُحدى المدن الجنوبية في العراق، وقد لاحظت إثناء تدريسي لهذه المادة جهلاً كبيراً في فهم أصل موضوع العرفان فضلاً عن فهم مباحثه الدقيقة التي لا تتيسر إلا للقليل ممن وفقه الله للإطلاع على خبايا واسرار هذا العلم الشريف، ومن جهة أُخرى وجدت أنّه ليس لهذه المادة كتابا معينا يدرس كبقية العلوم إلا بعض الكتب التي لا تصلح إلا كثقافة عامة ولا تعطي الطالب معلومات كافية عن هذا العلم تنسجم مع مستوى الدراسة الجامعيّة، ومن جهة ثالثة فإن الكتابة حول العرفان وفق منهج أهل البيت عليهم السلام يكاد يكون معدوماً، ولذلك وجدت حاجة كبيرة لسد هذا الفراغ المنهجي، فشمرت عن ساعد الهمّة، وتوكلت على الله، فكتبت حول منهج العرفان عند الإمام علي عليه السلام، ولعلي اول من شرح كلام مولى الموحدين في منهج السلوك والعرفان بهذا الشرح الموسع.

وكان هذا الكتاب على شكل محاضرات، القيتها على طلاب المرحلة الرابعة في كلية الامام الكاظم عليه السلام، في مادة التصوف والعرفان والتي كانت مقررة لديهم ضمن المنهج الدراسي، ثم طورت من هذه المحاضرات كثيرا حتى صار كتاباً منهجياً، رغبت أن يعين الباحث والطالب على معرفة الطريق الى الله تعالى، وفق المنهج القويم والصراط المستقيم الذي خطه مولى الموحدين وسيد العرفاء امام الكل والساقي من الكوثر يوم الدين علي ابن ابي طالب عليه السلام، وقد جعلت هذا الكتاب ضمن فصول:

الفصل الاول: وهو مباحث تمهيدية وهو عبارة عن خمسة مباحث تناولنا فيها تعريف العرفان والفرق بين العرفان والاخلاق والفلسفة ونشاة

العرفان والاشكالات التي ربما تثار على العرفان وكذلك حقيقة التصوف والفرق بينه وبين العرفان والشبهات على التصوف ،وكذلك تعرضنا لظاهرة الشطح واسبابها، وما يرد عليه من نقد، ومررنا بالمصطلح الصوفي لما له من الاهميه في هذا العلم، وختمنا الفصل بمبحث عن الشعر الصوفي والعرفاني واتجاهاته من حيث الوضوح والرمزيّة.

الفصل الثاني: وفي هذا الفصل وهو الثاني، والفصول الاخرى المتبقية، شرعت في شرح كلام الامام علي عليه السلام في العرفان وهو:«قَدْ أحْيَا عَقْلَهُ، وأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، ولَطُفَ غَلِيظُهُ، وبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ اَلْبَرْقِ، فَأَبَانَ لَهُ اَلطَّرِيقَ وسَلَكَ بِهِ اَلسَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ اَلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ اَلسَّلاَمَةِ...» وقد عقدت هذا الفصل في العقل وتعريفه والعقل النظري والعملي واهمية العقل وكيفية احياء العقل وما الامور التي تميت العقل ......الخ.

والفصل الثالث: بحثت فيه عن النفس وتعريفها وتكوينها وطبيعتها وكيفية اماتة النفس الامارة بالسوء....الخ، لكي تصل الى حالة السكون والطمانينة وتخرج من حيز الامارية والبهيمية الى حيز الانسانية .

والفصل الرابع: بحثت فيه الى نتائج احياء العقل، واماتة النفس، واهم الابواب التي يلج فيها السالك الى الله تعالى بقدم المجاهدة والرياضة، حتى يصل الى مرحلة اليقين والشهود القلبي، وقد اشرت في طيات الكتاب الى ان السالك الى الله تعالى لا بد له من استاذ كامل يخلصه من مخاطر الطريق والسائر الى الله تعالى بغير استاذ كامل وبلا اذن الهي لا يزيده سرعة السير الا بعدا .

عبدالرضا ناصر البهادلي

الفصل الأوّل

مباحث تمهيديّة

- الأوّل: نظرة إجمالية عن العرفان
- الثاني: حقيقة التصوف
- الثالث: ظاهرة الشطح ونقدها
- الرابع: المصطلحات الصوفية معناها وخصائصها وشرح لبعضها
- الخامس: الشعر الصوفي بين الوضوح والرمزيّة

المبحث الأوّل

نظرة إجمالية عن العرفان

المطلب الأول: العرفان لغة واصطلاحا

العرفان لغة: مشتق من مادة (عرف)، فهو والمعرفة بمعنى واحد.

قال ابن منظور ما ملخصه (عرف) العِرفانُ العلم، عَرَفه يَعْرِفُه عِرْفة وعِرْفاناً وعِرِفَّاناً ومَعْرِفةً، ورجل عَرُوفٌ وعَرُوفة عارِفٌ يَعْرِفُ الأُمور ولا يُنكِر أَحداً رآه مرة، والعَريف والعارِفُ بمعنًى مثل عَلِيم وعالم، والجمع عُرَفاء، والذي حصَّلناه للأئمة رجل عارِف أَي صَبور، وعَرِيفُ القوم سيّدهم والعَريفُ القيّم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، والعَريفُ النَّقِيب وهو دون الرئيس والجمع عُرَفاء، والعارِفُ والعَرُوف والعَرُوفةُ الصابر ونَفْس عَروف حامِلة صَبُور إِذا حُمِلَتْ على أَمر احتَمَلَتْه[١].

اما معنى العرفان اصطلاحا:

يمكن ان نعرفه بانه: معرفة الله والكون على ما هو عليه كشفا وشهودا واشراقا قلبيا عبر تهذيب النفس وطي المنازل والاسفار .

قال القيصري:«العرفان هو العلم بالله سبحانه من حيث اسمائه وصفاته

---

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٩: ٢٣٦ –٢٣٨.

وأفعاله ومظاهره واحوال المبدا والمعاد وحقائق العلم وبكيفية رجوعها الى حقيقة واحدة هي الذات الالهية، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخلص النفس من مضائق القيود الجزئية واتصالها الى مبدئها واتصافها بنعت الاطلاق والكلية»[١] وهذا التعريف يشمل العرفان النظري والعرفان العملي.

وقال مصباح اليزدي: «العرفان، ويطلق في الاصطلاح على المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبية لا بواسطة العقل ولا بفضل التجربة الحسية، فالعارف الذي حقق تقدما في سيره العرفاني ينظر الى عالم الوجود على انه مظاهر لنور الباري جل وعلا وكأن كل ظاهرة من ظواهر العالم مراة تعكس الجمال الاحدي، وهو لا يرى وجودا استقلاليا لاي موجود ما عدا الذات الالهية المقدسة وهذا اللون من المعرفة لا يحصل الا في ظل العمل المخلص باحكام الدين، وفي الواقع فانه الثمرة الرفيعة والنهائية للدين الحقيقي وهذا هو النور المعنوي الذي يفيضه الله سبحانه على قلوب احبائه»[٢].

المطلب الثاني: أقسام العرفان

ينقسم العرفان الى قسمين[٣]:

---

(١) مقدمة القيصري على شرح تائية ابن الفارض المطبوعة ضمن كتاب العرفان النظري، دكتور يحيي يثربي: ٢٣٢.

(٢) محاضرات في الايدلوجية المقارنة، محمد تقي مصباح اليزدي: ٢٠-٢١.

(٣) انظر العرفان الشيعي، رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية، أبحاث للسيد كمال الحيدري: ١٨-٢٥.

أولا: العرفان النظري[١].

وهو فرع من فروع المعرفة الانسانية التي تحاول ان تعطي تفسيراً كاملاً عن الوجود وتجلياته ومراتبه، وبعبارة اخرى: إن العرفان النظري هو يختص بأعطاء رؤية كونية عن المحاور الاساسية في عالم الوجود وهي: «الله، والانسان، والعالم» ولكن العارف يستند في تاسيس هذه الرؤية على المكاشفة والشهود، ومن هنا فإن العرفان النظري هو علم له موضوع ومبادىء ومسائل كأي ضرب من ضروب المعرفة الاخرى والكلام في هذا القسم من العرفان يقع في مقامين ايضاً:

المقام الاول: يتناول الطريق الموصل لمعرفة الوجود على ما هو عليه، خصوصاً المعرفة المتعلقة بالتوحيد، فالفكر العرفاني يعتقد انه لا طريق لتلك المعرفة إلا من خلال تصفية القلب وتزكيته بواسطة الرياضات المعنوية التي اقرها الشارع المقدس. باعتبار ان العلوم كلها تنقسم الى قسمين:

القسم الاول: وهي العلوم الكسبية الحاصلة بالتدرج من خلال الدرس والتدريس ، وهذه تقتضي تعبا شديدا وتقتضي زمنا طويلا.

والقسم الثاني:وهي العلوم الالهية الحاصلة من العطاء الالهي كالذي يحصل للانبياء والاولياء عليهم السلام او ما يعبر عنه بالعلم اللدني .

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِي

---

(١) الكتب التي كتبت في العرفان النظري، مثل قواعد التمهيد لابن تركة، ومصباح الهداية في الخلافة والولاية للامام الخميني قدس سره، وفصوص الحكم للشيخ ابن العربي، والفتوحات المكية، ومصباح الانس وغيرها.

الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

ويقول تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾[٢].

ولا شك بان العلوم الالهية تكتسب القطعية واليقينية، بخلاف العلوم الظاهرية، فانها لاتكتسب القطعية، الا اذا ضممنا اليها العلم الالهي، وإليهما اشار النبي صلى الله عليه وآله:«العلم علمان، علم اللسان وهو حجة الله على ابن آدم، وعلم القلب وذلك هو العلم النافع»[٣].

ويقول امير المؤمنين عليه السلام:«العلم علمان مسموع ومطبوع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع»[٤].

واما المقام الثاني:«عندما ينتقل العارف المكاشف الى البحث الثاني وهو اثبات تلك المكاشفات والحقائق للآخرين اذ قلنا انه يعتقد بان الطريق الوحيد للمعرفة هو الكشف والشهود لذلك ينتقل الى اثباتها وذلك عبر الاستعانة بالمنهج والاسلوب العقلي»[٥].

ثانيا: العرفان العملي

فهو يعني بتحديد البرنامج العملي للإنسان السالك إلى الله، من حيث الآداب التي ينبغي التزامها والوظائف والأذكار والأوراد التي يلزم مراعاتها.

---

(١) سورة يوسف :الاية ٢٢ .

(٢) سورة الكهف :الاية٦٥.

(٣) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني: ٢: ١٥٠.

(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، شرح الشيخ محمد عبده: ٤: ٨٠.

(٥) العرفان الشيعي، كمال الحيدري: ١٨-٢٥.

او«هو الذي يتعهد تفسير وبيان مقامات العارفين ودرجات السالكين إلى القرب الالهي بقدم المجاهدة والتصفية والتزكية للنفس والقلب»[١].

المطلب الثالث: العارف

العارف هو العبد الذي رحل الى الله تعالى وتحرر من قيود الضلال والجهل والظلم فاصبح يحيي بحياة الله تعالى، ويانس بانس الله، فلا مؤنس له غير الله تعالى، وبعبارة اخرى، العارف هو الذي تحققت في قلبه عظمة ربه، وأنجمع إليه بكلية قلبه، فأشرقت في قلبه شموس العرفان، وطوى من نظره وجود الأكوان، فليس له عن نفسه أخبار، ولا مع غير الله قرار، تصرفه بالله ومن الله وإلى الله، فقد فني عن نفسه وبقي بربه، فلم ير لها تركاً ولا فعلاً ولا قوة ولا حولاً.وقد ورد هذا المصطلح بروايات اهل بيت العصمة والطهارةعليهم السلام وهم العرفاء الكاملين في معرفتهم بالله تعالى.

(أ) قال أمير المؤمنينعليه السلام « العارف وجهه مستبشر متبسم ، وقلبه وجل محزون »[٢].

(ب) وقال امير المؤمنينعليه السلام: «العارف من عرف نفسه فاعتقها ونزهها عن كل ما يبعدها ويوبقها »[٣].

يعتقق نفسه من اسر الشيطان والنفس الامارة بالسوء والهوى .

وبتعبير احدهم : ابليس ونفسي والهوى   اين الفرار وكلهم اعدائي

---

(١) العرفان الشيعي : ١٨-٢٥.

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ٦٠ .

(٣) موسوعة احاديث اهل البيت، الشيخ هادي النجفي ٧: ١٤٥.

(ج) قال الصادقعليه السلام: «العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا إليه والعارف امين وقايع الله وكنز اسراره ومعدن أنواره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا ولا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله ومع الله ومن الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله متزود والمعرفة أصل وفرعه الايمان »[١].

(د) قال الشيخ الرئيس ابن سينا في مقام الفرق بين، الزاهد، والعابد، والعارف: «المعرض عن متاع الدنياوطيباتها يخص باسم "الزاهد". والمواضب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوهما يخص باسم "العابد". والمنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديما لشروق نور الحق في سره، يختص باسم"العارف". وقد يتركب بعض هذه مع بعض »[٢].

المطلب الرابع: غاية العارف

اما الغاية التي يبتغيها العارف في سلوكه، فهي الوصول الى مقام القرب الالهي،كما في الدعاء الوارد عن المعصوم: (يا غاية امال العارفين)[٣]. وكذلك غايته من لا يرى في الوجود غيره تعالى، اي ان العارف يريد ان يصل الى مرتبة، «فأينما تولوا فثم وجه الله»[٤] وغاية

---

(١) مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادقعليه السلام: ١٩١– ١٩٢

(٢) الاشارات والتنبيهات، الشيخ الرئيس ابن سينا: ٣: ٣٦٩.

(٣) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٨٤٨.

(٤) سورة البقرة : الاية ١١٥ .

العارف كذلك الوصول الى مقام «لا يزال العبد يتقرب اليَّ بالنوافل حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها»[١].

فاذا كان السمع الهياً فانه لا يسمع الا الحق، واذا كان البصر الهيا فانه لا يبصر الا الحق، واذا كان اللسان الهيا فانه لا ينطق الا بالحق، واذا كانت اليد الهية فإنها لا تبطش إلا بالحق، فيكون هذا العبد إلهياً في كل حركاته وسكناته، ويصير مصداقاً للحديث: «إن المؤمن ينظر بنور الله»[٢].

قال الشاعر:

وإن تردن العرفان فافن عن الورى … وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر
ترى الحق في الأشياء حين تلطفت … ففي كل موجود حبيبي ظاهر
ليلى بوجهك مشرق … وظلامه في الناس سار
الناس في سدف الظلام … ونحن في ضوء النهار[٣]

المطلب الخامس: الفارق بين الفلسفة والعرفان

نعتقد من خلال تدريسنا للفلسفة والعرفان وما اشار اليه الاعلام[٤]، بان هناك فوارق بين الفلسفة والعرفان تتمثل في النقاط التالية.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ٢: ٣٥٢.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١: ٦٧.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١: ١٣٩.

(٤) انظر : العرفان : الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري :ص ٢٠ ، وكذلك انظر: المنهج الجديد في تعليم الفلسفه، مصباح اليزدي:١: ٨١ وانظر صفحة١١٥.

١- تستند الفلسفة ونقصد الفلسفة الإلهية طبعاً- على المبادئ والأصول العقلية في استدلالاتها وتفسيرها للوجود.

* أما العرفان فأنه يعتمد في تفسيره واستدلالاته للوجود على المبادئ والأصول الكشفية.

٢- الاستدلالات الفلسفية عقلية بشكل محض، ونتائجها عقلية ولا تتعدى حدود العقل.

* أما الاستدلالات العرفانية فهي نتاج مشاهدات القلب ترد على العقل فيكتبها بقلمه، فبدون القلب لا يمكن للعقل أن يصل إلى تلك المشاهدات المعنوية.

٣- للفلسفة نظرتها الخاصة بالنسبة للرؤيا الكونية وبالنسبة للوجود، فهي تقوم على أساسين واجب الوجود وممكن الوجود، أي إن الله واجب الوجود وقائم بذاته وليس مفتقراً لأحدٍ وغيره ممكن الوجود وقائم به ومفتقر إليه ومعلول له.

* أما النظرة العرفانية فهي أعمق من ذلك، فهي لا ترى في الوجود إلا الله فلا موجودَ سواه والممكنات ما هي إلا أشياء وإن كانت معلولةً منه لا وجودَ لها إلاّ وجوداً ثانياً بعد الحق سبحانه، وما هي إلا مظاهر وأسماء وصفات وتجليات لله سبحانه وتعالى، كنظرة العارف للبحر، فإنه لا يرى للموج وجودا إلا وجودا للبحر؟ والموج ما هو إلا مظهر من مظاهر البحر وتجل من تجلياته ليس له استقلال في وجوده، أي إنه لا يوجد شيء اسمه موج بوجود مستقل بذاته مغاير للبحر. فلولا وجود البحر لم يكن هناك موج. والى ذلك يشير المولى أبو عبدالله عليه السلام: «كيف يستدل عليك بما هو في

وجوده مفتقر اليك»[١].

٤- غاية الفيلسوف وكماله والحد الأعلى لكماله هو في وصوله إلى المرحلة التي يدرك فيها العالم كما هو موجود بالخارج بعقله.وتمييز الموجودات الحقيقية عن غيرها.

* أما العارف فلا يعنيه العقل في شيء فهو يريد أن يصل إلى كنه العالم وحقيقة وواجب الوجود سبحانه وتعالى ويتصل به ويفنى فيه، وهذا هو الكمال بالنسبة إليه، الوصول عن طريق السير والسلوك إلى مبدئه الأول هوالكمال المطلق ومطلق الكمال بلا محدودية ونهاية في سيره وسلوكه.

٥- الفيلسوف يعتمد على عناصر يستخدمها في تكامله، العقل والمنطق والاستدلال.

* أما العارف فالعناصر التي توصله إلى الكمال تختلف اختلافاً كلياً عن الفيلسوف فهو يعتمد في سيره في مدارج الكمال على: القلب والتصفية وتهذيب النفس والحركة المعنوية الباطنية.

المطلب السادس: الفارق بين العرفان والأخلاق[٢]

هناك صله وثيقة بين علم العرفان وعلم الأخلاق، هذه الصلة تتجلى في إنهما يسعيان الى أن يصلا بالإنسان إلى الكمال وتخليصه من قيود وأغلال المادة والصفات الذميمة (مرحلة التخلية) وتزويده بالمعنويات

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٩٥: ٢٢٦.

(٢) انظر العرفان : الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري : ص١٤ .و انظر الاخلاق في القران، لاية الله مكارم شيرازي: ١: ١٧: وكذلك انظر، العرفان الشيعي، السيد كمال الحيدري: ٨٢ .

والصفات الجميلة (مرحلة التحلية) ولكن هناك فارق بين العلمين نوجزه فيما ياتي:

١- علم العرفـــان: يهتم بعـــلاقة الإنسان مـع نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه ومع (الله) خالقه ومبدأ وجوده مع التركيز وإعطاء الأهمية الكبرى لعلاقة الإنسان بالله سبحانه وتعالى.

❊ أما علم الأخلاق فيركز كل اهتمامه على الإنسان وصفاته الحميدة والذميمة.

٢- علم العرفان (ونخص بالذكر العرفان العملي): هو سيرٌ وسلوك أي حركه مستمرة وعمل دؤوب وهذا ما توحيه العبارة (سير وسلوك) لا توقف ولا جمود فيه على العكس من علم الأخلاق الذي يظهر فيه السكون والجمود.

فالعرفان يعيش الانطلاق فهو يتحدث عن البدء والمنازل وطي المراحل والمقامات، أما الأخلاق فتحدث عن طريق تزود الإنسان بالأخلاق الحميدة من كرم وصدق وإيثار وهلم جرا بدون عملية تراتبية أو أولوية، فكأن روح الإنسان عند علم الأخلاق كالبيت الذي يريد صاحبه أن يزينه فليس من المهم أن يبتدئ من السقف أو من الجدران أو من غيرهما.

❊ على عكس علم العرفان فهناك التراتبية والأولوية وصراط يسير عليه العارف يطوى من خلاله مرحلة أثر مرحلة ومنزلة بعد منزلة ومقام يتلوه مقام لا عشوائية وانتقائية وتقديم مرحلة سابقة على لاحقة، بل في نظام تدريجي تصاعدي نحو الكمال، وهذه نقطة في غاية الأهمية في السير والسلوك العرفاني.

* علم الأخلاق يختص بصفات معينة ومحدودة العناصر وفي الغالب الأعم منتهية، أما علم العرفان فإنه شامل وواسع وعميق ولا نهائية فيه لأن جل اهتماماته بالكمال المطلق، والكمال المطلق لا نهائي.

٤- لعلم العرفان في خط السير والسلوك مراحل ومنازل ولهذه المراحل والمنازل واردات (خواطر قلبية) ومشاهدات باطنية معنوية خاصة بالسالك فقط.

* أما الصفات الأخلاقية فهي عامة لكل الناس حتى غير المسلم

٥- العرفان العملي يحتاج فيه السالك الى الله الى (الانسان الكامل) الذي يصل به الى جادة الامان ويخلصه من اهوال الطريق، والسير والسلوك بلا الاستاذ الكامل يعني السير الى الهاويه. والاستاذ الكامل هو الذي عرف الطريق الى الله تعالى ورسوم المنازل واصبحت له الولاية التكوينية في التصرف في الاشياء. وقد يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

وكذلك قول الإمام السجّاد عليه السلام أنّه قال: "هَلَكَ مَنْ لَيسَ لَهُ حَكِيمٌ يَرشدُهُ"[(٢)].

* واما الاخلاق فلا يحتاج الى مثل ذلك فبامكان الانسان التخلق بالاخلاق الجميلة وترك الصفات الرذيلة والذميمة، بدون الاستاذ الكامل.

---

(١) سورة الأنبياء :الاية ٧ .

(٢) بحار الانوار، المجلسي ٧٥: ١٥٩.

المطلب السابع: نشاة العرفان

نعتقد ان العرفان الحقيقي نشأ في المدرسة الاسلامية من خلال ما ورد عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه والائمة الاطهار سلام الله عليهم، لان مثل هذا اللون من المعرفة لا يمكن ان يصدر عن غيرهم لانهم اعرف الناس بالله سبحانه وتعالى كما ورد عن الخاتمصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِه (يا علي ما عرف الله الا انا وانت)[١] ولكن بعض المستشرقين نسب العرفان الى الفرس او الهند او اليونان او المسيح وهذا اما نابع من جهله بالاسلام او لغايات اخرى.

ولكن اذا قلنا ان العرفان نشا في المدرسة الاسلامية لا يعني ان العرفان لم يكن معروفا وموجودا في الديانات الاخرى فهذا اللون من العبادة والانقطاع الى الله تعالى هو جزء من ديانة أي دين سماوي جاء قبل الاسلام، فهذه مريم بنت عمرانعَلَيْهَاالسَّلَام كانت منقطعة الى تعالى في عبادتها ولذلك يخبر الله عنها في كتابه يقول تعالى:﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

وقال ابن عباس: لما بلغت تسع سنين، صامت النهار، وقامت الليل، وتبتلت حتى غلبت الأحبار»[٣].

---

(١) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي:١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: الاية ٣٧ .

(٣) تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي: ٢: ٢٨٣.

وهكذا صار هذا اللون من العبادة في الديانة المسيحية كما اخبر الله تعالى في القران: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[1].

قال الفيض الكاشاني في تفسيره: «ورهبانية ابتدعوها قيل هي للمبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة إلى الرهبان وهو المبالغ في الخوف من رهب »[2].

وقال الرازي في تفسيرها (المسألة الرابعة): الرهبانية معناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب، كخشيان من خشي، وقرىء: (ورهبانية) بالضم كأنها نسبة إلى الرهبان، وهو جمع راهب كراكب وركبان، والمراد من الرهبانية ترهبهم في الجبال فارين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة ومتحملين كلفاً زائدة على العبادات التي كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن، والاعتزال عن النساء والتعبد في الغيران والكهوف، عن ابن عباس أن في أيام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام غير الملوك التوراة والإنجيل، فساح قوم في الأرض ولبسوا الصوف، وروى ابن مسعود أنه عليه السلام، قال: «يا ابن مسعود: أما علمت أن بني إسرائيل تفرقوا سبعين فرقة، كلها في النار إلا ثلاث فرق، فرقة آمنت بعيسى عليه السلام، وقاتلوا أعداء الله في نصرته حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لها طاقة بالقتال، فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وفرقة لم يكن لها طاقة بالأمرين، فلبسوا العباء، وخرجوا إلى القفار

---

(١) سورة الحديد: الاية ٢٧ .

(٢) التفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ٥: ١٣٩.

والفيافي وهو قوله:﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الذين اتبعوه رَأْفَةً﴾ إلى آخر الآية»»[١].

بل يرى بعض الباحثين والمحققين امثال العلامة محمد حسين الطباطبائي، الى ان العرفان والتصوف، هو جزء من حركة الامم وثقافتهم وطريقة سلوكهم للتعبير عن الشان العبادي المختص بها سواء أكانت ديانة توحيدية ام وثنية ولكن عندما انتقل الى الاسلام لا بمعنى الاخذ والتقليد كما في الوان المدنية الاخرى التي تنتقل عادة من والى الامم السابقة واللاحقة كما يتضح ذلك في قول السيد الطباطبائي «وليس التصوف مما أبدعه المسلمون من عند أنفسهم لما أنه يوجد بين الأمم التي تتقدمهم في النشوء كالنصارى وغيرهم حتى الوثنية من البرهمانية والبوذية، ففيهم من يسلك الطريقة حتى اليوم بل هي طريقة موروثة ورثوها من أسلافهم. لكن لا بمعنى الاخذ والتقليد العادي كوراثة الناس ألوان المدنية بعضهم من بعض وأمة منهم متأخرة من أمة منهم متقدمة كما جرى على ذلك عدة من الباحثين في الأديان والمذاهب، وذلك لما عرفت في الفصول السابقة أن دين الفطرة يهدى إلى الزهد والزهد يرشد إلى عرفان النفس، فاستقرار الدين بين أمة وتمكنه من قلوبهم يعدهم ويهيؤهم لان تنشأ بينهم طريقة عرفان النفس لا محالة، ويأخذ بها بعض من تمت في حقه العوامل المقتضية لذلك، فمكث الحياة الدينية في أمة من الأمم برهة معتدا بها ينشئ بينهم هذه الطريقة لا محالة صحيحة أو فاسدة وإن انقطعوا عن غيرهم من الأمم الدينية كل الانقطاع، وما هذا شأنه لا ينبغي أن يعد من السنن الموروثة التي يأخذها جيل عن

---

(١) تفسير الرازي، الرازي: ٢٩: ٢٤٥.

جيل»[١].

المطلب الثامن: شبهة عدم وجود العرفان في زمن النبي وردها

ربما يقال: ان هذا اللون من العلم (وهو العرفان) لم يكن في زمن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وعلى هذا الاساس فيكون وجوده بعد ذلك بدعة .

الجواب:

١- اقول ان هناك الكثير من العلوم لم تكن في زمن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، كعلم النحو والاصول والتفسير وعلم الرجال وغيرها فهل يقتضي ذلك بكون هذه العلوم بدعة.

٢- ان البدعة اذا كانت اخراج ما كان من الدين وادخال ما لم يكن من الدين ومعرفة الله تعالى لم تثبت انها خارج الدين، بل الثابت هو العكس وهي محبوبية ومطلوبية المعرفة الالهية يقول تعالى في الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»[٢].

وقال امير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ:« أَوَّلُ اَلدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ اَلتَّصْدِيقُ بِهِ وكَمَالُ اَلتَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ اَلْإِخْلاَصُ لَهُ وكَمَالُ اَلْإِخْلاَصِ لَهُ نَفْيُ اَلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ اَلْمَوْصُوفِ وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ اَلصِّفَةِ فَمَنْ وَصَفَ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ ومَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ ومَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ومَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ومَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ ومَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ومَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ ومَنْ قَالَ

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ٦: ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٨٤: ١٩٩.

عَلاَ مَ فَقَدْ أُخْلَى مِنْهُ"»[١].

٣- هناك الكثير من العلوم تحتاج الى فترة طويلة من اجل ان تكون علوما مستقلة ومتكاملة وان كانت في بدايتها افكار متناثرة هنا وهناك او مرتبطة ببعضها البعض الاخر ولكن بعد ذلك اتخذت طابعا مستقلاً.

٤- هناك اشارات واحاديث كثيرة للنبيصلى الله عليه وآله والائمة الاطهارعليهم السلام الذين هم امتداد للنبيصلى الله عليه وآله تبين قيمة المعرفة الالهية .

(أ) عن النبيصلى الله عليه وآله: «ولو عرفتم الله حق معرفته لزالت الجبال بدعائكم»[٢].

(ب) وعنهصلى الله عليه وآله: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور، ولزالت بدعائكم الجبال »[٣].

(ج) وعنهصلى الله عليه وآله – في الدعاء –: «يا من هو غاية مراد المريدين، يا من هو منتهى همم العارفين »[٤].

(د) عن سلام بن المستنير قال: كنت عند أبي جعفرعليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين وسأله عن أشياء فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفرعليه السلام: أخبرك – أطال الله بقاءك لنا وأمتعنا بك – أنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا وتسلوا أنفسنا عن الدنيا ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذهالأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار

---

(١) نهج البلاغة، الامام عليعليه السلام،تحقيق محمد عبده: ١: ١٥

(٢) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ١٧: ٣٠١.

(٣) كنز العمال، للمتقي الهندي: ٣: ١٤٤.

(٤) المصباح: الكفعمي، دعاء الجوشن:٢٦٠.

أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفرعليه السلام: إنما هي القلوب مرة تصعب ومرة تسهل،ثم قال أبو جعفرعليه السلام: أما إن أصحاب محمدصلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق قال: فقال: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إذا كنا عندك فذكرتنا ورغبتنا وجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك فإذا خرجنا من عندك ودخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شئ؟ أفتخاف علينا أن يكون ذلك نفاقا؟ فقال لهم رسول اللهصلى الله عليه وآله:كلا إن هذه خطوات الشيطان فيرغبكم في الدنيا والله لو تدومون على الحالة التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء»[١].

(هـ) وقال الامام عليعليه السلام: «من عرف الله كملت معرفته »[٢].

(و) وقال الامام عليعليه السلام: «معرفة الله سبحانه أعلى المعارف »[٣].

(ز) وعن الإمام الصادقعليه السلام: «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدوا أعينهم إلى ما متع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا، ونعيمها وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطأونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله جل وعز، وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إن معرفة الله عز وجل آنس من كل وحشة، وصاحب من كل وحدة، ونور من

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني ٢: ٤٢٣ – ٤٢٤.

(٢) عيون الحكم والموعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي:٤٣١.

(٣) نفس المصدر: ٤٨٦.

كل ظلمة، وقوة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم»[١].

(ح) وعن الامام علي عليه السلام: «ما يسرني لو مت طفلا وأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربي عز وجل »[٢].

٥- اول من رسم طريق السلوك والعرفان الحقيقي هو امير المؤمنين عليه السلام وذلك من خلال هذه الكلمات الموجزة والبليغة وهذا ما اشار اليه شراح نهج البلاغة عندما يمرون على هذه الكلمات.

والكلمات هي: «قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ وأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ ولَطُفَ غَلِيظُهُ وبَرَقَ لَهُ لاَمِعٌ كَثِيرُ اَلْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ اَلطَّرِيقَ وسَلَكَ بِهِ اَلسَّبِيلَ وتَدَافَعَتْهُ اَلْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ اَلسَّلاَمَةِ ودَارِ اَلْإِقَامَةِ وثَبَتَتْ رِجْلاَهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ اَلْأَمْنِ واَلرَّاحَةِ بِمَا اِسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وأَرْضَى رَبَّهُ»[٣] وسوف تكون هذه الكلمات هي المحور في معرفة كيفية العرفان الحقيقي والسير والسلوك الى الله تعالى كما رسمها امير المؤمنين عليه السلام.

يقول ابن ابي الحديد المعتزلي في هذه الكلمات العلوية القصيرة: «يصف العارف يقول قد أحيا قلبه بمعرفة الحق سبحانه وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة. حتى دق جليله أي حتى نحل بدنه الكثيف. ولطف غليظه تلطفت أخلاقه وصفت نفسه فان كدر النفس في الأكثر إنما يكون من كدر الجسد

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني ٨: ٢٤٧.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري ٣ : ١٨٨٦- وكذا انظر كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٣ص١٥١.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام،تحقيق محمد عبده ٢: ٢٠٤.

والبطنة – كما قيل – تذهب الفطنة »[١].

المطلب التاسع: سبب عدم انتشار العرفان في زمن النبي صلى الله عليه وآله

قد يقال: ما دام ان العرفان مما صرح به النبي صلى الله عليه وآله والامام علي عليه السلام والائمة الاطهار عليهم السلام، اذن لماذا لم يكن له انتشار واتساع في زمن النبي صلى الله عليه وآله او الائمة من بعده، ويكون له اتساع في ذلك الوقت .

يكون جوابنا على ذلك:

١- ان الاولوية في تثبيت العقيدة الاسلامية ونشر الاحكام الالهية الشرعية قد كانت امرا مقدما على نشر المعارف والعلوم.

٢- ان النبي صلى الله عليه وآله كان منشغلا بحرب المشركين والكفار، وليس له الوقت الكافي لنشر هذا العلم الشريف .

٣- ان طرح مثل هذا الموضوع في ذلك الوقت وفي اول الدعوة معناه عزل الناس عن الجهاد ومحاربة الكفار والانشغال بالعبادة والذكر وهذا يجعل الاسلام لا ينتشر ذلك الانتشار الكبير الذي يريده الله تعالى ولذا لما قويت شوكة المسلمين صرح النبي صلى الله عليه وآله بوجوب مجاهدة النفس، كما في الرواية التي ينقلها الشيخ الكليني رحمه الله تعالى عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله بعث بسرية، فلما رجعوا قال: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس[٢].

---

(١) شرح نهج البلاغه، ابن ابي الحديد ١١: ١٢٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ٥: ١٢ – ١٣.

٤- ان العرفان يحتاج الى القابلية الخاصة التي لا تتوفر في أي شخص، وليس هو كعلم الاخلاق، ولذلك لم يكن النبي صلى عليه واله لينشر هذا النوع من العلم، ولذا لما توفرت هذه القابلية في البعض لم يقصر النبي صلى الله عليه وآله لافاضة هذا النوع من العلم وكان منهم:

(أ) سلمان الفارسي او المحمدي[١].

وسلمان يعتبر من رجالات الاسلام الشامخين الذين وصلوا الى القمة في المعارف الالهية كما وصفه النبي صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام.

عن النبي صلى الله عليه وآله، سلمان بحر لا ينزف، وكنز لا ينفد، سلمان منا أهل البيت، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان[٢].

وقال امير المؤمنين عليه السلام عندما ساله احدهم عن سلمان فقال عليه السلام: «بخ بخ سلمان منا أهل البيت، ومن لكم بمثل لقمان الحكيم، علم علم الأول

---

(١) سلمان الفارسي، واسمه عندما كان ببلاد فارس روزبه وأصله من منطقة كازرون في إقليم شيراز في جنوب إيران .و هو صحابي جليل دخل الإسلام بعد بحث وتقصي عن الحقيقة، وكان أحد المميزين في بلاد فارس بلده الأصلي . دان بالمجوسية ولم يقتنع بها، وترك بلده فارس بحثا عن الحقيقة فرحل إلى الشام وألتقى بالرهبان والقساوسة ولكن أفكارهم ودياناتهم لم تقنعه أو تشفي تعطشه للإيمان . واستمر متنقلا حتى وصل إلى الجزيرة العربية فالمدينة والتقى النبي صلى الله عليه وآله، فأعلن إسلامه.

وهو الذي أشار على النبي محمد صلى الله عليه وآله في غزوة الخندق أن يحفروا حول المدينة خندقا يحميهم من قريش، وذلك لما له من خبرة ومعرفة بفنون الحرب والقتال لدى الفرس . ووهو مدفون في بلدة المدائن قرب بغداد .

(٢) الاختصاص، الشيخ المفيد:٣٤١.

والآخر»[١] ومن هذا شانه يكون من الشامخين في معرفة الله تعالى.

وقد ورد عن السجاد عليه السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكرت التقية يوما عند علي بن الحسين عليه السلام فقال: «والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق، إن علم العلماء صعب مستصعب، لا يحتمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، فقال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه أمرء منا أهل البيت، فلذلك نسبته إلى العلماء »[٢].

(ب) ومنهم ايضا اويس القرني[٣]:

واويس من الاتقياء الصالحين الذين مدحهم النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام .

عن عبدالله بن عباس، قال امير المؤمنين وهو يومئذ بذي قار وهو جالس لاخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلا، ولا ينقصون رجلا، يبايعوني على الموت، قال ابن عباس: فجزعت لذلك وخفت

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي ١: ٣٨٧.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ١: ٤٠١.

(٣) أويس القرني ابن عامر اليمني: من الزهاد الثمانية من المستقيمين، وهو من حواري أمير المؤمنين عليه السلام كما عده الكاظم عليه السلام . وقد اتفق الفريقان على وثاقة الرجل وتقواه وزهده وعلاه، وملؤوا الكتب من فضائله ومدائحه . كذا قاله المامقاني . واستشهد يوم صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام . «عن مستدركات علم رجال الحديث - الشيخ علي النمازي الشاهرودي - ج ١ - ص ٧٠٧))

أن ينقص القوم من العدد أو يزيدوا عليه فيفسدوا الامر علينا، وإني أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسع مائة رجل وتسعة وتسعين رجلا، ثم انقطع مجئ القوم فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا مفكر في ذلك إذا رأيت شخصا قد أقبل حتى دنا، وهو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وإداوة، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امدد يديك لأبايعك، قال علي عليه السلام: وعلى ما تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك أو يفتح الله عليك فقال: ما اسمك؟ قال: أويس القرني، قال: نعم الله أكبر فإنه أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله أني أدرك رجلا من أمته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر، قال ابن عباس: فسري عنا »[(١)].

وينقل صاحب اعيان الشيعة عن مستدرك الحاكم، قال هرم بن حيان العبدي قدمت الكوفة فلم يكن لي بها هم إلا أويس القرني حتى سقطت عليه جالسا وحده على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه، فعرفته بالنعت فسلمت عليه فرد علي، فمددت يدي لأصافحه فأبى ان يصافحني، فقلت رحمك الله يا أويس كيف أنت، ثم خنقتني العبرة من حبي إياه ورقتي له لما رأيت من حاله حتى بكيت وبكى، ثم قال وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان كيف أنت يا أخي، من دلك علي، قلت الله، قال لا إله إلا الله، سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا، حين سماني، والله ما كنت رأيته قط ولا رآني، ثم قلت من اين عرفتني، وعرفت اسمي وأبي فوالله ما كنت رأيتك

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤١: ٣٠.

قط قبل هذا اليوم قال نبأني العليم الخبير، عرفت روحي روحك حيث كلمت نفسي نفسك ان الأرواح لها أنفس كأنفس الأحياء ان المؤمنين يعرف بعضهم بعضا ويتحدثون بروح الله وان لم يلتقوا وإن لم يتكلموا ويتعارفوا وان نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل ! قلت حدثني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بحديث احفظه عنك ! قال إني لم أدرك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وقد بلغني من حديثه كما بلغكم ولست أحب ان افتح هذا الباب على نفسي ان أكون محدثا أو قاضيا ومفتيا، في النفس شغل يا هرم بن حيان ! فقلت يا أخي اقرأ علي آيات من كتاب الله اسمعهن منك فاني أحبك في الله حبا شديدا وادع بدعوات وأوص بوصية احفظها عنك ! فاخذ بيدي على شاطئ الفرات، وقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم فشهق شهقة ثم بكى مكانه ثم قال: قال ربي تعالى ذكره وأحق القول قوله وأصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق، حتى بلغ الا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم". ثم شهق شهقة ثم سكت وأنا احسبه قد غشي عليه، ثم ذكر له موعظة ووصية ودعاء، ثم قال استودعتك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، ثم قال لي لا أراك بعد اليوم فاني أكره الشهرة والوحدة أحب إلي ولا تسال عني ولا تطلبني. فحرصت على أن أسير معه ساعة فأبى علي حتى دخل في بعض السكك فكم طلبته بعد ذلك فما وجدت أحدا يخبرني عنه بشئ انتهى [1].

---

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٣: ٥١٥.

(ج) رشيد الهجري:

وهو من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وكان من المدافعين والثابتين على ولاية المولى عليه السلام .

عن قنوة بنت رشيد الهجري قال: قلت لها: أخبريني بما سمعت من أبيك، قالت: سمعت من أبي يقول: قال: حدثني أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا رشيد كيف صبرك إذا أرسل إليك دعي بني أمية فقطع يديك ورجليك ولسانك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين آخر ذلك الجنة؟ قال: بلى يا رشيد أنت معي في الدنيا والآخرة، قالت: فوالله ما ذهبت الأيام حتى أرسل إليه الدعي عبيد الله بن زياد فدعاه إلى البراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فأبى أن يتبرأ منه فقال له الدعي: فبأي ميتة قال لك تموت؟ قال: أخبرني خليلي أنك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرء منه فتقدمني فتقطع يدي ورجلي ولساني، فقال: والله لأكذبن قوله فيك، قدموه فاقطعوا يديه ورجليه واتركوا لسانه فحملت طوائفه، لما قطعت يداه ورجلاه فقلت له: يا أبه كيف تجد ألما " لما أصابك؟ فقال: لا يا بنية إلا كالزحام بين الناس فلما حملناه وأخرجناه من القصر اجتمع الناس حوله فقال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون إلى أن تقوم الساعة فإن للقوم بقية لم يأخذوها مني بعد فأتوه بصحيفة فكتب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم. وذهب لعين فأخبره أنه يكتب للناس ما يكون إلى أن تقوم الساعة فأرسل إليه الحجام حتى قطع لسانه فمات في ليلته تلك وكان أمير المؤمنين عليه السلام يسميه رشيد البلايا وكان قد ألقى إليه علم البلايا والمنايا فكان في حياته إذا ألقى الرجل قال له: يا فلان تموت بميتة كذا وكذا وتقتل أنت يا فلان بقتلة كذا وكذا فيكون كما يقول الرشيد، وكان

أمير المؤمنين عليه السلام يقول له: أنت رشيد البلايا أنك تقتل بهذه القتلة فكان كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه[١].

عن إسحاق ابن عمار قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام ودخل عليه رجل، فقال له أبو الحسن عليه السلام: يا فلان إنك أنت تموت إلى شهر، قال: فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته، قال: فقال: يا إسحاق وما تنكرون من ذلك؟ وقد كان رشيد الهجري مستضعفا وكان يعلم علم المنايا والبلايا فالامام أولى بذلك بيان: مستضعفا أي مظلوما، أي يعده الناس ضعيفا لا يعتنون بشأنه، أو كانوا يحسبونه ضعيف العقل »[٢].

عن عثمان بن عيسى، عن أبي الجارود، عن قنوة ابنة رشيد الهجري قالت: «قلت لأبي: ما أشد اجتهادك ! فقال: يا بنية سيجئ قوم بعدنا بصائرهم في دينهم أفضل من اجتهاد أوليهم »[٣].

وعن عبد الكريم يرفعه إلى رشيد الهجري قال: لما طلب زياد أبو عبيد الله رشيد الهجري اختفى رشيد فجاء ذات يوم إلى أبي أراكة وهو جالس على بابه في جماعة من أصحابه فدخل منزل أبي أراكة ففزع لذلك أبو أراكة وخاف فقام فدخل في إثره فقال: ويحك قتلتني وأيتمت ولدي وأهلكتهم، قال: وما ذاك؟ قال: أنت مطلوب وجئت حتى دخلت داري وقد رآك من كان عندي، فقال: ما رآني أحد منهم، قال: وستجربن أيضا " فأخذه وشده كتافا " ثم أدخله بيتا " وأغلق عليه بابه ثم خرج إلى أصحابه فقال لهم: إنه

---

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٧٧.

(٢) الثاقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي:٤٣٤.

(٣) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي: ١: ٢٥١.

خيل إلي أن رجلا " شيخا " قد دخل آنفا " داري قالوا: ما رأينا أحدا " فكرر ذلك عليهم كل ذلك يقولون: ما رأينا أحدا " فسكت عنهم،ثم إنه تخوف أن يكون قد رآه غيرهم فدخل مجلس زياد ليتجسس هل يذكرونه فإن هم أحسوا بذلك أخبرهم أنه عنده ورفعه إليهم قال: فسلم على زياد وقعد عنده وكان الذي بينهما لطيف قال: فبينا هو كذلك إذ أقبل رشيد على بغلة أبي أراكة مقبلا " نحو مجلس زياد قال: فلما نظر إليه أبو أراكة تغير لونه وأسقط في يديه وأيقن بالهلاك، فنزل رشيد عن البغلة وأقبل إلى زياد فسلم عليه وقام إليه زياد فاعتنقه وقبله ثم أخذ يسأله كيف قدمت؟ وكيف من خلفت؟ وكيف كنت في مسيرك؟ وأخذ لحيته ثم مكث هنيئة ثم قام فذهب فقال أبو أراكة لزياد: أصلح الله الأمير من هذا الشيخ؟ قال: هذا أخ من إخواننا من أهل الشام قدم علينا زائرا "، فانصرف أبو أراكة إلى منزله فإذا رشيد بالبيت كما تركه فقال له أبو أراكة: أما إذا كان عندك من العلم ما أرى فاصنع ما بدا لك وادخل علينا كيف شئت »[١].

---

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٧٨.

المبحث الثاني

حقيقة التصوف

وفيه عدّة مطالب:

المطلب الأول: الأقوال في أصل كلمة التصوف

يقول ابن عجيبة[١] «اختلف في اشتقاق التصوف، على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس.

أولها- أنه من الصوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له.

الثاني- من صوفة القفا، للينها، فالصوفي هين لين كهي.

الثالث- أنه من الصفة، أذ جملته اتصاف بالمحامد وترك الاوصاف المذمومة.

الرابع - أنه من الصفاء، وصحح هذا القول، حتى قال أبو الفتح البستي في الصوفي:

---

(١) ابن عجيبة (١١٦٠ - ١٢٢٤هـ = ١٧٤٧ - ١٨٠٩ م) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أزهار البستان، شرح القصيدة المنفرجة، شرح صلوات ابن مشيش، تبصرة الطائفة الزرقاوية، الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الآجرومية، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، «انظر، الأعلام، خير الدين الزركلي، ج١، ص ٢٤٥)».

تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الصُّوفِيِّ وَاخْتَلَفُوا   جَهْلًا فَظَنُّوهُ مُشْتَقًّا مِنْ الصُّوفِ
وَلَسْت امنح هَذَا الِاسْمَ غَيْرَ فَتًى   صَافَى فَصُوفِيَ حَتَّى سُمِّيَ الصُّوفِيَّ

الخامس- أنه منقول من صفة المسجد النبوي، الذي كان منزلاً لأهل الصفة، لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف، حيث قال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وهو الأصل الذي يرجع إليه كل قول »[1] وأهلُ الصُفَّة هم الرعيل الأول من رجال التصوف، فقد كانت حياتهم التعبدية الخالصة المثل الأعلى الذي استهدفه رجال التصوف في العصور الإسلامية المتتابعة.

وقال القشيري: «الاظهر ان الصوف لم يختص بهم ولكن الصوفي، لقب اطلق عليهم »[2].

وانفرد ابو ريحان البيروني (المتوفي ٤٤٠ هجري) بقوله: ان هناك صلة بين اسم الصوفي والكلمة اليونانية (صوفيا) واخذ بهذا الراي هامر الذي يقول (ان كلمة صوفي ماخوذة من كلمة (جمنوسوفيت) ومعناها الحكيم العاري، وهو لفظ يوناني اطلقه اليونان على بعض حكماء الهنود القدماء الذين اشتهروا بحياة التامل والعبادة[3].

المطلب الثاني: بيان القول المختار

نحن نعتقد بان لفظ الصوفية جاءت من لبس الصوف، لان لبس

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، للعلامة بن عجيبة: ٢٠ .

(٢) الرسالة القشيرية، ابو القاسم القشيري، تحقيق عبدالحليم محمود:٤٦٤.

(٣) نقلا عن التصوف الاسلامي، صهيب الرومي: ٥٧ .

الصوف هو دأب الانبياء والاولياء عليهم السلام، كما في الروايات والاحاديث المنقولة عن ملبسهم عليهم السلام ، والصوفية يدعون انهم متبعون لحياة الانبياء والاولياء ،واليك بعض الاحاديث في ذلك

يقول النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «البسوا الصوف وشمروا، وكلوا في أنصاف البطون، تدخلوا في ملكوت السماوات »[١].

وكذلك عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «خمس لا أدعهن حتى الممات: الأكل على الحضيض[٢] مع العبيد، وركوبي الحمار مؤكفا[٣]، وحلبي العنز بيدي، «ولبس الصوف»، والتسليم على الصبيان، لتكون سنة من بعدي »[٤].

وعن السيد علي بن طاووس في الدروع الواقية: نقلا عن كتاب المنبئ عن زهد النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لأبي محمد جعفر بن أحمد القمي: انه لما نزلت هذه الآية على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (وان جهنم لموعدهم) الآية، بكى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بكاء شديدا، وبكت أصحابه لبكائه، إلى أن ذكر أن بعض أصحابه ذهب إلى فاطمة عليها السلام، وأخبرها بخبر النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وبكائه، فقالت: " تنح من بين يدي أضم إلى ثيابي " قال: فلبست فاطمة عليها السلام (شملة من صوف)، قد خيطت اثني عشر مكانا بسعف النخل، فلما خرجت نظر سلمان الفارسي إلى الشملة بكى، وقال: واحزنا ان قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، عليها شملة

---

(١) مكارم الاخلاق، الشيخ الطبرسي: ١١٥.

(٢) الحضيض، قرار الارض.

(٣) يقال: أكف الحمار: شد عليه الأكاف، والأكاف أو الوكاف: البرذعة والكساء يلقى على ظهر الحمار وغيره.

(٤) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٣٠.

صوف خلقة، قد خيطت في اثني عشر مكانا بسعف النخل[١].

فهذه الاحاديث واضحة الدلاله على ان لبس الصوف كان من دأب الاولياء والانبياءعليهم السلام ».

بالاضافة ان العدد الاكبرمن رموز التصوف ركن الى اصل يشير الى تشابه قريب بين تعليل الصوفية وطريقة معيشتهم .فقالوا ان اسم الصوفية يرجع الى الصوف.

يقول السراج الطوسي[٢] صاحب اللمع: ان سال سائل فقال: نسبت اصحاب الحديث الى الحديث، ونسبت الفقهاء الى الفقه، فلم قلت الصوفية ولم تنسبهم الى حال او علم، ولم تضف اليهم حالا كما اضفت الزهد الى الزهاد والتوكل الى المتوكلين والصبر الى الصابرين ؟فيقال له: لان الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الاحوال والمقامات دون رسم، وذلك لانهم معدن جميع العلوم ومحل جميع الاحوال المحمودة، والاخلاق الشريفة، سالفا ومستانفا وهم مع الله من حال الى حال، مستجلبين للزيادة، فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين اسم دون اسم، فلاجل ذلك ما اضفت اليهم حالا دون حال، ولا اضفتهم الى علم دون علم، لاني لو اضفت اليهم في كل وقت حالا (هو) ما وجدت الاغلب عليهم من الاحوال والاخلاق والعلوم والاعمال وسميتهم بذلك، لكان يلزم ان اسميهم في كل

---

(١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري: ٣: ٢٧٣ – ٢٧٤.

(٢) أبو نصر السراج (. . . – ٣٧٨ هـ = . . . – ٩٨٨ م) عبد الله بن علي الطوسي، أبو نصرالسراج، زاهد . كان شيخ الصوفية، على طريقة السنة . له كتاب " اللمع – ط " في التصوف. عن «الأعلام – خير الدين الزركلي – ج ٤ – ص ١٠٤)) .

وقت باسم اخر، وكنت اضيف اليهم في كل وقت حالا دون حال على حسب ما يكون الاغلب عليهم، فلما لم يكن كذلك نسبتهم الى ظاهر اللبسة، لان لبسة الصوف دأب الانبياءعليهم السلام وشعار الاولياء والاصفياء ويكثر في ذلك الروايات والاخبار، فلما اضفتهم الى ظاهر اللبسة كان ذلك اسما مجملا عاما مخبرا عن جميع العلوم والاعمال والاخلاق والاحوال الشريفة المحمودة، الا ترى ان الله تعالى ذكر طائفة من خواص اصحاب عيسىعليه السلام فنسبهم الى ظاهر اللبسة فقال عز وجل (واذ قال الحواريون) وكانوا قوما يلبسون البياض فنسبهم الله تعالى الى ذلك ولم ينسبهم الى نوع من العلوم والأعمال والأحوال التي كانوا بها مترسمين، فكذلك الصوفية عندي والله اعلم. نسبوا الى ظاهر اللباس، ولم ينسبوا إلى نوع من انواع العلوم والاحوال التي هم بها مترسمون، لان لبس الصوف كان دأب الأنبياءعليهم السلام والصديقين وشعار المنسكين والمساكين[(١)].

ويقول ابن عجيبة: وهذا الاشتقاق اليق لغة، واظهر نسبة، لان لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر، ونسبتهم الى غيره امر باطن، والحكم بالظاهر اوفق واقرب. يقال: تصوف اذا لبس الصوف. كما يقال: تقمص، اذا لبس القميص، والنسبة اليه صوفي[(٢)].

ويقول عالم الاجتماع ابن خلدون في مقدمته: والأظهر إن قيل بالاشتقاق أنه الصوف وهم في الغالب مختصون بلبسه لما كانوا عليه من مخالفة

---

(١) كتاب اللمع، لابي نصر سراج الطوسي، تحقيق دكتور عبدالحليم محمود: ٤٠ –٤١.

(٢) معراج التشوف الى حقائق التصوف، عبدالله احمد ابن عجيبة: ٢٦.

الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف[١].

ويقول الكلاباذي: وأما من نسبهم إلى الصُّفَّة والصوف: فإنه عبر عن ظاهر أحوالهم؛ وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا مالا يجوز تركه من ستر عورة، وسد جوعة[٢].

ونقل صهيب الرومي في كتابه، التصوف الاسلامي: إن هذا رأي ماسينيون، ونولدكه ونيكلسون من المستشرقين الذين كتبوا في التصوف[٣].

المطلب الثالث: الاصل التاريخي لكلمة الصوفية

استدل الباحثون ان كلمة الصوفي هي مستحدثة اذ لم تكن في زمن النبيﷺ، يقول ابن خلدون: (علم التصوف هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة وأصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق للعبادة وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، الفصل الحادي عشر في علم التصوف: ٤٦٧.

(٢) التعرف الى مذهب اهل التصوف، لابي بكر الكلاباذي: الباب الاول، لماذا سميت الصوفية صوفية: ص١١ .

(٣) التصوف الاسلامي، صهيب الرومي: ٥٧.

على العبادة باسم الصوفية والمتصوفي)[١].

وينقل صهيب الرومي في كتابه نقلا عن ماسينيون: ان التلقب بالصوفي ظهر في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثاني وسمي به (جابر ابن حيان الكوفي صاحب الكيمياء) الذي كان يدعو الى مذهب خاص في الزهد .اما كلمة الصوفية التي كانت تدل على جماعة، فقد ظهرت في سنة (١٩٩ هجري) في الكوفة بالعراق ويستعمل الجاحظ من جهة هذه الكلمة للدلالة على فرقة خاصة ذات مذهب خاص فقال: (الصوفية من النساك) ويكون هو الاول في استعمال هذه اللفظة للدلالة على مذهب مقرر »[٢].

المطلب الرابع: تحديد وتعريف التصوف

يرى الباحثون صعوبة تعريف الصوفية باعتبار ان تجاربهم روحية ذوقية تستعصي على الوصف، غير ان هذه الصعوبة لم تقف حاجزا دون وضع تعريفات للتصوف، لكنها تعريفات شخصية الى ابعد حد، فاختلفت وتعددت لان كل صوفي يعبر عن جانب من الحياة الروحية التي ينفرد بها .ولذلك سنحاول ان نستقري اراء المتصوفة المتقدمين:

١-يقول أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، التصوف: «علم يعرف به كيفية السلوك الى حضرة ملك الملوك، او تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، او غيبة الخلق في شهود الحق، او مع الرجوع الى الاثر فأوله علم، وأوسطه عمل، وأخره موهبة »[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، الفصل الحادي عشر في علم التصوف: ٤٦٧.

(٢) التصوف الاسلامي، صهيب الرومي: ٥٧.

(٣) معراج التشوف الى حقائق التصوف، عبدالله احمد ابن عجيبة: ٢٥.

٢- ينقل الكلاباذي[١]: في كتابه عدة تعاريف[٢] وهي:

(أ)-سئل أبو الحسن النوري: ما التصوف؟ فقال: «ترك كل حظ للنفس»

(ب)- وسئل الجنيد عن التصوف؟ فقال: «تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة"».

٣- وينقل القشيري عدة تعاريف اخرى منها:

(أ)- وقال ابو علي الروذباري، التصوف: «الاناخة على باب الحبيب وان طرد عنه».

(ب)- وقال الكتاني: «التصوف خلق، فمن زاد عليك بالخلق فقد زاد عليك بالصفاء »

(ب)- وسئل رويم عن التصوف: «فقال، استرسال النفس مع الله تعالى

---

(١) الكلاباذي (٣٨٠ هـ = - ٩٩٠ م) محمد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري، أبو بكر: من حفاظ الحديث . من أهل بخارى . له " بحر الفوائد - خ " ويعرف بمعاني الاخبار، جمع فيه ٥٩٢ حديثا " و" التعرف لمذهب أهل التصوف - ط " (٢) عن«انظر، الأعلام - خير الدين الزركلي - ج ٥ - ص ٢٩٥)) .

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، لابي بكر الكلاباذي: ص١٩ .

على ما يريده »[١].

٤- وقال صاحب قواعد التصوف: «فأصل التصوف مقام الإحسان الذي فسره رسول الله ﷺ وسلم: (بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك»[٢].

٥- وقال محمد جواد محمد مغنية: «التصوف- الانتصار على النفس والتغلب على ميولها وأهوائها عن طريق التدريب والتهذيب كما يروض الحيوان المفترس»[٣].

٦- واستخلص أبو العلاء عفيفي: من جميع التعريفات (إن التصوف في أساسهِ وجوهره فقد ووجود، فقد لأنية العبد، ووجود له مع الله»[٤].

الخامس: بيان من هو الصوفي الحقيقي

نقل القشير ي في رسالته عن اقطاب الصوفية اراء متعددة عن توصيف حقيقة الصوفي منها ما قاله:

الشبلي: «الصوفي منقطع عن الخلق، متصل بالحق، كقوله تعالى (واصطنعتك لنفسي) قطعه عن كل غير، ثم قال له (لن تراني).

سمعت ابا حاتم السجستاني يقول: سمعت ابا نصر السراج يقول: سئل ذو النون المصري عن اهل التصوف فقال: هم قوم اثروا الله عز وجل على

---

(١) الرسالة القشيرية، ابو القاسم القشيري: ٤٦٦.

(٢) قواعد التصوف، لأبي العباس أحمد الشهير بزروق الفاسي، القاعدة الخامسة، ص١٧ .

(٣) نظرات في التصوف، محمد جواد مغنية: ١٢.

(٤) التصوف الاسلامي، صهيب الرومي: ٥٦.

كل شيء فاثرهم الله عز وجل على كل شيء.

وقال الجنيد: الصوفي كالارض، يطرح عليه كل قبيح، ولا يخرج منها الا كل مليح.

وقال ايضا: انه كالارض، يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء[١].

يقول الكلاباذي في كتابه: «وقال أبو علي الرّوذباري – وسئل عن الصوفي – فقال: من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى ذوق الجفاء، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى .

وسئل سهل بن عبد الله التستري: من الصوفي؟ فقال: من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

وقال يوسف ابن الحسين: لكل أمَّةٍ صَفْوَة، وهم وديعة الله الذين أخفاهم عن خلقه، فإن يكن منهم في هذه الأمة: فهم الصوفية ".

قال رجل لسهل بن عبد الله التستري: من أصحب من طوائف الناس؟ فقال: عليك بالصوفية؛ فإنهم لا يستكثرون، ولا يستنكرون شيئا، ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك على كل حال »[٢].

وقال ذو النون: «رأيت امرأة ببعض سواحل الشام، فقلت لها: من أين

---

(١) الرسالة القشيرية، ابو القاسم القشيري: ٤٦٦.

(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف، لابي بكر الكلاباذي، الباب الاول، لماذا سميت الصوفية:ص١٩

أقبلت رحمك الله؟

قالت: من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفا وطمعا.

قلت: وأين تريدين؟

قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

قلت: صفيهم لي؟ فأنشأت تقول:

قومٌ: هُمُومُهم بالله قد عَلِقَت   فما لهم هِمَمٌ تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم   يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إنْ تَنَازَعهُم دُنْيا ولا شرف   من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فَائِقٍ أنِقٍ   ولا لروح سرور حلَّ في بلد
إلا مسارعة في إثْرِ منزلة   قد قارب الخطو فيها بَاعِدُ الأبد
فهم رهائن غدران وأوديَة   وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد [١]

المطلب السادس: الفرق بين التصوف والعرفان

لا يفرق بعض الدارسين بين التصوف والعرفان ولكن من خلال ما تقدم يمكننا أن نجد بينهما الفروق التالية:

أولاً: إنّ التصوف منهج وطريقة للزهد مبتنية على اساس الشرع وتزكية النفس، والاعراض عن الدنيا من اجل الوصول الى الحق تبارك

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف، لابي بكر الكلاباذي، الباب الاول: لماذا سميت الصوفية: ص١٩ و٢٠ .

وتعالى والسير باتجاه الكمال .

واما العرفان: فهو مذهب فكري، وفلسفي، متعال وعميق، يسعى الى معرفة الحق تبارك وتعالى، ومعرفة حقائق الامور، واسرار العلوم، وليس طريقا كما عليه منهج الفلاسفة والحكماء، بل هو منهج الاشراق والكشف والشهود[١].

ثانياً: وهو ما يمكن أنّ نستحصله من الفرق الأوّل وهو ان كل عارف متصوف وليس كل متصوف عارف، لان كل عارف لابد ان يمر بمرحلة الزهد والرياضة للوصول الى حالة الكشف والشهود .

المطلب السابع: إشكال ذم التصوف من قبل اهل البيت عليهم السلام والجواب عليه

جاء ذم الى التصوف كما في الرواية المنسوبة الى الإمام الهادي عليه السلام، عندما كان داخل المسجد ثم دخل جماعة من الصوفية، وجلسوا في ناحيةٍ وأخذوا بالتهليل فقال عليه السلام: لا تلتفوا إلى هؤلاء الخداعين، فأنهم خلفاء الشيطان، ومخربوا قواعد الدين، أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنم والتغنية، فلا يتبعهم الا السفهاء، ولا يعتقدهم الا الحمقى)[٢].

وكذلك عن الرضا عليه السلام أنه: «لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة ". وأما من سمى نفسه صوفيا للتقية، فلا إثم عليه، وعلامته أن يكتفي بالتسمية فلا يقول شيء من عقائدهم الباطلة »[٣].

---

(١) أُنظر: العرفان الشيعي، كمال الحيدري: ٦٧.

(٢) إكليل المنهج في تحقيق المطلب، محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني الكرباسي: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه.

والجواب على هذا الاشكال:

اولا: على فرض صحة هذه الروايات نقول ان هذا الذم جاء الى طائفة من الصوفية وهم الذين يتخذون طرقاًغير التي رسمها القرآن الكريم، والنبي صلى الله عليه وآله، واهل البيت عليهم السلام.

وقد ذكر الحر العاملي[1]: بعضا من هذه الطوائف، نقلاً عن الشيخ نجم الدين عمر النسفي وهو من علماء العامة المطلعين على مذاهب التصوف، يقول الشيخ (عمر النسفي) أصحاب التصوف، اثني عشر فرقة واحدة منهم على الحق المستقيم والباقي على البدعة والضلال.

الأولى الحبيبية: يقولون العبد يتخذ الله حبيباً وينقطع عن محبة المخلوقين ويرفع التكليف عنهم من الصلاة والصوم ..... وهكذا؟

الثانية الاوليائية: العبد عندما يبلغ درجة الولاية،يرفع عنه خطاب الأمر والنهي.

---

(١) كان مولده في قرية مشغر ليلة الجمعة، ثامن من رجب سنة ١٠٣٣ المتوفى سنة (١١٠٤ هـ) وقبره موجود في خراسان عند الإمام الرضا عليه السلام .عن جامع الرواة «محمد بن الحسن الحر العاملي ساكن المشهد المقدس الرضوي على ساكنها من الصلوات أفضلها ومن التحيات اكملها الشيخ الامام العلامة المحقق المدقق جليل القدر رفيع المنزلة عظيم الشأن عالم فاضل كامل متبحر في العلوم لا يحصى فضائله ومناقبه مد الله تعالى في عمره وزاد الله تعالى في شرفه له كتب كثيرة منها كتاب وسائل الشيعة كتاب كبير وكتاب هداية الأمة وكتاب بداية الهداية وكتاب فوائد الطوسية وغيرها من الكتب)) .«عن جامع الرواة – محمد علي الأردبيلي – ج ٢ – ص ٩٠ –٩١، سنة الطبع ١٤٠٣، الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران)) .

الثالثة الشمراخيه: إذا عرف العبد الله سبحانه، يرفع الأمر والنهي عنه بسماع الدف والطبل والمزمار.

الرابعة الإباحية: يقولون أموال المسلمين وفروجهم حلال ويقولون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيذاء وحجاب.

الخامسة الحالية: عندهم الرقص والسماع مباح.

السادسة الحلولية: يقولون النظر إلى وجه الجميل من الأمرد والنساء حلال ويقولون في حالة الرقص، أن الرقص صفة حلت علينا وهي من صفات الله.

السابعة الحورية: يقولون في حالة الرقص تأتي إلينا حور العين ونواقع هذهِ الحور.

الثامنة الواقعية: يقولون إن العبد عاجز عن معرفة الله تعالى.

التاسعة المتجاهلة: وهم قوم في لباس الفاسقين ويقولون مرادنا دفع الرياء بهذهِ الملابس.

العاشرة المتكاسلة: وهم قوم يتركون الكسب ويتجهون على أبواب الخلائق ويأكلون أموال الزكاة بغير حق .

الحادية عشر الإلهامية: وهم يعرضون عن القرآن والعلم ويكتفون بالإشعار ويقولون القرآن حجاب وأبيات الحكماء وأشعارهم قرآن الطريق.

الثانية عشر أهل الحق: وهم قوم يتبعون السنة ويؤدون الصلاة في الوقت مع أهل السنة والجماعة ويحذرون عن الشرب والزنا والسماع والرقص ؟»[١].

---

(١) الاثنا عشرية، الحر العاملي: ٢٣ ـ ٢٥.

هذا ما ذكره الحر العاملي ونحن نقول حتى هذه الفرقة التي يقول النسفي باحقيتها اذا كانت لا تاخذ اصولها من منهج اهل البيت وتكون في خط اهل البيت فكذلك هي تعيش الضلالة.

ثانيا: إن أهل البيت ذموا الاجتهاد- ولكن قصدهم الاجتهاد الذي تقول بهِ العامة وهو الاجتهاد في مقابل النص لا الاجتهاد بمعنى الجهد الذي يبذله الفقية لاستنباط الحكم الشرعي من الدليل الشرعي[١]، كذلك الطريق والسلوك المذموم ما كان خارج نطاق ومنهج اهل البيتعليهم السلام.

وإما اذا كان السلوك موافق لطريقة أهل البيتعليهم السلام فهذا لا مانع منه. كما يدلنا الحديث عن الصادقعليه السلام عندما سأله عنوان البصري فقال له أوصني، قال أوصيك بتسعة أشياء، فإنها وصيتي لمريدي الطريق الى الله تعالى، وأسأل الله أن يوفقك لاستعمالها، ثلاثه منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فا حفظها وإياك والتهاون بها، إما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقه والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً وسم وأذكر حديث رسول اللهصلى الله عليه وآله «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنهِ، فإن كان ولا بدّ فثلث لطعامهِ، وثلث لشرابهِ وثلث لنفسهِ» وأما اللواتي في الحلم ـ فمن قال لك إن قلت واحد سمعت عشراً فقل إن قلت عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له، إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك ومن وعدك بالخنا فعده

(١) انظر الحلقة الأولى للأصول، محمد باقر الصدر: ٣٢.

بالنصيحة والدعاء، وإن اللواتي في العلم فأسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسئلهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً واهرب من الفتيا هروبك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً"[١].

ثالثا: وهو ما أجاب به السيد حيدر الاملي[٢]، حيث قال:

(أن لا فساد في أصول كلتا الطائفتين يعني الشيعة والمتصوفة وإنه لا يتطرق الخلل إلى مبادئهما- لأن منشأهما واحد والمنبع الذي يمدهما واحد كذلك وهو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيتهِ وليست محاولة الجمع بينهما في الواقع إلا جمعاً بين الظاهر والباطن، اذ يقول السيد حيدر الاملي: (يحمل الشيعة أسرار الأنبياء والأئمة بحسب الظاهر والشريعة والصوفية بحسب الباطن والحقيقة).

وعلى هذا الأساس يقول السيد حيدر الاملي: (فلا ينبغي أن يشنع أحد من هاتين الطائفتين على الأخر بأنه على حق أو على باطل لأنه لا

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي ١: ٢٢٦.

(٢) والسيد حيدر الاملي ينتهي نسبه الى أمير المؤمنين عليه السلام وقد اشتهر بلقب الاملي نسبة الى مدينته التي والد فيها وهي آمل سنة (٧١٩ هـ) وقد هاجر الى العراق وسكن بجوار الغري مشتغلاً بالرياضة والخلوة والمجاهدة والطاعة، ومتفرغاً لطلب العلوم الحقيقية اللدنية الارثية دون الكسبية التعلمية. وقد حضر السيد حيدر الاملي درس فخر الدين الحلي المشهور بفخر المحققيين ابن العلامة الحلي (رض) وكتب له إجازات متعددة . وينقل صاحب مستدرك أعيان الشيعة (عن أحمد الحسيني) صاحب تراجم الرجال قوله (كان السيد حيدر الاملي من كبار الصوفية في القرن الثامن الهجري سعى كثيراً في تدوين آرائهم وما يتعلق بالتصوف الإسلامي ولم يكن من المستطرقين الذين لم يعرفوا من التصوف إلا القشور الفارغة التي لا تمت إلى روح الإسلام بصلة.

يكون بذلك إلا مأثوماً لأن ذلك ظن وهو أثم).

والسيد حيدر الاملي يقصد من المتصوفة كبار المتصوفة من المشايخ وهم (أويس القرني والحسن البصري وكميل بن زياد وأبو يزيد البسطامي والبلخي والكرخي والسري السقطي والجنيد البغدادي)[١].

وما ذهب اليه السيد حيدر الاملي ،هو ما يصرح به كبار الصوفية من أن علمهم مأخوذ من طريقة اهل البيت عليهم السلام ، ولا سيما الامام علي عليه السلام وقد صرح بذلك ،ابن عجيبة في ايقاظ الهمم، وان اول من تكلم في التصوف والعرفان هو الامام علي عليه السلام[٢].وكذلك انظر سلسلة الطريقة القادرية الذي ينقلها محمد الكسنزاني صاحب الموسوعة .

سلسلة مشايخ ٱلطريقة ٱلعليَّة ٱلقادريَّة ٱلكسنـــزانيَّة

منَ ٱللهِ تعالى إلى

حضرة ٱلرسول ٱلأعظم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومنه إلى يد ٱلإمام علي كرم الله وجهه *

ومنه إلى جناحي ٱلسلسةِ

---

(١) العرفان الشيعي: دراسة تحليلية في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الاملي: دكتـور خنجـر علي حمية: ٦٢، ٦٣.

(٢) ايقاظ الهمم في شرح الحكم : احمد بن عجيبة الحسني : ١٩ .

ٱلجناح ٱلأوّل (ٱلسِّلسِلة ٱلذَّهبية)	ٱلجـنـاح ٱلـثّـانـي
ومنـه إلى يـد ٱلإمام ٱلحسين عليه السلام	ومنه إلى يد ٱلشيخ ٱلحسن ٱلبـصريّ قدس الله سره
ومنه إلى يد ٱلإمام زين ٱلعابـدين عليه السلام	ومنه إلى يد ٱلشيخ حبيـب ٱلعجمـي قدس الله سره
ومنه إلى يـد ٱلإمام محمـد ٱلبـاقر عليه السلام	ومنه إلى يد ٱلشيخ داود ٱلطّائيّ قدس الله سره
ومنه إلى يد ٱلإمام جعفر ٱلـصّادق عليه السلام	
ومنه إلى يد ٱلإمام موسى ٱلكاظِم عليه السلام	
ومنه إلى يـد ٱلإمام علـي ٱلرِّضـا عليه السلام	

ومنه إلى يد ٱلشيخ معروف ٱلكرخيّ

↓

ومنه إلى يد ٱلشيخ ٱلسّريّ ٱلسّقطيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ جُنيد ٱلبغـداديّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي بكر ٱلشبليّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلواحد ٱليمانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي فرج ٱلطرسوسيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عليّ ٱلهكاريّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أبي سعيد ٱلمخزوميّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلقادر ٱلجيلانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلرّزاق ٱلجيلانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ داود ٱلثانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ محمّد غريب ٱلله

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلفتّاح ٱلسّيّاح

ومنـــــه إلى يـــــد ٱلــــــشيخ محمّـــــــد قاســـــم

↓

↓

ومنه إلى يد ٱلشيخ محمّد صادق

ومنه إلى يد ٱلشيخ حسين ٱلبُصرائيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ أحمد ٱلإحسائيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ إسماعيل ٱلوليانيّ

ومنه إلى يد ٱلشيخ محيي ٱلدّين كركوك

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلصمد كله زرده

ومنه إلى يد ٱلشيخ حسين قازان قاية

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلقادر قازان قاية

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلكريم شاه ٱلكسنـزان

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد القادر ٱلكسنـزان

ومنه إلى يد ٱلشيخ حسين ٱلكسنـزان

ومنه إلى يد ٱلشيخ عبد ٱلكريم ٱلكسنـزان

ومنه إلى رئيس الطريقة الحاضر ٱلسيد ٱلشيخ محمّد ٱلكسنـزان(١).

رابعا: وهو ما أجاب به الشيخ محمد جواد مغنية، حيث قال: (وما كان من نوع مجاهدة النفس ومراقبتها والإقبال على الله وعمل الحق فهو من صميم الإسلام - بل سماه النبي بالجهاد الأكبر- وسمي الجهاد بالسيف الجهاد الأصغر. وما كان بمعنى الاتصال بالله مباشرة وبلا واسطة أو الاتحاد والحلول فهو كفر والحاد. وما كان من نوع الشعوذة والمراء وادعاء السحر وعلم الغيب والكرامات فهو فسق ونفاق وقد جاء من طرق الشيعة أحاديث كثيرة في ذم التصوف والمتصوفين بهذا المعنى والمعنى الذي قبله(١).

---

(١) موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان: السيد الشيخ محمد بن الشيخ عبد الكريم الكسنزان الحسيني:ج١ : ص٢٦ .

المطلب الثامن: رأي السيد آية الله العارف علي القاضي(رض) (٢) في محي الدين(٣).

---

(١) نظرات في التصوف والكرامات، محمد جواد مغنية: ١٤ ـ ١٧ .

(٢) «ولد السيد القاضي (١٢٨٢ ـ ١٣٤١ هـ) في تبريز ينتهي نسبه الى الحسن المجتبى عليه السلام وهاجر الى النجف سنة ١٣١٣ هـ ودرس في الحوزة العلمية في النجف الاشرف . وقال العلامة حسن زاده الاملي (كان آية الله القاضي من عجائب الدهر) . عن «مدرسة العرفان، إبراهيم حسين سرور ١: «ص٢٥٧، ٢٦٠))

والسيد القاضي هو أستاذ السيد الطباطبائي صاحب الميزان وكذلك أستاذ الشيخ آية الله محمد تقي بهجت، المرجع الديني والعارف الكامل في إيران .

(٣) «الذي يعبرون عنه بالشيخ الأكبر أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المكي الشامي، صاحب كتاب الفتوحات المكية . برع في علم التصوف، ولقي جماعة من العلماء والمتعبدين، والناس فيه على ثلاثة أقسام:

(الأول) من يكفره بناء على كلامه المخالف للشريعة المطهرة، وألفوا في ذلك الرسائل، منهم العلامة السخاوي والتفتازاني والمولى علي القارى.

(الثاني) من يجعله من أكابر الأولياء العارفين، وسند العلماء العاملين بل يعده من جملة المجتهدين، منهم: الفيروز آبادي صاحب القاموس، والنابلسي والشعراني والكوراني .

(والقسم الثالث) من اعتقد ولايته وحرم النظر في كتبه منهم الجلال السيوطي والحصكفي وغيرهما.

توفي سنة ٦٣٨ (خلح) بعد وفاة الشيخ عبد القادر بثمان وسبعين سنة، وقبره بصالحية دمشق مزار مشهور. ومن اشعاره:

رأيت ولائي آل طه وسيلة ... على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث اجرا على الهدى ... بتبليغه إلا المودة في القربى.

وقال السيد هاشم الحداد وهو من تلاميذ السيد القاضي «يقول السيد هاشم الحداد كان السيد القاضي يعتبر محي الدين من الكاملين وهناك أدلة كثيرة تثبت كونه من الشيعة وهناك مطالب في الفتوحات المكيه تناقض الأصول المسلمة للسنة»(١).

أقول: إنّ ابن عربي يعتقد ان اقرب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي عليه السلام، إمام العالم وسر الأنبياء أجمعين، كما صرح به في كتابه الفتوحات فهو يقول ما نصه:

«ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء ويسمونه أصحاب الأفكار الهيولى الكل والعالم كله فيه بالقوة والصلاحية فقبل منه تعالى كل شيء في ذلك الهباء على حسب قوته واستعداده كما تقبل زوايا البيت نور السراج وعلى قدر قربه من ذلك النور يشتد ضوؤه وقبوله قال تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فشبه نوره بالمصباح فلم يكن أقرب إليه قبولا في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد صلى الله عليه (واله) وسلم المسماة بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء ومن الحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء أجمعين »(٢).

وفي كلام ابن العربي دلالات .وهذا ما جعل السيد القاضي يعتقد ان ابن العربي من الكاملين.

«عن الكنى والألقاب – الشيخ عباس القمي – ج ٣ – ص ١٦٤ – ١٦٦)) .

(١) مدرسة العرفان، إبراهيم حسين سرور: ١: ٣١١.

(٢) الفتوحات المكية، ابن العربي: ١: ١١٩.

اولا: ان رسول الله وعلي من نور واحد اشارة الى الحديث المبارك عن رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

«عن أبي الجارود عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه فلم يزل الله عز وجل ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره في صلب عبد المطلب، ثم أخرجه من صلب عبد المطلب فقسمه قسمين فصير، قسم في صلب عبد الله، وقسم في صلب أبي طالب فعلي مني وأنا من علي، لحمه من لحمي ودمه من دمي، فمن أحبني فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه »[(١)].

فخلق علي مقارن لخلق رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهما من نور واحد، فهو سيد العالم بأسره من بعده، فلا يجوز تقدم أحد عليه في شئ.

ثانيا: قوله: " وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب " أي في عالم الهباء والنور الإلهي، وإذا كان أقرب الناس إليه في ذلك العالم كان سيد العالم بأسره من بعده، فلا يجوز تقدم أحد عليه في أمر من الأمور .

ثالثا: واذا كان علي اقرب الناس لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من الاولين والاخرين فهو حاوي جميع كمالات الانبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وجامع لاسرارهم وعلى هذا لا يجوز ان يتقدم عليه احد .

المطلب التاسع: رأي السيد القاضي في ابن الفارض[(٢)]:

---

(١) الخصال، الشيخ الصدوق: ٦٤٠ – ٦٤١.

(٢) ابن الفارض هو: «شرف الدين أبو القسم عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي

الحموي المصري العارف المشكور والشاعر المشهور، له ديوان شعر لطيف وأسلوب فيه رائق طريف ينحو منحى طريقة الفقراء، جمع في شعره بين صنعة عشاق الجناس والطباق وبين معاني القوم الرقاق ورموزهم الدقاق ومن العجب اجتماع الحالين وشتان ما بين الطريقين صرح جمع بتشيعه ونسبوا إليه هذه الاشعار التي أظنها للناشئ الأصغر:

بآل محمد عرف الصواب — وفي أبياتهم نزل الكتاب
وهم حجج آلاء له على البرايا — بهم وبجدهم لا يستراب
علي الدر والذهب المصفى — وباقي الناس كلهم تراب
هو البكاء في المحراب ليلا — هو الضحاك ما اشتد الضراب
هو النبأ العظيم وفلك نوح — وباب الله وانقطع الخطاب

قيل: كان إذا مشى في المدينة ازدحم الناس عليه يلتمسون منه البركة والدعاء، وكان وقورا إذا حضر مجلسا استولى السكون عليه أهله جاور بمكة زمنا وكان يسبح في أودية مكة وجبالها واستأنس بالوحوش ليلا ونهارا، وأشار إلى هذا في قصيدته التائية المعروفة:

فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا — وبالوحش انسي إذ من الانس وحشتي

توفي بالقاهرة سنة ٦٣٢، ودفن بالقرافة بسفح جبل المقطم ذيل المسجد المعروف بالعارض وقد أشار إلى ذلك سبطه بقوله:

جز القرافة تحت ذيل العارض — وقل السلام عليك يا بن الفارض
سلكت في نظم السلوك عجائبا — وكشفت عن سر مصون فامض
وشربت من نهر المحبة والولا — فرويت من بحر محيط فائض

وعن كشف الظنون قال: اختلف العلماء فيه وافترقوا فرقا فمنهم من أفرط في مدحه واشتغل بتوجيه كلامه، ومنهم من فرط وأفتى بكفره، ومنهم من كف وسكت ولعله هو الطريق الأسلم في أمثاله))، انظر: الكنى والألقاب: الشيخ عباس القمي: ١: ٣٧٤، ٣٧٦))

يعتقد السيد القاضي ان ابن الفارض من العرفاء ومن الكاملين ومن السائرين على خط اهل البيت عليهم السلام ، ويستدل على ذلك بهذا البيت:

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها فعدل لك من ظلم الحبيب هو الظلم

ويقول السيد القاضي ـ المراد من (ظلم الحبيب) آل محمد والمراد من (ظلم الحبيب) ريق الحبيب الذي هو أعذب وألذ من أي شيء آخر وأكثر بعثاً على الطمأنينة[1].

وكذلك يستدل البعض على وصولهِ إلى محبه وولاية أهل البيت بهذه الأبيات:

ذهب العمر ضياعاً وانقضى باطلاً إذ لم أفز منكم بشيء

غير ما أوليت من عِقدي ولا عترة المبعوث حقاً من قصُي[2]

أي إن حاصل قضاء عمري في السير والسلوك الى الله تعالى تعالى هو الوصول إلى ولايةِ العترة الطاهرة وعقد الولاء لهم الذي وهب لي وأوليته ففزت بذلك ونلت مناي.

المطلب العاشر: اذا كان هؤلاء من الشيعة لماذا لم يفصحوا عن تشيعهم

الجواب: ربما ندعي ونحملهم على أنهم كانوا يعملون بالتقية ويخشون الإفصاح عن تشيعهم وولائهم لأهل البيت عليهم السلام لانهم كانوا يعيشون في بيئة لا يمكن معها اظهار تشيعهم. والتقية لمثل هؤلاء ضرورية من اجل حفظ

---

(١) انظر مدرسة العرفان: ١: ٣١٤.

(٢) نفس المصدر:١: ٣١٥ . «وكذلك شرح ديوان ابن الفارض : ١: ١٦٠)) .

دمائهم ونشر افكارهم وعلمهم، والتقية حكم شرعي الهي جاء لحفظ الانسان فيما اذا خاف على نفسه .

يقول تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾[١].

ويقول الامام جعفر الصادق عليه السلام (أن التقية ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له)[٢].

المطلب الحادي عشر: طريق التصوف الحقيقي منحصر بالرجوع لأهل البيت

إن طريق التوحيد والسلوك إلى المعرفة الشهودية والكمال المطلق صعب مستصعب، وفيه قطاع طرق كثيرون، فقطعه- بلا توجيه وإرشاد ومؤازرة من القادة الربانيين الذين بلغوا الهدف وعصموا من الزلل وهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته عليهم السلام - عمل خطر محال .

ويمكن ان يستدل على ذلك بعدة ادلة .

اولا: ان اهل البيت عليهم السلام باب الله الذي منه يؤتى.

(أ) فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: يا علي أنا مدينه العلم وأنت بابها فمن أتى من الباب وصل، يا علي أنت بابي الذي أوتى منه وأنا باب الله فمن أتاني من سواك لم يصل

---

(١) سورة ال عمران : الاية ٢٨ .

(٢) وسائل الشيعة (آل البيت) : الحر العاملي ١٦: ٢١٠.

إلي، ومن أتى الله من سواي لم يصل إلى الله.)[١].

أقول: هذا الحديث متواتر بين العامة والخاصة.

(ب)عن الأصبغ بن نباتة، باسناده، قال: [كنت جالسا عند أمير المؤمنين] فقام ابن الكواء إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل " وليس البر بأن تأتوا البيوت

من ظهورها ولكن البر من اتقى وائتوا البيوت من أبوابها ". فقال عليه السلام: يا بن الكواء، ويحك نحن باب الله الذي يؤتى منه. [فمن بايعنا وأقر بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفضل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها][٢].

(ج) يقول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة

(من أراد الله بدأ بكم، ومن وحده قبل عنكم، ومن قصده توجه بكم)[٣] فالمقصود من كلام الامام عليه السلام (ان من أراد الله بدأ بكم.) أي من لم يبدأ بكم فلم يرد الله بل أراد الشيطان إذ لا يمكن الوصول إلى معارفه تعالى ومرضاته إلا باتباعكم في العقائد والأقوال والأعمال.

ومن وحده قبل عنكم. أي من لم يقبل عنكم فليس بموحد بل هو مشرك وإن أظهر التوحيد أو كل من يقول بتوحيد الله يقبل قولكم فإن البرهان كما يدل على التوحيد يدل على وجوب إمامتكم وخلافتكم أو أن حقيقة التوحيد إنما عرفت منكم فمن لم يقبل العلوم منكم لم يعرف التوحيد.

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) : الحر العاملي: ٢٧: ٧٦.

(٢) شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٢: ٣٤٣.

(٣) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ١: ٣٠٨.

ومن قصده توجه بكم إليه.إذ أنتم وجه الله الذي به يتوجه به وباب الله الذي منه يؤتى.

ثانيا: ولاية أهل البيت شرطا لقبول الأعمال.

فالسالك الى الله اذا لم يكن مواليا لأهل البيتعليهم السلام، فاعماله لا قيمة لها، قال تعالى:﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنْثُوراً﴾[١].

عن علي بن الحسينعليه السلام قال: قام رسول اللهصلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام إذا ذكر عندهم ال إبراهيم وال عمران فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم ال محمد اشمأزت قلوبهم والذي نفس محمد بيده لو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبل الله ذلك منه حتى يلقى الله بولايتي وولاية أهل بيتي[٢].

وروى أبو المؤيد أيضا في كتاب المناقب عن عليعليه السلام عن النبيصلى الله عليه وآله قال: «يا علي لو أن عبدا عبد الله تعالى مثل ما أقام نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهبا، فأنفقه في سبيل الله تعالى، ومد في عمره حتى حج ألف عام على قدميه، ثم قتل مظلوما بين الصفا والمروة، ثم لم يوالك، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها »[٣].

وروى أبو حمزة الثمالي في الصحيح، قال: «قال لنا علي بن الحسينعليهما السلام: أي البقاع أفضل؟ قلت: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال: ان أفضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أن رجلا عمر ما عمر نوح في قومه

---

(١) سورة الفرقان : الاية ٣٢ .

(٢) الاصول الستة عشر، عدة محدثين: ١١٧.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي ١: ١٢٢.

ألف سنة الا خمسين عاما يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان، ثم لقى الله تعالى بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً »[١].

ونقرأ في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الهاديعليه السلام: «وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة ولكم المودة الواجبة»[٢].

وروى ثقة الاسلام في الكافي عن زرارة، عن الباقرعليه السلام أنه قال: «أما لو أن رجلا قام ليله وصام نهاره، وتصدق بجميع ماله، وحج جميع عمره، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه، ويكون جميع أعماله بدلالته إليه، ما كان له على الله حق في ثوابه، ولا كان من أهل الايمان »[٣].

وقد نظم هذا المعنى العلامة الفيلسوف أفضل المتأخرين ورئيس المحققين، نصير الدين محمد بن محمد الطوسي قدس الله سره. يقول:

لو أن عبدا أتى بالصالحات غدا   وزار كل نبي مرسل وولي
وصام ما صام صواما بلا ملل   وقام ما قام قواما بلا كسل
وحج كم حجة لله واجبة   وطاف بالبيت حاف غير منتعل
وطار في الجو لا يأوي إلى أحد   وغاص في البحر مأمونا من البلل
وأكسى اليتاما من الديباج كلهم   وأطعمهم من لذيذ البر بالعسل
وعاش في الناس آلافا مؤلفة   عار من الذنب معصوما من الزلل

---

(١) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق ١: ٣٠٨.

(٢) بحار الانوار، المجلسي ٩٩: ١٣٢.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني ٢: ١٩.

فليس في الحشر يوم البعث ينفعه الا محبة أمير المؤمنين علي[١]

" أجل، ببركة ولاية أهل البيتعليهم السلام وطاعتهم يستطيع السالك أن يظفر بأعلى مراتب التوحيد والمعرفة الشهودية، كما قال الإمام الرضاعليه السلام: " من سره أن ينظر إلى الله بغير حجاب، وينظر الله إليه بغير حجاب فليتول آل محمد، وليتبرأ من عدوهم"[٢]. ولا يخفى عليك نظر الامامعليه السلام الى العبد الذي يكون في استقامة مستمرة في خط اهل البيت وعدم التبدل والتغير مع الاتيان بالواجبات وعدم معصية الله تعالى .

ثالثا: اهل البيت العارفين بالله تعالى تمام المعرفه:

ورد في الزيارة الجامعة عن الامام الهاديعليه السلام: «السَّلامُ عَلى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللّهِ»[٣] محالّ جمع محلّ، وهو المكان والموضع. والمعرفة هي إدراك الشيء. ومعرفة الله تعالى هي الإطّلاع على صفاته الجمالية الثبوتية، والجلالية،، وأهل البيت سلام الله عليهم وُصفوا في هذا التسليم من هذه الزيارة المباركة بأنّهم محالّ ومواضع معرفة الله تعالى وإدراكه، وذلك بمعنيين:

المعنى الأوّل: أنّه لا يَعرِف الله تعالى حقّ معرفته إلاّ هم سلام الله عليهم، فهم أعرف الناس بالله والتامّين في معرفته. ويشهد لهذا المعنى قول رسول اللهصلى الله عليه وآله لأمير المؤمنينعليه السلام:«يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت»[٤].

(١) اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ٩: ٤١٩.

(٢) المحاسن، احمد بن محمد بن خالد البرقي: ١: ٦٠.

(٣) عيون أخبار الرضاعليه السلام، الشيخ الصدوق: ١: ٣٠٥.

(٤) مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سلمان الحلي: ١٢٥

وقد بلغوا أقصى غاية المعرفة الإلهية بحيث قال سيد العارفين علي ابن ابي طالب عليه السلام: « لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً »[(١)].

المعنى الثاني: أنّه لا يُعرف الله تعالى إلاّ بهم ومن طريقهم، ولا يُتوصّل إلى المعرفة الحقّة إلاّ بتعريفهم، فتعود المعرفة الصادقة إليهم سلام الله عليهم.

كما يدلّ على ذلك مثل حديث عبدالله بن أبي يعفور، عن الإمام الصادق عليه السلام الذي جاء فيه: «بنا عُرف الله وبنا عُبد الله ونحن الأدلاّء على الله ولولانا ما عُبد الله»[(٢)].

وكذلك الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام (نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله وأهل دين الله وعلينا نزل الكتاب وبنا عبد الله ولولانا ما عرف الله ونحن ورثة نبي الله وعترتهِ)[(٣)] وكذلك حديث نصر العطّار أنّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: « ثلاث أُقسم أنّهنّ حقّ: إنّك والأوصياء من بعدك عرفاء لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم ... »[(٤)].

وهكذا حديث الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام الذي ورد فيه: «نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلاّ بسبيل معرفتنا»[(٥)].

وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم على منبر البصرة فقال لهم سلوني قبل أن تفقدوني، أسألوني عن طرق السماء فأني أعرف بها من طرق

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي:٤١٥.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق: ١٤٧.

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار:٨١.

(٤) نفس المصدر: ٥١٩.

(٥) نفس المصدر: ٥١٧.

الأرض، فقام إليه رجل من وسط القوم فقال له، اين جبرئيلعليه السلام في هذهِ الساعة فرمق بطرفهِ إلى السماء ثم رمق إلى المغرب ثم لم يخل موضعاً فالتفت إليه فقال، يا ذا الشيخ، أنت جبرئيل، فصفق طائراً من بين الناس، فضج عند ذلك الحاضرون وقالوا نشهد إنك خليفة رسول الله حقاً حقاً»(١).

اذن من خلال ما قدمنا من الروايات، فطلب المعرفة الالهية يكون من طريقهم وبمعرفتهم، وفي مقابله يكون سلوك طريق غيرهم هو الضلال والانحراف. فإن رجعنا إليهم إهتدينا، وإن أعرضنا عنهم أو رجعنا إلى غيرهم غوينا. ويكفي شاهداً وجدانيّاً على معرفتهم التامّة بالله تعالى كلامهم في التوحيد(٢)، وما ورد عنهم في بيان صفات الله تعالى الذي تلاحظه في مثل خطبة أمير المؤمنينعليه السلام في نهج البلاغة، وكذلك ما أثر عنهم في أدعيتهم الشريفة في كتب الادعية.

رابعا: اهل البيت الطريق الصحيح لاخذ معالم الدين.

على السالك الى الله تعالى ان ياخذ الطريق الذي يتيقن فيه انه يوصله الى معرفة الاحكام الشرعية المنزلة على الخاتمصلى الله عليه وآله بعدما تشعبت الفرق والمذاهب ووجود الاختلاف بينها. فهل ياخذ بطريقة اهل البيت أم يأخذ بطريقة غيرهم، حتى يتيقن انه قد فرغت ذمته من التكاليف المفروضة عليه من قبل الله تعالى.

وقد تواتر بين العامة والخاصة عن النبيصلى الله عليه وآله أنه قال: إني تارك فيكم

---

(١) الفضائل، شاذان بن جبرئيل القمي:٩٨.

(٢) راجع: كتاب التوحيد للشيخ الصدوق: وكذلك خطب نهج البلاغة في التوحيد وغيرها.

الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض[١].

ويقول الامام الهادي في الزيارة الجامعة عليه السلام (وبمولاتكم علمنا الله معالم ديننا)[٢].

وورد عن الباقر عليه السلام (شرقا وغربا لن تجدا علما صحيحا الا شيئا يخرج من عندنا اهل البيت.)[٣].

خامسا: اهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة.

فقد ورد عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك »[٤].

وهذا يدل على عظمة ومنزلة ومكانة اهل البيت عليهم السلام في كل المجالات العلمية والمعرفية والاخلاقية والعبادية وكل ما تحتاج اليه الامة، وان الذي ياخذ منهم ينجو ، والذي لا يأخذ منهم فقد ضل ضلالا بعيدا.

سادسا: اهل البيت هم النور الإلهي في الأرض

عن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: " فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا " فقال: يا أبا خالد النور والله الأئمة من آل محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة، وهم والله نور الله الذي أنزل، وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الامام في قلوب

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي: ٢٧: ٣٣ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق ١: ٣٠٦.

(٣) بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٢: ٩٢.

(٤) الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي: ١: ٣٧٣.

المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتضللهم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلما لنا فإذا كان سلما لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامة الأكبر[١].

نخلص من هذا الكلام الصادر من المعصوم الى ان الإمام كالشمس الساطعة تشع على الباطن الخافي للعالم أكثر مما تشعه الشمس المحسوسة، وتنير ملكوت السماوات والأرض وسرائر المؤمنين. وهذا النور لا يبين طريق السير والسلوك لهم فحسب، بل يرافقهم حتى بلوغ الهدف .

وهذا ما نعتقده ان العبد متى ما قام بالواجبات وانتهى عن المعاصي وكان مهيأ للافاضة المعنوية سوف يفاض عليه من الانسان الكامل من اجل الوصول الى التكامل الباطني. يقول الفيلسوف الطباطبائي (قدس الله روحه):

«وبالجملة فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إياهم إلى المطلوب بأمر الله دون مجرد إراءة الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة»[٢].

ويقول محسن الخرازي: إن الهداية المجعولة من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى إرائة الطريق، لان الله سبحانه جعل إبراهيم إماما بعد ما جعله نبيا كما أوضحناه في تفسير قوله: ″ إني جاعلك للناس إماما ″ فيما تقدم ولا

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني: ١: ١٩٤ .

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١: ٢٧٢.

تنفك النبوة عن الهداية بمعنى إراءة الطريق، فلا يبقى للإمامة إلا الهداية بمعنى الايصال إلى المطلوب، وهي نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقف معنوي إلى موقف آخر. وإذا كانت تصرفا تكوينيا وعملا باطنيا فالمراد بالامر الذي تكون به الهداية ليس هو الامر التشريعي الاعتباري، بل ما يفسره في قوله: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء﴾ فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بأعمالهم الصالحة ويتلبسون بها رحمة من ربهم وإذ كان الامام يهدي بالامر - والباء للسببية أو الآلة - فهو متلبس به أولا ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم، فالامام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها، كما أن النبي رابط بين الناس وبين ربهم في أخذ الفيوضات الظاهرية، وهي الشرايع الإلهية تنزل بالوحي على النبي وتنتشر منه، وبتوسطه إلى الناس وفيهم، والامام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما أن النبي دليل يهدي الناس إلى الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة»[١].

المطلب الثاني عشر: حصول خوارق العادة لبعض المتصوفة.

ربما تحصل شبهة عند بعض الناس البسطاء ، وهو حصول اشياء خارقة للطبيعة من الذين يدعون التصوف او العرفان،ولكنهم ليسوا في خط اهل البيت عليهم السلام، او من المنحرفين الفاسدين ،

الجواب:

---

(١) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، السيد محسن الخرازي: ٢: شرح٢٣.

اولا: مما تقدم تحصل انه يستحيل المعرفة والعرفان الحقيقي بدون اهل البيت عليهم السلام، وذلك لانهم باب الله تعالى الذي منه يؤتى .

ثانيا: ربما تحصل نشوة في العبادة والمناجاة وشعور باللذة فهذا ليس دليل على المعرفة بالله تعالى، وانما هذه الامور تحصل نتيجة العادة في العبادة،وكثرة العبادة،وتلاوة القران الكريم، والادعية المؤثرة.

ثالثا: اما الكرامات او بتعبير اخر اصح الامور الخارجة عن العادة اذا حصلت فهي ناتجة من الارتياض والوصول الى اكتشاف القوانين الخفية على الاخرين، وهذه تحصل حتى للشخص الذي ليس عنده دين من الهندوس او البوذيين وما اشبه ذلك.

انظر الى ما رواه في العيون بسنده عن علي بن يقطين، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن أخيه الحسين، عن أبيه علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلا يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام ويقطعه[١] ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل معزم[٢]، فلما أحضرت المائدة عمل ناموسا[٣]على الخبز، فكان كلما رام خادم أبي الحسن عليه السلام تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، واستفز هارون الفرح والضحك[٤] لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام أن رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور، فقال له: يا أسد الله، خذ عدو الله. قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع،

---

(١) يقطعه، أي يسكته عن حجته ويبطلها.

(٢) المعزم، الراقي الذي يعمل بالعزيمة والرقى .

(٣) الناموس، ما يتنمس به من الاحتيال .

(٤) استفزه الضحك، استخفه وغلب عليه حتى جعله يضطرب لشدة ضحكه.

فافترست ذلك المعزم، فخر هارون وندماؤه على وجوههم مغشيا عليهم، وطارت عقولهم خوفا من هول ما رأوه، فلما أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقي عليك، لما سألت الصورة أن ترد الرجل. فقال: إن كانت عصى موسى عليه السلام ردت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيهم، فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعته من هذا الرجل، فكان ذلك أعمل الأشياء في إفاقة نفسه»[١].

وينقل صاحب القصص العرفانية: «ان شابا كان قد صاحب درويشا سلك مسلكا شيطانيا وتعلق به تعلقا وثيقا، لما كان يرى من خوارق ظاهرية تجري على يديه .يقول هذا الشاب: خرجت مع هذا الدرويش ذات يوم قبيل الظهر من مدينة تبريز. حتى اذا ابتعدنا عن البلدة مسافة يعتد بها .قال لي الدرويش: ما اجمل المكان لو كانت لنا هنا غرشه (نارجيلة) فقلت له سيدي قد ابتعدنا كثيرا عن البلدة، ولا يوجد بالقرب منا مقهى فقال الدرويش مغضبا: او ضعف ايمانك بي؟ ونادى بصوت رفيع غرشة، واذا بغرشة توضع بين يديه، فصار يشرب، حتى اذا فرغ استانفنا الطريق فبعدنا عن البلدة مسافة لا يستهان بها فبلغنا مكانا في غاية الجمال: وقف الدرويش عن السير وقال ما اجمل هذه المناظر لو تناولنا غدائنا في هذا المكان فقلت له: ومن اين نجد طعاما في هذا المكان النائي؟ فقال: وهل ضعف يقينك بي ؟فنادى بصوت عال: غذاء؟ واذا بمائدة جاهزة توضع بين يديه وفيها من الطعام ما لذ وطاب. فصرت انظر اليها وانا متعجب حائر واللعن الشيطان،

---

(١) الامالي، الشيخ الصدوق: ٢١٢.

واذا بالرجل يلطمني على وجهي بكل ما اوتي من قوة، فقلت ولماذا ؟ما الذي صنعت حتى اغضتك؟ انما اللعن الشيطان، لعنه الله فلطمني ثانيا قائلا اتلعن من هو ولي نعمتي والمتفضل علي بعظيم النعم، انه معبودي ومقصودي، ولولاه لما كانت هذه الكرامات ومن جملتها هذه المائدة فتقديسي لابليس وعبادتي اياه واطاعتي له جعلتني موضع عنايته فيهيء لي ما اريد وما اشتهي، يقول الشاب علمت اذ ذاك ان الدرويش كافر مشرك فتركته وسافرت الى العتبات المقدسة تائبا مما كان مني اثناء غفلتي .؟»[١].

(١) القصص العرفانية، رضا محمد حدرج: ٢٨٥.

المبحث الثالث

ظاهرة الشطح ونقدها

المطلب الاول: الشطح لغة واصطلاحا

(أ) الشطح لغة:

" شِطِّحْ بالكسر وتشديد الطّاءِ: زَجْرٌ للعَريضِ من أُولادِ المَعزِ ". لم يتعرّض لها ولَمَا قَبْلَها أكثرُ أئمّة اللُّغَة وإنما ذَكَر بعضُ أهلِ الصَّرْف هذا اللّفْظَ الّذِي ذَكَره المصنّفُ في أسماءِ الأصواتِ. قال شيخنا: اشتهر بين المُتصوِّفة الشَّطَحاتُ. وهي في اصطلاحهم عبارةٌ عن كلمات تَصْدُر منهم في حالة الغَيْبوبةِ وغَلَبَةِ شُهودِ الحَقِّ تعالى عليهم بحيث لا يَشْعُرون حينئذٍ بغيرِ الحَقِّ كقول بعضهم: أنا الحَقُّ وليس في الجُبَّة إلاّ الله ونحو ذلك وذكر الإمام أبو الحَسن اليُوسيّ شيخُ شيوخِنا في حاشِيتِه الكُبْرَى - وقد ذكرَ الشَّيْخ السّنوسيّ في أثنائه الشَّطحَات -: لم أَقِفْ على لفظِ الشَّطَحَات فيما رأَيْتُ من كُتُبِ اللُّغَة كأنّها عامِّيَة وتُستعمل في اصطلاح التَّصوُّف[١].

(ب) الشطح اصطلاحا:

قال الشريف الجرجاني: عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى، تصدر من أهل المعرفة باضطرار واضطراب، وهو من زلات المحققين، فإنه دعوى حق يفصح بها العارف، لكن من غير إذن إلهي، بطريق يشعر

---

(١) تاج العروس، الزبيدي: ٤: ١٠٥.

بالنباهة[١].

وقال السراج الطوسي: الشطح: (عبارة مستغربة في وصف وجد فاض بقوته، وهاج بشدة غليانه وغلبته.

وقال كذلك: ان الشطح لفظة ماخوذ من الحركة، لانها حركة اسرار الواجدين اذا قوي وجدهم فعبروا عن وجدهم ذلك بعبارات يستغرب سامعها، فالمريد الواجد اذا قوي وجده ولم يطق حمل ما يرد على قلبه من سطوة انوار حقائقه سطع ذلك على لسانه فيترجم عنها بعبارة مستغربة مشكلة على فهوم سامعيها .الا من كان من اهلها ويكون متبحرا في علمها[٢].

نخلص مما قدمنا اليه ان بواعث الشطح لدى الصوفيين هي:

أولاً: الوجد

قال القشيري: (الوجد يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد وتكلف ولهذا قال المشايخ: الوجد المصادفه ،والمواجيد ثمرات الأوراد ،فكل من ازدادت وظائفه (أي نوافله) ازدادت من الله تعالى لطائفه »[٣].

ثانيا- الغلبة

والغلبة حال تبدو للعبد لا يمكنه معها ملاحظه السبب ولا مراعاة الأدب ويكون مأخوذا عن تمييز، فربما خرج إلى بعض ما ينكر عليه من لم يعرف حاله ويرجع على نفسه صاحبه (أي صاحب الغلبة)، إذا سكنت

---

(١) التعريفات، الشريف الجرجاني:٤١.

(٢) انظركتاب اللمع، لابي نصر سراج الطوسي: ٤٥٣.

(٣) الرسالة القيشريه، لأبي القاسم عبد الكريم القشيري ١٤٠-١٤١.

غلبات ما يجده ويكون الذي غلب عليه خوف أو هيبة أو إجلال أو حياء أو بعض هذه الأحوال[١].

ثالثا – السكر

فإذا ازدادت غلبة الوجد على الصوفي وصل إلى حاله السكر، والسكر كما يقول القشيري (غيبة بوارد قوي)، أطلق القشيري على السكر غيبه، والغيبة غيبه القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه وغيره[٢].

أباحت دمي اذ باح قلبي بحبها ... و حل لها، في حكمها، ما استحلت
و ما كنت ممن يظهر السر انما ... عروس هواها في ضميري تجلت
فألقت على سري أشعة نورها ... فلاحت لجلاسي خفايا طويتي
فان كنت في سكري شطحت فانني ... حكمت بتمزيق الفؤاد المفتت
و من عجب ان الذين احبهم ... و قد اعلقوا أيدي الهوى بأعنة
سقوني وقالوا لا تغن! و لو سقوا ... جبال حنين ما سقوني لغنت[٣]

المطلب الثاني: المتصوفة الذين صدر منهم الشطح

أولاً: ابو يزيد البسطامي

يتفق الذين كتبوا في التصوف ان ابا يزيد البسطامي هو اول من صدر

---

(١) التعريف بمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد الكلاباذي، الباب الرابع والخمْسُون: قولهم في الغَلَبَة: ١٤٥.

(٢) الرسالة القيشريه: ١٥٠ –١٥٣.

(٣) شطحات الصوفية، عبدالرحمن بدوي: ٩.

منه الشطح في القرن الثالث الهجري .فعنده يتخذ الصورة الاصلية لهذه الظاهرة. اعني التحدث بصيغة المتكلم. ومما يروى من شطحاته

١- ذكر عن ابي يزيد انه قال: قال أبو يزيد عن الله تعالى: "رفعني(أي الله) مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلت: زيني بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعنى إلى أحديتك حتى إذا رآني خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هنا"[١].

٢ــ وقال أبو نصر السراج: سمعت ابن سالم يقول في مجلسه يوما: فرعون لم يقل ما قال أبو يزيد، لان فرعون قال: أنا ربكم الأعلى، والرب يسمى به المخلوق فيقال: رب الدار، ورب البيت، وقال أبو يزيد: سبحاني! سبحاني. وسبوح وسبحان اسم من اسماء الله تعالى الذي لا يجوز أن يسمى به غير الله تعالى[٢].

وقال صهيب الرومي: في كتابه ان البسطامي حينما يصحوا، يقال له يا أبا يزيد أحقا أنت الله تعالى كما تدعي؟ فيقول أبو يزيد: أستغفر الله من هذا الكلام المشين، فيقال له: ولكنك قلت هذا الكلام فيستغرب هذا ويقول: إن كان أبو يزيد قال ذلك فقد برئت من أبي يزيد، ومن ثم يستغفر الله على ذلك »[٣].

ثانيا: شطحات الشبلي

ينقل السراج الطوسي «سمعت ابا عبدالله بن جابان يقول: دخلت على الشبلي في سنة القحط فسلمت عليه فلما قمت على ان اخرج من عنده،

---

(١) كتاب اللمع، لابن سراج الطوسي: ٤٦١.

(٢) نفس المصدر: ٤٧٢.

(٣) التصوف الاسلامي، صهيب الرومي: ٢٩٧.

فكان يقول لي ولمن معي، الى ان خرجنا من الدار، مروا انا معكم حيثما كنتم، انتم في رعايتي وفي كلائتي »[١].

ثالثا: بعض اشعار بن الفارض فيها شطح

كقوله :

وحزني ما يعقوب بثَّ أقله   وكل بلى أيوب بعض بليتي[٢]

وكذلك قوله:

ودونك بحرا خظته وقف الأولى   بساحلهِ صوناً لموضع حرمتي[٣]

رابعا: شطحات الحلاج

يترجم ابن خلكان الحلاج فيقول هو، «أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج الزاهد المشهور هو من أهل البيضاء وهي بلدة بفارس ونشأ بواسط العراق وصحب أبا القاسم الجنيد وغيره والناس في أمره مختلفون فمنهم من يبالغ في تعظيمه ومنهم من يكفره.

ورأيت في كتاب مشكاة الأنوار تأليف أبي حامد الغزالي فصلا طويلا في حاله وقد اعتذر عن الألفاظ التي كانت تصدر عنه مثل قوله (أنا الحق) (وقوله ما في الجبة إلا الله) وهذه الإطلاقات التي ينبو السمع عنها وعن ذكرها وحملها كلها على محامل حسنة وأولها وقال هذا من فرط المحبة وشدة الوجد وجعل هذا مثل قول القائل:

---

(١) كتاب اللمع، لابن سراج الطوسي: ٤٧٨.

(٢) ديوان ابن الفارض، ابن الفارض:٢٤.

(٣) نفس المصدر: ٤٠.

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا»[١]

خامسا: السيد هاشم الحداد وصدور الشطح منه:

نقل السيد الطهراني في كتابه الروح المجرد عن حالات السيد هاشم الحداد، وكان الرفقاء من الكاظميّة يقولون: لقد جئنا يوماً مع السيّد الحدّاد من كربلاء إلى الكاظميّة في سيّارة نقل عامّة صغيرة فجاء مساعد السائق في الطريق ليجمع الأُجرة من المسافرين، فسأل: كم عددكم؟ أجاب السيّد الحدّاد: خمسة أشخاص. فقال: كلاّ، أنتم ستّة أشخاص! فكرّر السيّد العدّ وقال: بل نحن خمسة! ولقد كنّا نعلم أ ّنا ستّة أشخاص، لكنّنا تعمّدنا عدم قول شيء ليتّضح أمر السيّد الحدّاد. قال مساعد السائق من جديد: أنتم ستّة! فقال السيّد: خُوُيَ مَا اتْشُوُفْ؟! هَذَا وَاحِدْ، أُوُ هَذَا اثْنَيْنْ، أُوُ هَذَا اثْلاَثَهْ، أُوُ هَذَا أَرْبَعَهْ، أُوُ هَذَا خَمْسَهْ! بَعَدْ شِتْگُوُلْ إنْتَ؟! قال: يَا سَيِّدْ! إنْتَ مَا تِحْسِبْ نَفْسَكْ؟! وكان الرفقاء يقولون، ولقد كان عجيباً أنّ السيّد الحدّاد بقي مع ذلك لا يلتفت إلى نفسه، ومع أن معاون السائق يقول له: إنّك لا تعدّ نفسك، إلاّ أنّه كان غارقاً في عالم التوحيد والانصراف من عالم الكثرة، للحدّ الذي عجز معه ـ مع هذا أن يلتفت إلى لباس البدن فيعدّه ضمن الركّاب ويضيفه إلى مجموعهم. ولقد قال السيّد الحدّاد بنفسه للحقير: لم أستطع في تلك الحال بأيّ شكل أن أعدّ نفسي، فقال الرفقاء لي أخيراً: أيّها السيّد! عدّ نفسك أنت أيضاً، فهذا الرجل صادق فيما يقول حين يريد منّا أُجرة ستّة أشخاص.

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان: ٢: ١٤٠، ١٤١.

وهكذا فقد أعطيته أُجرة ستّة أشخاص بغير يقين منّي بكلامه ولكن تعبّداً بقول الرفقاء »[١].

المطلب الثالث: نقد ظاهرة الشطح

نستطيع ان نناقش هذه الظاهرة وهذا السلوك لدى المتصوفه بما يلي

اولا: ان الأنبياءعليهم السلام قد وصلوا الغاية في الكمالات ولم ينقل القران او التاريخ عنهم مثل هذه الشطحات.

ورد عن للنبيصلى الله عليه وآله قوله : «لي مع الله وقت لا يسعه ملك مقرب ولا نبي مرسل »[٢].

ومع ذلك لم يدعي النبيصلى الله عليه وآله الالوهية او شيء من هذا القبيل، بل على العكس من ذلك هناك تهديد من الله تعالى.

قال تعالى:« ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين»[٣].

قال الطباطبائي في تفسيره: «ولو تقول علينا هذا الرسول الكريم الذي حملناه رسالتنا وأرسلناه إليكم بقرآن نزلناه عليه واختلق "بعض الأقاويل ونسبه إلينا لأخذنا منه باليمين" كما يقبض على المجرم فيؤخذ بيده أو المراد قطعنا منه يده اليمنى أو المراد لانتقمنا منه بالقوة كما في رواية القمي "ثم لقطعنا منه الوتين" وقتلناه لتقوله علينا "فما منكم من أحد عنه حاجزين"

---

(١) كتاب الروح المجرد، العلامة محمد حسين الطهراني: ٧٢،

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٨: ٣٦٠.

(٣) سورة الحاقة : الاية ٤٧ .

تحجبونه عنا وتنجونه من عقوبتنا وإهلاكنا.

وهذا تهديد للنبيﷺ على تقدير أن يفتري على الله كذبا وينسب إليه شيئا لم يقله وهو رسول من عنده أكرمه بنبوته واختاره لرسالته »[١].

ثانيا: اننا نعتقد ان الشطحات هي حالة عرضية ربما تحدث عند غير المحققين من العرفاء .

قال ابن العربي في هذا الشان:«الشطح رعونة نفس فإنه لا يصدر من محقق أصلا فإن المحقق ما له مشهود سوى ربه وعلى ربه ما يفتخر وما يدعي بل هو ملازم عبوديته مهيا لما يرد عليه من أوامره فيسارع إليها وينظر جميع من في الكون بهذه المثابة فإذا شطح فقد احتجب عما خلق له وجهل نفسه وربه»[٢].

وقال ايضا في مكان اخر في الفتوحات المكيه:«فإن الشطح نقص بالإنسان لأنه يلحق نفسه فيه بالرتبة الإلهية ويخرج عن حقيقته فيلحقه الشطح بالجهل بالله وبنفسه وقد وقع من الأكابر ولا أسميهم لأنه صفة نقص وأما رعاع الناس فلا كلام لنا معهم فإنهم رعاع بالنظر إلى هؤلاء السادة وإذا وقع مثل هذا من السادة فعليهم يقع العتب منا وقد يشطح أيضا الأدنى على الأعلى كمثل الشطحات على مراتب الأنبياء وهي أعظم عند الله في المؤاخذة من شطحهم على الله فإن مرتبة الإله تكذبهم بالحال وعند السامع وأما شطحتهم على الأنبياء فموضع شبهة يمكن أن تقبل الصحة في نفس

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ١٩: ٤٠٤.

(٢) الفتوحات المكية، ابن العربي: ٢: ٣٨٨.

الأمر فيغتر بها السامع الحسن الظن به الذي لا معرفة عنده بمراتب أصناف الخلق عند الله فيغار الله لذلك حيث هو حق للغير وما يؤثر من الضلالة في الناس فيؤاخذ صاحب الشطحة بها ولا سيما إن ظهرت منه في حال صحو وكذلك من الشطحات المنقولة عن السادة رؤية فضيلة جنسهم من البشر على الملائكة جهلا منهم وهم مسؤولون مؤاخذون بذلك عند الله »[١].

(١) الفتوحات المكية، ابن العربي: ٢: ٢٣٢ – ٢٣٣.

المبحث الرابع

المصطلح الصوفي

المطلب الاول: المصطلح في اللغة

المصطلح: العرف الخاص، وهو العرف الذي يصدر عنه فئة من الناس تجمعهم وحدة من زمان معين أو مكان كذلك أو مهنة خاصة أو فن، كالأعراف التي تسود في بلد أو قطر خاص، أو تسود بين أرباب مهنة خاصة أو علم أو فن، ويدخل في هذا القسم كثير من عوالم استعمال الألفاظ وإعطائها طابعا خاصا له تميزه عند اهل ذلك العرف .

وقيل: هو إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد منه، وذلك لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو تشابهما في وصف إلى غير ذلك »

اذن فالمصطلح هو ما تم الاتفاق عليه، يقال: (هذا الأمر مصطلح عليه) أي متفق عليه، والاصطلاح لفظ اتفقت طائفة مخصوصة على وضعه فلكل علم أو ميدان اصطلاحاته كاصطلاحات الفقهاء واصطلاحات الأطباء وغيرهم.

قال صاحب معجم لغة الفقهاء: «الاصطلاح: من صلح، العرف الخاص، اي اتفاق طائفة مخصوصة على وضع أو لفظ أو أي شئ. .. .. ..
Terminology ❊

او: اتفاق أهل الاختصاص على تسمية شيء باسم معين، سواء وافق ذلك الوضع اللغوي أم لم يوافقه »[١].

المطلب الثاني: بيان الفائدة من دراسة المصطلح الصوفي

إن دراسة مصطلحات التصوف تعين بشكل فعال فى التعرف عليه، ولذا انشغل أغلب الذين كتبوا عن التصوف بمحاولة تقريبه إلى الآخرين، وشرح الألفاظ الجارية على ألسنة الصوفية، وحاولوا جاهدين فى وقت مبكر التنبيه على أن دلالة الألفاظ عندهم تحمل معاني خاصة، واصطلاحات مشتركة بين الصوفية دون غيرهم، وقد أدرك أئمة الصوفية كما أدرك غيرهم من طوائف المجتمع الطبيعة النوعية لاصطلاحاتهم، ولم يروا فى ذلك خروجا عن قوانين اللغة، لأن لكل علم من العلوم ألفاظه ومصطلحاته الخاصة، والتى لا يفهم دلالتها الحقيقية إلا أبناء كل علم منها، كما في علم الفقه والاصول والكلام والعلوم العصرية كالطب والهندسة والكيمياء وغير ذلك.

قال القشيرى منبها على هذه الحقيقة:

«إن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها، انفردوا بها عمن سواهم وتواطئوا عليها لأغراض لهم من تقريب الفهم على المخاطبين بها أو تسهيل على أهل تلك الصنعة فى الوقوف على معانيهم بإطلاقها»[٢].

ومن الملاحظ أن الصوفية سعوا عن قصد إلى أن تكون معانى اصطلاحاتهم مبهمة على غيرهم، وقصدوا عن وعى الى ذلك.

قال القشيرى:«وهذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما قصدوا إليها الكشف

---

(١) معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي: ٧١.

(٢) الرسالة القشيرية، القشيري: ١٣٠.

عن معانيهم لأنفسهم، والإخفاء والستر على من يباينهم فى طريقتهم، لتكون معانى ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع فى غير أهلها»[١].

ويعلل القشيرى ذلك باختلاف حقائق التصوف عن حقائق هذه العلوم، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع تكلف أومجلوبة بضرب تصرف بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرارهم[٢].

وقد كان أبناء الطبقات الأخرى فى المجتمع يدركون غرابة تلك الألفاظ وغموض معانيها، وقد ذكر الكلاباذي أن أحد المتكلمين سأل أبا العباس بن عطاء: ما بالكم أيها الصوفية قد اشتققتم ألفاظا أغربتم بها على السامعين وخرجتم عن اللسان المعتاد، هل هذا إلا طلب للتمويه أو ستر لعوار المذهب؟ فقال: ما فعلنا ذلك إلا لغيرتنا عليه ولعزته علينا ثم اندفع يقول:

إن أهل العبارة سألونا ... أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضا ... تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتشهدنا سرورا ... له فى كل جارحة إشارة
ترى الأقوال فى الأحوال أسرى ... كأسر العارفين ذوى الخسارة[٣]

ويعد السراج الطوسى أول من تكلم فى مصطلحات الصوفية وأول من أخذ بزمام المبادرة فى وضع عمل مرجعى للتعرف على الألفاظ

(١) الرسالة القشيرية، القشيري: ١٣٠.

(٢) نفس المصدر :١٣٠.

(٣) التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذى: ص١٠٣ .

والمصطلحات[١] ثم يتكرر الأمر نفسه بطريقة أوسع عند مؤلف آخر من المؤلفين الراسخين في التصوف، وهو أبو القاسم عبد الكريم القشيرى فى رسالته المشهورة، فنراه يفرد بابا خاصا لتفسير ألفاظ الصوفية وشرح مدلولها[٢] وتمتد السلسلة مرورا بأبى الحسن على بن عثمان الهجويرى[٣]، ثم أبى حامد الغزالى[٤]، فشهاب الدين أبى حفص عمر السهروردى[٥].

ثم يبدأ الاصطلاح بالاستقرار والثبات على معناه، ويكتسب دلالته النهائية ويدون فى معاجم خاصة عند محى الدين بن عربى[٦] وعبد الرزاق الكاشانى[٧] ويصبح جزءا لا يتجزأ من المصطلحات العلمية والفنية للحضارة الإسلامية مع الشريف الجرجانى فى تعريفاته[٨] ومحمد بن على الفاروقى التهانوى فى كشافه[٩].

---

(١) اللمع، السراج الطوسي :٤٠٩.

(٢) الرسالة القشيري: ١٣٠وما بعدها .

(٣) كشف المحجوب للهجويرى تحقيق الدكتور إبراهيم الدسوقى :٤٤٣ وما بعدها.

(٤) الإملاء عن إشكالات الإحياء للغزالى، نسخة مطبوعة على هامش إحياء علوم الدين طبعة الحلبى: ١:٤٩ .

(٥) عوارف المعارف للسهروردى دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٩٨٣م، وطبعة أخرى ملحقة بإحياء علوم الدين دار الريان للتراث: ٥:٣٣٠ .

(٦) اصطلاحات الصوفية لمحى الدين ابن عربى، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الدكن سنة ١٩٤٨م .

(٧) انظر لطائف الإعلام، ومعجم اصطلاحات الصوفية.

(٨) التعريفات للشريف الجرجانى طبعة مكتبة لبنان، بيروت سنة ١٩٧٨م .

(٩) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى، طبعة طهران سنة ١٩٤٧، وأربعة أجزاء تصل إلى فصل الباء من باب الصاد، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق لطفى عبد البديع

المطلب الثالث: خصائص المصطلحات الصوفية

أولاً: خاصية المعرفة القلبية:

من خصائص المصطلحات الصوفية أنها تختلف عن غيرها من اصطلاحات العلوم والمعارف الأخرى في كونها ليست ناتجة عن العقل أو الفكر والنظر، بل هي ثمرة من ثمار التجربة الروحية الباطنة بين العبد وربه، أو هي نتيجة لكشوفات أو تجليات إلهية على قلوب العارفين .

ثانيا: خاصية التكثر في الألفاظ والمعاني:

وهي أنك تجد للمصطلح الصوفي الواحد عشرات بل مئات التعاريف والمعاني كما في مصطلح (التصوف) مثلاً، وتجد للمعنى الصوفي الواحد عدداً كبيراً من المصطلحات الدالة عليه والمعبرة عنه كما في مصطلح (الحقيقة المحمدية) أو (الإنسان الكامل)، ونستطيع ان نجمل بعض الأسباب التي كانت وراء ظهور هذه الميزة الفريدة في عالم الاصطلاح.

١. التدرج في السلوك: يكون عدم تكامل الإحساس بالأمور الروحية سبباً لاختلاف تعاريف المصطلح الواحد وبالعكس، فباستمرار الترقي الروحي للصوفي يتغير التعريف للمصطلح .

٢. الفناء عن الحس: بعد فناء الصوفي الكلي عن جميع الأحاسيس البشرية وبقائه بربه لا يجد من لغة البشر ما يعبر به عما ينكشف له من حقائق، وهذا يؤدي إلى استعمال تعابير ومصطلحات متنوعة للتعبير عن الحالة المعاشة فيحصل التكثر.

وعبد المنعم حسنين.

٣. الذوق الصوفي وتنوعاته: نظرة المتوكل للدنيا غير نظرة الزاهد مثلاً وإن كان كلاهما على صواب إلا أن كلاً منهما يتحدث من خلال تذوقه لحاله ومقامه الخاص، وهذا يؤدي إلى التكثر.

٤. عدم تماثل التجليات: عدم تماثل التجليات الإلهية على قلوب العارفين في رحلة الترقي تجعل مصطلحاتهم متكثرة وغير هذه الأسباب مما يطول المقام بتفصيلها والتي أدت إلى تكثر المصطلحات بالنسبة إلى المعنى الواحد وبالعكس أي تكثر المعاني للمصطلح الواحد.(١)

المطلب الرابع: بيان بعض هذه المصطلحات المتداولة عند الصوفية.

١- الوجد:

(أ) الوجد لغة من الحُزن(٢)

سيدي إن فاتنا السعي إليك ... لترانا صرعا بين يديك
لم يفتنا الوجد والنوح عليك ... أبد الدهر وجذب الحسرات(٣)

وقال ابن الرومي:

لو كنتَ يوم الوَداع حاضرَنا ... وهُنَّ يُطفِئْن غُلّةَ الوجدِ
لم ترَ إلا الدموعَ ساكبةً ... تَقْطُر من مُقْلةٍ على خدٍّ
كأنَّ تلك الدموعَ قَطْرُ نَدًى ... يقطُر من نَرْجِس على وَرْدِ(٤)

---

(١) انظر موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان: محمد الكسنزان الحسيني: ١ :٦٠.

(٢) كتاب العين، الخليل الفراهيدي: ٦: ١٦٩.

(٣) ديوان السيد رضا الهندي، السيد رضا الموسوي الهندي :٥٢.

(٤) الأمالي، السيد المرتضى: ٤ :٤٠.

(ب) اصطلاحا:

«ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل: هو بروقٌ تلمع، ثم تخمد سريعاً »[(١)].

وقد ورد الوجد في ادعية الامام السجادعليه السلام «وفي محبتك ولهي»[(٢)] تحيري من شدة الوجد وكذلك قوله عليه السلام «إن قلوب المخبتين إليك والهةُ»[(٣)] أي متحيرة من شدة الوجد وكذلك يقول عليه السلام، «واجعلنا من الذين أسرعت أرواحهم في العلى، وخطت هممهم في عز الورى، فلم تزل قلوبهم والهة طائرة، حتى أناخوا في رياض النعيم»[(٤)].

وسمع الشبلي ينشد:

فلما رآني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجودا بكل مكان[(٥)]

وقال آخر:

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها[(٦)]

٢- الجذب:

الجذب لغة:

«تاتي بمعنى مدك الشيء. وجذبه: حوله عن موضعه، واجتذبه:

---

(١) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٠٢.

(٢) الصحيفة السجادية، الامام السجادعليه السلام :٤١٢.

(٣) نفس المصدر :٥٩١.

(٤) نفس المصدر :٤٧١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١١: ٢١٦.

(٦) تكلمه حاشية رد المحتار، ابن عابدين: ١: ٤١٠، الصبابة ـ الشوق والولع الشديد .

استلبه»[١].

الجذب اصطلاحا:

«عبارة عن انوار المنن الواردة في حضرة الحق المشتملة على الانوار القدسية والاحوال العلية والاخلاق الزكية والطهارة والصفاء والغرق في بحر اليقين .تاتي بيد الالطاف الالهية لمن احبه الله واصطفاه واهله لمطالعة حضرته، وارتضاه .فاذا وردت على الارواح او على القلوب او على الاسرار اخذتها وجذبتها الى الحضرة بحكم القهر والصولة حتى لا تقدر على التخلف عنها. وورودها انما هو محض منة الحق بلا سبب بل بحكم عناية الحق واصطفائه لمن شاء »[٢].

والجذب ياتي بمعنى رياح الصبا.

كما قال الشاعر حافظ شيرازي:

به بوي نافه أي كاخر صبا زان طره بكشايد

زتاب جعد مشكينش جه خون افتاد در دلها[٣]

وترجمة البيت:

وفي نهاية الامر على رائحة النافجة التي يفتحها نسيم الصبا عن تلك الذؤابة ومن طيات شعراتها المجعدة المسكية السوداء أي دم وقع في القلوب

ترجمة منظومة

---

(١) لسان العرب: ١: ٢٥٨.

(٢) قاموس المصطلح الصوفي، ايمن حمدي: ٦٥.

(٣) ديوان حافظ مع شرح موجز، محمد حسين مهر ايين، غزل اول :١.

وهل لي في صبا ريح مضت في طرة شعثى بنشر الطيب تدعوني الا عجل وقبلها

وقد ورد الحديث عن النبيﷺ: «جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين»[(١)].

وقال الإمام الحسينعليه السلام: «حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب»[(٢)].

٣- المقام:

وفيه امران

الاول: المقام في اللغة

والمَقامُ: موضع القَدَمَيْنِ، والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تقيم فيه[(٣)].

ثانيا: ورود كلمة المقام في القرآن الكريم كثيراً منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[(٤)].

٢- قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾[(٥)].

٣- قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي﴾[(٦)].

٤-قوله تعالى ﴿وَلَنُسْكِنَنَّـكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ

---

(١) تفسير الكبير، الرازي: ٤: ١٧٦.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسينعليه السلام: مؤلف: لجنة الحديث في معهد باقر العلومعليه السلام :٩٦٠.

(٣) لسان العرب: ١٢: ٤٩٨: و انظر تاج العروس :١٧: ٥٩٢.

(٤) سورة البقرة : الاية ١٢٥.

(٥)سورة ال عمران ٩٧ .

(٦)سورة يونس: الاية ٧١ .

مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١].

٥- وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[٢].

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾[٣].

٧- قوله تعالى: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٤].

٨- قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[٥].

٩- قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾[٦].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[٧].

١١- قوله تعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[٨].

١٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٩].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١٠].

---

(١)سور إبراهيم :الاية ١٤

(٢) سورة الإسراء :الاية ٧٩

(٣) سورة الفرقان :الاية ٦٦

(٤) سورة الشعراء ٥٨

(٥) سورة النمل : الاية ٣٩ .

(٦) سورة فاطر : الاية ٣٩ .

(٧) سورة الصافات : الاية ١٦٤

(٨) سورة الدخان :الاية ٢٦ .

(٩) سورة الدخان : الاية ٥١ .

(١٠) سورة الرحمن : الاية ٤٦

١٤- قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[(١)].

ومن خلال الآيات المتقدمة إن المقام يطلق ويراد به

اولا- المكان: ومنه المكان الذى وقف عليه إبراهيم عليه السلام لبناء البيت، وظهر فيه أثر الأقدام حتى الآن، وهو المشار إليه فى قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلى ﴾[(٢)].

ثانيا- الدرجة المكانية والمنزلة: كما في قوله تعالى﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾ [(٣)].

فعن جابر بن عبد اللَّه، أن رسول اللَّه صلى الله عليه وآله قال: " من قال حين يسمع النداء، اللَّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"[(٤)].

عن سماعة بن مهران عن أبي إبراهيم في قول الله: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال: يقوم الناس يوم القيامة مقدار أربعين عاما ويؤمر الشمس فتركب على رؤوس العباد ويلجمهم العرق ويؤمر الأرض لا تقبل عن عرقهم شيئا فيأتون آدم فيشفعون له فيدلهم على نوح، ويدلهم نوح على إبراهيم، ويدلهم إبراهيم على موسى، ويدلهم موسى على عيسى، ويدلهم عيسى على محمد صلى الله عليه وآله فيقول: عليكم بمحمد خاتم النبيين، فيقول محمد: انا

---

(١) سورة النازعات : الاية ٤٠.

(٢)سور البقرة : ١٢٥ .

(٣)سور الإسراء : ٧٩

(٤) صحيح البخاري، البخاري: ١ : ١٥٢ .

لها فينطلق حتى يأتي باب الجنة فيدق فيقال له: من هذا والله أعلم؟ فيقول: محمد فيقال: افتحوا له، فإذا فتح الباب استقبل ربه فخر ساجدا فلا يرفع رأسه حتى يقال له تكلم وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيستقبل ربه فيخر ساجدا، فيقال له مثلها، فيرفع رأسه حتى أنه ليشفع من قد أحرق بالنار، فما أحد من الناس يوم القيامة في جميع الأمم أوجه من محمدﷺ، وهو قول الله تعالى: (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا)[١].

الثاني: وإما المقام في اصطلاح المتصوفة فالمقام:

قال أبو القاسم القشيرى: «المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، فمقام كل أحد، موضع إقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له، وشرطه: أن لا يرتقى من مقام إلى مقام آخر، مالم يستوف أحكام ذلك المقام فإن من لا قناعة له لا تصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد»[٢].

وقال السراج الطوسي: «المقام هو الذي يقوم بالعبد في الاوقات مثل مقام الصابرين والمتوكلين وهو مقام العبد بظاهره وباطنه في هذه المعاملات والمجاهدات والارادات، فمتى اقام العبد في شبء منه على التمام فهو مقامه حتى ينتقل منها الى مقام اخر »[٣].

---

(١) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي ٢: ٣١٥.

(٢) الرسالة القشيرية: ١٣٢.

(٣) اللمع: ٤١١.

قال الشيخ ابن العربي نظما[١].

«إن المقام من الأعمال يكتسب   له التعمل في التحصيل والطلب
به يكون كمال العارفين وما   يردهم عنه لا ستر ولا حجب
له الدوام وما في الغيب من عجب   الحكم فيه له والفصل والندب
هو النهاية والأحوال تابعة   وما يجليه إلا الكد والنصب
إن الرسول من أجل الشكر قد   ورمت أقدامه وعلاه الجهد والتعب

ويشرح ذلك «اعلم أن المقامات مكاسب وهي استيفاء الحقوق المرسومة شرعا على التمام فإذا قام العبد في الأوقات بما تعين عليه من المعاملات وصنوف المجاهدات والرياضات التي أمره الشارع أن يقوم بها وعين نعوتها وأزمانها وما ينبغي لها وشروطها التمامية والكمالية الموجبة صحتها فحينئذ يكون صاحب مقام حيث أنشأ صورته كما أمر كما قيل له أقيموا الصلاة فأقاموا نشأتها صورة كاملة فخرجت طائرا ملكا روحا مقدسا فلم يكن له استقرار دون الحق ثم ينتقل هذا العبد إلى مقام آخر لينشئ أيضا صورته وبهذا يكون العبد خلاقا هذا معنى المقام ولم يختلف أحد من أهل الله أنه ثابت غير زائل كما اختلفوا في الحال »[٢].

٤- الحال:

« الحال: في اللغة

١. الوقت الذي أنت فيه .

---

(١) الفتوحات المكية، ابن العربي: ٢: ٣٨٥ – ٣٨٦.

(٢) نفس المصدر: ٣٨٥ – ٣٨٦.

٢. صفة الشيء .

٣. ما يختص به الإنسان من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية »[١].

الحال في الاصطلاح

قال الشريف الجرجاني: «الحال عند أهل الحق: معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا، فإذا دام وصار ملكا يسمى مقاماً، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود »[٢].

وكذلك يورد الشيخ ابن العربي إشتقاقين للفظ الحال مستندين إلى نظرتين

«الإشتقاق الأول: الحال أصله حلّ: قال به من رأى دوام الأحوال دون أن يشهد أنها أمثال تتعاقب

الاشتقاق الثاني: الحال أصله حَالَ، يَحُول: قال به من رأى زوال الأحوال في مقابل ثبات (المقام)

قال ابن عربي: « الحال ... هو ما يرد على القلب من غير تعمل ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول ويعقبه المثل بعد المثل إلى ان يصفو وقد لا يعقبه المثل ومن هنا نشأ الخلاف بين الطائفة في دوام الأحوال.

فمن رأى تعاقب الأمثال ولم يعلم أنها أمثال قال بدوامه واشتقه من: الحلول.

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية: ١: حرف الحاء: ٢٠٩.

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٦٦.

ومن لم يعقبه مثل قال بعدم دوامه واشتقه من حَالَ يَحُول إذا زال، وأنشد في ذلك:

لو لم تحل ما سميت حالاً   وكل ما حال فقد زالا

وقد قيل: الحال تغير الأوصاف على العبد فإذا استحكم وثبت فهو المقام »[١].

ويرى ابن العربي «ان الصحيح ان الحال هي متقلبة وغير ثابته كما يشير الى ذلك في هذه الابيات

الحالُ ما يهبُ الرحمن من منحٍ   عناية منه لا كسب ولا طلبُ

تغير الوصف برهان عليه فكن   على ثبات فإن الحال تنقلبُ

ولا تقولن أن الحـال دائمـة فإن   قوماً إلى ما قلته ذهبـوا »[٢].

٥- الاسفار الاربعة:

السفر في اللغة: السَفَرُ: قطعُ المسافة، والجمع الأَسْفارُ[٣].

السفر في الاصطلاح: قال صدرا الشيرازيّ قُدِّسَ سِرُّهُ في أوّل كتاب «الاسفار»

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلسُّلاَّكِ مِنَ العُرَفَاءِ وَالاَوْلِيَاءِ أَسْفَاراً أَرْبَعَةً:

أَحَدُهَا: السَّفَرُ مِنَ الخَلْقِ إلي الحَقِّ.

وَثَانِيهَا: السَّفَرُ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ.

وَالسَّفَرُ الثَّالِثُ: يُقَابِلُ الاَوَّلَ لاِ نَّهُ مِنَ الحَقِّ إلي الخَلْقِ بِالحَقِّ.

---

(١) الفتوحات المكية ٢: ١٣٣.

(٢) الفتوحات المكية، ابن العربي ٢: ٣٨٤.

(٣) الصحاح، الجوهري ٢: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار :٦٨٥.

وَالرَّابِعُ: يُقَابِلُ الثَّانِي مِنْ وَجْه، لا نَّهُ بِالحَقِّ فِي الخَلْقِ[(١)].

ومعنى ذلك:ان السالك في السفر الاول عليه ان يتخلص من انيته وانانيته .

قال الحلاج[(٢)].

بيني وبينك اني ينازعني فارفع بلطفك انيي من البين

الى ان يصير وجوده وجود حقاني لا يرى في الوجود غير الله ،ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وبعده ومعه وفيه ، وبتعبير اخر هذا السفر هو من الكثرة الى الوحده،ومن المعلول الى العلة .

ويمكن ان نستقي من نص للامام الحسينعليه السلام في دعاء عرفة ما يشير الى معنى السفر الاول «إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليك بكسوة الأنوار، وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها، مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها، إنك على كل

---

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد الشيرازي: ١ :١٣.

(٢) نفس المصدر: ٢: ١١٦.

شيء قدير»[١].

والمراد من السفر الثاني: السَّفَرُ بِالحَقِّ فِي الحَقِّ.وهو ان السالك بعد ان فنى في الله تعالى واصبح وجوده حقانيا .واصبح قلبه حرم الله تعالى كما ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام (القلب حرم الله فلا تسكن في حرم الله غير الله)[٢] فالان يتعرف على الاسماء والصفات عيانا وبهذا يكون هذا العبد مظهرا لاسماء الله وصفاته-كلها او جلها او بعضها بحسب همته-ويكون وليا من اولياء الله تعالى.

وفي السفر الثاني، حيث ان الحق غير متناه كذلك السفر غير متناه، وفي هذا السفر تتحدد مقامات الاولياء والانبياء والمرسلين، بحجم وعاء كل واحد منهم يقول تعالى:﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[٣].وبقدر همته، ولذا مهما عظم الزاد في هذا السفر يبقى قليل لان السفر غير متناه. ويشير العارف ابن ميثم البحراني (رض) الى ان امير المؤمنين عليه السلام يتاوه من السفر الثاني لانه سفر غير متناه كما يقول (آهِ مِنْ قِلَّةِ اَلزَّادِ وَطُولِ اَلطَّرِيقِ وبُعْدِ اَلسَّفَرِ)[٤].

السفر الثالث: وهو من الحق إلى الخلق بالحق. وفي اطار هذا المفهوم فان السالك يرجع الى الكثرة ولكن رجوع حقاني رباني، حيث يبدأ رحلة ايصال ما شاهده وعاينه من المعارف والعلوم في السفر الثاني الى الخلق، وهذا

---

(١) بحار الأنوار ٩٥: ٢٢٥ – ٢٢٦.

(٢) نفس المصدر ٦٧: ٢٦.

(٣) سورة الرعد : الاية ١٧ .

(٤) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ٤ :١٧.

الايصال والاخبار هو نحو من النبوة بمعناها اللغوي لا الاصطلاحي أي ليست هي نبوة تشريع.

ولذاقال الامام الخميني في مصباح الهداية:«ويحصل له حظ من النبوة وليس له نبوة التشريع،واما من حيث التشريع فانه تابع الى نبي زمانه الموجود »[(١)].

السفر الرابع: من الخلق الى الخلق بالحق .

وهذا السفر كله عطاء وفيض حيث ينطلق العارف والانسان الكامل نحو اداء وظيفة النبوة والسفارة الالهية .حيث يكون نبيا بالمعنى الاصطلاحي فيبين الاحكام الشرعية، وكذلك يري الناس طريق الحق والصواب والاخلاق بسلوكه واقواله، وكانه طبيب دوار بطبه، ومن هذا وصف علي عليه السلام النبي بهذا الوصف «طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمى وآذان صم والسنة بكم، متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة»[(٢)].

٦- العشق

العشق لغة: قال ابن منظور: «العِشْقُ فرط الحب وقيل هو عُجْب المحب بالمحبوب وسئل أبو العباس أحمد بن يحيي عن الحُبِّ والعِشْقِ أيّهما أحمد؟ فقال الحُب لأن العِشْقَ فيه إفراط وسمي العاشِقُ عاشِقاً لأنه يَذْبُلُ من شدة الهوى كما تَذْبُل العَشَقَةُ إذا قطعت والعَشَقَةُ شجرة تَخْضَرُّ ثم تَدِقُّ وتَصْفَرُّ عن

---

(١) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية، الامام الخميني قدس سره ٧٧، ٧٨.

(٢) نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده: ١ :٢٠٧.

الزجاج »[1].

وفي مجمع البحرين للطريحي، «العشق وهو تجاوز الحد في المحبة.يقال عشق عشقا من باب تعب والاسم العشق بالكسر.و يقال عشقه عشقا مثل علمه علما.

و عن الغزالي: معنى كون الشيء محبوبا هو ميل النفس إليه فإن قوي الميل سمي عشقا.

و عن جالينوس الحكيم: العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد»[2].

العشق بالاصطلاح:

قال الشيخ ابن العربي «وأما العشق فهو إفراط المحبة أو المحبة المفرطة وهو قوله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ) [3]. إذا عم الإنسان بجملته وأعماه عن كل شيء سوى محبوبه وسرت تلك الحقيقة في جميع أجزاء بدنه وقواه وروحه وجرت فيه مجرى الدم في عروقه ولحمه وغمرت جميع مفاصله فاتصلت بوجوده وعانقت جميع أجزائه جسما وروحا ولم يبق فيه متسع لغيره وصار نطقه به وسماعه منه ونظره في كل شيء إليه ورآه في كل صورة وما يرى شيئا إلا ويقول هو هذا حينئذ يسمى ذلك الحب عشقا. كما حكي عن زليخا أنها افتصدت، فوقع الدم في الأرض، فانكتب به يوسف في

---

(١) لسان العرب: ١٠ :٢٥١.

(٢) مجمع البحرين، الشيخ الطريحي: ٣: ١٨٧.

(٣) سورة البقرة: الاية ١٦٥ .

مواضع كثيرة حيث سقط الدم لجريان ذكر اسمه مجرى الدم في عروقها كلها. وهكذا حكي عن الحلاج لما قطعت أطرافه أنكتب بدمه في الأرض الله حيث وقع ولذلك قال رحمه الله.

ما قد لي عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر

فهذا من هذا الباب وهؤلاء هم العشاق الذين استهلكوا في الحب هذا الاستهلاك »[١].

ومن ذلك ايضا قول علي ابن بابويه الصوفي[٢].

والله لو حلف العشاق انهم موتى من الحب أو قتلى لما حنثوا

ترى المحبين صرعى في ديارهم كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

وقال آخر من العشاق[٣].

ومن عجب إني أحن إليهم وأسأل شوقا عنهم وهم معي

وتبكيهم عيني وهم في سوادها وتشتاقهم نفسي وهم بين أضلعي

٧- الولي:

الولي لغة: (ولي) في أسماء الله تعالى: الوَلِيُّ هو الناصِرُ وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق القائمُ بها ومن أَسمائه عز وجل: الوالي وهو مالِكُ الأَشياء جميعها المُتَصَرِّفُ فيها. قال ابن الأثير: وكأَن الوِلاية تُشعر بالتَّدْبير والقُدرة والفِعل وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي. ابن سيده:

---

(١) الفتوحات المكية: ٢: ٣٣٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي: ٢٣: ٣٨٥.

(٣) الفتوحات المكية: ٢: ٣٢٦.

وَلِيَ الشيءَ ووَلِيَ عليه وِلايةً ووَلايةً[١].

الولي اصطلاحا: الولي فعيل، بمعنى: الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى: المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، والولي، هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[٢].

أولياء الله في القران

تعرض القران الكريم في ايات كثيرة الى مصطلح الولي والاولياء، وعلى هذا فليس كلمة الولي هي ابتداع وانما هي من صميم القران الكريم الذي هو دستور المؤمنين ، وقد اشار القران الى رعاية الله تعالى لاوليائه في كل احوالهم ، وانهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، وان الله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور ،لانهم استحقوا ذلك لوجود الاستعداد عندهم .

قال تعالى :﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[٣].

وقال تعالى :﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤].

وقال تعالى :﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ

(١) لسان العرب: ١٥ :٤٠٧.

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٠٦.

(٣) سورة الاعراف : الاية ١٩٦ .

(٤) سورة يونس : الاية ٦٢ .

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١].

اولياء الله كما يصفهم امير المؤمنين عليه السلام

عندما يصف الامام امير المؤمنين اولياء الله تعالى فانه يصفهم وكانك تنظر لهم على حقيقتهم ،لان امير المؤمنين ولي من اولياء الله تعالى ،يصف الحقيقة وينقلها لك بامانة،ثم ان الامام عليه السلام عندما ينقل لك الحقيقة ينقلها باعذب الكلمات واخصرها، لانه امير الكلام، بخلاف ما اذا وجد هناك شخص اخر يصف الاولياء، وليس منهم وغير متلبس بهذه الصفة فانه ومهما اراد ان يتكلم عنهم فلربما لايصل الى كنه حقيقتهم .

قال الامام امير المؤمنين عليه السلام : في وصف اولياء الله تعالى

«انَّ أَوْلِيَاءَ اَللَّهِ هُمُ اَلَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ اَلدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ اَلنَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا واِشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اِشْتَغَلَ اَلنَّاسُ بِعَاجِلِهَا فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ ورَأَوُا اِسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اِسْتِقْلاَلاً ودَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ اَلنَّاسُ وسِلْمُ مَا عَادَى اَلنَّاسُ بِهِمْ عُلِمَ اَلْكِتَابُ وبِهِ عَلِمُوا وبِهِمْ قَامَ اَلْكِتَابُ الله تعالى وبِهِ قَامُوا لاَ يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ولاَ مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ »[٢].

الولاء لاولياء الله والبراءة من اعداء الله

لا يمكن ان يجتمع الولاء والبراءة في قلب الانسان المؤمن ،فاما الولاء واما البراءة ،وعلى هذا يكون الوضوح في الرؤيا والاستقامة.لانك اذا احببت

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٥٧ .

(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ٤: ١٠١.

ولي الله، لازم ذلك البراءة من اعداء الله ،واذا واليت اعداء الله كيف حبك لاولياء الله تعالى ،لان اعداء الله، واولياء الله تعالى نقيضان لا يمكن ان يجتمعا في الرؤى والافكار ،لان كل منهما يدعو الى شيء خلاف ما يدعو الاخر له.

قال تعالى :﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[(١)].

وقد ورد في الحديث :« أن شيخا قال لعلي: يا علي، أنا أحبك وأتولى فلان، فقال له عليه السلام: الآن أنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر »[(٢)].

منزلة اولياء الله

لا شك ان منزلة اولياء الله تعالى عظيمة عند الله تعالى ،لانهم عشقوا الله تعالى بقلوبهم الطاهرة التي فرغت من حب غيره فاصبحت مراة عاكسة لجماله وجلاله .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن جبرئيل، عن الله تعالى، قال: «من عادى أوليائي بارزني بالمحاربة »[(٣)].

وعن علي عليه السلام: «قال أخفى الله وليه في عباده فلا تستصغرن عبدا من عبيد الله فربما يكون وليه وأنت لا تعلم»[(٤)].

٨- السكر:

لغةً: السكر حاله تذهب بالعقل ـ فلا يستطيع التميز بين الأشياء وأكثر ما يستعمل السكر في الشراب.

---

(١) سورة الاحزاب : الاية ٤ .

(٢) مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي: ٦٤٠.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ١: ٧٣.

(٤) وسائل الشيعة (آل البيت) ، الحر العاملي: ١: ١١٦ – ١١٧.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[١].

وقال الشاعر:

فإذا سكرت فإنني رب الخورنق[٢] والسدير
وإذا صحوت فإنني رب الشويهة والبعير[٣]

وقال ابن منظور في مادة (سكر): «السَّكْرَانُ خلاف الصاحي والسُّكْرُ نقيض الصَّحْوِ »[٤].

وقد يكون السكر لذهاب العقل: من خوف او غضب أو ألم أو فرط محبةٍ. كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد﴾[٥]. ذاهبة عقولهم من شدة الفزع والخوف.

وشدة الموت حالة تذهب بالعقل يقول تعالى: ﴿وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[٦].

فشدة الموت حالة تشبه حالة الثمل السكران إذ تظهر على الإنسان بصورة الاضطراب والانقلاب والتبدل وربما استولت هذه الحالة على عقل الإنسان وسلبت شعوره واختياره .

ولاجل ذلك بين الامام السجاد عليه السلام رؤيته الواضحة في ذلك قائلا:

---

(١) سورة النساء الاية ٤٣ .

(٢) الخورنق، قصر بقرب الكوفة، مشهور وكذلك السدير قصر.

(٣) لسان العرب: ٤ :٣٧٢.

(٤) معجم ما استعجم، المؤلف: البكري الأندلسي: ٢ :٥١٧.

(٥) سورة الحج : الاية ٢ .

(٦) سورة ق : الاية ١٩ .

«الهي الأمان الأمان يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكنَّ عذاب الله شديد»[١].

دلالة السكر لدى الصوفية:

هذا المصطلح لا شك يستعمل في الشرع والعرف غير ما يستعمل عند المتصوفة والعرفاء فالشرع والعرف عنده، السكر هي الحالة التي تذهب بالعقل من جراء شرب الخمر ،ولكن العرفاء والمتصوفة عندما يطلقون ذلك لا يريدون به السكر بالخمر وانما يريدون به الغيبة ،وهي غيبة القلب عن الحواس لاشتغاله بالحضور في ساحة القرب الالهي .

قال ابن العربي :السكر «غيبة بوارد قوي»[٢] والغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لشغل الحس بما ورد عليه من الحضور- والحضور حضور القلب بالحق عند غيبته فيتصف بالفناء»

ولابن العربي في تخريج دلالة السكر آراء عده يمكن تقسيمها على النحو الآتي[٣]:

١. سكر المؤمنين: وهو ما تجده النفوس من الطرب والالتذاذ والسرور والابتهاج بوارد الأماني إذا قامت الأماني له في خياله ِصوراً قائمة لها .... ومن هذا القبيل قوله ﷺ «اعبد الله كأنك تراه» فهؤلاء نتيجة الخيال كأنهم واقفين في محضر الله تعالى».

٢. السكر العقلي: وهو سكر العارفين وهنا يقول ابن العربي إنَّ هناك

---

(١) الصحيفة السجادية: ٤٩٥ .

(٢) الفتوحات المكية: ٢ :١٣٣.

(٣) انظر الفتوحات المكية: ٢ :٥٤٤.

صفات وإخبار يخبر الله عن نفسه تعالى فيأبي قبولها لأنه في سكرهِ فإذا صحا هذا العاقل عن سكره لم يرد الخبر الصدق والقول الحق.

٣. سكر الكمل: وهو السكر الإلهي، والسكر الالهي هو ابتهاج وسرور بالله تعالى ، كما يقول النبي ﷺ «اللهم زدني فيك تحيراً»[١].

وقد اشار سيد العارفين الامام امير المؤمنين عليه السلام الى سكر العارفين بالشراب الالهي فيقول:

«إن لله شراباً لأوليائهِ إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا وإذا طربوا طابوا وإذا طابوا ذابوا وإذا ذابوا خلصوا وإذا اخلصوا طلبوا وإذا طلبوا وجدوا وإذا وجدوا وصلوا وإذا وصلوا اتصلوا وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم»[٢].

قال ابن الفارض في السكر[٣]:

شربنا على ذكر الحبيب مدامةً   سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وكذلك قال في بيت آخر:

مِن فيه والألحاظ سكري   بل أرى في كل جارحةٍ بهِ نباذا

واللحظ النظر بمؤخر العين والنباذ صاحب النبيذ يعني أنا أسكر من لحظهِ لا من الخمر.

وأحسن قول أبو فراس الحمداني:

---

(١) لم اجد هذه الرواية في المجاميع الروائية ،الشيعية ،والسنية .فلاحظ ذلك.

(٢) التحفة السنية (مخطوط) : عبد الله الجزائري: ٨٦ وكذلك انظر شرح الأسماء الحسنى ـ ملا هادي السبزواري: ١ :١٨٩، وأنظر جامع السعادات: ٣: ١٢٢.

(٣) ديوان ابن الفارض، ابن الفارض: ٨٢.

سكرتُ من لحظهِ لامن مدامتهِ ... ومالِ بالنوم عن عيني تمايله[١]

وقال مثنوي:

كوش وهوشت كر بودبرحرف نو ... نكته أي از «ذوق وشوق» دل شنو[٢]

يعني بذلك: إن الشوق والمحبة الإلهية والوجد التي تحصل بالقلب تغلب على السمع والعقل ولذلك يسكر العارف فلا يعرف حتى الحروف الأبجدية .

وكذلك قال أحد المتصوفة:

إن المحبة للرحمن أسكرني ... فهل رأيت محباً غير سكراني[٣]

وقال آخر

شربت الحب كأساً بعد كأسِ ... فما نفذ الشراب ولا رويت[٤]

وقال ابن الفارض في السكر:

فسكرت من ريا حواشي بُردِهِ ... وسرت حميا البرُءِ في أدوائي[٥]

وفي موضع آخر يقول:

سكرت بخمر الحب في حان حيها ... وفي خمره للعاشقين منافع[٦]

وقول آخر:

---

(١) نقلا عن وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ٢: ٥٩.

(٢) نقلا عن الذريعة: دليل المؤلفين:اقا بزرك الطهراني:١٩: ١٨٤.

(٣) شرح الأسماء الحسنى: ملا هادي السبزواري: ١: ١٩٨.

(٤) شرح فصوص الحكم:محمد داوود قيصري رومي: ٦٣٠.

(٥) ديوان ابن الفارض: ٦٩.

(٦) نفس المصدر: ١١٧.

يزيد بقتل الصب سَكرةُ لحظة   كأن دماء العاشقين مدامه[(١)]

وقال حافظ شيرازي:

ألا يا أيها الساقي أدر كأساً وناولها[(٢)]   فإني هائم وجد فلا تمسك وعجلها

وكذلك قال في موضع آخر:

وأنا عاشق عربيد ثملٌ   سيءُ الشهرة بِين الأنام

٩- اعتكاف:

لغة: عَكَفَهُ أي حبسه ووقفه، يعكُفُهُ ويعكِفُهُ عَكْفاً. ومنه قوله تعالى: ﴿والهَدْيَ مَعْكوفاً﴾[(٣)]. ويقال: ما عَكَفَكَ عن كذا. ومنه الاعتِكافُ في المسجد، وهو الاحتباس. وعَكَفَ على الشيء يَعْكُفُ ويَعْكِفُ عُكوفاً، أي أقبل عليه مواظباً[(٤)].

اصطلاحا:

اعتكاف، تفريغ القلب من شغل الدنيا، وتسليم النفس إلى المولى وقيل هو الإقامة، ومعناه لا أبرح عن بأبك حتى تغفر لي»[(٥)].

لذلك ورد في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي في دعاء عن المعصومين «إني لا أبرح من مقامي هذا ولا تنقضي مسألتي حتى تغفر لي كل ذنب إذنبته وكل شيء تركته مما أمرتني بهِ وكل شيء أتيته مما نهيتني عنه وكل

---

(١) منقول عن تراجم الرجال، احمد الحسيني: ٢: ٦١٧.

(٢) ديوان حافظ شيرازي: ٨٦ .

(٣) الصحاح: ٤ :١٤٠٦.

(٤) سورة الفتح : الاية ٢٥ .

(٥) التصوف الإسلامي، صهيب الرومي: ١٤٨ .

شيء كرهت من أمري وعملي، وكل شيء تعديته من أمرك وحدودك وكل شيء وعدت فأخلفت وكل شيء عهدت فنقضت وكل ذنب فعلته وظُلم ظلمته وكل جور جرته وكل زيغ زغته وكل سفه سفهته وكل سوء أتيته قديماً أو حديثاً صغيراً أو كبيراً دقيقاً أو جليلاً مما أعلم منه ومما لا أعلم وما نظر إليه بصري وأصغى إليه سمعي أو نطق بهِ لساني أو ساغ في حلقي أو لج في بطني أو وسوس في صدري أو ركن أليه قلبي أو بسطت إليه يدي أو مشت إليه رجلاي أو باشره جلدي ـ مغفرةً تطهر بها قلبي وتخفف بها ظهري ...»(١).

وقال الامام السجاد عليه السلام في هذا الشان:«وعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك ولا كففتُ عن تملقك، لما أُلهم قلبي من المعرفة بكرمك وسعة رحمتك إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سببك من بين الإشهاد ودللت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النار وحلت بيني وبين الإبرار، ما قطعت رجائي منك ولا صرفت وجهِ تأميلي للعفو عنك، وجهِ عنك تأميلي للعفو، ولا خرج حبك من قلبي ...»(٢).

١٠- الشريعة والطريقة والحقيقة

من المصطلحات المعروفة المتداولة بين العرفاء والمتصوفة « الشريعة ، والطريقة ، والحقيقة » وكل واحد من هذه المصطلحات تشير الى معنى معين

(أ) الشريعة : هي الأمور التي جاء بها الشارع المقدس ،أمرا ونهيا وإباحة في القران الكريم، والسنة المطهرة الواردة عن النبي صلى الله عليه واله، واهل البيت عليهم السلام، وما استنبطه الفقهاء من الاحكام .فيجب العمل بهذه الاحكام ،ولا يجوز مخالفتها بحجة الوصول الى الباطن وبالامكان

---

(١) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ٤٩٦.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٢٥.

تحصيل الاحكام بشكل مباشر من الغيب ، او ترك العبادة بحجة ان العبادةلها وقت معين، فاذا وصل الانسان الى مرتبة اليقين فلا حاجة الى العبادة.

(ب) الطريقة : سلوك الطريق، ومجاهدة النفس ، وترقيتها من نقائص الصفات الى درجات الكمال، وكل سالك الى الله تعالى له طريقة خاصة في المجاهدة والوصول الى الكمال، وبتعبير اخر، وكما قيل:«الطرق الى الله بعدد انفاس الخلائق » .

ويعرفها صاحب التعريفات :« الطريقة: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى، من قطع المنازل والترقي في المقامات»[١].

(ج) الحقيقة : فهو الوصول إلى المقصد ، ومشاهدة نور التجلى،وبعبارة اخرى : هي رفع الحجب عن مطالعة الانوار الالهية والفيوضات الربانية والاسرار الالهية للحضرة القدسية.

قال الامام زين العابدين عليه السلام :«الهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم ، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم ، فهم إلى أوكار الأفكار يأوون ، وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون ، وشرائع المصافاة يردون . قد كشف الغطاء عن أبصارهم ، وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم ،وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم ، وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم ، وعلت لسبق السعادة في الزهادة هممهم ، وعذب في معين المعاملة شربهم ،وطاب في مجلس الأنس سرهم ، وأمن في موطن المخافة سربهم واطمأنت بالرجوع إلى رب الأرباب أنفسهم ، وتيقنت بالفوز والفلاح أرواحهم ، وقرت بالنظر إلى محبوبهم أعينهم ، واستقر

---

(١) التعريفات : الجرجاني : ١١٦ .

بإدراك السؤل ونيل المأمول قرارهم .

وهناك حديث عن النبيصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يشير الى هذه المصطلحات:« الشريعة أقوالي،والطريقة أفعالي،والحقيقة أحوالي،والمعرفة رأس مالي،والعقل ديني،والحب أساسي،والشوق مركبي،والخوف رفيقي،والعلم سلاحي،والحلم صاحبي،والتوكل ردائي،والقناعة كنزي،والصدق منزلي،واليقين مأواي،والفقر فخري،وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين»[١].

١١- العدد «٤٠»

لبعض الاعداد اسرار لا يعرفها الا الله والراسخون في العلم .ومن هذه الاعداد المعروفة والمشهورة هو العدد «اربعين»، وللمتصوفة والعرفاء لهم سر مع هذا العدد،وهذا العدد له ذكر في القران والسنة وحتى الحياة الاجتماعية والامثال الشعبيةمثل قولهم : «من عاشر القوم اربعين يوما صار مثلهم»

أما القرآن الكريم

هناك ايات كثيرة ورد فيها العدد « اربعين »

١- قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[٢].

٢- وقال تعالى:﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[٣].

٣- وقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ

---

(١) جامع احاديث الشيعة : ١٤ : ٢٣٠ .

(٢) سورة البقرة : الاية ٥١ .

(٣) سورة المائدة : الاية ٢٦ .

مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١].

٤- وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

الاحاديث الشريفة

واما الاحاديث الشريفة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة الاطهار عليهم السلام فقد ذكرت عدد «الاربعين» بشكل تفصيلي، الاثار الخاصة لهذا العدد والرمز .

١- قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: «من أخلص عمله لله أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٣].

٢-ويروى عن علي عليه السلام:«خلق الله البيت الحرام قبل الأرض بأربعين عاماً»[٤].

٣- وعن الصادق عليه السلام:« أوصى الله عز وجل إلى داود عليه السلام أنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً ـ قال فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً، فأوحى الله عز وجل إلى الحديد أن ألن

---

(١) سورة الاعراف : الاية ١٤٢ .

(٢) سورة الاحقاق : الاية ١٥ .

(٣) التحفة السنية (مخطوطة)، ٨٨: كذلك الفتوحات الملكية: ٢ :١٠.

(٤) معجم البلدان، للحموي: ٤ :٤٦٧.

لعبدي داود فألان الله تعالى له الحديد فكان يعمل كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم فعمل (٣٦٠) درعاً فباعها (٣٦٠) ألف واستغنى عن بيت المال»[١].

٤- بكاء ادم على ولده هابيل:﴿ واتل عليهم نبأ ابني آدم﴾[٢].في تفسير علي بن إبراهيم أنه لما قتل هابيل بكى آدم عليه أربعين يوما وليلة، فلما جزع عليه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: إني واهب لك ذكرا يكون خلفا من هابيل، فولدت حواء غلاما زكيا مباركا، فلما كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا آدم إن هذا الغلام هبة مني لك فسمه هبة الله، فسماه آدم هبة الله[٣].

٥- وعن النبي صلى الله عليه وآله:«ساعة إمام عادل أفضل من عبادة سبعين سنه وحد يقام في الأرض أفضل من مطر أربعين صباحاً»[٤].

٦- وعن النبي صلى الله عليه وآله:«تتنجس الأرض من بول الاغلف أربعين صباحاً»[٥].

٧- عن ابي عبدالله عليه السلام : «إن شيطاناً يقال له «القفندر» إذا ضرب في منزل الرجل أربعين صباحاً بالبربط ودخل عليه الرجال وضع ذلك الشيطان كل عضو منه على مثله من صاحب البيت ثم نفخ فيه نفخة فلا

---

(١) الكافي، الكليني: ٥: ٧٤.

(٢) سورة المائدة : الاية ٢٧ .

(٣) مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي ١٠: ٤٨٢.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٨:١٣.

(٥) الكافي، الكليني: ٦: ٣٥.

يغار بعدها حتى تؤتى نساؤه فلا يغار»[١].

وهذا الحديث يشير الى الاثر الوضعي لهذا الذنب والمعصية.

٨- عن زرارة أن رجلا سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية " فقال وأبوه يسمع (عليهما السلام) حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم (عليه السلام) فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحا ، ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحا ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركا شديدا فخرجوا كالذر من يمينه وشماله وأمرهم جميعا أن يقعوا في النار ، فدخل أصحاب اليمين ، فصارت عليهم بردا وسلاما وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها»[٢].

٩- عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السلام، إنا روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أن من شرب الخمر لم تحسب صلاته أربعين صباحا فقال: صدقوا، فقلت وكيف لا تحسب صلاته أربعين صباحا لا أقل من ذلك ولا أكثر؟ قال: لان الله تبارك وتعالى قدر خلق الانسان فصير النطفة أربعين يوما ثم نقلها فصيرها علقة أربعين يوما ثم نقلها فصيرها مضغة أربعين يوما وهكذا إذا شرب الخمر بقيت في مثانته على قدر ما خلق منه وكذلك يجتمع غذاؤه

---

(١) الكافي: ٥ :٥٣٦.

(٢) نفس المصدر: ٢ :٧ .

واكله وشربه تبقى في مثانته أربعين يوما »[١].

١٠- عن أبي عبد الله عليه السلام أن قريشاً سألوا الرسول محمد صلى الله عليه وآله عن مسائل منها قصة أصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وآله غداً أخبركم، فلم يستثنِ فاحتبس الوحي عنه أربعين يوماً حتى أُغتم وشكت الصحابة فلما كان بعد أربعين صباحاً ترك عليه سورة الكهف إلى أن قال ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل غدا الا أن يشاء الله فأخبر أنه احتبس الوحي عنه أربعين صباحاً لأنه قال: غداً أخبركم بجواب مسائلكم ولم يستثن»[٢].

١١- عن سعيد بن محمد بن غزوان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أكل رمانة نور الله قلبه، وطرد عنه شيطان الوسوسة أربعين صباحا»[٣].

١٢- وعن النبي محمد صلى الله عليه وآله «من أغتاب مسلماً أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين صباحاً إلا أن يغفر له صاحبه»[٤].

١٣- عن أبي سعيد الخدري قال لما زوج علي بفاطمة عليها السلام جاء النبي صلى الله عليه وآله أربعين صباحاً إلى بابها يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ـ الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ ـ أنا حرب لمن حاربتم ـ أنا سلم لمن سالمتم»[٥].

١٤- عن زرارة ـ قال أبو عبد الله عليه السلام يا زرارة إن السماء بكت على

---

(١) علل الشرائع: الشيخ الصدوق: ٢: ٣٤٥.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٣ :٢٥٥.

(٣) المحاسن: ٢: ٥٤٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ٩ :١٢٢.

(٥) الدر المنثور: جلال الدين السيوطي: ٥: ١٩٩

الحسين أربعين صباحاً بالدم وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة وإن الملائكة بكت أربعين صباحاًعلى الحسين)[١].

١٥- عن أبي بصير ـ قال أبو عبد الله عليه السلام لا يبقى المؤمن أربعين صباحاً لايتعهده الرب بوجع في جسده أو ذهاب مال أو مصيبة يأجره الله عليها[٢].

١٦- عن أبي عبد الله عليه السلام من ترك اللحم أربعين صباحاً ساءَ خلقه[٣].

نكتفي بهذا القدر من المصطلحات وهناك عشرات المصطلحات الصوفية والعرفانية. من اراد التوسع عليه مراجعة الكتب المتخصصة والمعاجم.

---

(١) بحار الانوار: ٤٥: ٢٠٢

(٢) المحاسن: ٢: ٤٦٥

(٣) النوادر: فضل الله الراوندي: ٢٣٧.

المبحث الخامس

الشعر الصوفي بين الوضوح والرمزية

يتميز الشعر عن النثر بجماله فنيا وذلك لاشتماله على اشكال من الصور البيانية والمحسنات البديعيه وعنصر الخيال. والجماليه مشتقة من الجمال، والاحساس بالجمال شعور موجود لدى الانسان ولاشك ان كل ما خلق الله تعالى جميل اذا التفتنا اليه، والجمال يحس بدرجات متفاوته.

ولذلك ظلَّ الشعرُ دوماً، مَعيناً يرده الصوفية للارتواء من نبعِ التعبير الصادق، وأداةً مناسبة لتصوير أدق حقائق الطريق .. تلك الحقائق التى تلوح لقلوب أتقياء هذه الأمة من العارفين فى ارتحالهم الذوقى لمنابع النور الإلهى، سيراً بأقدامِ الصدق والتجردُّ عن الأكوان وطيراً بأجنحة المحبَّة، لاختراق سماوات الأحوال والمقامات .. حتى تحطَّ عصا الترحال والسفر، عند خيام القرب من الله.

وقد ورد عن النبيصلى الله عليه وآله في الشعر قوله «إن من الشعر حكمة وإن من البيان لسحرا»[1] وكذلك قول النبيصلى الله عليه وآله «الشعر كلامٌ حسنه كحسن الكلام وقبيحة كقبيحة»[2]. وسوف نتناول الشعر الصوفي والعرفاني في عدة مطالب.

المطلب الأول: الشعر لغة واصطلاحا:

الشعر لغة: «شعرت بالشيء بالفتح أشعر بهِ شعراً فطنتُ له ومنه

---

(١) المعجم الكبير:الطبراني: ١٠: ١٦٧.

(٢) مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني: ٤ :٤٣٠.

قولهم- ليت شعري؟ أي ليتني علمتُ قال سيبويه أصله شعرة ولكنهم حذفوا الهاء. والشعر ـ واحد الإشعار ويقال ـ ما رأيت قصيدة أشعر جمعاً منها والشاعر جمعه الشعراء على غير قياس. وقال الاخفش: الشاعر مثل لابن وتامر أي صاحب شعر وسمي شاعراً لفطنته والمتشاعر الذي يتعاطى قول الشعر »[١].

وقال الأزهري «سمي شاعراً لأنه يشعر ما لا يشعر غيره أي يعلم وقال غيره لفظته»[٢].

الشعر اصطلاحا: الشِعر، بكسر فسكون «كلام موزون مقفى قصداً»[٣].

ويقول آخر ـ الشعر كلام موزون دال على معنى ويكون أكثر من بيت. لأنه يجوز اتفاق شطر واحد بوزن يشبه وزن الشعر من غير قصد[٤].

المطلب الثاني: الاتجاهات في الشعر الصوفي

إذا تأملنا أدب الصوفية شعراً، والشعر العرفاني نجد أن هناك اتجاهين في الشعر الصوفي والحب الإلهي.

الاتجاه الأول: وضوح العبارة واللفظ، وهذا قليل جدا في الشعر الصوفي والعرفاني.

والاتجاه الثاني: الرمز وعدم وضوح العبارة واللفظ، وهذا هو الغالب في

---

(١) الصحاح: الجوهري: ٧ :٦٩٨.

(٢) تاج العروس: الزبيدي: ٧:٢٦- ٣٨ .

(٣) معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي: ٢٦٣

(٤) البرهان: الزركشي: ٢ :١١٣.

الشعر الصوفي،وليس للأتجاه الاول انصار من شعراء الصوفية، والاتجاه الثاني أنصار، بل كلا الاتجاهين في الحقيقة قد نراهما في شاعرٍ ومتصوف وعارف واحد ...؟

الاتجاه الأول: وهو اتجاه وضوح العبارة في الشعر الصوفي والعشق الالهي

فمثلا نرى في شعر «المقدسي»(١) وهو من العرفاء المتصوفه ان المقاصد الإلهية الغزليه واضحةٌ بيّنةٌ، وكلّ ما يستخدمه من عبارات الغزل، يبقى على قدرٍ من الشفافية، بحيث يستطيع الناظر أن يرى ما تنطوي عليه من حبّ روحيّ سامٍ، وأشواقٍ إلهيةٍ راقيةٍ، تتعالى فوق المقاصد الحسيّة، والغايات البشريّة كما في شعر الرمز عند المتصوفه والعرفاء الاخرين.

قال المقدسي:

في حبهِ يستعذبُ التعذيب ... وبذكرهِ يحلو الهوى ويطيب
يا لائمي في حبهِ متعسفاً ... أقصر فما لك من هواه نصيب
ما كل من يهوى ولا الذي ... يقصى بعيدٌ ولا القريب قريب
من لم يكن أهلاً لحضرةِ قربةِ ... ذاك الذي في حالتيه غريب(٢)

فهنا المقدسي وإن لم يصرح في مقطوعته هذه باسم حبيبه ولكنه

---

(١) عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي الشاعر الصوفي الواعظ، ولد في القدس بفلسطين قرابة: ٦٢٩هـ = ١٢٣١ م: وتوفي في القاهرة: ٦٧٨هـ = ١٢٧٩م: ترجمته في: ذيل مرآة الزمان، اليونيني ٤: ١٣، البداية والنهاية، ابن كثير ١٣: ٢٨٩.

(٢) الحب الإلهي في شعر المقدسي: مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١) ٢٠٠٧: الدكتور علي حيدر الدكتور عيسى فارس ماهر عبد القادر: ٢٧.

يتحدث عن المحبوب الأزلي وهو الله تعالى، إذ لا قيمة لوصال زائل أو لقاء عابر، ما لم يكن المحبّ مُؤهَّلاً للجلوس في حضرة القرب الأبدية.

وقال أيضاً:

فدعني مِن تغَزُّل قيسِ ليلى ومن أبياتِ شِعر جميلِ بُثْنِ
فبي شغَفٌ عن الأشعارِ يُلهي وبي طرَبٌ عن الأوتار يُغني
وفي إيّايَ كلُّ لطيفِ معنى فمِنّي إن سمعتُ سمعتُ عنّي
أُغنّي باسمِ حِبّي لا أُكنّي وإن أَكُ قد كنَيتُ فذاك أَعني
ولا أَبغي النعيمَ ولستُ أرضى نعيماً لا ولا جناتِ عَدْنِ
وما نفعي بدارٍ لستَ فيها وأنتَ القصدُ يا أَقصى التَّمنّي[١]

وفي هذه القصيدة والابيات يؤكِّداً تَرفُّعه عن الحبّ البشري في أرقى صوره، لأن لديه ما يشغله عن كلّ ما يصبو إليه أرباب الحب التقليدي، وأساطين الغزل العذري، ذاك هو المحبوب الأزلي الذي سكن قلبَه، واستولى على جوارحه؛ فَبهِ يسمع وبه يُبصر، هو مقصوده إذا صَرَّح، ومُراده إذا كنّى، إنه غاية الغايات، وكلّ ما في الجِنان من نعيمٍ خالدٍ تطمح إليه النفوس.

وكذلك نقرا في شعر (رابعة العدوية) هذا اللون من الشعر ووضوح العبارة.

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكر عمن سواكا

---

(١) الحب الإلهي في شعر المقدسي: ٢٩.

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاك(١)

عن محمد بن المبارك الصوري قال صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا توهب قد ائتزر الخشوع وارتدى برداء الورع وتعمم بعمامة التوكل فلما رآني استخفى وراء شجرة بلوط فناشدته الله أن يظهر فظهر فقلت كيف تصبر على الوحدة في هذه القفار فضحك وأنشأ يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواك ارحم اليوم مذنبا قد أتاك
أنت سؤلي ومنيتي وسروري قد أبى القلب أن يحب سواك
يا مرادي وسيدي واعتمادي طال شوقي متى يكون لقاك
ليس سؤلي من الجنان نعيم غير أني أريدها لأراك(٢)

وقال الحلاج(٣):

عرفت الهوى مذ عرفت هواكا وأغلقت قلبي عمن سواكا
وقمت أناجيك يا من ترى خفايا القلوب ولسنا نراكا

وقال ايضا:

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست الى قوم أحدثهم إلا وأنت حديثي بين جلاسي

---

(١) رابعة العدوية في محراب الحب الالهي: ٦٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٢٦: ٤٥٧ – ٤٥٨

(٣) ديوان الحلاج: الحلاج: ١٨٠.

ولا ذكرتك محزوناً ولا فرحاً   إلا وأنت بقلبي بين وسواسي
ولا هممت بشرب الماء من عطشٍ   إلا رأيت خيالاً منك في الكاس
ولو قدرت على الآتيان جئتكم   سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس

وقالت رابعة(١):

يا سروري ومنيتي وعمادي   وانيسي وعدتي ومرادي
انت روح الفؤاد انت رجائي   انت لي مؤنس وشوقك زادي
انت لولاك، يا حياتي، وانسي   ما تشتت في فسيح البلادي
حبك الان بغيتي ونعيمي   وجلاء لعين قلبي الصادي
ليس لي عنك - ما حييت-   براح انت مني ممكن في السواد
ان تكن راضيا علي فاني   يا منى القلب قد بدى اسعادي

وهنا واضح ان الحبيب الذي تتغنى رابعه حبه في مناجاتها انما هو الله تعالى، الذي تقبل عليه، وتخلو اليه، وتدأب على حبها له فلا تبرح بابه ولا تدع رحابه ذلك بانها اتخذت من الله حبيبا لها ومؤنسا لروحها ومنية لقلبها وبغية لحبها

وقالت أيضاً(٢):

راحتي يا أخوتي في خلوتي   وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً   وهواه في البرايا محنتي

---

(١) التصوف الاسلامي: صهيب الرومي: ٥١٦ .

(٢) المصدر نفسه: ٥١٨

حيثما كنت اشاهد حسنه فهو محرابي إليه قبلتي
يا طبيب القلب يا كل المنى جد بوهل منك يشفي مهجتي
يا سروري وحياتي دائماً نشأتي منك وأيضاً نشوتي
قد هجرت الخلق جميعاً ارتجي منك وصلاً فهو أقصى منيتي

وهذه الابيات كما ترى نص في الدلالة على الحب الالهي وظهور الحب الالهي في كيان المحب وانها ترى المحبوب في كل شيء، ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وبعده ومعه وفيه وان المحبوب وهو الله تعالى يستحق ان يهجر من اجله كل شيء كما يقول ابو فراس[١]:

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

الاتجاه الثاني: شعر الرمز والآشارة

والشعر الرمزي عند الصوفية هو الأساس الذي يقوم عليه الأدب الصوفي.

الرمز لغة: هو الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب[٢] ويقول تعالى عزّ وجلّ: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾[٣] .

وإما دلالة الرمز اصطلاحا عند الصوفيين: فيمكن تعريفها بانها

(١) يتيمة الدهر: الثعالبي: ١: ٩٥.

(٢) الصحاح: الجوهري: ٣: ٨٨٠ .

(٣) سورة آل عمران : الاية ٤١ .

«الإتيان بألفاظ ليست مقصودة بذاتها»يعني ان هذه الالفاظ يوجد من وراءها معاني اخرى عظيمة لا يراد التصريح بها لسبب ما على ما سوف نشير الى ذلك في الامر الثاني. كإطلاقهم (سعدى، ولبنى، وليلى، وسلمى وغيرها) على المحبوب الأعلى وهو الله تعالى عزّ وجلّ.

قال الشاعر[١]:

اسميك لبنى في نسيبي تارة   وآونة سعدى آونة ليلى
حذاراً من الواشين أن يفطنوا بنا   وإلافمن (لبنى) فدتك ومن ليلى

«وهذا يشبه الدلاله الالتزامية في المنطق لأنّ الدلالة الالتزامية هو الاتيان بلفظ وإرادة معنى آخر من اللفظ ....»[٢].

وقد استعمل شعراء التصوف الكثير من الرموز والاشارت التي يقصدون بها المحبوب الازلي وهو الله تعالى او اشياء اخرى ،مثل المرأة، العين، الشفة، الشامة، الوجه، الخمر، السكر، الحانه، المجنون، النبيذ، الدرويش، الشراب، الكاس، وكذلك البحر، الساحل، الناي، والطبيعة ....الخ.

فالحانه تشير الى مكان المناجاةـ الخمار، الشيخ الكامل، الساقي مصدر الفيض، الشراب الفيض الإلهي الذي يعطى الى السالك. الكأس، قلب العارف.

المطلب الثالث: ما الاسباب وراء الرمز في الشعر الصوفي والعرفاني

يعد اتخاذ الرمز لدى الصوفيين وسيلة للتعبير، وهو أحد الخصائص

---

(١) نقلا عن المدهش: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي: ٢٣٩.

(٢) انظر: المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: ٤٤.

الفنية للغة الصوفية، ويمكن لنا تلخيص أهم أسباب ظهور هذه الخاصية بالنقاط الآتية.

اولا: التجربة الباطنة غير العقلية تدفع الصوفي إلى استخدام الرمزية في التعبير ويغلب عليها اعتماد لغة الحب الإلهي التي تثير الخيال والوجدان، ويعود استخدام الصوفي للغة الحب إلى أنها أقوى الأساليب اللغوية التي تبين الصلة الفردية والشخصية العميقة، فضلا عن إمكانيتها من إثارة الوجدان والخيال، ولا يجوز للغير تأويل عبارات الحب الصوفي على أساس المدلول المادي الظاهر للألفاظ.

وقد نبه أئمة الصوفية إلى أن ألفاظهم وعباراتهم لا يقصد بها الدلالات الظاهرية وإنما يشار بها إلى معان باطنية، وعلى من يريد أن يفهمها حق الفهم أن يلتمس المعنى الباطن، ويصرف الخاطر عن المعانى الظاهرية.

قال ابن عربى:

كل ما أذكره من طلل: أو ربوع أو مغان كل ما
أو خليل أو رحيل وربا: أو رياض أو غياض أو حمى
أو نساء كاعبات نهد: طالعات كشموس أو دمى
فاصرف الخاطر عن ظاهرها: واطلب الباطن حتى تعلما[1]

وتعريف الشيخ السراج الطوسي للرمز يعطي ذات القصد فقد قال :

---

(١) ذخائر الأعلاق وشرح ترجمان الأشواق، لابن عربى، تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردى: ٥.

«والرمز معنى باطن مخزون تحته كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله »[١].

ثانيا: ربما يعود العامل الثاني الى قصور اللغة عن ايصال المعاني الذوقية الى الحس لان المعاني الصوفية والعرفانية لا تدخل ضمن نطاق الحس اوالعقل لان اللغة تواضع واصطلاح ولغة العرفان ذوقية وجدانية لا يمكن الوصول اليها عبر اللغة الارضية، وربما يكون الغزالي قد اشار الى هذا المعنى الذي نشير اليه يقول: «لا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح، لا يمكنه الاحتراز عنه»[٢].

وكذلك قال سليمان عشرتي: «اللغة الإنسانية هيئت للإدراك الحسي بالأساس، أما ما يمكن أن تحققه في مجال التعبير التجريدي فليس إلا جهداً مضنياً ومن هنا يظل انقهار الإنسان متى ما طمح إلى الكشف عن الكليات والمغيبات بلغة أرضية تعيينيه»[٣].

ثالثا: ومن أهم الدوافع وراء ظهور الرمزية بشكل كبير في لغة الصوفية هو محاولة الصوفية تجنب اتهامات الخصوم التي تضعهم في تعارض مع العقائد الشرعية ولذا ربما تعرضهم الى القتل والتشنيع والرفض كما حصل للحلاج، والسهروردي. ولهذا اصطلحوا على رموز وألفاظ لا يفقه معناها غيرهم،

وقال السهروردي في هذا الشأن:

أبدا تحن إليكم الأرواح   وصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم   وإلى لذيذ لقائكم ترتاح

---

(١) اللمع: السراج الطوسي: ١٨٦.

(٢) المنقذ من الضلال: ابي حامد الغزالي: ٣٣ .

(٣) مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة ألما بعد:سليمان عشرتي: ٢٠٣.

وارحمة للعاشقين تكلفوا ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تباح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السفاح
وبدت شواهد للسقام عليهم فيها لمشكل امرهم ايضاح[١]

وقال محي الدين ابن عربي: "هذا الفن من الكشف والعلم يجب ستره عن أكثر الخلق لما فيه من العلو فغوره بعيد والتلف فيه قريب فإن من لا معرفة له بالحقائق ولا بامتداد الرقائق ويقف على هذا المشهد من لسان صاحبه المتحقق به وهو لم يذقه ربما قال أنا من أهوى ومن أهوى أنا لهذا نستره ونكتمه"[٢].

وعبر ابن الفارض عن دافع الرمز والإشارة بالخوف من الفهم غير المقصود الذي يمكن أن يترتب عليه إباحة دمه بقوله:
وثم امور تم لي كشف سترها: بصحو مفيق عن سواي تغطت
وعنى بالتلويح يفهم ذائق: غنى عن التصريح للمتعنت
بها لم يبح من لم يبح دمه وفى: الإشارة معنى ما العبارة حدت[٣]

وقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام هذهِ الأبيات في خصوص كتم العلم عن غير اهله.
إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتننا

---

(١) وفيات الأعيان وإنباء إبناء الزمان: ابن خلكان: ٦ :٢٧١ .

(٢) رسائل بن عربي: محي الدين بن عربي: ١: ٣.

(٣) ديوان بن الفارض: من قصيدة التائيه الكبرى المسماة بنظم السلوك: ٤٦.

وقد تقدم في هذا أبو حسن　　　إلى الحسنين وأوصى قبله الحسنا
فرب جوهر علم لو أبوح بهِ　　　لقيل لي أنت ممن يعبد ألوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي　　　يرون أقبح ما يأتونه حسنا[(١)]

ومن خلال ما قدمناه نخلص إن السمة البارزة في الشعر الصوفي الرمز والإشارة، وأسباب ذلك يعود الى ما ذكرنا وهي

١- أنس الانسان بالالفاظ الحسية ومنها لغة الحب والعشق

٢- قصور اللغة الارضية عن استيعاب المفاهيم الذوقية لانها تواضع واصطلاح بين البشر الذين يعيشون في الارض ولذا ياتون بهذه الرموز

٣- الخوف من القتل والاتهام والتشهير.

المطلب الرابع: شرح لبعض قصائد العشق الإلهي وحل لرموزها

اولا: شرح لبعض ابيات للامام الخميني قدس سره:

قال الامام العارف روح الله الموسوي الخميني قدس سره:

البيت الاول:

من بخال لبت أي دُوستِ كَرفتار شُدم　　　جشم بيمار تُو را دِيدَم وبيمار شُدَم[(٢)]

وترجمة ذلك:

سبيتُ يا حبيبي بخالِ شفتك　　　أبصرتُ عينك المريضة فمرضتُ

---

(١) تفسير الآلوسي، الآلوسي : ٦: ١٩٠، وكذا انظر، الغدير- الشيخ عبد الحسين الامين:٧: ٣٥.

(٢) ديوان الإمام الخميني (رض) : ١٤٢.

وتستطيع قرأتها بهذا الشكل:

قد سبتني يا حبيبي شامة في شفتيك وسقت قلبي سقماً نظرتي في مقلتيك[(١)]

هناك عدة رموز وردت في هذا البيت من الشعر العرفاني

١- الخال: قال التهانوي: الخال في عرف السالكين اشارة الى نقطة الوحدة -من حيث الخفاء- التي هي مبدا الكثرة ومنتهاها منه بدا واليه يرجع الامر كله .وذلك ان الخال لسواده مشابه للهوية الغيبية المتحجبة عن الادراك والشعور «لا يرى الله الا الله، ولا يعرف الله الا الله»، وقيل: الخال هو الوجود المحمدي – أي عالم الوجود»[(٢)].

قال حافظ الشيرازي:

از تاب جعد مشكينش جه خون افتاد در دلها[(٣)]

وترجمتها: ومن طيات شعراتها المجعدة المسكية السوداء أي دم وقع في القلوب.

٢- الشفة: كلام المحبوب. وشفة العقيق، بطون كلام المحبوب[(٤)]، وهذا كثير في الشعر العرفاني الفارسي

قال حافظ: شربت قند وكلاب از لب يارم فرمود نرجس او كه طبيب

(١) ترجمة هذه الابيات التي سنوردها بهذا الشكل اخذناها من كتاب تاملات في لوحة شعرية: للسيد عبدالله الفاطمي: ٢٦.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي: ١ :٤٥١، نقلا عن تاملات في لوحة شعرية، للسيد عبدالله الفاطمي: ٢٤.

(٣) ديوان حافظ شيرازي مع شرح موجز: غزل اول: ١.

(٤) تاملات في لوحة شعرية: للسيد عبدالله الفاطمي: ٢٦.

دل بيمار من است[١].

وترجمتها:

وقد نظر لي الحبيب، فامر لي بشفتاه الندية، بشربة ممزوجة من السكر وماء الورد، وهذه النظرات هي طبيب قلبي المريض.

وهذه النظرات من عين الحبيب هي التي اعطتني الحياة الجديدة كما يقول تعالى ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٢].

٣- العين المريضة: والعين المريضه يراد بها العين السكرى النائمة التي تضفي على المحبوب مزيداً من الجمال على عكس العين التي تواجهك بجرأة[٣]، قال ابن الفارض:

سقمي من سقمي أجفانكم　　وبمعسول[٤] الثنايا لى دوي[٥]

وكذلك ورد في الشعر العربي غير شعر المتصوفة كقول الشاعر:

مرضي من مريضة الاجفان　　علّلاني بذكرها علّلاني[٦]

وقال آخر:

---

(١) ديوان حافظ شيرازي مع شرح موجز: ٦٧.

(٢) سورة الانعام : الاية ١٢٢ .

(٣) تاملات في لوحة شعرية، للسيد عبدالله الفاطمي: ٢٢

(٤) معسول: الريق، دوي: الدواء .

(٥) شرح ديوان ابن الفارض: بدر الدين البوريني: ١ :٥٨.

(٦) اعيان الشيعه:السيد محسن الأمين :٤: ٥٤٣.

وسائلتني عن مبتدا سقمي ... مسقم جفنيك مسقمي بهما[١]

والعين المريضة فسرت.

أولاً: إشارة إلى مشاهدات العارف ومكاشفاتهِ التي تسطع عليه خلال طي المراحل أنواراً من الحق وتريه العوالم غير المحسوسه والمجردة[٢].

ثانياً: إشارة إلى الجذبة فيكون معنى مرضت دالاً على الانجذاب.

وقد قلنا سابقاً إن الجذب حالة يصبح فيها العبد فانياً عن نفسه وحظوظها وقد ورد في الحديث: «جذبةٌ من جذبات الحق توازي عمل الثقلين»[٣].

وقد ورد عن الإمام الحسين(ع) «حققني بحقائق أهل القرب واسلك بي مسلك أهل الجذب»[٤].

البيت الثاني:

دَر مَيخا نَه كَشائيد بِرَوِيم شَب ورُوز   كَه مَن أز مَسجد وأز مدرسه بِيزار شُدَم[٥]

الترجمة:

افتحوا بابَ الحانة في وجهي ليلاً ونهاراً   فقد جَزعتُ مَنَ المسجد ومن المدرسة

وممكن نقرأها بهذا الشكل:

أشرعوا بوابة الحانِ أمامي كل وقتٍ   فلقد مَلَّ فؤادي كلَّ محرابٍ ودرس

---

(١) يتيمة الدهر:الثعالبي: ١ :٣٧١.

(٢) تاملات في لوحة شعرية: للسيد عبدالله الفاطمي: ٢٢.

(٣) تفسير الرازي: الرازي: ٤ :١٧٦.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام:لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: ٩٦٠

(٥) ديوان الامام الخميني :١٤٢

الحانة: بيت الخمار، او موضع بيع الخمر[١]. وهذا واضح:

وهذهِ الألفاظ التي يتكلم بها السيد الخميني (قدس) لا يراد منها معناها الظاهر وانما المعنى الصوفي والعرفاني، وهناك الكثير من العرفاء قد تكلموا بها، فهذا الفقيه الأخلاقي النراقي يقول[٢]:

ناولني أيها الساقي كأساً على ذكر الحبيب ولا إثم فإنما هي على ذكر الحبيب

إلى متى يا قلب تقصد مدرسة الخزعبلات والترهات استمع ولو يومين الى حديث الحبيب من ناي القصب

لا تتحدث ايها الواعظ عن الجنة والقصور والحور فإن نفوسنا تواقة للهوى والهيام

اذهب ايها الزاهد فلماذا تذم الثمل بالناي

وقال حافظ شيرازي:

صلاة الامس اداها وولى نحو حانوت رفاق الدرب، قولوا لي، افيما كان تدبير

فانا من مريديه، فكيف الان نتلوه؟ وسعي (الشيخ) للخمار والحانت مقصور

وانا من محبيه وتحوينا (خرابات) ومن عهد مضى بعدا، جرى في ذاك تقدير[٣]

والتفسير العرفاني للحانة، كما يقول صاحب الكشاف

١- الحانة: باطن العارف الكامل الذي يغلب فيه الشوق والوجد والعوارف الإلهية»[٤].

---

(١) تاج العروس: الزبيدي: ١٨ :١٦٨.

(٢) تاملات في لوحة شعرية:للسيد عبدالله الفاطمي: ٦٧

(٣) ديوان حافظ شيرازي مع شرح موجز:غزل ١٢: ١٢

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون-محمد علي التهانوي-ج٢-ص١٥٦٣-طبعة كلكته -نقلا عن تاملات في لوحة شعرية للسيد عبد الله الفاطمي: ٦٨

وربما يمكن ان يكون تفسير الحانه، بالحضرة الالهية، او عالم اللاهوت

قال ابن الفارض:

سكرت بخمر الحب في حان حيها وفي خمره للعاشقين منافع[١]

وإما تفسير (المدرسة والمسجد) فهنا يقصد السيد الخميني (قدس): ان العبادات المنسلخة عن المعاني الروحية، وكذلك المصطلحات العلمية والعلوم والدراسة، إذا لم يوصل إلى المعرفة الالهية، والقرب الإلهي، والعشق الالهي،لا قيمة لها بل تبقى هذهِ العبادات والدراسة روتين وتقليد، فهذا سوف يصبح ملل وجزع لا لذة فيها وسوف يكون من اكبر الحجب بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى.

ولذ قال البهائي:

علم الحروف كله قيل وقال مابه روح، ولا يبدع حال

ليس علما غير علم العاشقين ما عداه وهم ابليس اللعين

ايها القوم الاولى في المدرسة كل ما حصلتموه هذا وسوسة[٢]

ولا يقصد الإمام(قدس) إنه يجب ترك العبادة والدراسة ... كلا ؟؟؟

قال الامام : (قدس) في كتاب (الأربعون حديث).

«واعلم أن طي أي طريق في المعارف الإلهية لا يمكن إلا بالبدء بظاهر الشريعة وما لم يتأدب الإنسان بآداب الشريعة الحقة لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة. كما لا يمكن أن يتجلى في قلبه نور المعرفة وتتكشف

---

(١) ديوان ابن الفارض: ١١٧

(٢) تاملات في لوحة شعرية: للسيد عبدالله الفاطمي: ٧١

العلوم الباطنية وأسرار الشريعة. وبعد انكشاف الحقيقة، وظهور أنوار المعرفة في قلبهِ، سيستمر أيضاً في تأدبهِ بالآداب الشرعية الظاهرية. ويقول قدس سره:

ومن هنا نعرف بطلان دعوى من يقول، إن الوصول إلى العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر أو إنه وبعد الوصول إلى العلم الباطن ينتفي الاحتياج إلى الآداب الظاهرية وهذهِ الدعوى ترجع إلى جهل من يقول بها»[١].

البيت الثالث:

«بكذار يدكه أز بُتكده يادي بكنُم   مَنْ كه بادَست بُت بيذار شُدم[٢]

الترجمة:

دعوني أذكر بيت الأوثان   فإني على يدِ وثن الحانةِ قد صحوت»

ويمكن قراءته بهذا الشكل:

فدعوني أذكر الأوثان هذا ما أردتُ   فبأيدي وثنِ الحانةِ إني قد صحوت

تفسير عرفاني لهذا البيت:

«بيت الأوثان يقول مؤلف الكشاف: بيت الأوثان: بمعنى باطن العارف الكامل الذي يغلب فيه الوجد والشوق والمعارف الإلهية».

الوثن: في لغة العرفاء ـ متعددة هو ومنها المرشد الكامل[٣].

«الحانة: قدم المناجاة»[١]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

---

(١) الاربعون حديثا : الامام الخميني (قدس) : ٢٥ .

(٢) ديوان الامام الخميني: ١٤٢

(٣) تاملات في لوحة شعرية: ٦٧

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾(٢)

فهنا يقصد والله العالم مشايخ الطريقة إلى الله تعالى، والأولياء الكاملين فبأيدي هؤلاء الأولياء للكاملين قد صحوت، بعد أن كنت نائماً أشارة إلى الحديث الشريف. «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا»(٣).

ولقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٤).

قال ابن الفارض:

غَرامي بِشعبِ عامِرشعب عامرٍ

غريمي وإن جاروا فهم خَيرُ جيرتي(٥).

«فغرامي وشوقي بهذه القبيلة العامرة وإن حصل منهم جور فلا يذمون بل هم خيرٌجيرتي فجورهم عدل وصدهم وصال وبعدهم قرب وعذابهم عذب. ويقصد بعامر الثاني اسم قبيلة يقال لهم بنو عامر وكنى بهذهِ القبيلة عن إخوانهِ وأشياخه مِن أهل الله العارفين الكاملين المعمرين أوقاتهم بذكر الله تعالى .

ولله در من قال:

وتعذيبكم عذبٌ لدي وجوركم　　　علي بما يقضي الهوى لكم عدل

---

(١) تاملات في لوحة شعرية : ١١٣

(٢) سورة الأعراف :الاية ،١٧٢

(٣) بحار الأنوار:المجلسي: ٦٦: ٣٠٦ .

(٤) سورة الانعام : الاية ١٢٢ .

(٥) ديوان ابن الفارض: ٢٢

ثانيا: شرح لبعض من ابيات ابن الفارض

البيت الاول:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم[(١)]

المدامة: الخمر الالهي، والحبيب هو الله تعالى، والسكر الغيبة، وقبل ان يخلق الكرم، عالم الملكوت فهنا يريد القول اننا شربنا معاشر السالكين في طريق المحبوب شراب المحبة الالهية الناشئة من رؤية الجمال الالهي في الحضرة العلمية قبل ظهور كل مقدور وليس هنا صار السكر.

وهذا المعنى اشار اليه العارف الصوفي حافظ الشرازي:

مطلب دُرست أز مَنْ مست كه   به بيمانه كشي شهره شدم روز الست[(٢)]

٥- ترجمت البيت: لا تطلب الطاعة وعهد الصلاح مني، أنا السكير العربيد فقد اشتهرت بشرب الكأس منذ الأزل ايها المحبوب لا تطلب مني الصلاح والتقوى والعبادة، فإنا سكرت وسكران بالخمر منذ الأزل ومنذ أخذ العهد ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[(٣)] . فلا تظن إني سوف أرجع عن السكر وشرب الخمر فإنا لستُ نادماً على هذا الاتفاق كي أرجع عن الاتفاق.

البيت الثاني:

---

(١) ديوان ابن الفارض: ٨٢.

(٢) ديوان حافظ شيرازي:الشيرازي: ٣٧: غزل ٣٦.

(٣) سورة الاعراف : الاية ١٧٢ .

فان ذكرت في الحي اصبح اهله نشاوى ولا عار عليهم ولا اثم[١]

وهنا يقصد، ان ذكرت الخمره، اصبح من له الاهلية، وهم الذين لديهم الاستعداد لقبول انوار الفيض الالهي، في حالة من الكشف والسكر فيغيبون عن اوهام الاغيار، وهذه الخمرة في شربها، لا يوجد عار ولا اثم، لانها ليست كباقي الخمر التي تذهب بالعقول.

قال الامام أبو عبدالله الحسين عليه السلام: «انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اولياءك حتى عرفوك ووحدوك، وانت الذي ازلت الاغيار عن قلوب احباءك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجئوا الى غيرك، انت المؤنس لهم حيث اوحشتهم العوالم، وانت الذي هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضى دونك بدلا، ولقد خسر من بغى عنك متحولا، كيف يرجى سواك وانت ما قطعت الاحسان، وكيف يطلب من غيرك وانت ما بدلت عادة الامتنان، يا من اذاق احباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين، ويا من البس اولياءه ملابس هيبته فقاموا بين يديه مستغفرين»[٢].

البيت الثالث:

وقالوا شربت الإثم كلا وإنما شربت التي في تركها عندي الإثم[٣]

وقيل إن الاثم اسم من اسماء الخمر قال الشاعر:

(١) ديوان ابن الفارض: ٨٢

(٢) بحار الانوار:العلامة المجلسي: ٩٥: ٢٢٦

(٣) ديوان ابن الفارض: ٨٤

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم تذهب بالعقول[١]

والتفسير العرفاني لهذا البيت:

«قالوا شربت الاثم، أي الخمرة المعتصرة من العنب المحرمة شرعاً، لأنهم يرونه غائباً لايدرك ما يدركونه من أمور الدنيا لاستغراقهِ في مشاهد الجمال الذي يسكر، ولأنهم لا يعرفون سكراً آخر غير السكر بالخمر والحشيش، ولذلك إردتدعهم، بإني لم أشرب الخمر ولا تعاطيت محرماً، وإنما شربتُ خمرة القوم التي في تركها اللوم وفي شربها الكرامة في الدنيا والآخرة.

ولذلك ورد عن علي عليه السلام قوله:

«إن لله شراباً لأوليائهِ إذا شربوا سكروا وإذا سكروا طربوا»[٢].

قال حافظ شيرازي[٣]:

آن تلخ وَش كه صوفي، أم الخبائث خواند

أشهى لنا وأحلى من قبلة العُذارى[٤]

ترجمة:

وأما هذهِ الخمرة التي أسماها الصوفي أم الخبائث

فهي أشهى لنا من قبلة العُذارى والإبكار

---

(١) مجمع البحرين: الشيخ الطريحي: ١: ٣٦

(٢) جامع السعادات: ٣: ١٢٢

(٣) شاعر الغزل والعرفان والملقب بـ لسان الغيب وترجمان الإسرار، شاعر الشعراء في القرن الثامن الهجري على خلاف في الولادة والوفاة، وله قبر في شيراز (٧٢٩ هـ ـ ٧٩٢ هـ) عن الذريعة: آقا بزرك الطهراني ج٩ق ص ٢٢٢.))

(٤) ديوان حافظ شيرازي مع شرح موجز: غزل (٤) :٥.

تجليات الله تعالى عزّ وجلّ وجمال الله تجعل العارف يسكر ويفنى عن حظوظهِ ولذلك عندما يغرق العارف في الجمال الإلهي لايشتهي شيء آخر حتى لو كانت قبلة العذارى والإبكار.

وقال الشيخ البهائي:

أيها الساقي أدر كأس المدام ... واجعلن في دورها عيشي المدام
خلص الأرواح من قيد الهموم ... أطلق الأشباح من أسر الغموم[(١)]

البيت الرابع:

فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً ... ومَنْ لم يمت سكراً بها فاته الحزمُ على نفسهِ
فليبك من ضاع عَمرُه ... وليس له فيها نصيب ولاَسهمُ[(٢)]

وحاصل ذلك: ان هذه المدامة هي عيش الحياة في الدنيا والاخرة.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[(٣)].

واما هذا الانسان الذي بقي مشتغلا بحطام هذه الدنيا كما وصفها الله تعالىِ ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[(٤)] . ولم يسكر بالمدامه (أي الخمر الإلهي) فيغيب عن هذهِ الأشياء الخمسة فهو ميت عن الحياة الإنسانية.

---

(١) الحديقة الهلالية: الشيخ البهائي: ١٣٣.

(٢) ديوان ابن الفارض: ٨٤.

(٣) سورة النحل : الاية ٩٧ .

(٤) سورة الحديد : الاية ٢٠ .

ولذلك أشار إمام المتقين وقدوة العارفين الإمام علي عليه السلام «فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الإحياء»[٣٦٩]، وقد ورد حديث عن النبي صلى الله عليه وآله «ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الإحياء»[٣٧٠].

وقبل أن ننهي موضوع الشعر الصوفي والعرفاني، أحببنا أن نورد أبيات جميلة لأبن الفارض:

خليليَّ أني قد عصيت عواذلي ... مطيعٌ لأمر العامرية سامعُ[٣٧١].
فقولا لها إني مقيم على الهوى ... وإني لسلطان المحبة طائعُ
ولي عندها ذنب برؤية غيرها ... فهل لي إلى ليلى المليحةِ شافعُ
سلا هل سلا قلبي هواها وهل له ... سواها إذا اشتدت عليه الوقائع
فيا آل ليلى ضيفكم ونزيلكم ... بحيكم يا أكرم العرب ضارعُ
قِراه جَمالٌ لا جمال وإنه ... برؤية ليلى منيةِ القلب قانعُ
إذا ما بدت ليلى فكلي أعينٌ ... وإن هي ناجتني فكلي مسامعُ
ومسك حديثي في هواها لأهلهِ ... يضوع وفي سَمع الخليين ضائعُ
ومل بي اليها يا دليل فانني ... ذليل لها في تيه عشقي واقعُ
لعلي من ليلى افوز بنظرة لها ... في الفؤاد المستهام مواقع
والتذ فيها بالحديث ويشتفي ... غليل عليل في هواها ينازع

---

(٣٦٩) نهج البلاغة: علي عليه السلام: ١: ١٥٣ .

(٣٧٠) الامالي: الشيخ الطوسي: ٣١٠ .

(٣٧١) يكنى بالعامرية : عن المحبوبة الحقيقية ، وهي الحضرة الالهية.

لئن كنت ليلى إن قلبي عامرٌ بحبك مجنون بوصلك طامعٌ
فيا قلب شاهد حسنها وجمالها ففيها لإسرار الجمالِ ودائعُ
فأحياء أهل الحب موتُ نفوسهم وقوت قلوب العاشقين مصارع[١]

وقال أيضاً:

هُوَ الحُبّ فاسلمْ بالحشا ما الهَوَى سَهْلُ فَما اختارَهُ مُضْنًى بهِ، ولهُ عَقْلُ[٢].
وعِشْ خالياً فالحبُّ راحتُهُ عناً وأوّلُهُ سُقْمٌ، وآخِرُهُ قَتْلُ
ولكنْ لديَّ الموتُ فيه صبابةً حَياةٌ لِمَن أهوَى، عليّ بها الفَضْلُ
نصحتُكَ علماً بالهوى والّذي أرَى مُخالفتي فاخترْ لنفسكَ ما يحلو
فإنْ شئتَ أنْ تحيا سَعيداً، فَمُتْ بهِ شَهيداً، وإلاّ فالغرامُ لَهُ أهْلُ
فَمَنْ لم يَمُتْ في حُبّهِ لم يَعِشْ بهِ، ودونَ اجتِناءَالنّحلِ ما جنتِ النّحلُ
وقدْ علموا أنّي قتيلُ لحاظها فإنّ لها في كلِّ جارحةٍ نصلُ
جَرَى حُبُّها مَجرَى دمي في مَفاصلي، فأصبَحَ لي، عن كلّ شُغلِ، بها شغلُ[٣]

(١) ديوان ابن الفارض: ١١٨

(٢) الحب : يعني المحبة الالهية

(٣) ديوان ابن الفارض: ٧٨

الفصل الثاني

إحياء العقل

وبعد هذا الفصل الذي قدمناه وما فيه من مباحث تمهيدية مهمة ومفيدة ،نصل الى غاية ما اردنا أن نتكلم عنه ونشرحه ، وهو منهج العرفان عند الامام علي عليه السلام .

لقد قال ورسم أمير المؤمنينعليه السلام، أكمل وأخصر الكلمات في وصف السالكين إلى الله تعالى، ومراتب السلوك والعرفان، وهو الذي أعرف بطرق السماء من الارض، كما وصف نفسه سلام الله عليه، عندما كان يقول:«اسالوني قبل ان تفقدوني فلأنا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض»[١]. وهذا كناية عن علمه بعالم الملكوت والاحاطة به والتحقق فيه والطرق الموصلة اليه، وكيف يستطيع احد رسم هذهِ الصورة للعرفان الحقيقي غير امير المؤمنينعليه السلام العارف الحقيقي بالله تعالى ، ولذلك قالعليه السلام: «قد أحيا عقله، وأمات نفسه، حتى دق جليله ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك بهِ السبيل، وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة، ودار الإقامةِ، وثبتت رجلاهُ بطمأنينة بدنهِ في قرار الأمن والراحةِ بما استعمله قلبه وأرضى ربهُ»[٢].

وفي هذا الكلام الصادر من سيد العرفاء وامام الموحدين المولى علي ابن ابي طالبعليه السلام الذي اسس المنهج الصحيح والقويم لعلم العرفان كنوز عظيمة سوف نتعرض لها ضمن فصول، وسوف نتناول في هذا الفصل وهو

(١) نهج البلاغة: ٢: ١٣٠ .

(٢) نهج البلاغة: ٢: ٢٠٤.

الثاني شرح قوله عليه السلام (قد أحيا عقله) ونبين ما فيها من اسرار عرفانيّة ومطالب عالية على ان نتناول سائر الفقرات بالشرح في الفصلين الآتيين وسيكون ترتيب الأبحاث في هذا الفصل كما يلي:

المبحث الاول: العقل لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: مراتب العقل النظري والعملي

المبحث الثالث: أهمية العقل

المبحث الرابع: المراد من أحياء العقل في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

المبحث الخامس: روافد العقل

المبحث السادس: امور لها مدخلية في زيادة العقول

المبحث السابع: أسباب موت العقل

المبحث الثامن: أسباب أخرى ذكرتها الروايات مما تفسد العقل

المبحث الاول

العقل لغة واصطلاحا

المطلب الأول: العقل لغة واصطلاحا

(أ) العقل لغة:

العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس.

«يقال: اعتقل الرجل، إذا حبس.ومرض فلان، فاعتقل لسانه، إذا امتنع عن الكلام، فلم يقدر عليه

ومنه قول ذي الرمة

ومعتقل اللسان بغير خبل .... يميد كأنه رجل أميم[١].

وإنما أطلقوا على الدية، وأدائها عقلا؛ لأن الإبل كانت تعقل – تحبس – بفناء ولي المقتول[٢].

ومن هذا الباب قول النبيﷺ لصاحب الناقة «اعقلها وتوكل»[٣].

---

(١) لسان العرب: ١١: ٤٥٩

(٢) الصحاح: ٥: ١٧٦٩

(٣) سنن الترمذي: الترمذي: ٤: ٧٧

وذلك الحبل الذي تعقل به الناقة يقال له العقال، والجمع عقل[١].

وإنما يعقل البعير لحبسه، ومنعه من الهرب، والشرود.

«والعقيلة هي كريمة الحي، وسميت بذلك لحبسها نفسها في بيتها.

قال الشاعر:

عقيلة أخدان لها لا دميمة ولا ذات خلق أن تأملت جأنب [٢]

وخلاصة القول: أن العقل في اللغة يطلق على المنع والحبس.

ووجه تسمية العقل بهذا الاسم: كونه يمنع صاحبه عن التورط في المهالك، ويحبسه عن ذميم القول والفعل[٣].

(ب) العقل اصطلاحا

يمكن تعريف العقل :هوالجوهر المجرد،المدرك للكليات والحقائق،والمستنبط للآراء والأفكار والمميز بين الحق والباطل.

وهناك عدة تعريفات نقلها العلامة المجلسي (رض).

الأول: هو قوة أدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب الأمور وذوات الأسباب وما يؤدي إليها وما يمنع منها، والعقل بهذا المعنى مناط التكليف والثواب والعقاب.

الثاني: العقل ـ ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخير والنفع واجتناب الشرور والمضار وبها تقوي النفس على زجر الدواعي الشهوانية

---

(١) الصحاح: ٥: ١٧٧١

(٢) غريب الحديث: الحربي: ٣: ١٢٣٣

(٣) معجم مقاييس اللغة:أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا: ٤: ٦٩

والغضبية والوساوس الشيطانية.

الثالث: العقل القوة التي يستعملها الناس في نظام أمور معاشهم فإن وافقت قانون الشرع واستعملت فيما استحسنه الشارع تسمى بعقل المعاش.

وإذا استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى النكراء والشيطنة في لسان الشرع »[١].

كما في الحديث المروي عن الإمام الصادقعليه السلام عندما سئل عن العقل ـ قال: ما عُبدَ بهِ الرحمن واكتسب بهِ الجنان ـ قال: فالذي كان في معاوية قال: تلك النكراء تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل)[٢].

المطلب الثاني : تفسير آخر للعقل باعتبار قوته النظرية والعملية

ذكر العلماء ان العقل ينقسم الى العقل النظري والعقل العملي وذكر العلماء إن هناك، رأيين في مسألة الفرق بين العقل النظري والعقل العملي.

الرأي الأول: وقد ذهب إليه جماعة من الفلاسفة إلى عدم الفرق بين العقلين وأن أحدهما عين الأخر إذ كلاهما علامٌ درَّاك وإنما الاختلاف في المدركات وبعبارة أوضح إن هناك شيئاً واحداً وهو تلك القوة المدركة التي تدرك نحوين من المدركات.

١. نحو هو عبارة عن قضايا تتناول الواقع بما هو من دون أن تستدعي

(١) بحار الانوار: العلامة المجلسي: ١: ١٠١، ١٠٢ .

(٢) الكافي:الشيخ الكليني: ١: ١١ .

جرياً عملياً على وفقها، وذلك كعلمنا بأن الكل أكبر من الجزء، أو كعلمنا بالسماء أو الأرض، فهذهِ القوة عندما تدرك هذا النحو من المدركات تسمى عقلاً نظرياً[١].

٢. نحو آخر من مدركاتنا وعلومنا وهو عبارة عن قضايا وأفكار تستلزم جرياً عملياً على وقفها ـ كعلمنا بأن الصدق حسن مثلاً، والكذب قبيح. فإن القوة التي أدركت ذلك النحو من القضايا هي نفسها التي تدرك هذا النحو من القضايا ها هنا فتسمى عندها بالعقل العملي وقد ذهب الى هذا الرأي الفارابي والشيخ الرئيس إبن سينا في الإشارات[٢].

الرأي الثاني: يرى إتباع هذا الرأي إن العقل النظري قوة تقوم بدور الإدراك ـ بينما العقل العملي قوة تقوم بدور البعث والتحريك فهما قوتان متغايرتان والكاشف عن تغايرهما هو الآثار الصادرة عن كل منهما ـ فالإدراك أثر يغاير البعث والتحريك والبعث والتحريك أثر يغاير الإدراك فما يكون دراكاً لا يكون عمالاً وما يكون عمالاً لا يكون دراكاً، أذن كلاهما يختلفان وقوتان منفصلتان)[٣].

المطلب الثالث: الفرق بين العقل النظري والعقل العملي

بناءً على الرأي الأول:

أولاً: وظيفة العقل النظري إدراك ما هو موجود،بحيث لا يقتضي جريا

---

(١) بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: ١٤٠ .

(٢) بحوث في علم النفس الفلسفي: ١٤٠ .

(٣) المصدر نفسه: ١٤١ .

عمليا ، كقولنا الله موجود، الله عالم، الملائكة موجودة وبتعبير مختصر فيما ينبغي أن يعلم، ولا يقتضي جربا عمليا على وفقه ، بينما ادراكات العقل العملي وهي فيما ينبغي أن يعمل، ويقتضي جريا عمليا على وفقه ـ مثل الصدق حسن والكذب قبيح تأتي هذهِ القوة وتقول لتلح عليه بفعل الصدق وترك الكذب.

ثانياً: الإفراط والتفريط حكمان لمدركات العقل العملي حيث يوجد منها إفراط تارة وتفريط ثانية ووسط ثالثة، فالإنسان تارة يكون جباناً وأخرى يكون متهوراً وثالثه يكون شجاعاً والأولان مذمومان بينما الثالث ممدوح ومطلوب وليس كذلك بالنسبة لمدركات العقل النظري،حيث نجد أن المطلوب هو الإفراط في الحكمة النظرية[1].ودليله الأوامر بطلب الاستزادة قال تعالى :﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[2].

وكذلك عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام« يقول إنا لنزاد في الليل والنهار ولو لم نزد لنفذ ما عندنا»[3].

ثالثاً: مدركات العقل النظري لا تختص بالإنسان بل تعم غيره كالملائكة مثلاً بخلاف مدركات العقل العملي حيث تختص بالإنسان، وهذا العقل مرتبط بأفعال الإنسان الاختيارية لا مطلق الأفعال كأفعال المعدة مثلاً[4].

---

(١) بحوث في علم النفس: كمال الحيدري: ١٤٩ .

(٢) سورة طه : الاية ١١٤ .

(٣) بحارالانوار: ١٨: ٢٧٠ .

(٤) بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: ١٤٩.

المبحث الثاني

مراتب العقل النظري والعملي

المطلب الأول: مراتب العقل النظري

المرتبة الأولى: مرتبة العقل الهيولاني

وهي المرتبة التي تكون فيها النفس خالية عن جميع المعقولات، كما في قوله تعالى ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً﴾[١].

كالتي عند الأطفال، ولكن لها استعداد الإدراك، والاستعداد نحو من الوجود والفعلية[٢].

المرتبة الثانية: مرتبة العقل بالملكة

وهي المرتبة التي تصل فيها النفس إلى تعقل البديهيات الأولية الست[٣] .والتي يصعب زوالها من النفس، ولذا سميت بالملكة حيث أنها شديدة الرسوخ والثبات في النفس.

والبديهيات الأولية الست هذهِ:

---

(١) سورة النحل : الاية ٧٨ .

(٢) انظر المواقف: الإيجي: ٢: ٨٣

(٣) انظر كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي: ٢٥١ .

أولاً: الأوليات

وهي قضايا يصدق بها العقل لذاتها أي بدون سبب خارج عن ذاتها بأن يكون تصور الطرفين مَعَ توجه النفس الى النسبة بينهما كافياً للحكم والجزم بصدق القضية[(١)].

وهذا مثل قولنا:الكل أعظم من الجزء ، والواحد نصف الاثنين، و النقيضان لا يجتمعان .

ثانياً: المشاهدات

وتسمى أيضاً المحسوسات وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة الحس[(٢)]. ولا يكفي فيها تصور الطرفين مع النسبة، ولذا قيل مَنْ فقد حساً فقد فقد علماً. والحس على قسمين

أ- حس ظاهر: وهو البصر والسمع والذوق والشم واللمس والقضايا المتيقنة بواسطة الحس تسمى (حسيات) كالحكم بأن الشمس مضيئة، وهذهِ النار حارة وهذهِ الثمرة حلوة وهذهِ الوردة طيبة الرائحة.

ب- وحَس باطن: والقضايا المتيقنة بواسطته ِتسمى (وجدانيات) كالعلم بأن لنا فكرةً وخوفاً وألماً ولذةً وجوعاً وعطشاً ونحو ذلك[(٣)].

---

(١) المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: ٣٢٨ .

(٢) إن قيل بأن العقل لا يدرك الجزئيات ـ وإنما يدرك الكليات قلنا إن العقل يدرك الجزئيات بواسطة استعمال آله إدراكية كالحاسة الظاهرة أو الباطنية فهو يدرك إن هذا الجسم ابيض بواسطة البصر وهذا حلو بواسطة الذوق وهذا صوت جميل بواسطة السمع وهكذا ..... الخ.

(٣) المنطق: الشيخ المظفر: ٣٣٠.

ثالثاً: التجريبيات أو (المجربات)

وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة تكرر التجربة المشاهدة منا في إحساسنا فيحصل بتكرار المشاهدة ما يوجب أن يرسخ في النفس حكم لا شك فيه، كالحكم بأن كل نار حارة وأن الجسم يتمدد بالحرارة.

ففي المثال الأخير، عندما نجرب أنواع الجسم المختلفة من حديد ونحاس وحجر وغيرها مرات متعددة، نجدها تتمدد بالحرارة، فإنا نجزم جزماً باتاً بأن ارتفاع درجة حرارة الجسم من شأنها أن تؤثر التمدد في حجم الجسم، كما إن هبوط الحرارة يؤثر التقلص في الجسم، وأكثر مسائل العلوم الطبيعية والكيمياء والطب من نوع المجربات[١].

رابعاً: المتواترات

وهي القضايا التي تسكن إليها النفس سكوناً يزول معه الشك ويحصل الجزم القاطع وذلك بواسطة إخبار جماعة يمتنع تواطؤهم على الكذب ويمتنع أتفاق خطئهم في فهم الحادثة، كعلمنا بنزول القرآن على النبيصَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَآلِه وعلمنا بوجود البلدان النائية[٢]، وهذهِ أمثلة وليست حصرية.

خامساً: الحدسيات

«وهي قضايا مبدأ الحكم بها حدس قوي يزول معه الشك كعلم الصانع باتقان فعلهِ فانا لما شاهدنا أن أفعاله محكمة متقنة حكمنا بأنه عالم

(١) المنطق : المظفر : ٣٣١ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٣٣ .

حكماً حدسياً)[١].

«وكذلك حكمنا بأن الأرض كروية أو على هيئة الكرة وذلك لمشاهدة السفن في البحر أول ما يبدوا أعاليها ثم تظهر بالتدرج كلما قربت من الشاطئ »[٢].

سادساً: الفطريات

«وهي القضايا التي قياساتها معها أي إن العقل لا يصدق بها بمجرد تصور طرفيها كالأوليات، بل لا بد لها من وسط إلا إن هذا الوسط ليس مما يذهب عن الذهن حتى يحتاج إلى طلب وفكر، مثل حكمنا بأن الاثنين خمس العشرةِ فإن هذا حكم بديهي إلا إنه معلوم بوسط لأن الاثنين عدد قد انقسمت العشرة إليه والى أربعة أقسام أخرى كل منها يساويه وكل ما ينقسم عدد إليه والى أربعة أقسام أخرى منها يساويه فهو خمس ذلك العدد فالاثنان خمس العشرة »[٣].

وكذلك مثال آخر «تكون الأربعة زوجاً لأنها تنقسم إلى المتساويين وكل منقسم إلى متساويين زوج » ومثل هذا القياس حاضر في الذهن لا يحتاج إلى كسب ونظر.

المرتبة الثالثة: مرتبة العقل بالفعل

«وهي تعقله النظريات بتوسيط البديهيات وإن كانت مرتبة بعضها

---

(١) كتاب المواقف: الايجي: ١: ١٩٧ .

(٢) المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: ٣٣٥ .

(٣) المنطق – المظفر –: ٣٣٧ .

على بعض »[١].

ويقصد هنا إن تعقل الأمور النظرية يكون بالاستناد إلى البديهيات، فالبديهي سابق والنظري لاحق ،أي أن العقل ابتداءً يصدق بالبديهي ثم بعد ذلك يصدق بالنظري بالاستناد إلى البديهي.

وتفسير آخر للعقل بالفعل: «وهي ان تصل فيها النفس إلى مستوى من الاشتداد والقوة والاقتدار، بحيث تستنبط النظريات وتتعقلها من البديهيات ثم تحتفظ بها إلى حين الحاجة إليها، فإذا احتاجت إليها استحضرتها من دون حاجة إلى كسب جديد، فهي إن شاءت علمت وإن شاءت لم تعلم »[٢].

ويوجد تفسير أوضح أشار إليه صاحب بحار الأنوار المجلسي:

«أن العقل بالفعل هو القوي والمقتدر على استحضار النظريات متى شاء من غير افتقار إلى كسب جديد، لكونها مكتسبه مخزونة تحضر بمجرد الالتفات، بمنزلة القادر على الكتابة حين لا يكتب وله أن يكتب متى شاء »[٣].

وكذلك أشار ملا صدرا الى العقل بالفعل: «إن العقل بالفعل هي حصول النظريات متى شاءَت النفس استحضرتها بمجرد الالتفات وتوجه النفس إليها »[٤].

وذكر صدرا المتألهين (رض): «إن العقل بالفعل لا يحدث إلا في قليل

---

(١) بداية الحكمة: السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٨١ .

(٢) بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: ١٥٥ .

(٣) بحار الانوار: ٥٨: ١١٩ .

(٤) الاسفار العقلية الاربعة: صدر الدين الشيرازي: ٤: ٤٢٠ .

من أفراد البشر وهم العرفاء والمؤمنون حقاً بالله وملائكته وكتبه ورسلهِ واليوم الأخر »[١].

المرتبة الرابعة: مرتبة العقل المستفاد

قال صاحب المواقف اللايجي: «العقل المستفاد وهو أن يحضر عندهُ النظريات بحيث لا تغيب عنه وهل يمكن ذلك والإنسان في جلباب بدنهِ أم لا فيه تردد »[٢].

وقال العلامة الحلي: العقل المستفاد، «وهو حصول العقول اليقينية والعلوم مشاهدة كالصورة في المرأة وهي غاية الكمال وإلى هذهِ القوة أشار أمير المؤمنين عليه السلام، لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا »[٣] والغطاء هو البدن كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[٤].

وقال العارف ابن ميثم البحراني: في شرحه لهذه الكلمة(لو كشف الغطاء......) ان الامام عليه السلام «يريد الإشارة إلى أمر وهو أنه مطلعٌ بقوتهِ القدسية على الأطوار الماورائية متصلٌ بالملأ الاعلى مرتوي بالكأس الأوفى مشاهد لأمور تعجز عن إدراكها الأوهام وتكل عن بيانها العبارات والإفهام مبتهجة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى أنه لو فارق الدنيا وفارقت النفس البدن لما

---

(١) كتاب المشاعر: ملاصدرا الدين الشيرازي: ١١٨ .

(٢) المواقف: اللايجي: ٢: ٨٣ .

(٣) كتاب الالفين: العلامة الحلي: ١٢٦

(٤) سورة ق : الاية ٢٢ .

زاد ذلك الاستغراق وتلك المشاهدة على ما كان قبل المفارقة »[١].

وقال صدر الدين الشيرازي«قدس» في شان العقل المستفاد[٢].: «والغرض من الانسان العقل المستفاد والذي هو معرفة الله تعالى عزّ وجلّ والانخراط في سلك المهيمنيين والعبودية الذاتية التي هي الفناء في الحق الاول:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٣].

وقال السيد كمال الحيدري : «العقل المستفاد: هي المرتبة التي تبلغ فيها النفس من الشدة والاقتدار بحيث لا يغيب عن صفحتها شيء فهي في هذه المرتبة مظهرٌ لـ (لا يشغله شأن عن شأن) لا تشغلها الارتباطات وإن كثرت وتشابكت وتعقدت عن هذهِ المدركات الماثلة الراسخة في صفحتها »[٤].

ثم يستطرد قائلاً ويقول :هل لهذا الاسم ظل ومظهر في عالم الدنيا أم لا وإن كانت موجودة في النشأة الآخرة وهذا مما لاشك فيه .

«وفي مقام الجواب: إن هذهِ المرتبة موجودة في نشأتنا لكنها للإنسان الكامل لا لأي إنسان ولكنها ليست موجودة في تمام حالاتهِ حيث يشغله شأن عن الشأن الإلهي كتبليغ الإحكام، وكذلك المباحات مثل الأكل والشرب وغيرها ولعل هذا الانشغال هو الذي يدعوهم للاستغفار بحرارة وحرقة، لأنهم يرون أن من هو في مقامهم لا ينبغي أن ينشغل عنه تعالى وبعبارة أدق إن من حق الله عليهم أن لا ينشغلوا عنه طرفة عين أبداً حتى

(١) شرح مائة كلمة لامير المؤمنين عليه السلام: ابن هيثم البحراني: ٥٤ .

(٢) المبدأ والمعاد: صدر الدين محمد الشيرازي: ٣٨٢ .

(٣) سورة الذاريات : الاية ٥٦ .

(٤) بحوث في علم النفس الفلسفي:كمال الحيدري: ١٥٥ .

ولو بإدارة أبدانهم وقضاء حاجات الناس فإذا ما انشغلوا بهذا رأوه خطيئة يستحقون عليها العقوبة »[١].

ولعل ذلك أشارة الى هذا الحديث:«حسنات الإبرار سيئات المقربين»[٢]. ولذلك يقفون بين يدي الله مستغفرين وقد ورد عن النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ «إنه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»[٣].

وهكذا نجد أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ في دعاء كميل يقول:«اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، اللهم اغفر لي كل ذنب أذنبته، وكل خطيئة أخطاتها»[٤].

وهكذا نجد الإمام الكاظمعَلَيْهِالسَّلَامُ يبكي ويستغفر ويعتذر ويطلب العفو من الله تعالى.

عن علي بن الحكم عن محمد بن سليمان عن أبيه قال، خرجت مَعَ أبي الحسن موسى بن جعفرعَلَيْهِالسَّلَامُ إلى بعض أموالهِ فقام إلى صلاة الظهر فلما فرغ خر لله ساجداً فسمعته يقول بصوت حزين وتغرغرت دموعه (رب

---

(١) انظر المصدر نفسه: ١٥٦ .

(٢) اختلف الناقلون لهذا الحديث بعضهم يرونه بعنوان صدوره من النبي كما (عن ابن العربي ج١: تفسير ابن العربي: ٢٤٩) وبعضهم عده كلام أحد الصوفية وهو أبي سعيد الخراز كما ينقل ذلك (العجلوني في كشف الخفاء مصادر الحديث السنية ج١ ص٣٥٧) .

(٣) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٥: ٣٢٠ .

(٤) مصباح المجتهد: الشيخ الطوسي: ٨٤٤

عصيتك بلساني، وعزتك لو شئت لاصممتني، وعصيتك بيدي، ولو شئت وعزتك لكنعتني، وعصيتك برجلي، ولو شئت وعزتك لجذمتني، وعصيتك بفرجي، ولو شئت وعزتك لعقمتني، وعصيتك بجميع جوارحي، التي أنعمت بها علي، وليس هذا جزاؤك مني. ثم أحصيت له ألف مرة وهو يقول «العفو العفو» قال: ثم ألصق خده الأيمن بالأرض، فسمعته وهو يقول: بصوت حزين بؤت إليك بذنبي، عملت سوءً، وظلمت نفسي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب غيرك يا مولاي. ثم ألصق خده الأيسر بالأرض فسمعته يقول «أرحم من أساء واقترف واستكان واعترف»[(١)].

وهكذا الإمام السجاد(ع) في مناجاة التائبين: «إلهِي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي، وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي، فَأَحْيِه بِتَوْبَة مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي، وَيا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي، فَوَعِزَّتِكَ ما أَجِدُ لِذُنُوبِي سِواكَ غافِراً»[(٢)].

وكذلك كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «عظم الذنب من عندك، فليحسن العفو من عندك»[(٣)].

وهناك الكثير من الأدعية والاستغفار وردت عن أهل البيت عليهم السلام بهذا المضمون.

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٣: ٣٢٦

(٢) الصحيفة السجادية: ٤٠١ .

(٣) المصدر نفسه: ٥٣١ .

المطلب الثاني : مراتب العقل العملي

المرتبة الأولى:

(تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية)[١].

وكذلك يعبر عن هذهِ المرتبة بمصطلح آخر وهو التجلية[٢]. وهذه المرتبة وهي مرتبة استعمال الشرائع، والالتزام بالإحكام الشرعية لابدّ منها ابتداءً واستدامةً كما عليه الأنبياء والأولياء والصالحين. فالنبيﷺ كان يقوم على أطراف أصابعهِ في صلاتهِ.

عن أبي جعفرعليه السلام كان رسول اللهﷺ عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لمَ تتعب نفسك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً قال وكان رسول اللهﷺ يقوم على أطراف أصابعهِ، فأنزل الله سبحانه وتعالى:﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[٣].[٤]. فلا يتوهم متوهم إن العبد يحتاج الى العبادة في بداية الطريق إلى الله وإما إذا وصل الى مرحلة الطهارة الروحية والكمال، بعدها لا يحتاج الى العبادة؟ هذا وهم ابليس اللعين،يوهم به بعض الجهلة.

المرتبة الثانية:

«تهذيب الباطن من الملكات الردية بقطع آثار شواغلها عن التوجه الى

---

(١) حقائق الأعيان: الشهيد الثاني:تحقيق: السيد مهدي الرجائي: ١٤١ .

(٢) شرح الأسماء الحسنى: الملا هادى السبزواري: ٢: ١١٢

(٣) حقائق الأعيان: الشهيد الثاني:تحقيق: السيد مهدي الرجائي: ١٤١ .

(٤) سورة طه : الاية ٢١ .

عالم الغيب »[١]. «ويعبر عن هذهِ المرتبة بالتخلية »[٢]. أيضاً وهي تخلية النفس وتفريغها من الأخلاق والصفات الخسيسة ،الحسد، الكذب، البخل، الرياء، النفاق وهكذا، وذلك من خلال الكف عن الإعمال التي أورثت مثل هذا الصفات والقيام بالإعمال تورث ضدها. فلكي يخلو قلب الإنسان من صفة البخل لا بدّ أن ينزع من ذهنهِ الصورة التي تزين له هذهِ الصفة وهي حب المال وجمع المال وصرف المال على الحاجات أفضل من إعطائهِ إلى الآخرين وهكذا. وأن يستبدل بها صورة أخرى تحبب له العطاء والبذل وتزينه له حتى يندفع لكي يجسد هذه الصورة خارجاً وواقعاً حياً.

المرتبة الثالثة:

وهو تجلي النفس بالصور القدسية[٣].

ويعبر عن هذه المرتبة بـ (التحلية) «وهي عملية زرع الملكات الحسنة بعد أن مهدت الأرض لنشوئها وترعرعها إذ لا يمكن أن تنمو الملكة نمواً واعداً بثمار وغلال إذا زرعت في أرض مليئة بالأعشاب الضارة »[٤]. ويمكن أن يعبر عن هذه المرتبة بمرتبة التخلق بأخلاق الله تعالى كما في الحديث المروي «تخلقوا بأخلاق الله»[٥].

---

(١) حقائق الاعيان: الشهيد الثاني: ١٤١ .

(٢) شرح اصول الكافي: مولى محمد صالح المازندراني: ٣: ٨٢.

(٣) حقائق الأعيان: الشهيد الثاني: ١٤١ .

(٤) بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: ١٦٠.

(٥) بحار الانوار: العلامة المجلسي: ٥٨: ١٢٩.

وقال الأخلاقي الكبير المولى محمد مهدي النراقي:

«ثم ما لم تحصل التخلية لم تحصل التحلية ولم تستعد النفس للفيوضات القدسية، كما إن المرآة ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد لارتسام الصور فيها، والبدن ما لم تزل عنه العلة لم تتصور له إفاضة الصحة، والثوب ما لم ينق عن الأوساخ لم يقبل لوناً من الألوان، فالمواضبة على الطاعات الظاهرة لا تنفع ما لم تتطهر النفس من الصفات المذمومة كالكذب والحسد والرياء وطلب الرئاسة والعلى وإرادة السوء للأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفي العباد وأي فائدة في تزيين الظواهر مَعَ إهمال البواطن، ثم إذا تخلت النفس عن مساوئ الأخلاق وتحلت بمعاليها استعدت لقبول الفيض من رب الأرباب»(١) .

المرتبة الرابعة:

«ما يتجلى له عقيب اكتساب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكليه، وملاحظة جلال الله تعالى وجمالهِ وقصر النظر على كمالهِ، حتى لا يرى لأحد قدرة في جنب قدرتهِ ولا علماً في جنب علمهِ، بل كل وجود وكمال إنما هو فائض عن جنب قدسهِ ووجودهِ »(٢).

وكذلك يعبر عن هذهِ المرتبة بمرتبة الفناء.

وللفناء أقسام: (٣).

---

(١) جامع السعادات:النراقي: ١: ٣٦.

(٢) حقائق الاعيان: الشهيد الثاني: ١٤١ .

(٣) انظر : الفتوحات المكية :ابن العربي :ج ٢ :ص ٣٨٨ و ٥٥٣ و٥٥٤ .

القسم الأول: المحق. وهو أن يصل العارف بالله تعالى، درجة لا يشاهد عندها إلا وجود الحق، وهو التوحيد الشهودي، حيث لا يرى العارف بالله، ولا يشاهد غيره موجوداً ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [١].

القسم الثاني: المحو. وهو يتحقق بوصول العارف إلى مقام لا يرى فعلاً إلا وينسبه أولاً إلى الله تعالى، ثم لنفسهِ بحولٍ منه وقوة فيكون مصداق لقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[٢]. وقوله عليه السلام (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٣] ، وهذا مفاد نظرية الأمر بين الأمرين الذي قال بها الإمام الصادق(ع)[٤].

القسم الثالث: الطمس. وهنا العارف لا يرى كمالاً ولا جمالاً ولا صفة حُسنِ إلا ويراها صفة له تعالى. فالتقوى عند العرفاء في هذا المقام هو أن يتقي العارف نسبة أي صفة حسنة إليه لأنه مختص بهِ تعالى وهي مرتبة عليا لا يصل إليها إلا كل ذي حظٍ عظيم ».

---

(١) سورة الحشر: الاية ٢٢.

(٢) سورة الأنفال : الاية ١٧ .

(٣) المحاسن: ١: ٩، وانظرالصحيفة السجادية: ٦٥.

(٤) (لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين) .

المبحث الثالث

أهمية العقل

لم يستطع أحدٌ أن يقوّم العقل الإنساني ويعطيه حقّه ودوره الطبيعي في حياة الإنسان كما قوّمه الإسلام واهتم بتنميته وتنظيم نشاطه، فقد هبط الإسلام والتفكير أداته والعقل موضع خطابه ونفذ إلى النفوس والبرهان بابه... بابه المفتوح على رحاب العلم والمعرفة وطريقه الممهد إلى العقول الواعية المستنيرة، لذلك نادى الإسلام بتحرير العقل ودعاه إلى ممارسة دوره بهداية البشرية وإصلاح حياتها، وكم حفل القرآن الكريم والسُنَّة النبوية الشريفة بالإشادة بدور العقل والتفكير، فقد مجّد القرآن العقل، وخاطب ذوي العقول وذمّ أولئك الذين لم يستعملوا عقولهم. وسوف نتعرض في أهمية العقل الى عدة مطالب.

المطلب الاول: اهمية العقل في القرآن

لو رجعنا الى القران الكريم، نجد هناك ايات كثيرة جدا في القران الكريم تتحدث عن اهمية العقل ودوره في الرفض والقبول ،فالعاقل من يقبل الايمان ويتحرك من اجل التغيير ويقبل باحكام الله تعالى، ولذا نجد ان الله تعالى يمدح هؤلاء ، واما الجاهل والذي لا عقل له فانه يرفض الايمان ويرفض الاحكام ولذا نجد القران يذمهم .

١. قال تعالى:﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[١] .

في هذه الاية يبشر الله تعالى أولي الألباب والعقول، الذين لا يكتفون بترجيح الجيد على السيئ،وإنما ينتخبون الأحسن فالأحسن، من كل قول ورأي .

٢. وقال تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢] .

يشير الله تعالى إلى خلق السموات والأرض الدالة على علمه وقدرتهِ ووحدانيتهِ وما في هذا العالم من عجائب وغرائب وهذهِ العلامات تثير اهتمام من له عقل ،ولا تثير اهتمام الغافلين الصم البكم العمى الذين لا يعقلون.

٣. وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٣] .

وفي هذه الاية يذكر الله تعالى خصيصة من خصائص أولي الألباب،وهي أنهم عندما ينظرون إلى خلق السموات والأرض يذكرون الله

---

(١) سورة الزمر : الاية من ١٧ الى ١٨ .

(٢) سورة البقرة: الاية ١٦٤ .

(٣) سورة آل عمران : الاية من ١٩٠ الى ١٩١ .

تعالى ويتوسلون إلى الله تعالى بفكاك رقابهم من النار، وهذا دليل معرفتهم بالله تعالى .

«عن عطاء بن رباح قال: قلت لعائشة: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله قالت وأي شأن لم يكن عجباً، أنه أتاني ليلة فدخل معي في لحافي ثم قال ذريني أتعبد لربي، فقام فتوضأ ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره فركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال؟ أفلا أكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل الله علي هذهِ الليلة »[١] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[٢] .

٤.وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٣].

وفي هذه الاية الكريمة بيان لغاية خلق الانسان وهو وصوله الى المعرفة النابعة عن التعقل في الامور ،وليس الفوضوية .

---

(١) الدر المنثور: جلال الدين السيوطي: ٢: ١١١ .

(٢) سورة آل عمران : الاية من الاية ١٩١ الى ١٩٠ .

(٣) سورة غافر : الاية ٦٧ .

يقول الطباطبائي في تفسير هذه الاية :« ان الله تعالى يشير في كتابهِ العزيز إن الغاية من خلق الإنسان هي الوصول الى العقل والتعقل الذي بهِ الوصول إلى معرفة الله تعالى »[١].

٥- وقال تعالى:﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٢].

وهذهِ الآية تشير إلى أن أهم الأسس في عملية التعقل والعقلانية هو العلم ،ولا شك المقصود هو العلم الصحيح المأخوذ من أهله وليس العلم .

وقد ورد عن الإمام الصادقعليه السلام:(كثرة النظر في العلم يفتح العقل)[٣].

٦- وقال تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[٤].

وهذه الآية: يشير الله تبارك وتعالى بمدح ذوي العقول لأنهم يستفيدون من قصص الماضين، فكيف إذا كانت القصص يقصها الله تبارك وتعالى، وما بالك إذا كانت هذهِ القصص شخوصها الأنبياءعليهم السلام،فسوف يكون التأثير أشد على ذوي العقول بخلاف القصص الخيالية التي لا يكون لها مثل ذلك التأثير على السامع.

٧- قوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٥].

---

(١) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ١٧: ٣٤٧ .

(٢) سورة العمكبوت : الاية ٤٣ .

(٣) الدعوات: قطب الدين الراوندي: ٢٢١.

(٤) سورة يوسف : الاية ١١١ .

(٥) سورة البقرة : الاية ١٧٩ .

تبين هذهِ الآية: إن القصاص ليس انتقاماً، بل السبيل إلى ضمان حياة الناس وهذا الخطاب خصه الله تبارك وتعالى لذوي العقول، لأنهم هم الذين سوف يستفيدون منه، ويقبلونه، بخلاف غير العقلاء فانهم سوف يرفضونه لانهم يتصورون إن القصاص عملية فيها انتقام وقسوة، ولم يدركوا إن القصاص فيه حياة للمجتمع والافراد.

٨- وقال تعالى: ﴿خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى واتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[١].

٩- قوله تعالى: (يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٢].

١٠- وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[٣].

١١- وقال تعالى:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾[٤].

١٢- وقال تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[٥].

١٣- وقال تعالى:﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ

---

(١) سورة البقرة : الاية ١٩٧ .

(٢) سورة البقرة ٢٦٩ .

(٣) سورة آل عمران : الاية ٧ .

(٤) سورة ص : الاية ٤٢ .

(٥) سورة غافر: الاية ٥٤ .

أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[١].

وفي مجموع هذهِ الآيات المباركة ذكر الله تعالى أولي الألباب وإنهم الذين يستفيدون من التذكر والذكر والتفكر .

وفي قبال هذهِ الآيات الكريمة المباركة، هناك آيات ذم الله تعالى فيها الذين لا يعقلون والذين لا يستفيدون من الآيات والعلامات، والذين يعملون خلاف ما يقولون والذين أحبوا الدنيا وفضلوها على الآخرة، وإليك بعض هذهِ الآيات:

١- قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٢].

الآية تشير الى مسألة تربويه مهمة وخطيرة على أساسها يكون التأثير وعدمها لا يكون التغيير والتأثير، وهو إن الإنسان الذي يريد أن يأمر الناس بالخير والمعروف عليه أن يمارس الخير والمعروف أولاً، وإلا فالذي يأمر بالخير ولا يأتي بهِ هذا من عدم العقل، ولذلك أنبياء الله وأولياء الله تعالى، لأنهم يتمتعون بالعقل الكامل تراهم لا يقولون شيئاً ويخالفونه أو لا يعملون بهِ، لأن هذا من القبيح عقلا.

قال تعالى، حكاية عن نبيه شعيبعليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾[٣].

---

(١) سورة ص : الاية ٢٩ .

(٢) سورة البقرة : الاية ٤٤ .

(٣) سورة هود : الاية ٨٨ .

قال أبو الأسود الدؤلي[١] في هذا المعنى:

يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدا بنفسك فانهها عن غيها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى بالعلم منك وينفع التعليم
تصف الدواء لذي السقام من الظنى كي ما يصح بهِ وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا نصحاً وأنت من الرشاد عقيم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم[٢]

٢- قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[٣].

في هذهِ الآية وضوح في ذم الذين لا يعقلون فإتباعهم تكريس للجهل والضلال.

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾[٤].

في هذه الآية المباركة يبين الله تعالى إن صدور هذهِ الأفعال من هؤلاء فيها دلالة واضحة على عدم تعقلهم ووجود العقل لديهم. وإلا الصلاة هي

---

(١) أبو الاسود الدؤلي كان من أصحاب أمير المؤمنين وقد أخذ النحو عن الامام علي عليه السلام وبثه في الناس لما رأى الناس أصبحت تلحن في كلامها .

(٢) اعيان الشيعة: محسن الامين: ٧: ٤٠.

(٣) سورة البقرة : الاية ١٧٠ .

(٤) سورة المائدة : الاية ٥٨ .

من أحسن الإعمال الى الله تعالى، كما ورد في الحديث عن النبيﷺ: «الصلاة خير موضوع»[١] وكذلك: «الصلاة معراج المؤمن»[٢].

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٣].

مقام النبيﷺ، مقام عظيم ومنزلته رفيعة، ولذلك من الأدب أن يتأدب الإنسان في محضر النبي صلى الله عليه واله، ولا يتكلم بكلام اويصيح بصوت يقلل من قدر النبيﷺ «وهؤلاء خرجوا عن الأدب ولذا وصفهم الله تبارك وتعالى بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مكانة ومنزلة النبيﷺ، فهم بمنزلة البهائم »[٤].

٥- قوله تعالى ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[٥].

٦- قوله تعالى ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٦]

٧- قوله تعالى:﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٥: ٢٤٨ ..

(٢) مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي الخازي الشاهروردي: ٦: ٣٤٣ .

(٣) سورة الحجرات : الاية ٤ .

(٤) تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي: ٩: ٢١٨ .

(٥) سورة الحشر : الاية ١٤ .

(٦) سورة الفرقان : الاية ٤٤ .

يَعْقِلُونَ﴾[١].

٨- قوله تعالى:﴿وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

٩- قوله تعالى:﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٣].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[٤].

١١- قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٥].

وعلى هذا فالعقل من أفضل وأحسن النعم الإلهية على الإنسان ولكن هذا العقل إذا عدم سوف يؤدي بالإنسان إلى الكفر والفسوق والعصيان وعدم الاستفادة من الموعظة والذكرى والتذكير فيصبح هذا الإنسان بالتالي لا فائدة فيه فيكون كالبهائم بل أسوأ من البهائم.

المطلب الثاني: اهمية العقل في السنة

١ – عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي

---

(١) سورة الانفال : الاية ٢٢ .

(٢) سورة المائدة : الاية ١٠٣ .

(٣) سورة البقرة : الاية ١٧٧ .

(٤) سورة الانعام : الاية ٣٢ .

(٥) سورة يونس : الاية ١٠٠ .

ما خلقت خلقا ً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب »[١].

٢- عن الأصبغ بن نباته، عن علي عليه السلام قال: «هبط جبرئيل على آدم عليه السلام فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟ فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: إني قد اخترت العقل فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما وعرج »[٢].

٣- عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن محمد بن سليمان الديلمي، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: فلان من عبادته ودينه وفضله؟ فقال: كيف عقله؟ قلت: لا أدري، فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلا من بني إسرائيل كان يعبد الله في جزيرة من جزائر البحر، خضراء نضرة، كثيرة الشجر ظاهرة الماء وإن ملكا ً من الملائكة مر به فقال يا رب أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله تعالى ذلك، فاستقله الملك، فأوحى الله تعالى إليه: أن اصحبه فأتاه الملك في صوره إنسي فقال له: من أنت؟ قال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك في هذا المكان فأتيتك لأعبد الله معك، فكان معه يومه ذلك فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزه، وما يصلح إلا للعبادة، فقال له العابد: إن لمكاننا هذا عيبا ً فقال له: وما هو؟ قال: ليس لربنا بهيمة فلو كان له حمار رعيناه في هذا الموضع، فإن هذا الحشيش يضيع، فقال له ذلك الملك: وما لربك حمار؟ فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذا

---

(١) الكافي: ١: ١٠.

(٢) الكافي: ١: ١٠.

الحشيش، فأوحى الله إلى الملك: إنما أثيبه على قدر عقله»[١].

٤- عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: " يا هشام ! إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول".

٥- قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام: إن أول الأمور ومبدأها وقوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء إلا به العقل الذي جعله الله زينة لخلقه، ونورا لهم، فبالعقل عرف العباد خالقهم، وأنهم مخلوقون وأنه المدبر لهم، وأنهم المدبرون، وأنه الباقي، وهم الفانون واستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في سمائه وأرضه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وبان له ولهم ـ أي للعقل وللعباد ـ خالقا ومدبرا لم يزل، ولا يزول، وعرفوا به الحسن من القبيح وأن الظلمة في الجهل، وأن النور في العلم، فهذا ما دلهم عليه العقل »[٢].

٦- وقال صلى الله عليه وآله عن العقل (قسم العقل على ثلاثة أجزاء، فمن كانت فيه كمل عقله، ومن لم تكن فيه فلا عقل له: - حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة له، وحسن الصبر على أمره)[٣].

٧- قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له»[٤].

---

(١) الكافي: ١: ١٢.

(٢) الكافي:١: ٢٩.

(٣) الخصال: الشيخ الصدوق: ١٠٢.

(٤) تحف العقول:ابن شعبة الحراني: ٥٤.

المبحث الرابع

المراد من أحياء العقل في كلام الامام عليه السلام

المطلب الأول: المراد من احياء العقل : أحياء العقل النظري والعملي

مراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، والله العالم، هو أحياء العقل النظري والعملي، وحاكمية العقل في مملكة الانسان لكي يصل الانسان الى مراتب الكمال المعنوي والقرب الالهي ،ومرتبة الانسان الكامل ،وقهر النفس الامارةبالسوء واخضاعها لحاكمية العقل والشرع، كما سوف نتعرض الى ذلك في الفصل اللاحق، وقهر ارادة وسلطنة الشيطان،واخراجه من هذه المملكة الكبيرة. باعتبار ان الانسان مملكة كبيرة وعظيمة كما يعبر ذلك سيد الحكماء وامام العارفين امير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

دوائك فيك وما تشعر ... ودائك منك وما تبصر

فأنت الكتاب المبين الذي ... بأحرفه يظهر المضمر(١)

فالشيطان يريد اغواء الانسان واسقاطه واضلاله، حتى لا يعبد الله تعالى في هذا العالم وفي هذا الوجود. فالشيطان له وجود وليس كما يتصور هو محض خيال في هذا العالم. وقد عصى الله تعالى وطلب من الله تعالى النظرة ﴿قَالَ

---

(١) شرح فصوص الحكم: محمد داوود قيصري رومي: ٩١.

أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ، قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١]

وقد حذرنا الله تعالى منه في القران العزيز

قال تعالى :﴿يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]

وكما في حديث النبي صلى الله عليه وآله «الشيطان يجري من أبن آدم مجرى الدم»[٣].

غايات الشيطان وأهدافه:

١- السوء والفحشاء والمنكر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[٤]

٢- إيقاع الناس في الكفر:

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

---

(١) سورة الاعراف:الاية من ١٥، الى ١٧ .

(٢) سورة الأعراف:الاية ٢٧ .

(٣) نيل الأوطار: الشوكاني: ٦: ٣٦٨.

(٤) سورة البقرة: الاية ١٦٨.

لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً﴾[١] والمعنى أنه يقول: أرأيتك هذا الذي شرفته وعظمته علي، لئن أنظرتني لأضلن ذرّيته إلا قليلاً منهم " وقد أقسم الشيطان على غايته هذه فقال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢] .

٣- الصد عن سبيل الله:

﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[٣]

﴿وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾[٤]

﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾[٥]

٤- الصد عن الصلاة وذكر الله:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾[٦]

٥- كسب المال وإنفاقه بالحرام:

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

---

(١) سورة الإسراء:الاية٦٢ .

(٢) سورة ص :الاية ٨٢ .

(٣) سورة النمل : الاية ٢٤ .

(٤) سورة العنكبوت : الاية ٣٨ .

(٥) سورة الزخرف :الاية ٣٦ .

(٦) سورة المائدة : الاية ٩١ .

وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً﴾ (١)

٦- التبذير والآسراف:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾(٢)

المطلب الثاني: ما قاله شراح نهج البلاغة في هذه الفقرة (قد أحيا عقله)

١- قال ابن ميثم البحراني(٣): «أقول هذا الفصل من أجل كلام له في

(١) سورة الاسراء :الاية ٦٤ .

(٢) سورة الاسراء : الاية ٢٧ .

(٣) ولد ابن ميثم البحراني سنة ٦٣٦ هـ وتوفي سنة ٦٩٩ هـ . وكانت ولادته في أواخر عصر المستنصر بالله العباسي: وله شروح على نهج البلاغة ،كبير ومتوسط وصغير ، «في كتاب الكني والالقاب للشيخ عباس القمي، ج١ ص٤٣٣قال عنه «العالم الرباني والفيلسوف المتبحر المحقق والحكيم المتأله المدقق جامع المعقول والمنقول استاذ العقلاء الفحول صاحب الشروح على نهج البلاغة))

هناك قصه لطيفة في طرائف المقال: البروجروي ج٢ ص ٤٥٠ «إنه كان في أوائل حاله معتكف في تحقيق العلوم فكتب اليه مجموعة من العلماء العراق والحلة، يلومونه على ذلك، فكتب اليهم:

طلبت فنون العلم أبغي بها العلى فقصر بي عما سموت بها القل

تبين لي إن المحاسن كلها فروع وإن المال فيها هو الاصل

فلما وصلت هذه الابيات هم قالوا له (إنك أخطأت خطأ ظاهراً وحكمك باصالة المال عجيب فكتب في جوابهم هذه الأبيات:

فقلت قول امرأ حكيماً ما المرءُ إلا بدر هميه ومن لم يكن درهم لديه لم تلتفت عرسه إليه

وصف السالك المحقق إلى الله، وفي كيفية سلوكهِ المحقق، وأفضل أموره، فأشار بأحياء عقلهِ الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والإخلاص وإحياء عقله النظري والعملي »[١].

٢- وقال العلامة الخوئي[٢] :« اعلم إن هذا الكلام على غاية وجازتهِ جامع لجميع صفات العارف الكامل ولكيفية سلوكه ولعمري إنه لا يوجد

ثم بعد ذلك ذهب بنفسه الى العراق لزيارة المقدسات ولبس ملابس عتيقة رثه ودخل مدارس العراق المشحونة بالعلماء فجلس قرب النعل وسلم فلم يرد عليه أحد، وفي إثناء بحثهم وقعت لهم مسأله عويصه اجابهم بتسعة أجوبه في غاية الجودة والدقة فقال بعضهم بطريق السخرية هل انت طالب علم ثم بعد ذلك حضر الطعام فلم يؤاكلوه بل أفردوا له ماعون لوحدهِ.

وفي اليوم الثاني جاء اليهم وقد لبس ملابس فاخرة وعمامة كبيرة وهيئة رائعة واجتهدوا في تكريمه وتوقيره، فلما شرعوا بالمباحثة تكلم معهم أجوبه عليله لاوجه لها عقلاً ولا شرعاً فقبلوا كلماته بالتحسين أحسنتم، والتسليم والاذعان فلما حضرت مائدة الطعام فالقى الشيخ كمه، وقال كل يا كمي، فتعجبوا من ذلك، وقالوا لماذا يا شيخ تفعل ذلك قال لأنكم جئتم بهذا الأطعمة لأجل أكمامي الواسعة لا لأجل نفسي القدسيه اللامعة والا فأنا صاحبكم بالامس جئتكم بصورة وسجية العلماء واليوم جئتكم بلباس الجبارين وتكلمت بكلام الجاهلين، وأنا صاحب الأبيات التي أرسلتها إليكم وقابلتوهما بالتخطأة، فاعترفوا بخطأهم واعتذروا بما صدر منهم .

(١) المصباح شرح كبير لنهج البلاغة: ابن ميثم البحراني: مجلد ٤: ٥٣ .

(٢) «العلامة السيد حبيب الله ابن السيد محمد امين الموسوي الخوئي المتوفي سنه (١٣٢٤هـ) هاجر الى العتبات المقدسة وبعد ذلك رجع الى ايران ليطبع المجلد الاول منه لكن لم يمهله الاجل ومات ودفن في احدى حجر الصحن في مشهد عبد العظيم الحسني في طهران، الذريعة – آقابزرك الطهراني – ج١٤ – ص ١٤٢)) .

كلام أوجز من هذا الكلام في أداء هذا المعنى، وهو في الحقيقة قطب دائرة العرفان وعليه مدارها،وشرحه يحتاج الى بسط في المقال بتوفيق الرب المتعال فأقوال مستعيناً بالله وبوليه عليه السلام قوله عليه السلام:«قد أحيا عقله، المراد بعقلهِ العقل النظري، والعقل العملي»[١].

٣- قال ابن أبي الحديد المعتزلي المدائني[٢]: «يصف العارف ـ يقول قد أحيا عقله بمعرفة الحق سبحانه»[٣].

٤-وقال محمد جواد مغنية[٤]: «يطلب الإمام عليه السلام أن يكون كل مسلم صورة مثلى للإسلام على طراز هذا المسلم الذي وصفه بقوله (قد أحيا عقله) بمعرفة الله ودينهِ وشريعتهِ»[٥].

ولا يخفى عليكم إن ابن أبي الحديد المعتزلي ومحمد جواد مغنية تعرض إلى النتيجة ولم يتعرضا إلى السبب فإن اللازم من إحياء العقل النظري والعملي هو المعرفة بالله تعالى.

٥- وقال المجلسي صاحب البحار:«إحياء العقل بتحصيل المعارف الربانية وتسليط العقل على الشيطان والنفس الإمارة»[٦].

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: العلامة الخوئي: ١٤: ١٩٢.

(٢) ولد سنة (٥٨٦ هـ) وتوفي سنة (٦٥٥ هـ) ببغداد صاحب أهم الشروحات القديمة على نهج البلاغة.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١١: ١٢٧ .

(٤) المولود سنه (١٣٢٢ هـ) والمتوفى (١٤٠٠ هـ) في لبنان.

(٥) في ضلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: ٣: ٢٨٤ .

(٦) بحار الأنوار: ٦٦: ٣١٦ .

المبحث الخامس

روافد العقل

الرافد الاول: الوحي

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الوحي لغة واصطلاحا

(أ) الوحي لغة[١].:«أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل وحي، وقد يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون لصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل قوله تعالى عن زكريا«فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً»[٢].

وقال ابن منظور:(الوحي – الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي وكل ما القيته إلى غيرك، ويقال وحيتُ إليه الكلام وأوصيت، ووحي وحياً، وأوحى أيضاً أي كتب)[٣].

وخلاصة كلام أهل اللغة إن الوحي هو الإعلام بخفاء بطريق من الطرق .

(ب) المعنى الاصطلاحي: الوحي: معناه: أن يُعلِم الله – تعالى – مَن اصطفاه مَن عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن

---

(١) المفردات: الراغب: ٥١٥ .

(٢) سورة مريم : الاية ١١ .

(٣) لسان العرب: ١٥: ٣٧٩ .

بطريقة سرِّيَّة خفيَّة غير معتادة للبشر، ويكون على أنواعٍ شتى.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[(١)].

المطلب الثاني: الوحي في القران

يمكن القول ان وجوها ذكرت لكلمة الوحي في القران وهي:

١- الإرسال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾[(٢)].وقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾[(٣)].

٢- الإشارة: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[(٤)].

٣- الإدراك الغريزي: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[(٥)].

٤- الإلهام والإلقاء في القلب.يقول تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [(٦)]. إيقاع شيء في القلب يطمئنٌّ له الصدر، ويخص به بعض أصفيائه وهذا خاصٌّ بالبشر.

٥- الأمر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾[(٧)].

٦- القول: والكلام المباشر: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾[(١)].

---

(١) سورة الشورى : الاية ٥١ .

(٢) سورة النساء: الاية ١٦٣ .

(٣) سورة الأنعام: الاية ١٩ .

(٤) سورة مريم:الاية ١١ .

(٥) سورة النحل: الاية ٦٨ .

(٦) سورة القصص : الاية ٧ .

(٧) سورة الزلزلة : الاية من ٤ الى ٥ .

٧- تقدير الخلقة. قال تعالى: (وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا) [٢].

٨- الإعلام: بالإلقاء في الروع وهو خاص بالأنبياء: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا) [٣].

٩- الألقاءات الشيطانية.يقول تعالى:﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾[٤].

المطلب الثالث: حاجة العقل الى الوحي

فلأنّه من الثابت أنّ الهدف من خلق الإنسان هو معرفة اللّه، والعبادة، كما يقول تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»[٥]. وتكامله الروحي والمعنوي. وحتى هذه الغاية عرفناها من الوحي، اذ لولا الوحي ما عرفنا الغاية من خلقنا .ومن البديهي أنّ الوصول إلى هذا الهدف وتحصيل تلك الغاية المهمة لا يتسنّى للعقل ان يصل اليها مهما أُوتي من قدرة على الفهم الإدراك والتعقل ولذا فهناك حاجة ضرورية لمصدر اخر من المعرفة يتعدى طور العقل للوصول الى الغاية الا وهو الوحي ونستطيع ان نجمل اهم الخصائص في الوحي بما يلي:

اولا: ان الوحي مصدره الله تعالى وعلى هذا الاساس، العلم المأخوذ من الوحي له قيمةً أساسية وكبرى بين غيره من العلوم، ويكسِبه مركز الثقة

---

(١) سورة النجم : الاية ١٠ .

(٢) سورة فصلت : الاية ١٢ .

(٣) سورة الشورى : الاية ٥١ .

(٤) سورة الانعام : الاية ١١٢ .

(٥) سورة الذاريات : الاية ٥٦ .

ومحور اليقين فيكون معياراً لغيره في الخطأ والصواب، والكذب والصدق، والحق والباطل؛ أي: هو المرجع والمعيار للحقيقة والحق، وهو الحكم.

يقول تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾[١].

ثانيا: المجال غيبي: هناك جوانبُ لا يدركها العقل، ولا تَصِل لها الحواسُّ، ويختصُّ بنقلها الوحي؛ كالذات الإلهية وأسمائها وصفاتها وأفعالها؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]. والمشيئة الإلهية: ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[٣]. ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾[٤]. وعالم الغيب لا يُعلَم منه شيء إلا بإذنه، ولا نعلم تفاصيله إلا من الوحي: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾[٥].

وكذلك اختيار الله تعالى لانبيائه واوليائه والائمة لا يمكن للعقل الوصول اليه الا عبر الوحي ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٦]. ﴿اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٧].

---

(١) سورة الاحقاف : الاية ٩ .

(٢) سورة الشورى : الاية ١١ .

(٣) سورة آل عمران : الاية ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران : الاية٤٧ .

(٥) سورة الجن : الاية من ٢٦ الى ٢٧ .

(٦) سورة القصص : الاية ٦٨ .

(٧) سورة الانعام : الاية ١٢٤ .

ثالثا: الحاجة إلى الوحي في التشريع[1]: وإذا كان الإنسان عارفا بأن له ربا وحده، فمقتضيات هذه الوحدانية في الاعتقاد وجود احكام له وتشريعات معينة ومحدودة ومفصلة ومقسمة وموقتة، وقوانين ونظم تنظم بها حياته الفردية والأسرية، وتقوم بها حياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية. والتزام بأخلاق معينة تنبثق من ذلك التصور وتحوط تلك النظم في تعامله معها.

وهنا نقول فأنى للعقل أن يعرفها أو أن يدعى بأنه يستطيع أن يقدم فيها معرفة سليمة شافية وافية موحدة؟ومن ثم فإنه لا يعلم حقيقتها وحقيقة ما يلزم الإنسان منها إلا الله سبحانه، خالق الإنسان والأشياء جميعا وهو يقرر ذلك فيقول:«أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»[2].

ويقول تعالى:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[3].

الرافد الثاني: العلم

وفيه عدة مطالب:

---

(١) وكذلك يقول تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ) الشورى١٣.

(٢) سورة الملك : الاية ١٤ .

(٣) سورة الشورى : الاية ٧ .

المطلب الاول: العلم لغة واصطلاحا

(أ) العلم لغةً: والعلم نقيض الجهل[١].

يقال علم علماً، بفتحةٍ وكسرة، أي حصلت له حقيقة العلم يقال علم الشيء .أي عرفه، وتيقنه، وإدراكه .ويقال أعلمه الأمر، وبالأمر، أي أطلعه عليه فيكون العلم: الحقيقة، المعرفة، اليقين، الإدراك ولهذا قيل أن العلم هو الإدراك الجازم المطابق للواقع.

(ب) العلم اصطلاحا (أو هو إدراك الشيء بحقيقته، وذلك ضربان: أحدهما إدارك ذات الشئ. والثاني الحكم على الشئ بوجود شيء هو موجود له أو نفى شيء هو منفى عنه)[٢] والعلم مطلقاً: هو مطلق الإدراك الذي يشمل التصور والتصديق.

٣- وقال الحكماء والمناطقة، العلم (حضور صورة الشيء عند العقل)[٣].

المطلب الثاني: فضل العلم في القران

يقول تعالى: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤].

وضع الله العلماء إلى جانب الملائكة وهذا بذاتهِ تمييز العلماء على غيرهم. وامتاز العلماء على غيرهم لأنهم توصلوا إلى معرفة الحقائق وعلى

---

(١) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا: ٤: ١١٠.

(٢) المفردات: الراغب الاصفهاني: ٣٤٣.

(٣) المنطق: للشيخ المظفر: ١٣.

(٤) سورة آل عمران : الاية ١٨ .

رأسها معرفة وحدانية الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١].

بفضل العلم رفع الله تعالى آدم على الملائكة وجعلهم يسجدون له.

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾[٨].

---

(١) سورة البقرة : الاية ٣١ .

(٢) سورة النمل : الاية ٤٠ .

(٣) سورة الرعد : الاية ٤٣ .

(٤) سورة العنكبوت : الاية ٤٣ .

(٥) سورة ال عمران : الاية ٧ .

(٦) سورة الزمر : الاية ٩ .

(٧) سورة النحل : الاية ٤٣ .

(٨) سورة فاطر : الاية ٢٨ .

وقال تعالى: حكاية عن يوسف ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[(٤)].

المطلب الثالث: فضل العلم في السنة

١- يقول النبيصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إنّ الله يحب بغاة العلم»[(٥)].

٢- وقالصَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بهِ وأنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظٍ وافرٍ»[(٦)].

---

(١) سورة يوسف : الاية ٣٧ .

(٢) سورة البقرة : الاية ٢٦٩ .

(٣) سورة البقرة : الاية ٢٤٧ .

(٤) سورة المجادلة : الاية ١١ .

(٥) الكافي: ١ :٣٠.

(٦) المصدر نفسه: ١: ٣٤.

٣- دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد فإذا جماعة قد طافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل علامة ـ فقال وما العلامة؟ فقالوا اعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية، الله عليه واله إنما العلم ثلاثة آية محكمة، أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل»[١].

أية محكمة غير مجمله أو فريضة عادلة ـ العلم بالواجبات ـ أو سنة قائمة يعني السنة التي لا يطرأ عليها تغيير.

٤- وعنه صلى الله عليه وآله: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[٢].

٥- وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله «يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح عليهم مداد العلماء على دماء الشهداء»[٣].

٤- وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «فضل العلم أحب إلى الله من فضل العبادة وأفضل دينكم الورع»[٤].

٥- وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «رأس الفضائل العلم غاية الفضائل العلم»[٥].

٦- وكذلك عن الإمام عليه السلام: «يتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالأموال والأصول»[٦].

(١) الكافي : ١ :٣٢.

(٢) ميزان الحكمة: ٣: ٢٠٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣: ٢٠٦٣.

(٤) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام:الشيخ هادي ألنجفي: ١٢: ١٥٠.

(٥) ميزان الحكمة: ٣: ٢٠٦٣.

(٦) المصدر نفسه: ٣: ٢٠٦٣.

٧- الإمام الباقر(ع): «إن قلباً ليس فيه شيء من العلم كالبيت الخراب الذي لا عامر له»[١].

١٠- يا كميل «هلك خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر» [٢].

١١- عن النبي محمدﷺ «من خرج من بيتهِ ليلتمس باباًمن العلم لينتفع بهِ ويعلمه غيره كتب الله له بكل خطوه عبادة الف سنة صيامها وقيامها»[٣].

المطلب الرابع: ما ورد في الشعر في مدح العلم

العلم زين وتشريف لصاحبهِ ... فاطلب هديت فنون العلم والادبا

لا خير فيمن له أصل بلا أدب ... حتى يكون على من زانه حدبا

يا طالبِ العلم نعم الشيء تطلبه ... لا تعدلن بهِ ورقاً ولا ذهباً

فالعلم كنز وذخر لا تعادله ... نعم القرين إذا ما عاقلاً صحبا[٤]

وينسب الى عليعليه السلام:

ما الفضل الا لأهل العلم أنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء

ووزن كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء

---

(١) ميزان الحكمة: ٣: ٢٠٦٣.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ٤: ٣٦.

(٣) بحار الأنوار: ١: ١٧٧.

(٤) نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ٧: ٥٢.

ففز بعلم ولا تجهل به أبدا   الناس موتى وأهل العلم أحياء[(١)]

وقال أخر:

العلم أنفس شيء أنت ذاخرة   من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده   فأول العلم إقبال وآخره[(٢)]

قال الأصمعي: رآني أعرابي وأنا اطلب العلم فقال يا أخا الحضر عليك بلزوم ما أنت عليه فإن العلم زين في المجالس وصلة الإخوان وصاحب في الغربة ودليل على المروءَة.

ثم أنشأ يقول:

تعلم فليس المرءُ يخلق عالماً   وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده   صغير إذا التفت عليه المحافل[(٣)]

وقال آخر:

تعلم فإن العلم زينٌ لأهلهِ   وفضل وعنوان لكل المحامد

تفقه فإن الفقه أفضل قائد   إلى البر والتقوىوأعدل قاصد

فإن فقيهاً واحدا متورعاً أشد   على الشيطان من ألف عابد

أسمع حديثاً قاله المصطفى   بوجهِ إعلامِ وتبيين

إذا أراد الله خير امرئٍ   فقهه في العلم والدين[(٤)]

---

(١) الدر المختار: الحصكفي: ١ :٤٣.

(٢) نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ٧: ٥١.

(٣) تاريخ دمشق: ابن عساكر: ٣٧ :٦٢.

(٤) شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام: حسن السيد علي القبانچي: ٥٠٧.

وقال أخر:

وفي الجهل قبل الموت موتٌ لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور
وكل امرئٍ لم يحيي بالعلم ميت وليس له حتى النشور نشور[١]

وقال آخر:

أخو العلم حيٌ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يعد من الإحياء وهو عديم[٢]

وقال عبد المنعم الفرطوسي:

خلد لنفسك مجداً فيه تذكر فالعين تفنى ويبقى بعدها الأثر
والنفس ينشر بالإعمالِ جوهرها إذا انطوت هذهِ الإعراض والصور
والعلم أطيب بذر أنت تغرسه بتربةِ النفس كيما يحسن الثمر
مصباح نور بهِ تهدي النفوس إذا أضلها غلس الجهل معتكر
يثقف العقل في أدوار نشأتهِ والعقل كالطفل للتثقيف مفتقرُ
وصاحب العلم يثرى حين ينفقه وصاحب المال بالإنفاق يفتقرُ
فأين غيب قارون وزينتهِ وأين منه كنوز ليس تنحصر
في حين خلد لقمان بحكمته وأظهرت فضله الآيات والسور[٣]

---

(١)شرح رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين عليه السلام: حسن السيد علي القبانچي: ٥٠٩.

(٢) الكنى والالقاب: عباس القمي: ١: ٣١٨.

(٣) شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين: حسن السيد علي القبانجي: ٥١٥.

المطلب الخامس: العلاقة بين العقل والعلم

لا شك ان العقل والعلم تؤمان، لا يستغني احدهما عن الاخر في تكامل الانسان والوصول بالانسان الى معرفة الاشياء، فالعقل من اجل تكامله يحتاج دائما الى العلم، لان العقل لا يولد العلم وانما العقل المحل والقابل لاستقبال العلم والمعرفة والا لو كان العقل يولد العلم لما تعلم الأنبياء عليهم السلام، باعتبار انهم اكمل العقلاء في الدنيا، بل دائما كانوا يطلبون الزيادة من الله تعالى كما في هذه الاية المباركة: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ طه١١٤.

ويروى عن المفضل قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم وكان لا يكنيني قبل ذلك، يا أبا عبد الله، فقلت لبيك جعلت فداك، قال: إن لنا في كل ليلة جمعة سرورا، قلت زادك الله، وما ذاك، قال: إنه إذا كان ليلة الجمعة وافا رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة معه، ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا الا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[(١)].

ولذا وردت الروايات عن أهل بيت العصمة عليهم السلام.

تشير إلى هذه الحقيقة وهو أن العقل يحتاج إلى العلم بل لاغنى للعقل عن العلم.

١- عن الإمام علي عليه السلام: «العلم مصباح العقل»[(٢)].

٢- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «كثرة النظر في العلم يفتح العقل»[(٣)].

---

(١) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار: ١٥٠.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق: ١: ٧٤.

(٣) كتاب الدعوات: قطب الدين الراوندي: . ص٣٢١.

٣- وعن الإمام علي عليه السلام: «العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب»[١].

٤-و عن الإمام علي عليه السلام: «أنك موزون بعقلك فزكه بالعلم»[٢].

٥- وعن الإمام علي عليه السلام: «أعون الأشياء على تزكية العقل التعليم»[٣].

٦- وعن الإمام علي عليه السلام: «العلم يزيد العاقل عقلاً»[٤].

٧- وعن الإمام الرضا عليه السلام: «من أبصر فهم ومن فهم عقل»[٥].

الرافد الثالث: التجارب

وفيه عدة مطالب:

المطلب الاول: التجربة لغة واصطلاحا

(أ)جمع تجربة.وهي لغة جَرَّبَهُ تَجْرِبَةً اخْتَبَرَهُ. ورَجُلٌ مُجَرَّبٌ، كَمُعَظَّمٍ بُلِيَ ما كان عِنْدَهُ.

ومُجَرِّبٌ: عَرَفَ الْأُمورَ[٦].

والمجرب مثل المجرس والمضرس: الذي قد جربته الأمور وأحكمته[٧].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي الواسطي: ٥٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٧٥: ٦ .

(٥) العدد القوية:علي بن يوسف الحلي: ٣٠٠.

(٦) القاموس المحيط: الفيروز ابادي: ١ : ٤٥.

(٧) الصحاح: الجوهري: ١: ٩٨.

(ب)تعريف التجربة اصطلاحا: وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة تكرار المشاهدة منافي إحساسنا فيحصل بتكرر المشاهدة ما يوجب رسوخ حكم لا شك فيه، كالحكم بأن النار حارة، وأن الجسم يتمدد بالحرارة، ففي المثال الأخير عندما نجرب أنواع الجسم المختلفة: من حديد ونحاس وحجر وغيرها مراتٍ متعددة، ونجدها تتمدد بالحرارة فإنا نجزم جزماً باتاً بأن ارتفاع درجة حرارة الجسم من شأنها أن تؤثر التمدد في حجمهِ، كما أن هبوطها يؤثر التقلص فيه.

وأكثر مسائل العلوم الطبيعية والكيمياء والطب من نوع المجربات(١).

المطلب الثاني: موضوع التجربة

هناك الكثير في حياتنا أشياء خاضعة للتجربة، وليس فقط في العلوم الطبيعية والطبية والكيميائية، حتى السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والحوادث التاريخية، والمكان والزمان والأشخاص، والدعاء. فمثلا

١- الدعاء: مثلاً ينقل السيد ابن طاووس (قدس) دعاء مجرب في سعة الرزق «حدثني إنه وصل بغداد فقيراً في حال سيئة لا يملك شيئاً من حطام الدنيا فبقي على ذلك مدة فضاق ذرعاً بما هو فيه فألهم دعاءً فكان يدعو به في كل يوم ويواظب عليه فيسر الله له الرزق وسهلت أسبابهِ، وذكر إنه صار ذا ثروة ويسار وتجمل وعقار فسألته عن الدعاء وقد ذكر «اللهم يا سبب من لا سبب له، يا سبب كل ذي سبب، يا مسبب الأسباب من غير سبب صلى على محمد وآل محمد وأغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يا

---

(١) المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: ٣٣٠، ٣٣١ .

حي يا قيوم صلى على محمد وآل محمد وتب علي يا كريم واغفر لي يا حليم وتقبل مني وأسمع دعائي ولا تعرض عني فإني عبدك وابن عبدك وابن أمتك فقير بين يديك سائلك ببابك واقف بفنائك أرجو منك وأطلب ما عندك وأستفتح من خزائنك، سبحانك أنت الله العظيم الحليم الجواد الكريم جد عليَّ من فضلك وتكرم من رحمتك وتب عليَّ يا سيدي توبة تصوماً فإني أستغفرك وأتوب إليك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

٢- وكذلك هناك استغفار من المجربات يذكره صاحب مفاتيح الجنان، والاستمرار عليه لمدة شهرين كاملين " ٤٠٠ مره في اليوم" يفتح الله على الإنسان أما مالاً كثيراً أو علماً كثيراً وهذا الاستغفار: «أستغفر الله الذي لا آله إلا هو الرحمن الرحيم بديع السموات والأرض من جميع ظلمي وجرمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه»[٢].

وهذا تصديقاً لقوله تعالى ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[٣].

وكذلك هناك بعض الظواهر ـ تعتبر من المجربات:

١- العطاس، أذا شخص يعطس وأنت تخرج .

٢- حركة رموش العين.

---

(١) المجتبى من دعاء المجتبى: السيد بن طاووس: ١١٠ـ ١١١.

(٢) مفاتيح الجنان: عباس القمي: الباقيات الصالحات: ١٨٩.

(٣) سورة نوح : الاية من ٩ الى ١١ .

٣- صوت الغراب. قال الشاعر:

راعني يا زيد صوت الغراب بجذاري للبين من أحبابي
يا بلائي ويا تقلقل أحشائي وتعسي لطائر نعاب
أفصح البين بالنعيب وما أفصح لي في نعيبه بالإياب
فاستهلت مدامعي جزعا منه بدمع ينهل بالتسكاب
ومنعت الرقاد حتى كأني أرمد العين أو كحلت بصاب
قلت للقلب إذ طوى وصل سعدى لهواه البعيد بالأنساب
أنت مثل الذي يقر من القطر حذار الندى إلى الميزاب[١]

٤- الإنسان أحياناً يخرج من البيت، ربما القميص، أو الثوب، أو العباءة، يلزم في باب المنزل، وهذا ربما يشير الى شيء ما سوف يحصل، وهذا خاضع إلى التجربة، وربما كل انسان عنده تجربة خاصة في حياته .

حكي: أنه اتفق ذلك لمروج هذا العلم، بل محييه "نصير الملة والدين" حيث نزل في بعض أسفاره على طحان، له طاحونة خارج البلد، فلما دخل منزله صعد السطح لحرارة الهواء، فقال له صاحب المنزل: انزل ونم في البيت تحفظا من المطر، فنظر المحقق إلى الأوضاع الفلكية، فلم ير شيئا فيما هو مظنة للتأثير في المطر، فقال صاحب المنزل: إن لي كلبا ينزل في كل ليلة يحس المطر فيها إلى البيت، فلم يقبل منه المحقق ذلك، وبات فوق السطح، فجاءه المطر في الليل، وتعجب المحقق »[٢].

---

(١) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: ٦: ٢٥٤.

(٢) كتاب المكاسب: الشيخ الأنصاري: ١: ٢٠٣ - ٢٠٥.

المطلب الثالث: أهمية التجربة

لا شك إن التجربة مهمة للعقل إذ انها عملية استفادة من المعلومات السابقة سواء كان في الجانب السلبي او الايجابي.

ولذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «رأي الشيخ أحب إلي من جلد الغلام»[(١)].

قال أمير المؤمنين ذلك لأن الشيخ كثير التجربة فيبلغ من العدو برأيه ما لا يبلغ بشجاعتهِ الغلام الحدث غير المجرب، لأنه قد يغرر بنفسهِ فيهلك ويهلك أصحابهِ.

ولذا قال أبو الطيب:

الرأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرةٍ ... بلغت من العلياء كل مكان[(٢)]

عن إسحاق ابن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤونة، جيد التدبير لمعيشته، لا يلسع من جحر مرتين»[(٣)].

عندما أسر بعض المشركين ومنهم أبو عزة الجمحي يوم بدر، فقال: يا محمد أني ذو عيله فامنن عليه، على أن لا أعود إلى القتال، فمر إلى مكة فقال سخرت بمحمد فأطلقني، وعاد إلى القتال يوم أحد، فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يفلت فوقع في الأسر، فقال، أني ذو عيله فأمنن علي، فقال

---

(١) نهج البلاغة: محمد عبده: ٤: ١٩٠.

(٢) يتيمة الدهر:الثعالبي: ١ :٢١٧.

(٣) الكافي: الشيخ الكليني: ٢: ٢٤١.

«أمن عليك حتى ترجع إلى مكة، فتقول في نادي قريش سخرت بمحمد، لا يلسع المؤمن في جحر مرتين وقتله بيده»[١].

المطلب الرابع: حاجة العقل للتجربة

لا شك ان العقل كما يحتاج الى الوحي والعلم في تكامله هناك رافد اخر للعقل لا يستغني العقل عنه وهو رافد التجربه .فزيادة تجارب الانسان في حياته الاجتماعيه والطبيعيه والاقتصادية والسياسية وهكذا ....الخ. تعطيه زيادة في التكامل العقلي وكيفية التعامل مع الاحداث والامور في اكثر جوانب الحياة.

وهذه الأحاديث الصادرة من المعصومين تشير إلى ذلك.

١- عن الإمام علي عليه السلام: «العقل غريزة تزيد بالعلم والتجارب»[٢].

٢- وعنه عليه السلام: «العقل غريزة تربيها التجارب»[٣].

٣- وعنه عليه السلام: «التجارب لا تنقضي والعاقل منها في زيادة»[٤].

٤- وعنه عليه السلام: «العقل حفظ التجارب»[٥].

٥- وعنه عليه السلام: «حفظ التجارب رأس العقل»[٦].

٦- وعنه عليه السلام: «لولا التجارب عميت المذاهب، وفي التجارب علم

---

(١) عوالي اللئالي:ابن أبي جمهور الأحسائي: ١: ٢٢٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي الواسطي: ٥٢.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٢٠: ٣٤١.

(٤) ميزان الحكمة:محمد الريشهري: ١: ٣٧٧.

(٥) المصدر نفسه:١ : ٣٧٧ .

(٦) المصدر نفسه: ١ : ٣٧٧.

مستأنف»[١].

٧- وعنهعليه السلام: «العاقل من وعظته التجارب»[٢].

٨- وعن الإمام الحسينعليه السلام: «طول التجارب زيادة في العقل»[٣].

(١) ميزان الحكمة : ١ : ٣٧٧

(٢) ميزان الحكمة:١ : ٣٧٧

(٣) المصدر نفسه:١ : ٣٧٧.

المبحث السادس

أمور لها مدخلية في زيادة العقول

أولا: المشورة

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول»[١].

ثانيا: التقوى

عن السيد بن طاووس: وجدتُ في كتاب عليه مكتوب (سنن إدريس) وكان فيه: اعلموا واستيقنوا أن تقوى الله هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى والسبب الداعي إلى الخير والفاتح لأبواب الخير والفهم والعقل»[٢].

ثالثا: مجاهدة النفس

عن الإمام علي عليه السلام: «جاهد شهوتك وغالب غضبك وخالف سوء عادتك تزك نفسك ويكمل عقلك وتستكمل ثواب ربك»[٣].

---

(١) موسوعة أحاديث اهل البيت عليهم السلام: الشيخ هادي النجفي: ١٠: ٢٢٦.

(٢) كتاب سعد السعود: السيد بن طاووس: ٣٩.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي: ٢٢٢.

رابعا: ذكر الله تعالى

وعن الإمام علي عليه السلام: «الذكر نور العقل وحياة النفوس وجلاء الصدور»[١].

وكذلك قوله عليه السلام: «من كثر ذكر الله استنار لبه»[٢].

خامسا: مجالسة الحكماء

عن الإمام علي عليه السلام: «جالس الحكماء يكمل عقلك»[٣].

وكذلك عن الإمام علي عليه السلام: «مجالسة الحكماء حياة العقول وشفاء النفوس»[٤].

سادسا: الاستعانة بالله تعالى

دعاء الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم أرزقني عقلاً كاملاً وعزماً ثاقباً ولباً راجحاً وقلب زكياً وعلماً كثيراً وأدباً بارعاً وأجعل ذلك كله لي ولا تجعله علي برحمتك يا أرحم الراحمين»[٥].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ الصفحة الأولى: ٦٠.

(٢) ميزان الحكمة: ٢: ٩٧٠.

(٣) موسوعة أحاديث اهل البيت عليهم السلام: ١: ٢٢٦.

(٤) ميزان الحكمة: ٢: ٤٠٢.

(٥) مستدرك الوسائل: الميرزا ألنوري: ١٠: ٢٢٣.

المبحث السابع

أسباب موت العقل

أولا: الهوى

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: الهوى لغة واصطلاحا

(أ) الهوى لغة:

بالتحريك مصدر من هوى وهَوى النفسِ إِرادتها والجمع الأَهْواء قال اللغويون الهَوَى محبةُ الإِنسان الشيء وغَلَبَتُه على قلبه قال الله عز وجل ونَهى النفْسَ عن الهَوى معناه نَهاها عن شَهَواتِها وما تدعو إِليه من معاصي الله عز وجل[١].

(ب) الهوى اصطلاحا:

وقال شارح أصول الكافي: (الهوى ميل النفس إلى مشتهياتها والوغول فيها وصرف الفكر في تحصيلها يوجب الغفلة عن ذكر الله والإعراض عن أمر الاخرة وموت القلب وفساد الدين والبعد من الله والعاقل يحذر من الهوى كما يحذر من الأعداء بل ضرر الهوى أعظم من ضرر الأعداء[٢].

وقال صاحب شرح الصحيفة السجادية (رياض السالكين):

---

(١) لسان العرب: ١٥ :٣٧٢.

(٢) شرح أصول لكافي: مولى محمد صالح المازندراني: ٩ :٣٨٨.

«الهوى ميل النفس إلى الشهوات الدنيوية وقيل سمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل واهية وفي الآخرة إلى الهاوية»[(١)].

وقال الراغب: " الهوى ميل النفس إلى الشهوات ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقد عظم الله تعالى عزّ وجلّ ذم أتباع الهوى فقال تعالى عزّ وجلّ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ﴾ وكذلك﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ﴾[(٢)].

الهوى في اصطلاح الصوفية: «الهوى: هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية»[(٣)].

المطلب الثاني: الآيات التي وردت تذم الهوى وتبين عواقبه الوخيمة

١. قال تعالى عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾[(٤)].

٢. قال تعالى عزّ وجلّ: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[(٥)].

---

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين:علي خان الشيرازي: ٧: ٣٨٢.

(٢) مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ٥٤٨.

(٣) اصطلاحات الصوفية: كمال الدين القاشاني: ٤٦ ٠

(٤) سورة النساء : الاية ١٣٥ .

(٥) سورة ص : الاية ٢١ .

٣. قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[(١)].

٤. قال تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ﴾[(٢)].

٥.وقال تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ﴾[(٣)].

٦. قال تعالى ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[(٤)].

٧. قال تعالى عزّ وجلّ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٥)].

المطلب الثالث: الراويات التي وردت تذم الهوى وتبين عواقبه

١- عن أبي عبد الله عليه السلام: «أحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس شيء أعدى للرجال من أتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم»[(٦)].

٢- قال الإمام علي عليه السلام: «إنما أخاف عليكم اثنتين إتباع الهوى وطول الأمل أما إتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة»[(٧)].

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام: «لا تدع النفس وهواها فإنَّ هواها في رداها

---

(١) سورة النازعات : الاية ٤٠ .

(٢) سورة المائدة : الاية ٤٨ .

(٣) سورة المائدة: ٧٧ .

(٤) سورة الانعام : الاية ١٥٠ .

(٥) سورة الجاثية : الاية ١٨ .

(٦) الكافي: ٢: ٣٣٥.

(٧) المصدر نفسه: ٢: ٣٣٦.

وترك النفس وما تهوى أذاها وكف النفس عما تهوى دواها»[١].

المطلب الرابع: آثار الهوى على فساد العقل

اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة ويحث على نيل الشهوات عاجلا وإن كانت سببا للألم والأذى في العاجل ومنع لذات في الآجل فأما العاقل فإنه ينهى نفسه عن لذة تعقب ألما وشهوة تورث ندما وكفى بهذا القدر مدحا للعقل وذما للهوى. وبعبارة اخرى الهوى يدعو للاستغراق في اللذات الجسمانية والشهوات الدنيوية، والاستغراق في هذه الأمور يمنع من الاشتغال بطلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات وعلى هذا يكون الهوى غالب والعقل مغلوب. وقد أشار مولى الموحدين علي عليه السلام الى ذلك في دعاء الصباح: «الهي قلبي محجوب ونفسي معيوب وعقلي مغلوب وهوائي غالب»[٢].

وكذلك وردت الروايات عن المعصومين عليهم السلام، بأن الهوى يفسد العقل كما في هذهِ الأحاديث الشريفة:

١- عن الإمام علي عليه السلام: «آفة العقل الهوى» [٣].

٢- وعنه عليه السلام: «يسير الهوى يفسد العقل»[٤].

---

(١) الكافي : ٢: ٣٣٦.

(٢) بحار الانوار : ج٨٤ : ص٣٤١ .

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ١: ٨٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: علي ابن الليثي الواسطي: ٥٥٠.

٣- وعنه عليه السلام: «طاعة الهوى تفسد العقل»[١].

٤- وعنه عليه السلام: «غلبة الهوى تفسد الدين والعقل»[٢].

٥- وعنه عليه السلام: «لا يجمع العقل مَعَ الهوى»[٣].

٦- وعنه عليه السلام: «لا عقل مَعَ هوى»[٤].

٧- وعنه عليه السلام: «كم من عقل أسير تحت هوى أمير»[٥].

٨- وعنه عليه السلام: «الهوى عدو العقل»[٦].

٩- وعنه عليه السلام: «قرين الشهوة مريض النفس معلول العقل»[٧].

ثانيا: الذنب

وفيه عدة مطالب:

المطلب الاول: الذنب لغة واصطلاحا

(أ): الذنب باللغة: الإثم والجرم والمعصية والجمع ذنوب .

وفي الآية) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ (باعتبار موسى عليه السلام قتل الرجل الذي كان من آل فرعون[٨].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ٥٣٣.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥٣١.

(٥) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ٤: ٤٨.

(٦) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١١: ٢١٢.

(٧) المصدر نفسه: ١١: ٣٤٦.

(٨) لسان العرب: ١: ٣٨٩.

وللذنب معاني أخرى متعددة، أشار إليها القرآن الكريم: المعصية، الإثم، السيئة، الجرم، الحرام، الخطيئة، الفسق، الفساد، الفجور، المنكر، الفاحشة وغيرها؟

(ب) اصطلاحاً: ونعرف الذنب «الذنب عبارة عن مخالفة السنن والقوانين والمحرمات الالهيه وأتباع الأهواء والرغبات النفسية والشيطانية »

المطلب الثاني: اثر الذنب على العقل

العقل كما يتأثر بالأمور الايجابية كالوحي والعلم والتجربة، يتأثر بالأمور السلبية كالمعصية والذنب.

وأقرب صورة نستطيع أن نقربها إلى العقل هو جهاز الحاسوب الآلي (الكومبيوتر) فهذا له عقل ولكن إذا دخل الفيروس إلى داخله تراه يدمر الحاسوب، ويدمر كل المعلومات الموجودة في الحاسوب، ولذلك يحتاج إلى (Format) لأعادتهِ إلى العمل من جديد وربما أحياناًيكون الفيروس بالقوة التي لا يمكن اعادة الحاسوب الى وضعه الطبيعي حتى بهذه العملية (Format) .

كذلك الذنب فإن الإنسان إذا ارتكب الذنب سوف يفسد العقل والنظام العقلي الموجود عنده ولذلك قال النبيﷺ بهذا الصدد: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يعود إليه أبدا»[١] .لذا عليه العودة وتدارك ما فات قبل مضي الوقت الذي لا يستطيع بعدها من الرجوع والتوبه وذلك عندما يختم على قلبه كما يقول تعالى: ﴿خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾[٢].

---

(١) ميزان الحكمة: ٢: ٩٨٧.

(٢) سورة البقرة : الاية ٧ .

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبدا»[(١)] ولذا يبقى هذا الانسان الصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان يقول تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[(٢)].

ثالثا: التكبر

وفيه عدة مطالب:

المطلب الاول: التكبر لغة واصطلاحا

(أ) التكبر لغة: التكبر في اللغة هو التعظم أي إظهار العظمة قال صاحب اللسان: (والتكبر والاستكبار: التعظم ومنه قوله تعالى ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾[(٣)]

(ب) التكبر اصطلاحا: عدة تعاريف ذكرت

١- إنه الركون إلى رؤية النفس فوق الغير وبعبارة أوضح، هو عزةٌ وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقادِ المزية والرجحان عليه، فهو يستدعي متكبراً عليه[(٤)].

٢. تعريف أخر: هو حالةٍ تدعو إلى الإعجاب بالنفس والتعاظم على

---

(١) الكافي: ٢: ٢٧١.

(٢) سورة الفرقان : الاية ٤٤ .

(٣) لسان العرب: ٥ :١٢٩.

(٤) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي: ١: ٣٢٨.

الغير، بالقول أو الفعل وهو من أخطر الإمراض الخلقية وأشدها فتكاً بالإنسان[١].

٣. تعريف أخر: أن يرى الإنسان علواً وتفوقاً على غيره، وعليه فالتكبر يتكون من ثلاثة أركان:

الأول: أن يرى لنفسهِ مقاماً ومرتبةًمعينةً.

الثاني: أن يرى لغيره مقاماً معيناً.

الثالث: أن يرى مقامهِ أعلى من مقام الأخر ويشعر بالراحةِ والفرح لأجل ذلك[٢].

المطلب الثاني: بعض ما ورد في القران في ذم التكبر

١. قوله تعالى عز وجل: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِين﴾[٣].

٢. قوله تعالى عز وجل: ﴿فَادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[٤].

٣. قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

---

(١) أخلاق أهل البيتعليهم السلام: السيد محمد مهدي الصدر: ٥٥.

(٢) الأخلاق في القرآن: مكارم الشيرازي: ٢: ٣٢.

(٣) سورة الاعراف : الاية ١٤٦ .

(٤) سورة النحل : الاية ٢٩ .

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١].

المطلب الثالث: بعض الروايات التي ذمت التكبر

وردعن النبي صلى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلةٍ وجدها في نفسه»[٣].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه»[٤].

المطلب الرابع: انواع التكبر

الأول: تكبر على الله عزّ وجلّ

وهذا التكبر يصدر من الطغاة الذين حكموا في التأريخ ومن أمثالهم النمرود، وفرعون، وسببه الجهل بالله تعالى وقد حكى القرآن الكريم عن فرعون قوله : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٥].

وكذلك قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[٦].

وقد ورد ذم هؤلاء في القران الكريم يقول تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) سورة غافر: الاية ٦٠ .

(٢) معاني الإخبار: الشيخ الصدوق: ٢٤١.

(٣) الكافي: الكليني: ٢: ٣١١.

(٤) المصدر نفسه: ٢: ١٢٢.

(٥) سورة النازعات : الاية ٢٤ .

(٦) سورة القصص : الاية ٣٨ .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١].

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾[٢].

الثاني: التكبر على الأنبياء والرسل

كما يقول تعالى عزّ وجلّ على لسان الكافرين ﴿أَهَـؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾[٣].

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾[٤].

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾[٥].

وقوله تعالى عزّ وجلّ:﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾[٦]..

الثالث: التكبر على الناس

بأن يستعظم نفسه ويستصغرهم وهذا من المهلكات حيث يؤدي إلى مخالفة الله تعالى عزّ وجلّ ومن حيث إن العزَوالعظمة والعلي لا يليق إلا بالعلي الأعلى فمهما تكبر العبد نازع الله في صفةٍ من صفاتهِ ولذا، قال تعالى

---

(١) سورة غافر : الاية ٦٠ .

(٢) سورة النساء : الاية ١٧٢ .

(٣) سورة الانعام :الاية ٥٣ .

(٤) سورة الحشر : الاية ٢١ .

(٥) سورة المؤمنون : الاية ٤٧ .

(٦) سورة هود : الاية ٢٧ .

عزّ وجلّ (والعظمة أزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته)[(١)].

المطلب الخامس: التكبر يميت العقل

التكبر آفة عظيمة، وهو الحجاب الأعظم للوصول إلى الأخلاق المرضية، إذ فيه عز يمنع عن التواضع، وكظم الغيظ وقبول النصيحة والدوام على الصدق، وترك الغضب والحقد والحسد والإزراء بالناس فما من خلق مذموم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه ليحفظ بهِ عزه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه ،ولذا ترى إن العقل لا دور له في مملكة هذا الإنسان وبالتالي سوف يكون العقل مشلول ومعلول ،وعاجز عن تحصيل الملكات الفاضلة والتخلص من الرذائل المهلكة .

وقد ورد في الروايات ما يشير إلى ذلك:

قال الإمام علي عليه السلام: «شر آفات العقل الكبر»[(٢)].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «ما دخل قلب امرئً شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك قل ذلك أو كثر»[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٧٠: ١٩٢.

(٢) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١٢: ٢٩.

(٣) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٧٥: ١٨٦.

المبحث الثامن

أسباب أخرى ذكرتها الروايات مما تفسد العقل

أولا: كثرة اللهو

عن الإمام علي عليه السلام: «من كثر لهوه قل عقله»[١].

وعنه عليه السلام: «لم يعقل من وله باللعب واستهتر باللهو والطرب»[٢].

وعنه عليه السلام: «من غلب عليه الهزل فسد عقله»[٣].

وعنه عليه السلام: «لا يثوب العقل مَعَ اللعب»[٤].

ثانيا: العجب

عن الإمام علي عليه السلام: «العجب يفسد العقل»[٥].

عنه عليه السلام: «رضاك عن نفسك من فساد عقلك»[٦].

وعنه عليه السلام: «إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»[٧].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤١٤.

(٣) ميزان الحكمة: ٤: ٢٨٩٨.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٧.

(٥) ميزان الحكمة: ٣: ١٨١٥.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ٢٦٩.

(٧) موسوعة أحاديث أهل البيت: ٦: ٢٢٩.

ثالثا: حب الدنيا

عن الإمام علي عليه السلام: «سبب فساد العقل حب الدنيا»[١].

وعنه عليه السلام: «حب الدنيا يفسد العقل»[٢].

وعنه عليه السلام: «الدنيا مصرع العقول»[٣].

رابعا: شرب الخمر

عن الإمام علي عليه السلام: «فرض الله ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل»[٤].

وعن الإمام الرضا عليه السلام: «حرم الله الخمر بما فيها من الفساد ومن تغييرها عقول شاربيها»[٥].

خامسا: الغضب

عن الإمام علي عليه السلام: «الغضب يفسد الألباب ويبعد عن الصواب»[٦].

سادسا: الطمع

عن الإمام علي عليه السلام: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[٧].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «الطمع مفتاح الذل واختلاس العقل»[٨].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨١

(٢) المصدر نفسه: ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥.

(٤) شرح نهج البلاغة: محمد عبده: ٤: ٥٥.

(٥) علل الشرائع: الشيخ الصدوق: ٢: ٤٧٦.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي: ٢٨.

(٧) وسائل الشيعة: ١٦: ٢٥.

(٨) تحف العقول: ابن شعبة الحراني: ٣٩٩.

الفصل الثالث

أمات نفسه

بعد أن انتهينا من شرح الفقرة الأُولى من كلام مولى الموحدين عليه السلام وهو قوله (قد أحيا عقله) وبينا المراد من ذلك ،فالان نشرع بشرح الفقرة الأُخرى وهي قوله عليه السلام: (أمات نفسه) وسيكون ذلك ضمن المباحث التالية:

المبحث الأوّل:تعريف النفس لغة واصطلاحا

المبحث الثاني:تجرد النفس والادلة على ذلك

المبحث الثالث: العلاقة بين النفس والبدن وتاثر كل واحد منهما بالآخر

المبحث الرابع:في تكون جوهر النفس

المبحث الخامس: الفرق بين النفس والقلب والعقل والروح

المبحث السادس:طبيعة النفس

المبحث السابع:كيفية إماتة النفس الامارة بالسوء

المبحث الثامن: اقوال شراح نهج البلاغة في هذه العبارة (أمات نفسه)

المبحث الأول

تعريف النفس لغة واصطلاحا

(أ) النفس لغةً: هناك اتفاق بين اللغويين على ان النفس هي الروح

قال الأصفهاني في مفرداته[١]، النفس الروح في قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ﴾[٢] ، وقال تعالى:﴿ تعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[٣].

وقال ابن منظور في مادة (نفس) «النفس الروح»[٤]

وفي مختار الصحاح ـ في مادة النفس «النفس الروح يقال خرجت نفسه»[٥].

وقال الخليل بن أحمد في مادة (نَفْس) النفس وجمعها نفوس النفس الروح الذي بهِ حياة الجسد وكل إنسان روح حتى آدم[٦].

(ب)النفس اصطلاحاً: له عدة تعريفات:

أولاً: النفس من حيث هي نفس ومقيسة الى البدن.

---

(١) انظر: مفردات غريب القرآن: الراغب الأصفهاني: ٥٠١.

(٢) سورة الانعام : الاية ٩٣ .

(٣) سورة المائدة : الاية ١١٦ .

(٤) لسان العرب: ٦ :٢٣٤.

(٥) مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر: ٣٤٣.

(٦) كتاب العين: الخليل بن أحمد: ٢: ٦٦.

النفس «كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياةٍ بالقوة»[١].

وشرح ذلك:

«الكمال الاول»: ما يصير بهِ الشيء موجوداً بالفعل، باعتبار العلم كمال ثان مترتب على الكمال الأول.

«لجسم طبيعي»: يخرج الكرسي والسرير فإنها صناعيه.

«ومعنى كون الجسم الياً»: حصلت له جميع الشروط من الآلات والأعضاء حتى يكون قادراً على تأدية آثار النفس وأفعالها وجميع وظائفها فلو فقدها لفقد كونه قادراً على التأدية.

«ذي حياة بالقوة»: لا ريب أن الجسم الطبيعي الذي ذو نفس هو حي بالفعل لأن الجسم بدنها مرتبه نازلة من النفس وعلى التحقيق إذا فارقت عنه فهو ميت وليس ببدن لها. ومعنى ذي حياة بالقوة أن الحياة تفيض من النفس على البدن إذا الحياة جوهرية للنفس وصورة مقومة لذاتها، فلا يزال ينشأ منها الحياة على البدن الذي هو جسم ميت في ذاتهِ حي بالنفس.

وهذا الذي قدمناه كان تعريف النفس على الوجه العام الشامل للنفوس الأرضية والسماوية.

وأما التعريف الخاص بكل واحد منها فهو أن يقال

النفس النباتية: «كمال أول لجسم طبيعي آلي تتغذى وتنمو»[٢].

والنفس الحيوانية: «كمال أول لجسم طبيعي آلي تحس وتتحرك

---

(١) عيون مسائل النفس: آية الله حسن زادة الاملي: ٩٣.

(٢) عيون مسائل النفس: آية الله حسن زادة الاملي: ١٠٤.

بالإرادة فقط»[١]. باعتبار الحيوان يدرك الجزيئات، يدرك إنسان إمامه، يعني فيه إرادة توجهه مثلاً: الأسد بإرادتهِ يقفز على إنسان ويبتلعه.

والنفس الفلكية: كمال اول لجسم طبيعي الي ذي ادراك وحركة دائميين[٢].

والنفس الإنسانية: كمال أول لجسم طبيعي تعقل الكليات وتستنبط الآراء[٣].

ثانياً: تعريف النفس من حيث جوهرها وذاتها. فهو صعب غاية الصعوبة بل هو من معضلات المسائل ولأبن أبي الحديد في هذا المعنى شعراً:

قد حار في النفس جميع الورى والفكر فيها قد غدا ضائعاً
وبرهن الكل على ما ادعوا وليس برهانهم قاطعاً
من جهل الصنعة عجزاً فما أجدره أن يجهل الصانعا[٤]

وقد عد الشيخ البهائي المولود سنة (٩٥٣ هـ والمتوفى سنة ١٠٣١ هـ) وهو من كبار علماء الشيعة والذي ينتهي نسبه إلى الحارث الهمداني صاحب أمير المؤمنين علي عليه السلام، الآراء المذكورة في أواخر كشكولهِ قال «المذاهب في حقيقة النفس أعني ما يشير إليه كل أحد بقولهِ (أنا) كثيرة والدائرة منها على الألسنة والمذكورة في الكتب المشهورة أربعة عشر مذهباً.

---

(١) عيون مسائل النفس: ١٠٤.

(٢) عيون مسائل النفس: ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٤.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي: ١٣: ٥٣.

وبعد ما عد ثلاثة عشر منها قال.

الرابع عشر: «أنها جوهر مجرد عن المادة الجسمانية والعوارض الجسمانية، لها تعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، والموت هو قطع هذا التعلق» وهذا هو مذهب الحكماء الإلهيين وأكابر الصوفية والاشراقيين وعليه استقر رأي المحققين من المتكلمين كالإمام الرازي والغزالي والمحقق الطوسي وغيرهم من الإعلام وهو الذي أشارت إليه الكتب السماوية وانطوت عليه الأنباء النبوية وقادت إليه الإمارات الحدسية والمكاشفات الذوقية»[١].

أقول: ان هذا التعريف هو افضل تعريف للنفس ،لان النفس لا يمكن ان تكون جسم، بل هي مجردة، كما سوف نثبت ذلك في البحث القادم، ولكن الموت ليس قطع تعلق النفس عن البدن، بل هو انقطاع الإنسان عن غيره، وارتقاء النفس إلى بارئها المتوفى إياها، كما يقول تعالى :﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[٢]. لكن النفس لا تكون بلا بدن ابدا، لان النفس لها ابدان متعددة متفاوته بحسب الظرف الذي تنتقل اليه.وقد سأل الامام الصادق عليه السلام أبي ولاد الحناط ، قال : قلت له : جعلت فداك يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش ؟ فقال : لا ، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في

---

(١) الكشكول: الشيخ البهائي: ٢: ٣٠٩

(٢) سورة الزمر : الاية ٤٢ .

حوصلة طير ، لكن في أبدان كأبدانهم[١].

وقد ذهب الى هذا الرأي الذي نذهب اليه الفيلسوف اية الله حسن زاده املي[٢].

وفي قبال القول بتجرد النفس هناك الماديين الذين اعتبروا الانسان هو هذا الهيكل المحسوس، وليس ثمة وجود مستقل عن المادة يسمّى بالروح، بل الروح من خواص الجسد، وتخضع لجميع القوانين التي تحكمه، ومجموع ظواهر الشعور والعقل والارادة والفكر، ما هي إلاّ وظائف عضوية مثلها كمثل جميع الوضائف البدنية الأُخرى، وكذا الآثار الفكرية والمعرفية عندهم ماهي إلاّ نتائج وآثار فيزيائية وكيميائية للخلايا العصبية والعقلية، وجميع تلك الآثار والنشاطات الروحية تظهر بعد ظهور العقل والجهاز العصبي، وتموت بموت الجسد، فإذا مات الانسان بطلت شخصيته، واندثر بدنه، وزال معه كلّ ما بلغه من محصول عقلي وارتقاء نفسي وكمال روحي[٣].

والنظر الى الطبيعة الانسانية على انها مادية ليس نظرا حديثا ،فقد ذهب هذا المذهب فلاسفة قدماء من اليونان امثال ديمقوقريطس[٤].والرواقيين اذ المعرفة عندهم معرفة حسية لا غير [٥].

وتبنى هذا الاتجاه المادي للطبيعة الانسانية من المحدثين كثيرون منهم

---

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة : الحر العاملي: ج ١ : ص ٣٣١

(٢) عيون مسائل النفس: ١٠٤.

(٣) انظر دائرة معارف القرن العشرين:محمد فريد وجدي: ٤: ٣٣٠.

(٤) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم : ص٤٦ .

(٥) تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم : ص٢٢٤ .

علماء المدرسة السلوكية في علم النفس تلك المدرسة التي اسسها وطسن (Watson) في مطلع هذا القرن "وهي مدرسة تنظر الى الكائن الحي نظرتها الى الة ميكانيكية معقدة ،لا تحركه دوافع موجهة نحو غاية ،بل مثيرات فيزيقية تصدر عنها استجابات عضلية وغدية مختلفة "[١]. .كما ذهب هذا المذهب المادي للطبيعة الانسانية نظرية فلسفية معاصرة اطلق اصحابها عليها النظرية الذاتية(ldentity theory) وظهرت في اواخر الخمسينات ،وهي ترى ان العقل هو المخ وتسوي بينهما ،وان الحالات النفسية والعمليات العقلية ليست الا تغيرات فسيولوجية معينة تحدث في الجهاز العصبي المركزي ،او حتى في المخ فقط ،وليس العقل اكثر من ذلك [٢].وقد مثّل هذا التفكير والاتجاه المادي على مدى العصور الفهم الجاهلي المنكر لوجود الله تعالى الذي سجّله القرآن بنصه :(إنْ هيَ إلاّ حَياتُنا الدُّنيا نَمُوتُ ونَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِين) [٣].

وقد قام (هوارد) في كتابه (الدراسة الصحيحة للجنس البشري) بتحديد مكونات الجسم البشري وقال انه يتالف من المواد التالية

١- ماء يكفي لملء برميل يسع عشر جالونات

٢- دهن يكفي لصنع سبائك من الصابون

٣- كربون يكفي لصنع ٩٠٠٠ قلم من رصاص .

---

(١) اصول علم النفس : احمد عزت راجح : ص٤٧ .

(٢) في النفس والجسد (بحث في الفلسفة المعاصرة) :محمود فهمي زيدان : ص ٤٥ .

(٣) سورة المؤمنون : الاية ٣٧ .

٤- فسفور يكفي لصنع ٢٢٠٠ راس من رؤوس عيدان الكبريت .

٥- حديد يكفي لنصنع ميمار متوسط الحجم

٦- كلس "جير "يكفي لبياض (تقفيصة) فراخ .

٧- كميات ضئيلة من المغنيسيوم والكبريت .

فاذا جمعت هذه المواد وخلط بعضها بالبعض الاخر بنسب صحيحة وطريقة دقيقة ، كان ناتج هذا الخليط انسانا لا محالة)[1].

---

(١) اصول التربية : احمد علي الفنيس : ص ١٠٤، ١٠٥ .

المبحث الثاني

تجرد النفس

المراد بالروح او النفس ما يشير إليه الانسان بقوله أنا «أو ما يسمى بالنفس الناطقة»[١]، والمراد بتجردها هو عدم كونها عنصراً مادياً ذا انقسام وزمان ومكان، وكون حكمها غير حكم البدن وسائر التركيبات الجسمية الأُخرى.

الادلة على اثبات تجرد النفس

أولا: الأدلة القرانية:

١- الآيات القرآنية الدالة على أن أرواح الشهداء والصدّيقين لا تموت بموت البدن ولا تفنى بفنائه وتبدد أجزائه، بل تبقى في عيش هنيء ونعيم مقيم، كقوله تعالى:﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَ تَشْعُرُونَ﴾[٢]،وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ...﴾[٣]،وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي: ٢: ١٨.

(٢) سورة البقرة : الاية ١٥٤ .

(٣) سورة ال عمران : الاية ١٦٩ .

جَنَّتِي﴾[١]، فثبت أن الإنسان قد يكون حياً بينما جسده في التراب، وذلك يلزم كون حقيقة الانسان غير هذا البدن.

٢- الآيات الدالة على أن الكفار يعذّبون في النار بينما أجسادهم في القبور، كقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ...﴾[٢]،وقوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ اللهِ أَنصَاراً﴾[٣]، فهم أحياء يعذّبون بعد موت أجسادهم، وذلك يستلزم كون حقيقة الانسان شيئاً غير هذا الجسد.

٣- الآيات التي ذكرت مراتب الخلقة الجسمانية، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً﴾[٤]، فأفادت أن الإنسان لم يكن إلاّ جسماً تتوارد عليه صور مختلفة متبدلة، ثمّ إنه تعالى لما أراد أن يذكر نفخ الروح قال: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٥]، أي أنشأ هذا الجسم الجامد الخامد خلقاً آخر ذا شعور وإرادة وفكر وتصرف وتدبير إلى غير ذلك من الخواص والأفعال التي لا تصدر من الأجسام والجسمانيات، وهو تصريح بأنّ ما

---

(١) سورة الفجر : الاية من ٢٧ الى ٣٠ .

(٢) سورة غافر : الاية ٤٦ .

(٣) سورة نوح : الاية ٢٥ .

(٤) سورة المؤمنون : الاية من ١٢ الى ١٤ .

(٥) سورة المؤمنون : الاية ١٤ .

يتعلق بالروح جنس مغاير لما سبق ذكره من الصور الجسمية المتبدّلة الواقعة في الأحوال الجسمانية، وذلك يدلّ على أن الروح شيء مغاير للبدن وكذلك قوله تعالى في خلق الإنسان: ﴿وَبَدأَ خَلْقَ الانْسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِن مَاءٍ مَهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾[١]، وقوله تعالى في خلق آدمعليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٢]، فلمّا ميّز تعالى بين التسوية ـ وهي خلق الأعضاء والأبعاض الجسمية ـ وبين نفخ الروح، دلّ ذلك على أنّ جوهر الروح شيء مغاير لجوهر الجسد.

٤- الآيات التي ميّزت بين ما هو مادي مضمحلّ من الانسان، وبين ما هو حقيقة باقية يتوفّاها الله إليه، كقوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً﴾[٣]، وهي تدلّ على أن الإنسان روح وبدن، وأن الروح هي التي تسيّر البدن وتدبّره بأمر الله تعالى، والموت عبارة عن قطع العلاقة بين الروح والبدن، وأنها بعد ذلك تذهب إلى خالقها. فهو تعالى يقبض النفس عند موت الجسد وعند منامه، فتبقى التي قضى عليها الموت عند بارئها إلى يوم القيامة، ويردّ الأُخرى إلى الجسد حتى يحين أمدها المعيّن.

---

(١) سورة السجدة : الاية من ٧ الى ٩ .

(٢) سورة الحجر : الاية ٢٩ .

(٣) سورة الزمر : الاية ٤٢ .

راي صاحب الميزان العلامة الطباطبائي في تجرد النفس.

يثبت العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان حقيقة وراء البدن وهي حقيقة النفس ،بعد تفسير قوله تعالى:﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[١].

اذ يقول السيد الطباطبائي :«يتبين بالتدبر في الآية، وسائر الآيات التي ذكرناها حقيقة أخرى أوسع من ذلك، وهي تجرد النفس بمعنى كونها أمراً وراء البدن وحكمها غير حكم البدن وسائر التركيبات الجسمية، لها نحو اتحاد بالبدن تدبرها بالشعوروالإرادة وسائر الصفات الإدراكية، والتدبر في الآيات السابقة الذكر يجلي هذا المعنى فإنها تفيد أن الإنسان بشخصهِ ليس بالبدن لا يموت بموت البدن ولا يفنى بفنائه ِ، وانحلال تركيبه وتبدد أجزائه، وأنه يبقى بعد فناء البدن في عيش هنيء دائم ونعيم أو في شقاء لازم وعذاب اليم وأن سعادته في هذهِ العيشة، وشقائه فيها مرتبط بسنخ ملكاته وأعماله، لا بالجهات الجسمانية والإحكام الاجتماعية فهذه معان تعطيها هذهِ الآيات الشريفة، وواضح أنها أحكام تغاير الإحكام الجسمانية وتتنافى الخواص المادي الدنيوية من جميع جهاتها، فالنفس الإنسانية غير البدن .

ومما يدل علي تجرد النفس من الآيات قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) سورة البقرة : الاية ١٥٤ .

يَتَفَكَّرُونَ﴾[١]،والتوفي والاستيفاء هو أخذ الحق بتمامهِ وكمالهِ، وما تشتمل عليه الآية من الأخذ والإمساك والإرسال ظاهر في المغايرة بين النفس والبدن.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ كَافِرُونَ، قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٢] .

ذكر الله تعالى شبهة من شبهات الكفار المنكرين للمعاد، وهو أنا بعد الموت وانحلال تركيب أبداننا تتفرق أعضاؤها وتبدد أجزاؤنا وتتبدل صورنا فنضل في الأرض، فكيف يمكن أن نقع ثانياً في خلق جديد؟ وهذا استبعاد محض، وقد لقن الله تعالى على رسولهِ الجواب عنه،بقولهِ: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ .

وحاصل الجواب أن هناك ملكاً موكلاً بكم يتوفاكم ويأخذكم ولا يدعكم تضلوا وأنتم في قبضته وحفاظته، وما تضل في الأرض أنما هو أبدانكم لا أنفسكم التي هي المدلول عليها بلفظ (كم) فإنه يتوفاكم.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[٣]. ذكره في خلق الإنسان، ثم قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٤] .

---

(١) سورة الزمر : الاية ٤٢ .

(٢) سورة السجدة : الاية ١٠ الى ١١ .

(٣) سورة السجدة : الاية ٩ .

(٤) سورة الاسراء : الاية ٨٥ .

فأفاد أن الروح من نسخ أمره ثم عرف الأمر في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ ترجعون﴾[١] . فأفاد إن الروح من الملكوت وأنها كلمة، كن، ثم عرف الأمر بتوصيفه بوصف آخر بقوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ»[٢]، والتعبير بقولهِ: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ يعطي أن الأمر الذي هو كلمة، (كُنْ) موجود دفعي الوجود غير تدريجي، فهو يوجد من غير اشتراط وجوده وتقييده بزمان أو مكان، ومن هنا يتبين أن الأمر ومنه الروح شيء غير جسماني ولا مادي، فإن الموجودات المادية الجسمانية من أحكامها العامة أنها تدريجية الوجود مقيدة بالزمان والمكان، فالروح التي للإنسان ليست بمادية جسمانية، وأن كان لها تعلق بها وهناك آيات تكشف عن كيفية هذا التعلق، فقد قال تعالى:﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[٣] وقال تعالى:﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾[٤]، وقال تعالى:﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ﴾[٥]، ثم قال سبحانه وتعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ

---

(١) سورة يس : الاية ٨٣ .

(٢) سورة النحل : الاية ٧٧ .

(٣) سورة طه : الاية ٥٥ .

(٤) سورة الحجر : الاية ٢٦ .

(٥) سورة السجدة : الاية ٧ .

الْخَالِقِينَ﴾[١]، فأفاد ان الإنسان لم يكن إلا جسماً طبيعياً يتوارد عليه صور مختلفة متبدله، ثم أنشأ الله هذا الذي هو جسم جامد خامد خلقاً آخر ذا شعور وإرادة، يفعل أفعالاً: من الشعور والإرادة والفكر والتصرف في الأكوان، والتدبر في أمور العالم بالنقل والتبديل والتحويل الى غير ذلك مما لا يصدر عن الأجسام والجسمانيات فلا هي جسمانية ولا موضوعها الفاعل لها. فالنفس بالنسبة الى الجسم الذي ينتهي أمره إلى إنشائها ـ وهو البدن الذي تنشأ منه النفس ـ بمنزلة الثمرة من الشجرة والضوء من الدهن بوجهٍ بعيد. وبهذا يتضح كيفية تعلقها بالبدن ابتداعاً، ثم بالموت تنقطع العلقة وتبطل المسكة، فهي في أول وجودها عين البدن ثم تمتاز منه ثم تستقل عنه بالكلية فهذا ما تفيده الآيات الشريفة المذكورة بظهورها »[٢] انتهى كلام السيد الطباطبائي.اقول ان السيد الطباطبائي يذهب الى ان تكون النفس تنشأ من البدن ،كما يذهب الى ذلك صدر الدين الشيرازي .

ثانيا: الأدلة من السنة على تجرد النفس

١. روي عن النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه وقف على قليب بدر، فقال للمشركين الذين قتلوا يومئذٍ وقد اُلقوا في القليب: «لقد كنتم جيران سوء لرسول الله، اخرجتموه من منزله وطردتموه، ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟» فقيل لهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم: ما خطابك لهامٍ قد صديت ؟! فقالصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « فوالله ما أنتم بأسمع منهم، وما

---

(١) سورة المؤمنون : الاية من ١٢ الى ١٤ .

(٢) انظر تفسير الميزان: ١: ٣٥٠، ٣٥٣.

بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع الحديد إلاّ أن أُعرض بوجهي هكذا عنهم »[١]

وفي رواية: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوني »[٢].

٢. وقولهﷺ وسلم: «من صلّى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى عليَّ من بعيد بُلِّغته»[٣].

وقالﷺ وسلم: «من صلّى عليَّ مرة صليت عليه عشراً، ومن صلّى عليَّ عشراً صلّيت عليه مائة، فليكثر امرؤ منكم الصلاة عليَّ أو فليقلّ»[٤].

فبيّن أنهﷺ بعد خروجه من الدنيا يسمع الصلاة عليه، ولا يكون كذلك إلاّ وهو حي عند الله تعالى، وكذلك أئمة الهدى عليهم السلام يسمعون سلام المسلّم عليهم من قرب، ويبلغهم سلامه من بعد، وبذلك جاءت الأخبار الصادقة عنهم عليهم السلام.

٣. قولهﷺ في خطبة طويلة له " حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال من حله ومن غير حله، فالمهنأ لغيري والتبعة علي، فاحذروا مثل ما حل بي "[٥]

---

(١) تصحيح الاعتقاد:الشيخ المفيد: ٩٢.

(٢) صحيح البخاري: ٢ :١٠١.

(٣) تصحيح الاعتقاد:الشيخ المفيد: ٩١.

(٤) المصدر نفسه: ٩١.

(٥) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٦ :١٦١.

وجه الاستدلال: أن النبيﷺ صرح بأن حال كون الجسد محمولا على النعش بقي هناك شيء ينادي ويقول " يا أهلي ويا ولدي جمعت المال من حله وغير حله.. "

ومعلوم أن الذي كان الأهل أهلا له، وكان الولد ولدا له، وكان جامعا للمال من الحرام والحلال، والذي بقي في ربقته الوبال، ليس إلا ذلك الانسان فهذا تصريح بأن في الوقت الذي كان الجسد ميتا محمولا على النعش كان ذلك الانسان حيا باقيا فاهما، وذلك تصريح بأن الانسان شيء مغائر لهذا الجسد والهيكل.

٤. وعن أمير المؤمنينعليه السلام أنه ركب بعد انفصال الأمر من حرب البصرة، فصار يتخلّل الصفوف حتى مرّ على كعب بن سورة... وهو صريع بين القتلى، فقال: «اجلسوا كعب بن سورة » فأُجلس بين نفسين، وقال له: « يا كعب بن سورة، قد وجدت ما وعدني ربي حقاً، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً؟ » ثم قال: « أضجعوا كعباً » وفعل مثل ذلك بطلحة بن عبدالله، فقال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين، ما كلامك لقتيلين لايسمعان منك؟! فقالعليه السلام: «مه يا رجل، فوالله لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب كلام رسول اللهﷺ»[(١)].

٥- وعن حبّه العرني، قال: خرجت مع أمير المؤمنينعليه السلام إلى الظهر، فوقف بوادي السلام، كأنّه مخاطبٌ لأقوامٍ ... فقلت: يا أمير المؤمنين، إني قد أشفقت عليك من طول القيام، فراحة ساعة ...! فقال لي: « يا حبّة، إن هو

---

(١) تصحيح الاعتقاد: الشيخ المفيد: ٩٣

إلاّ محادثة مؤمن أو مؤانسته» قلت: يا أمير المؤمنين، وإنهم لكذلك؟! قال: «نعم، ولو كشف لك لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون... »[١]

٦- وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال: « في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا، وأنجز لنا ما وعدتنا، وألحق آخرنا بأولنا »[٢]

٧- وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن أرواح المشركين، فقال: « في النار يعذّبون، يقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة، ولا تنجز لنا ما وعدتنا، ولا تلحق آخرنا بأولنا »[٣]

٨ – وقال النبي صلى الله عليه وآله: إذا رضي الله عن عبد قال: يا ملك الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه، حسبي من عمله، قد بلوته فوجدته حيث أحب، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة معهم قضبان الرياحين وأصول الزعفران، كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه، ويقوم الملائكة صفين لخروج روحه، معهم الريحان فإذا نظر إليهم إبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ، فيقول له جنوده: مالك يا سيدنا؟ فيقول: أما ترون ما أعطي هذا العبد من الكرامة؟ أين كنتم عن هذا؟ قالوا: جهدنا به فلم يطعنا[٤].

---

(١) الكافي: الكليني: ٣: ٢٤٣

(٢) الكافي: ٣ :٢٤٤.

(٣) المصدر نفسه: ٣: ٢٤٥.

(٤) بحار الأنوار: ٦: ١٦١.

ثالثا: الأدلة العقلية على تجرد النفس

١- ثبات الشخصية الآنسانية في دوامة التغيرات الجسدية

(لقد أثبت العلم أن التغيير والتحول من الآثار اللازمة للموجودات المادية، فلا تنفك الخلايا التي يتكون منها الجسم البشري عن التغير والتبدل، وقد حسب العلماء معدل هذا التجدد فظهر لهم إنه يحدث بصورة شاملة في البدن كل عشر سنين. ولكن كل واحدٍ منا يحس بأن نفسه باقية ثابتة في دوامة تلك التغيرات الجسمية، ويجد أن هناك شيئاً يسند إليه جميع حالاته من الطفولة والصباوة والشباب والكهول، فهناك وراء بدن الإنسان وتحولاته البدنية حقيقة باقية ثابتة رغم تغير الأحوال وتقدم الأزمنة فلو كانت تلك الحقيقة التي يحمل عليها تلك الصفات أمراً مادياً مشمولاً لسنة التحول والتغير لم يصح حمل تلك الصفات على شيء واحد حتى يقول: أنا الذي كتب هذا الخط يوم كنت صبياً أو شاباً، وأنا الذي فعلت كذا وكذا في تلك الحالة وذلك الوقت »[(١)]

٢- عدم الانقسام آية التجرد:

«الانقسام والتجزوء من لوازم المادة، ولأجل ذلك ذكر الفلاسفة في محلهِ بطلان الجزء الذي لا يتجزأ وما يسميهِ علم الفيزياء، جزءاً لا يتجزأ، فإنما هو غير متجزئ بالحس، وأما عقلاً فهو منقسم مهما تناهى الانقسام، هذا من جانب ومن جانب آخر، كل واحدٍ منا إذا رجع إلى ما يشاهده في صميم ذاتهِ، ويعبر عنه بـ (أنا) وجده معنى بسيطاً غير قابل للانقسام والتجزي، فارتفاع أحكام المادة دليل على أنه ليس بمادي.أن عدم الانقسام

---

(١) محاضرات في الإلهيات: جعفر السبحاني: تلخيص، الشيخ علي رباني كلبايكاني: ٤١٠.

لا يختص بالنفس بل هو سائر على الصفات النفسانية من الحب والبغض والإرادة والكراهة والإذعان ونحو ذلك، اعطف نظرك إلى حبك لولدك وبغضك لعدوك فهل تجد فيهما تركباً،وهل ينقسمان إلى أجزاء؟ كلا، ولا »[١] أذن الروح والنفس وآثارها كلها موجودات خارج أطار المادة.

٣- الانسان يغفل عن بدنه ولكن لايغفل عن ذاته ونفسه[٢]

وهذا الدليل دليل وجداني وقد يحدث لكل انسان في وقت من اوقات حياته، وذلك عندما يذهل الانسان ويحصل له حالة الذهول عن بدنه بسبب من الاسباب، ولكنه لا يغفل عن ذاته ونفسه، وهذا دليل على ان النفس شيء وراء البدن، وهناك مؤيدات لذلك.

(أ) قوله تعالى:﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَـذَا بَشَراً إِنْ هَـذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[٣]

«يقول السيد الطباطبائي، الاكبار والاعظام وهو كناية عن اندهاشهن وغيبتهن عن شعورهن وإرادتهن بمفاجأة مشاهدة ذاك الحسن الرائع طبقا للناموس الكونى العام وهو خضوع الصغير للكبير وقهر العظيم للحقير فإذا ظهر العظيم الكبير بعظمته وكبريائه لشعور الانسان قهر سائر ما في ذهنه من المقاصد والأفكار فأنساها وصار يتخبط في أعماله. ولذلك لما رأينه قهرت رؤيته

---

(١) محاضرات في الاهيات : ٤١١

(٢) انظر الاشارات والتنبيهات: الشيخ الرئيس ابن سينا: ٢: ٢٩٢.

(٣) سورة يوسف : الاية ٣١ .

شعورهن فقطعن أيديهن تقطيعا مكان الفاكهة التي كن يردن قطعها »[١]

(ب)قال الحسين عليه السلام: «لأصحابه قبل أن يقتل، ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يا بني انك ستساق إلى العراق وهي ارض قد التقى فيها النبيون وأوصياء النبيين وهي ارض تدعى عمورا وانك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك ولا يجدون ألم مس الحديد وتلي ﴿ يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم ﴾ يكون الحرب عليك وعليهم بردا وسلاما فأبشروا فوالله لو قتلونا فانا نرد على نبينا صلى الله عليه وآله »[٢]

(ج)وقال الصادق عليه السلام: «إنه كشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم من الجنة قبل برازهم، ومن أجل ذلك كان الرجل منهم يقدم على القتال ليبادر إلى منزله وحوره وقصوره في الجنة »[٣]

٤- المادة محدودة ومتناهية

لو كان وعاء العلم هو الدماغ أو غيره من آلات التعقّل، لكانت كلّ معلومةٍ تضاف إليه تشغل حيزاً منه، ولأصبحت القابلية العلمية للانسان متناهية ؛ لأن قابلية المادة على استيعاب المعلومات محدودة كالصحيفة التي تمتلئ بالكتابة، أو القرص الذي يمتلئ بالصوت أو الصورة، وذلك يعني أن الانسان لو سمح له عمره أن يستوفي كل وعائه العلمي، فسيصل إلى مرحلة يفقد فيها استعداده للتعلم، وذلك محال. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كل وعاء

---

(١) تفسير الميزان: ١١: ١٤٩ - ١٥٠

(٢) مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلي: ٥٠ - ٥١

(٣) شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري: ٢: ٤٢٠

يضيق بما جُعل فيه، إلاّ وعاء العلم فإنه يتّسع»[١] وعلى هذا فوعاء العلم إذن غير مادي.

رابعا: أدلة علمية تجريبية على تجرد النفس[٢]

توصّل علماء الغرب إلى نتائج باهرة على صعيد إثبات عالم الروح وصحة خلودها وتجردها عن صفات المادة، ليس على أساس فلسفي يقوم على النظر والاستدلال، بل على أساس علمي تجريبي لا يتطرق إليه أدنى شكّ، فنُسِفت على أيديهم صروح المذهب المادي، وطُعِن طعنة نجلاء لايرجى له بعدها شفاء، وذلك من خلال علمي استحضار الأرواح والتنويم المغناطيسي اللذين فتحا إلى عالم الروح آفاقاً جديدة، غيّرت الكثير من العلماء الماديين الجاحدين لعالم الروح إلى مؤمنين بعالم الغيب موقنين بخلود النفس.

أولاً: استحضار الأرواح: وهو العلم الذي يتمّ بواسطته الارتباط بالموتى عن طريق استحضار أرواحهم من عالمها، فتظهر أمام المستحضر وتُحدّثه وتُثبت له بكلّ وضوح أنها روح فلان، وتجيب على أكثر الأسئلة التي توجه إليها بعقلٍ وحكمة إلى الحدّ الذي استعان بعض العلماء بالأرواح في حلّ ما يجهلونه من مسائل معقدة، كما تجيب الروح عندما تُسأل عن حالها ومصيرها بعد الموت وماهي فيه من نعيم أو جحيم.

ثانياً: التنويم المغناطيسي: وهو تنويم صناعي يحدثه المتخصّصون بهذا

---

(١) نهج البلاغة: تحقيق وشرح الشيخ محمد عبده: ٤: ٤٧

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين:محمد فريد وجدي: ٤: ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

العلم، فيغطّ المُنوَّم في نوم عميق تتوقّف فيه أعضاؤه عن الحركة والاحساس، ولا يسمع إلاّ صوت مُنوّمه، ويستسلم لإرادته متأثّراً بأفكاره، مطيعاً لأوامره دون تردّد، وتظهر منه نتيجة ذلك خوارق تُثبت أن له روحاً متميزة عن البدن، فقد تنتقل روحه إلى مناطق بعيدة عن موضع النائم، وتكشف أسراراً لايعرفها وهو في حال اليقظة، وقد يتكلم بلغات لا يتقنها، ويخبر عن أشياء ليس له أدنى إطلاع بها.

خامساً: حكايات معاصرة تؤيد تجرد النفس وهو الموت الاختياري

(أ)ينقل العلامة الطهراني هذه القصه في كتابه ان أحد العلماء العرفاء «ميرزا أبو الحسن جلوه (١٢٢٨ ـ ١٣١٤ هـ .ق) كان أستاذ لأحد الطلاب في ذلك الزمان وأسمه حكيم زنجاني هيدجي (١٢٣٣ ـ ١٣١٤ هـ .ق) وكان أبو الحسن جلوه يؤمن بالموت الاختياري وتجرد النفس لأنه قد فعل ذلك؟ إما حيكم هيدجي، كان ينكر الموت الاختياري ويعتبره محال. وفي أحد الليالي جاء رجل عجوز إلى غرفة حكيم وكان مشغولاً بالتعقيبات بعد صلاة العشاء فسلم الرجل عليه ووضع عصاه في الزاوية وسأله حضرت أخوند: لماذا لا تقبل بالموت الاختياري أجابه حكيم هيد جي ـ وضيفتنا نحن البحث والنقد وتحليل كل شيء وكل شيء نحتاج فيه إلى دليل. نام الرجل العجوز مستقبل القبلة على ظهره وقال: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ومات. السيد حكيم قام وحركة رآه ميت ولذلك اضطرب وقلق لذا أخبر الطلاب بموت الرجل العجوز وأحضروا له تابوت حتى يأخذوه فإذا بالرجل العجوز ينهض وهو يقول: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . ونظر إلى حكيم وابتسم وكأنه يقول هل صدقت بالموت الاختياري.

قال حكيم: أمنت .ثم قال له العجوز (سيدي العزيز المعرفةلا تأتي فقط عن طريق الدرس والعلم، وإنما العبادة والمناجاة مهمة في نصف الليل ومن تلك الحالة تحول حكيم هيد جي إلى عارف وزاهد بالإضافة إلى أشتغالة بالدرس والتدريس[(١)].

ب ـ ينقل الشيخ آية الله مصباح اليزدي عن الشيخ عباس القوجاني وهو الذي جاء بعد السيد القاضي في منصة العرفان في النجف يقول كان الشيخ آية الله محمد تقي بهجت لم يصل العشرين وصل الى مقامات رفيعه لقربي منه وصداقتي بهِ عرفت هذا الشيء منه. وفي نظري إن آية الله الشيخ محمد تقي بهجت[(٢)] عنده الموت الاختياري. وهكذا ينقل آية الله مصباح

---

(١) انظرمعاد شناسى(معرفة المعاد) : علامه آية الله محمد حسين حسيني طهراني قدس‌سره: ١: ١٠٥.

(٢) ولد آية الله الشيخ محمد تقي بهجت سنة (١٣٣٤ هـ .ق) في مدينة فومن قرب مدينة رشت الإيرانية، ودرس المقدمات في مدينتهِ ثم درس فترة في مدينة قم وبعدها هاجر إلى كربلاء ودرس هناك أربع سنوات ثم أنتقل الى مدينة النجف ودرس عند أكابر علماء ذلك الوقت (ضياء الدين العراقي، والميرزا النائيني والمحقق محمد حسين الأصفهاني . وبالإضافة إلى دراستهِ في الأصول والفقه ـ كان الشيخ يتربى على يد السيد القاضي في السير والسلوك والعرفان .وللشيخ مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول ويتميز آية الله الشيخ بهجت بعدة أمور:

١. يتميز الشيخ منذ طفولتهِ بطهارة النفس كما ينقل المطلعون على سيرتهِ .

٢. شهادة العلماء بحق الشيخ بهجت ولا سيما العارفين بشخصيتهِ .

٣. كراماتهِ الى درجة انها أشتهرت بين العامة .

٤. توجيهاتهِ وارشادتهِ .

٥. استمراره على زيارة الجامعة وعاشوراء في حرم السيده معصومة وهو في هذا السن الكبير ـ وقد كنا نشاهد ذلك عن قرب .

٦. التزامه بالدرس والتدريس في الفقه والأصول مع عمره الكبير والى اخر يوم من حياته المباركه .

٧. الأدعية التي يدعو بها في القنوت كانت تناسب الظرف الزماني وما يحتاجه المؤمن .

نبذة من كرامات الشيخ:

١. ينقل العلامة المرحوم السيد محمد حسين الطهراني في كتابه (أنوار الملكوت) نقلاً عن الحاج آية الله عباس قوجاني وصي المرحوم السيد علي القاضي يقول: أن الشيخ بهجت كان كثيراً ما يزور مسجد السهلة ويبيت فيه وفي أحدى الليالي احتاج الى تجديد الوضوء منتصف الليل ولم يكن ثمة مصباح في المسجد وكان عليه الخروج من المسجد والعبور باتجاة الجانب الشرقي حيث يقع محل الوضوء وأثناء عبوره تلك المسافة صار عنده شيء من الخوف، وبمجرد الشعور بذلك ظهر حوله نور مثل المصباح، سمح له برؤية طريقة والسير خلاله الى أن وصل مكان الوضوء وأنهى عمله والنور يسير أمامه، ثم اختفى ذلك النور حين رجع مكانه.

٢. ينقل آية الله مصباح اليزدي من أحد اصدقائه أنه أراد السفر قبيل شهر رمضان وكانت زوجته حامل فذهب الى الشيخ بهجت يودعه ويلتمس منه الدعاء، فما كان من الشيخ الا أن قال له سيمن الله عليك هذا الشهر بولد ذكر أسمه (محمد حسن) .يقول صاحب القصة لم يكن الشيخ على علم بزوجتي الحامل، وبالفعل وضعت زوجتي مولود في ليلة النصف من شهر رمضان ليلة ولادة الامام الحسن المجتبى عليه السلام وكان المولود صبياً.

٣. كان هناك شخص يعاني من ابتلائه ببعض الشبهات العقائدية فيترك بلده ويسافر الى قم وهناك يرى الشيخ بهجت في عالم الرؤيا فيجيبه على شبهاته . وبعد أن يستيقظ ذلك الشخص لم يكن قلبه مطمئناً بصدق الرؤية، فيأتي الى الشيخ يوم الجمعة ويطرح عليه شبهاته وبمجرد وصوله ومحاولته الكلام في هذا الموضوع أجابه الشيخ جواباً ما قلته لك في الرؤيا فلا تتردد.

اليزدي عن السيد مصطفى الخميني إن الإمام روح الله الموسوي الخميني كان يعتقد أن آية الله بهجت له مقامات رفيعة ومن ضمن المطالب التي يذكرها الإمام الخميني عن الشيخ آية الله محمد تقي بهجت الموت الاختياري. يعني لديه القدرة على انتزاع نفسه وإرجاعها وهذه أحد المقامات الرفيعة التي يصل اليها السالك والعارف[١].

السيد هاشم الحداد وتجرد النفس

ج ـ المرة الأولى لحصول التجرد للسيد هاشم الحداد في كربلاء بمتابعة أمر الأستاذ المرحوم القاضي بالصبر والتحمل ومخالفة النفس مقابل الشدائد وأذى الناس.

قال حضرة السيد الحداد: لقد حصل لي التجرد للمرة الأولى في كربلاء، وتفصيل ذلك أنه كان يعيش مدفوعاً بعُسر المعيشة في بيت أبي زوجته وأمها، فكان أولئك يعيشون في جانب من البيت وهؤلاء في جانب في غرفة أعطاها إياه أبو زوجته مجاناً، ودام ذلك أثنتي عشرة سنة.

وكان أبو زوجته: حسين أبو عمشة يحبه كثيراً، لكن حماته كانت على العكس من ذلك، ولم تكن لتفتقد فقط مشاعر العطف والمحبة نحوه بل كانت لاتتورع عن إبداء أنواع الأذى في القول والفعل، وكانت امرأة قوية البنية بذيئة اللسان ومن عشيرة الجنابي العربية، امرأة شجاعة وجريئة بشكل لم يكن معه لرجلٍ الحق في العبور ليلاً قرب منزلها خوفاً منها، فكان لها القدم الراسخ في حفظ عائلتها وبناتها الى حد كبير، وإذا ما صادف أحياناً أن يعبر

---

(١) انظر فرياد كر توحيد «نداء التوحيد» : مؤسسة تحقيقاتي فرهنكي أهل البيت: ٥٢.

شخص فقد كانت تأتي اليه بمفردها وتحاسبه على ذلك.

وكان السيد يقول: كان يفصل بين غرفتهم وغرفتنا في هذا الجانب أكياس الرز ذو رائحة العنبر وظروف السمن المعدنيّة المكدّسة على بعضها، لكنّهم لم يكونوا ليعطونا منها شيئاً، بل كانت أُمّ زوجتي ـ واسمها نجيبة تتعمّد أن ترانا في شدّة وعسر، لكأنّها كانت تسعد بذلك وتسرّ. وكنت وزوجتي نفتقد الفراش والغطاء، وكنا نسحب نصف الحصير من أسفلنا أحياناً فنلقيه علينا من شدّة البرد.

وبالرغم من أ نّني كنت أذهب للعمل بصورة منتظمة، لكنّ أكثر المراجعين كانوا من الفقراء الذين يعرفونني، والذين كانوا يأخذون منّي نسيئة (قرضاً)، وكان بعضهم لا يدفع الثمن. كما كان معاوني يأخذ ما يحتاج من مصارف، فلم يَبْقَى لي شيء غالباً إلاّ مائة فلساً أو خمسون فلساً كانت بالكادّ تغطّي نفقات شراء الخبز والنفط وفتيلة المصباح وأمثالها، وكانت الاشهر تنصرّم فأعجز خلالها عن شراء قليل من اللحم لاحمله لعائلتي.

وكان سبب نفور هذه المرأة منّي مسألة الفقر التي كانت في نظرها أمراً قبيحاً، ومع هذا الوضع الذي كانت تلمسه والذي كان يوجب عليها أن تمدّ يد المساعدة لنا، إذ كانت متمكِّنة وثريّة، لكنّها كانت على العكس تسعى إلى أن يتلف لدينا شيء ليزداد ضيقنا ومحنتنا.

ومن جهة أُخرى فلم تكن شدّة الحالات الروحيّة والاستفادة من محضر سماحة المرحوم القاضي لتسمح لي بجمع المال وتكديسه، أو ردّ الفقير والمحتاج، أو رفض إقراض الآخرين، وكانت حالتي بهذه الكيفيّة التي لم يكن يسعني أن أمتلك غيرها.

وكانت زوجتي تتحمّل وتصبر، لكنّ صبرها وتحمّلها كانا محدوداً. وهكذا فقد ذكرتُ للمرحوم القاضي بأنّ أذاحماتي لي بالقول والفعل قد بلغ حدّه الاقصى، ولقد عِيل صبري في الحقيقة فلم أعُدْ أمتلك الصبر والحلم والتحمّل على أذاها، وطلبتُ منه الإذن في طلاق زوجتي.

فقال المرحوم القاضي: بغضّ النظر عن هذه الأُمور، فهل تحبّ زوجتك؟ أجبتُ: نعم! قال: لا إذْن لك في الطلاق أبداً! فاذهب واصبر، فإنّ تربيتك على يد زوجتك، وبهذا الشكل الذي بيّنته، فإنّ الله سبحانه قد قرّر أن يكون تأديبك على يد زوجتك؛ فعليك بالتحمّل والمداراة والحلم!ولم أكن لاتخطّي تعليمات المرحوم القاضي أو أتجاوزها أبداً، وكنت أتحمّل ما تضيفه أُمّ زوجتي هذه فوق مصائبنا. حتّى كانت ليلة من ليالي الصيف، عدت فيها إلى المنزل من الخارج بعد أن مرّ جزء من الليل، تعباً مرهقاً وجائعاً وعطشاناً أُريد الذهاب إلى الغرفة، فرأيت أُمّ زوجتي جالسة قرب الحوض في ساحة المنزل وقد كشفت عن ساقيها من شدّة الحرّ وشرعتْ بصبّ الماء عليهما من الحنفيّة الموضوعة فوق الحوض، وحين علمتْ أنّني قد دخلتُ المنزل، شرعتْ في كيل كلمات التجريح والسباب والشتائم التي تخاطبني بها، ولم أدخل إلي الغرفة، بل اتّجهت نحو السلّم فصعدت إلى السطح لاستلقي هناك، فرأيت أنّها رفعت عقيرتها وزادت نبرات صراخها بحيث صار الجيران يسمعونه فضلاً عنّي، وهكذا فقد كالت لي سيل الشتائم والسباب، واستمرّت تعدّد وتعدّد، حتّى عِيل صبري، فهبطتُ الدرج بدون أن أنتهرها أو أردّ عليها بكلمة واحدة، وخرجتُ من باب البيت فهمتُ علي وجهي بلا هدف، ورُحتُ أسير في الشوارع بلا قصد أو انتباه، بل هكذا أسير في الشوارع دون

أن أعرف إلي أين أذهب؛ كنت أسير فقط.وفجأة رأيت في تلك الحال أ ّني صرت اثنين: أحدهما السيّد هاشم الذي اعتدتْ عليه حماته وسبّته وشتمته، والآخر هو أنا مجرّد ومحيط ومتسام لم ينلني سبابها وشتائمها، فلم تكن أساساً تسبّ سيّد هاشم هذا، ولم تكن لتسبّني أو تشتمني، بل كان سيّد هاشم ذاك هو الجدير بكلّ أنواع القبيح من القول. أمّا سيّد هاشم هذا، الذي هو أنا، فلا يستحقّ أن يسبّ، بل إنّها مهما سبّت وشتمت فإنّ ذلك لن يصل إليّ. وانكشف لي في تلك الحال أنّ تلك الحالة الرائعة التي حصلت لي والتي تبعث علي السرور والبهجة إنّما حصلت إثر تحمّل تلك الشتائم والألفاظ القبيحة التي كالتها لي أُمّ زوجتي، وأنّ إطاعة أمر الأستاذ المرحوم القاضي قد فتحت لي هذا الباب، فلو لم أُطعه ولم أتحمّل أذى حماتي، لبقيت إلى الأبد ذلك السيّد هاشم المحزون المغموم الضعيف المشتّت الفكر والمحدود. وللّه الحمد فأنا الآن سيّد هاشم هذا، حيث أتربّع في مكان رفيع ومقام كريم وعزيز، لا ينالني غبار جميع الهموم والإحزان والغموم الدنيويّة بذرّة منه، ولا يتمكّن من أن ينالني بشيء من ذلك. وهكذا فقد عدت فوراً من هناك إلى البيت، فانكببت على يَدَيْ أُمّ زوجتي ورِجليها أقبّلهما وأقول: لا تتخيّلي أنّني انزعجت من كلامك ذلك، فقولي فِيَّ بعد الآن ما شئتِ »[١].

---

(١) كتاب الروح المجرد: محمد الحسيني الطهراني: ١٨١، ١٨٦.

المبحث الثالث

تأثر كل واحدٍ من النفس والبدن عن الأخر

قد ثبت فيما تقدم ان البدن والنفس كل واحد منهما من عالم، لان النفس من عالم المجردات، والبدن من عالم الماديات والجسمانيات، ولكن هناك قانون وهو قانون المجاورة والسراية الذي وضعه الله تعالى،وعلى اساسه يتاثر البدن بالنفس، والنفس بالبدن، وسوف نتعرض الى هذا البحث في مطلبين .

المطلب الاول: تأثر النفس بالبدن

تأثر النفس بالبدن حقيقة ،كل انسان يشعر بها في وجدانه وضميره ولا سيما، كبار السن الذين يصلون الى الشيخوخة فانهم سوف يشعرون بضعف النفس ووهنها ،وكذلك اولئك المرضى الذين يصابون في ابدانهم، أو الجياع الذين يشتهون الاكل ويكررون ذلك مرات، فان ذلك يولد هيأة نفسية تصبح النفس تنقاد الى هذه الصفة وهذه الهيئة التي تكونت .

قال الشيخ الرئيس[1] في هذا المجال ما حاصلة: «إذا أحس الإنسان

---

(١) ولد الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا .كان أبوه من أهل بلخ فهاجر إلى بخارى وتزوج في قرية (أفشنه) فولد (٣٧٥ هـ ـ وتوفي ٤٢٨ هـ) وله كتب في الفلسفة والطب (الشفاء ـ الإشارات ـ القانون) .

بشيء من أعضائه شيئاً أو تخيل أو أشتهى أمراً ما، أو غضب، نشأت في النفس بواسطة فروعها المنتشرة في البدن ـ هيئة نفسية ـ يعني حالة أو صفة فإذا تكرر ذلك صار سبباً في إذعان النفس، أي خضوعها للمؤثر خضوعاً تاماً، بل يصبح عادة وخلقاً يتمكنان من هذا الجوهر، المدبر تمكن الملكات »

وهناك روايات تشير الى تأثير البدن علي النفس

١- وهو قول النبي صلي الله عليه واله لعلي: يا علي لا تتكلم عند الجماع فإنه إن قضي بينكما ولد لا يؤمن أن يكون أخرس ولا ينظرن أحدكم إلى فرج امرأته وليغض بصره عند الجماع فإن النظر إلى الفرج يورث العمى في الولد، يا علي لا تجامع أمرآتك بشهوة امرأة غيرك فإني أخشى أن قضي بينكما ولد أن يكون مخنثا مؤنثا مخبلاً. يا علي لا تجامع امرأتك من قيام فإن ذلك من فعل الحمير أن قضي بينكما ولد كان بوالاً في الفراش كالحمير البواله(١).

٢-وفي هذا الباب من أن الولد أنما يتكون بحسب ما غلب على الوالدين من الصفات والهيئات النفسية والإعراض الجسمانية.

ما قاله ابن العربي من فصوص الحكم، ما حاصلة " كما تمثل الروح الأمين جبرائيل عليه السلام لمريم عليها السلام وتخيلت أنه بشراً يريد مواقعتها استعاذت بالله منه استعاذة بجمعيةٍ، فلو نفخ فيها في ذلك الوقت على هذه الحالة لخرج عيسى عليه السلام لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه كحال أمه.فلما قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً إنبسطت عن ذلك القبض وأنشرح صدرها فنفخ

---

(١) الامالي: الشيخ الصدوق: ٦٦٣.

فيها في ذلك الحين عيسى)[١].

المطلب الثاني : تأثر البدن بالنفس

وتأثير النفس على البدن من الامور البديهية الذي يحصل لكل انسان ، ومثال على ذلك، الانسان اذا خرج بالليل ورأى شبحا اخذته قشعريرة وخوف ،وكذلك احيانا الانسان يتصبب عرقا عندما يواجه أمرا من الامور ولاسيما اذا واجه عظيما في نظره .

قال الشيخ الرئيس في تأثر البدن بالنفس ما حاصله:«وهناك العكس وهو أنه كثيراً ما تعرض في النفس إبتداءً هيئة ما عقليه، فتنتقل العلاقة من تلك الهيئة أثراً إلى الفروع ثم إلى الأعضاء. انظر أنك إذا استشعرت جانب الله تعالى وفكرت في جبروته كيف يقشعر جلدك ويقف شعرك»[٢].

وهناك ايات تشير الى هذه الحقيقة وهي تأثير النفس على البدن

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ

---

(١) انظر شرح فصوص الحكم: محمد داوود القيصري: ٨٥٤.

(٢) انظر الاشارات والتنبيهات: ابن سينا: ٢: ٣٠٦، ٣٠٧.

(٣) سورة الزمر : الاية ٢٣ .

الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾[١] .

ثانياً: ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام

١. كان الإمام الحسن عليه السلام أذا توضأ تغير لونه، وارتعدت مفاصله فقيل له في ذلك، فقال (حق لمن وقف بين يدي الله أن يتغير لونه وترتعد فرائصه)[٢]. وعن أبي جعفر وأبي عبد الله (صلوات الله عليهما) أنهما كانا إذا قاما في الصلاة تغيرت ألوانهما، مرة حمرة ومرة صفرة، كأنهما يناجيان شيئاً يريانه[٣].

٢- وهكذا الإمام زين العابدين عليه السلام كان أذا توضأ للصلاة وأخذ في الدخول فيها أصفر وجهه وتغير، فقيل له مرة في ذلك فقال أني أريد الوقوف بين يدي ملك عظيم)[٤].

٣-وعن الإمام أبي عبدالله الصادق عليه السلام كان الإمام إذا قام إلى الصلاة تغير لونه فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض[٥]،عرقا)[٦].

٤- وروى جعفر بن أحمد القمي، في كتاب زهد النبي صلى الله عليه وآله، قال: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قام إلى الصلاة، تربد وجهه خوفا من الله تعالى، وكان لصدره (أو لجوفه أزيز كأزيز المرجل)[٧].

---

(١) سورة المائدة ٨٣ .

(٢) بحار الأنوار: ٧٧: ٣٤٦.

(٣) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٤: ١٠٤.

(٤) مستدرك الوسائل: ٤: ١٠٣.

(٥) أي يسيل ويجري العرق ، مجمع البحرين ،ج٤ :ص٢٠٧ .

(٦) الكافي: ٣ :٣٠٠.

(٧) مستدرك الوسائل: ٤: ٩٣.

المبحث الرابع

في تكون جوهر النفس وهل هي جسمانية أو روحانية

اختلفوا في أن النفس روحانية الحدوث والبقاء، أو جسمانية الحدوث وروحانية البقاء على أقوال بعد اتفاق أرباب العقل على أنها روحانية البقاء

القول الأول: أن النفس روحانية حدوثا وبقاء وفيه مطالب

المطلب الاول: القائلين أن النفس روحانية حدوثاً وبقاء

وقد اشتهر القول بروحانية الحدوث والبقاء بين«الإشراقيين» ومؤسسها شهاب الدين السهروردي، وبين «المشائين» ومؤسسها ارسطو طاليس ،إلا أن الطائفة الأولى-الاشراقيين، وأفلاطون الحكيم منهم - قالوا بقدم النفوس[1].

---

(١) أبيات ابن سينا يمكن ان تشير الى هذا الراي،والأبيات وردت في كتب متعددة وقد أخذناها من كتاب أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا - ج٦- ص٧٩. ونضيف اليها شرحا حتى تتوضح.

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

أي هبطت إليك أيّها الإنسان الّذي هو جسد ونفس موجودا في عالم الكون والفساد، هذه النّفس الّتي كنّى عنها بالورقاء أي الحمامة ذات غبرة في لونها، من محلّ القدس وعالم الألوهة والثّبات، والجوهرة البريّة من التغيّر، والشّريفة والعزيزة والمتمنّعة عن أن تخالط

الهيولى والأجسام. ولا يريد بها ابن سينا أي نفس كانت كالنّفس النّباتيّة أو الحيوانيّة، بل النّفس العاقلة فقط.

مَحْجُوبَةٌ عَنْ مُقْلَةِ كُلِّ عَارِفٍ وَهْيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَتَبَرْقَعِ

وهذه النّفس العاقلة والشّريفة لمّا حلّت فيك، فإنّ الإنسان النّاظر والمدرك للأشياء المحسوسة بحواسّه الخمس امتنع عليه أن يدركها، أو يثبت وجودها، وذلك لأنّها من طبيعة غير طبيعة هذا العالم، وهو لا ينظر للوجود ولا يطلب معرفته إلاّ بما لا يُوقِفُه منه إلاّ على الأشياء الطّبيعيّة والهيولانيّة، فصارت النّفس لذلك الإنسان وكأنّها محجوبة عنه. أمّا العارف الفطن الّذي قد ترقّى إلى مرتبة الإدراك العقليّ، وتخلّص من أسر الحسّ، وهُمْ قليل جدًّا، فهي سافرة له بيّنة عنده، وأظهر لديه من الحسّ نفسه، فصارت النّفس في حقّه وكأنّها قد سفرت ولم تتبرقع، أي لم تتّخذ برقعا، وهو أداة يخفي وجه المرأة.

وَصَلَتْ عَلَى كُرْهٍ إِلَيْكَ وَرُبَّمَا كَرِهَتْ فِرَاقَكَ وَهْيَ ذَاتُ تَفَجُّعِ

والنّفس بعدما كانت في عالم القدس وهبطت إليك، فإنّها أوّل ما هبطت، قد شقيت من هذا السّقوط، وضاقت به ذرعا، ولم تستمرئه البتّة، وكرهته أيّما كره. ومع ذلك فها أنت تشاهدها الآن قد صارت تتفجّع من فراقك، أي فراق جسدك؛ لأنّك ترى النّاس كلّهم أو جلّهم إنّما يخشون الموت.

أَنِفَتْ وَمَا أَلِفَتْ فَلَمَّا وَاصَلَتْ أَنِسَتْ مُجَاوَرَةَ الخَرَابِ البَلْقَعِ

وآية كرهها لهذا السّقوط من عالم القدس، وحلولها في جسدك أنّه قد تقزّزت منه أوّلا، وتجانفته؛ لكنّ هذه النّفس، وبعد طول الإقامة، فقد أنست سكنه واستمرأت الثّواء فيه. وقد كنّى ابن سينا عنه بالخراب البلقع، أي خال، لأنّ الجسم في الحقيقة هو أقرب إلى العدم منه إلى الوجود، وهو لاشيء بالقياس إلى عالم الحقيقة الّذي هوت منه تلك النّفس.

وَأَظُنُّهَا نَسِيَتْ عُهُودًا بِالحِمَى وَمَنَازِلاً بِفِرَاقِهَا لَمْ تَقْنَعِ

وهذه النّفس برضاها وشغفها بالبقاء في عالم الطّبيعة والفساد بعد أن كانت قد تعذّبت وشقيت أوّل ما حلّت في الجسم وفارقت عالم القدس، لَكَأنّها قد نسيت تلك العهود الطيّبة حين كانت ترفرف في حمى القدس، وعالم النّور والثّبات، وذهلت عن منازل عليّة كريمة كانت أوّلا قد أسيت من فراقها ولم تقنع به.

حَتَّى إِذَا اتَّصَلَتْ بِهَاءِ هُبُوطِهَا عَنْ مِيمِ مَرْكَزِهَا بِذَاتِ الأَجْرَعِ

ولّما استمّرت النّفس في مكان الهبوط، ومركز عالم ما تحت القمر، وهو عالم الأرض، وقد كنّى عنه بذات الأجرع، أي الأرض الخشنة.

عَلِقَتْ بِهَا ثَاءُ الثَّقِيلِ فَأَصْبَحَتْ بَيْنَ المَعَالِمِ وَالطُّلُولِ الخُضَّعِ

ج

وصارت مثقلة بالقيود الجسميّة، وطال حبسها فيها، فإنّ هذه النّفس، ولكن ليست أيّ نفس، بل النّفس الكريمة، ذات الفطرة الجيّدة، والتّي القوّة العقليّة لم تخمد منها كلّها، وهي موجودة بين الآثار والرّسوم والأطلال الخضّع، أي الخاشعة، وهذه كلّها كناية عن الحياة الأرضيّة.

تَبْكِي إِذَا ذَكَرَتْ عُهُودًا بِالْحِمَى بِمَدَامِعٍ تَهْمِي وَلَمَّا تُقْلِعِ

تبكي وتنوح بمدامع تسيل ولا تنقطع تحسّرا وتحرّقا كلّما تذكّرت عهودا وأيّاما شَيِّقَةً كانت مقيمة فيها بالحمى، أي بعالم القدس وسِدْرَةِ المنتهى. والحمى في أصل اللّغة هو كلّ ما ينبغي أن يُحمى.

وَتَظَلُّ سَاجِعَةً عَلَى الدِّمْنِ الَّتِي دَرَسَتْ بِتِكْرَارِ الرِّيَاحِ الأَرْبَعِ

وهذه الورقاء، وهي كناية عن هذه النّفس الكريمة، تبقى أيضا ساجعة أي نائحة على الدّمن، أي عند آثار النّاس والبهائم، وهذا أيضا كناية عن العالم الأرضيّ الّذي درس أي ذهب،

بتعاور الرّياح الأربع عليه، والرّياح الأربع عند العرب هي الصّبا، والدّبور، والشّمال، والجنوب؛ وإنّما كنّى بها عن العناصر الأربعة الّتي تتركّب منها كلّ الموجودات الأرضيّة، أي الماء والهواء والتّراب والنّار.

إِذْ عَاقَهَا الشِّرْكُ الكَثِيفُ وَصَدَّهَا قَفَصٌ عَنِ الأَوْجِ الفَسِيحِ المُرْبِعِ

قد يريد بالشّرك، الكفر، والكفر هو التغطية، والباطل، فكنّى ابن سينا عن عالم الجسم، بالشّرك، لأنّه هو أيضا باطل فهو لا شيء، وهو كفر، فهو يُعَمِّي النّفس عن أصلها. وهذا الشّرك الكثيف أي الغليظ، إذ لفّ هذه النّفس الكريمة، فقد عاقها عن أن تتّصل بأصلها العلويّ الّذي جاءت منه، وكان لها قفصا وسجنا يمنعها من أن تسيح في أوج فسيح وعالم مُرْبِعٍ، أي وشّاه الرّبيع.

وَغَدَتْ مُفَارِقَةً لِكُلِّ مُخْلِفٍ عَنْهَا حَلِيفِ التُّرْبِ غَيْرِ مُشَيِّعِ

ولكن هذه النّفس الكريمة، وليست أي نفس، لمّا كان قد بقي فيها من عالم العقل نسبة، وكانت تتألّم من فراقها لأصلها، وتبكي للعهود الأولى، فلا جرم أنّها سوف تجتهد لأن تعود لأصلها، وتعاود الاتّصال به، وهي بَعْدُ في عالم الجسم؛ وذا ممكن، لكن بشرط المجاهدة وسلوك الطّريق. وأوّل مرتبة في هذه المجاهدة والسّلوك إنّما بأن تفارق النّفس الكريمة والمتشوّقة كلّ نفس أخرى دَيْدَنُهَا الكذب والإخلاف، أي هي غير صادقة في ذكرها للعالم العقليّ، وأن تهرب من كلّ من حالف التّراب والجسم، ولم تكن له همّة أو صدق، وهذا معنى غير مشيّع، في أن يزهد فيهما.

سَجَعَتْ وَقَدْ كُشِفَ الغِطَاءُ فَأَبْصَرَتْ مَا لَيْسَ يُدْرَكُ بِالعُيُونِ الهُجَّعِ

وبعد أن تواصل المجاهدة والارتياض بأن تعفّفت من الأمور الحسيّة والشّهوات المردية، وبأن تدمن على تأمّل الأمور المعقولة، وتُبْقِي الجوهرة النّفيسة فيها وهي العقل تتّقد أبدا، فسوف تنكشف لها الحقيقة، وتلمح، وهي بَعْدُ متسربلة بالجسم، الأنوار الشّعشانيّة، واللمّع القدسيّة

الّتي لا يمكن أن تُدْرَكَ إلاّ بملكة العقل المبرّا من الحسّ، أمّا أولائك الّذين أوغلوا في المحسوسات، وتردّوا في الشّهوات، وصاروا كالبهائم، فعيونهم هاجعة، ونائمة، ولا يمكن أن ترى إلاّ الوهم والكذب أي المحسوس.

وَغَـدَتْ تُغَـرِّدُ فَـوْقَ ذِرْوَةِ شَـاهِقٍ ... وَالعِلْـمُ يَرْفَـعُ كُـلَّ مَـنْ لَـمْ يُرْفَـعِ

لذلك فهذه النّفس الكريمة لمداومتها على الرّياضة والمجاهدة، ولانكبابها على المعقولات الّتي هي العلم الحقّ، فسوف يكون جزاءها أن ترقى إلى ذروة السّعادة، وتبلغ إلى قمّة الكمال الّتي لا يمكن أن تُبْلَغَ إلاّ بذلك العلم الحقّ. وقوله: والعلم يرفع كلّ من لم يرفع، فمعناه أنّ النّفس لمّا كانت في أوّل ما التبست بالجسم قد انحطّت إلى الحضيض ولم تُرْفَعْ، فبذلك العلم الحقّ لهي حريّة بأن تُرفع إلى المقام الأسنى.

فَلِـأَيِّ شَـيْءٍ أُهْبِطَـتْ مِـنْ شَـامِخٍ ... عَـالٍ إِلَـى قَعْـرِ الحَـضِيضَ الأَوْضَـعِ

يأخذ ابن سينا هنا في السّؤال سؤالا قد يسأله كلّ ناظر في أمر النّفس ويحتار فيه، ألا وهو، ليت شعري، وما سبب أن تكون النّفس قد فارقت عالمها الشّريف العالي لتنزل إلى هذا الحضيض الفاني عالم الجسم؟ وما الحكمة في ذلك ؟ وكيف كان لها أن تستبدل الّذي هو خير بالّذي هو أدنى .

إنْ كَـانَ أَهْبَطَهَـا الإِلَـهُ لِحِكْمَـة ... طُوِيَـتْ عَـنِ الفَطِـنِ اللَّبِيـبِ الأَرْوَعِ

فهبوطها قد يكون لغرض ، ليس يعلمه إلاّ الله، ومُنِعَ عن الانسان، ولو كان اللّبيب الفطن المدقّق.

فَهُبُوطُهَـا إِنْ كَـانَ ضَـرْبَةَ لاَ زِبٍ ... لِتَكُـونَ سَـامِعَةً بِمَـا لَـمْ تَـسْمَعِ

أو قد يكون هبوطها لضرورة ذاتيّة، وهذا معنى ضربة لا زب، أي حتما، وذلك من أجل أن تُحَصِّلَ معرفة من غير جنس المعرفة الأولى الحاصلة لها. لأنّ المعرفة الأولى هي معرفة

عقليّة محض. وبعد هبوطها واتّصالها بالجسم، فقد حصل لها معرفة من جنس آخر، وهي المعرفة بعالم الهيولى. ولعلّ ذلك هو معنى قوله: لتعود عالمة بما لم تسمع، يقصد ليتجدّد لها معرفة غير المعرفة العقليّة الأولى.

وَتَعُودَ عَالِمَةً بِكُلِّ حَقِيقَةٍ فِي العَالَمَيْنِ فَخَرْقُهَا لَمْ يُرْقَعِ

والّذي يؤيّد التّأويل السّابق قوله هنا: وتعود عالمة بكلّ حقيقة في العالمين، أي عالم العقل وعالم الهيولى، أي لتجمع بين المعرفتين، المعرفة العقليّة والمعرفة الحسيّة. لكن ابن سينا يستدرك على ذلك بقوله إنّ صحّ هذا السّبب في تعليل هبوط النّفس فإنّ هبوطها قد أضرّ بها ولم ينفعها، وأنّ اكتسابها لمعرفة أخرى حسّيّة إلى المعرفة العقليّة وإن كان في ظاهره زيادة ووفرة، لكنّه قد نال من بساطة تلك النّفس وبثّ فيها الشّقاق السّاري إليها من الهيولى، فلم تلتئم كامل الالتآم، فكأنّها ثوب شُقَّ، ثمّ رُقِّعَ لكنّ هذا الترّقيع لا يمكن أن يعيد ذلك الثّوب إلى وحدته الأولى التّامّة.

وَهْيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا حَتَّى لَقَدْ غَربت بِعَيْنِ المَطْلَعِ

ووجود النّفس في الزّمان هو الذي جعلها تدخل تحت حكم التغيّر، والهيولى، وإذ كانت هي في أصلها بسيطة، وعالمها الحقيق بها إنّما هو عالم الثّبات والأبديّة، أي ما فوق الزّمن، إذاً فوجودها في الزّمن ودخولها تحت حكمه، جعل الزّمن يصرفها عن غايتها وحقيقتها، وهذا معنى قوله: وهي الّتي قطع الزّمان طريقها. وقوله حتّى لقد غربت بعين المطلع، فلعلّه يعني به: وبسبب تسلّط الزّمن على النّفس وحصولها في الجسم، فهي قد غابت، لكن غروبها هو ليس مُرْسَلاً، بل من نفس غروبها، فإنّها تعاود أن تطلع ثانية إذا ما جاهدت وارتاضت لتجدّد اتّصالها بالعالم الأعلى.

فَكَأنَّهَا بَرْقٌ تَأَلَّقَ بِالحِمَى ثُمَّ انْطَوَى فَكَأنَّهُ لَمْ يَلْمَعِ

وبالآخَرَة، فهذه النّفس في نزولها ثمّ ترقّيها ثانية إذا قِيسَتْ إلى الأبديّة والأزليّة، لكأنّها برق

والطائفة الثانية:وهو مذهب ارسطو طاليس(٣٨٤- ٣٢٢ ق.م)، وشيعته من- المشاء- قالوا بحدوثها بمجرد حدوث البدن القابل لتعلق الروح به »[١]. قال حسن زادة الاملي:إن الشيخ الرئيس ابن سينا، يقول بحدوث النفس بحدوث البدن، وبتعبير أخر إن النفس تحدث بحدوث البدن،حيث يستشهد بقول الشيخ الرئيس التي وردت في كتاب الشفاء «ومما لاشك فيه إن هاهنا عقولاً بسيطة مفارقة تحدث مَعَ حدوث أبدان الناس »[٢]. وهذا الراي لابن سينا خلاف ماورد في الابيات المنسوبة له وهو خلق النفوس قبل الابدان ،ولكن ذلك ممكن اذا عرفنا ان الفيلسوف قد تتغير عنده الرؤى .

المطلب الثاني: القران الكريم وخلق النفس قبل البدن

نقل الرواة عن الامام الصادق عليه السلام ان الامام فسر هـذه الايـة الشريفة بخلق النفوس قبل الابدان وهو قوله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[٣].

عن ابن ابي عمير عن ابن مسكان عن ابي عبدالله عليه السلام :﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ

تألّق ثمّ ما لبث أن اختفي حتّى كأنّه لم يلمع البتّة، أي كأنّ النّفس ما هبطت، ولا ظهـرت، ولا عادت ثانية إلى أصلها.

(١) انظر تفسير القرآن: السيد مصطفى الخميني: ٥: ٣٣٤ـ ٣٣٥.وكذا انظر: درر الفوائد :محمـد تقي الاملي : ٣٤٢ .وانظر كذلك علم النفس التحليلي بمنظار اسلامي : محمد حسين ضيائي : ص٤٨ .

(٢) عيون مسائل النفس: آية الله حسن زادة الاملي: ٢٢٨.

(٣) سورة الاعراف : الاية ١٧٢ .

أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾. قلت معاينه كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه فمنهم من أقر بلسانه في الذر، ولم يؤمن بقلبه فقال تعالى: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِ مِن قَبْلُ﴾[١].

المطلب الثالث: روايات عن أهل البيت تشير إلى خلق الأرواح قبل الأبدان

١- معتبرة ابن أبي يعفور المروية في العلل، عن الإمام الصادقعليه السلام إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها في الميثاق أئتلف هنا، وما تناكر منها في الميثاق أختلف هنا[٢].

٢- موثقة ابن أبي بكير عن الإمام الباقرعليه السلام وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفي عام[٣].

٣- عن داود الرقي عن ابي عبدالله عليه السلام :« فلما أراد الله أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم : من ربكم ؟ فأول من نطق : رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم فقالوا : أنت ربنا ، فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة : هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون ، ثم قال لبني آدم : أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة ، فقالوا : نعم ربنا أقررنا ، فقال الله للملائكة : أشهدوا . فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا : "

---

(١) تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: ١: ٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ٥٨: ١٣٩.

(٣) الكافي: ١: ٤٣٨.

إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون " يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق»[١]. وهناك روايات كثيرة نكتفي بما ذكرنا

المطلب الرابع: ما اجاب به الفقهاء عن عالم الذر

اولا: جواب المحقق الخوئي «رض» عن عالم الذر

وفي سؤال إلى السيد الخوئي:«هل صحيح ما يذكر عن عالم الذر وكيف هو»؟أجاب السيد الخوئي: نعم صحيح أصله على أجماله ِ وغير معلوم تفصيله»[٢].

ثانيا: جواب الشيخ التبريزي عن امتحان الزهراء عليها السلام

جاء في زيارة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ما نصه:«أمتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك وكنت لما أمتحنك صابرة» فما هو تفسير الامتحان قبل الخلق، وكونها عليها السلام صابرة . اجاب الشيخ «لعل الامتحان راجع إلى عالم الذر، وخلق الأرواح في الصور المثالية قبل خلق الأبدان »[٣].

القول الثاني: إنّ النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء[٤]

وفيه مطالب:

(١) الكافي : الشيخ الكليني : ١ : ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢) صراط النجاة: ميرزا جواد تبريزي: ١: ٤٦٩.

(٣) المصدر نفسه: ١: ٥٦٨.

(٤) انظر الحكمة المتعالية في الإسفار العقلية الأربعة: صدر الدين الشيرازي: ٨: ١٠٩.

المطلب الاول: القائل بهذا القول

والذي ذهب الى هذا القول الفيلسوف صدر المتالهين الشيرازي (رض) صاحب مدرسة الحكمة المتعالية وملا هادي السبزواري اذ يقول:

النفس في الحدوث جسمانية وفي البقاء تكون روحانية[١].

وكذلك الطباطبائي صاحب الميزان يذهب الى ما ذهب اليه ملا صدرا ، ومعنى ذلك إن النفس تبدأ بداية مادية ـ فالإنسان عندما يخلق ابتداءً هو مخلوق مادي بحت، ثم بعد ذلك تبدأ نفسه تتجرد من المادة طبقاً لقانون الحركة الجوهرية، فتبدأ النفس بالتخدر والتجرد عن المادة، حتى تتجرد تجرداً تاماً عن المادة في مراحل تكاملها، وحينئذٍ تكون غير مادية، لكن تبقى مادية في فعلها.

يقول صدر المتالهين: «النطفة قد فاضت عليها من المبدء الفعال كمالات متعاقبة جوهرية أولها كالصورة المعدنية وهي الحافظة للتركيب والمفيدة للمزاج وثانيها الصور النباتية وبعدها الجوهر الحيواني وهكذا وقع الاشتداد في الوجود الصوري الجوهري إلى أن تجرد وارتفع عن المادة ذاتا ثم ادراكا وتدبيرا وفعلا وتأثيرا »[٢].

وقد ذهب السيد الشهيد محمد باقر الصدر(قدس) الى تاييد نظرية الحركة الجوهرية التي قال بها الشيرازي حيث قال: «وهذه الحركة الجوهرية هي الجسر الذي كشفه الشيرازي بين المادة والروح، فإنّ المادة في حركتها الجوهرية تتكامل في وجودها وتستمر في تكاملها حتى تتجرّد عن ماديتها

(١) درر الفوائد :محمد تقي الاملي : ٣٤٢ .

(٢) انظر الحكمة المتعالية: صدر الدين الشيرازي: ٩: ١٤٧.

ضمن شروط معينة وتصبح كائناً غير مادي. أي تصبح كائناً روحياً، فليس بين المادي والروحي حدود فاصلة بل هما درجتان من درجات الوجود. والروح بالرغم من أنّها ليست مادية ذات نِسَب مادية لأنّها المرحلة العليا لتكامل المادة في حركتها الجوهرية»[١].

المطلب الثاني: ماهي الحركة الجوهرية؟

تعرف الحركة بالمصطلح الفلسفي على أنها "خروج الشيء من القوة إلى الفعل على سبيل التدرج".. وهذا التعريف يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية هي:

أ) الخروج من القوة.

ب) إلى الفعل.

ج) على سبيل التدرج.

١- ويقصد بالقوة قابلية الشيء وإمكانيته. فإن قولنا: إن هذا الطفل طبيب بالقوة، يقصد منه أنه قابل لأن يكون طبيباً وذلك ممكن وليس بمحال. أو كقولنا: إن هذه البذرة شجرة بالقوة، ونقصد بذلك أيضاً أنها من الممكن أن تكون شجرة، أو إن لها القابلية أو الاستعداد كي تصب شجرة لاحقاً في المستقبل[٢].

٢- أما معنى الفعل فهو عبارة عن وجود الشيء حقيقة. ومثال ذلك قولنا: إن هذه الشمعة مشتعلة بالفعل إذا كانت مشتعلة حال كلامنا عنها، حيث نراها متجسدة بفعل الاشتعال أمام ناظرينا[٣].

---

(١) فلسفتنا: محمد باقر الصدر: ٣٣٦.

(٢) نهاية الحكمة: محمد حسين الطباطبائي:٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤٩.

٣- أما معنى قولهم: «على سبيل التدرج» فهو أن هذا الانتقال من حال القابلية إلى حال الفعلية لا يكون دفعة واحدة وخارج إطار الزمن بل لابد أن يكون متدرجاً في حصوله درجة درجة ومرحلة مرحلة.

٤- أما معنى الجوهر، فيعرف على أنه «الموجود لا في موضوع» فالجوهر هو الماهية المستقلة مفهوماً ووجوداً. ومثالهاالجسم. فالجسم ذو معنى مستقل ولايحتاج في وجوده إلى الحلول في غيره إذ هو مستقل بذاته[(١)].

٥- العرض المعروف على أنه «الموجود في موضوع»[(٢)]. العرض «ماهية مستقلة بحسب نفسها، ومفهومها، لا مستقلة بحسب وجودها، إذ هو بحاجة في وجوده إلى الوجود في غيره». ومثال ذلك: اللون الذي يمتلك معنى مستقل بذاته عقلاً، إلا أنه في الخارج لا ينفك عن الحلول في جسم ما.

وبعد هذه المقدمة نقول:

يعتقد الفلاسفة القدماء إن الحركة أربع مقولات عرضيه هي (أين، كيف، كم، وضع) وبتعبير أوضح أن حركة الجسم تكون بتغيير مكانهِ وذلك بانتقالهِ، وهذهِ هي مقولة(أين) ،أو بنموه أو زيادة كميته وهذه مقوله (الكم)،

أو تغيير اللون والطعم والرائحة، كشجرة التفاح، وهذا المقصود من (الكيف)، أو أن يدور في مكانهِ حول نفسهِ كالحركة الوضعية للأرض وهذا ما يراد بهِ من (الوضع).

وقد كان سائداً أن الحركة غير ممكنة في جوهر وذات الجسم أبداً، لأنه في كل حركة يجب أن تكون ذات الجسم المتحرك ثابتة، إلا أن عوارضه قد

---

(١) المنطق: محمد رضا المظفر: ١٠٣.

(٢) المنطق- الشيخ المظفر- : ١٠٣.

تتغير، ولا تتصور الحركة في ذات الشيء وجوهره، بل في إعراضهِ، لكن الفلاسفة المتأخرين رفضوا ذلك وقالوا إن أساس الحركة هي الذات والجوهر والتي تظهر أثارها في العوارض.

وأول شخص طرح هذهِ النظرية بشكل تفصيلي استدلالي صدر الدين الشيرازي (رض) حين قال إن ذرات الكائنات وعالم المادة في حركة دائبة، وبتعبير أخر إن مادة الأجسام وجود سيال متغير الذات دائماً، وفي كل لحظة له وجود جديد يختلف عن الوجود السابق له، ولكون هذهِ التغيرات متصلة مَعَ بعضها فإنها شيئاً واحداً، وبناءً على هذا فإن في كل لحظة وجود جديد الا أن هذه الوجودات متصلة ومستمرة ولها صورة واحدة.

فالعالم على حسب هذهِ النظرية اشبه بنهر جار تنعكس فيه صورة القمر فالناظر الساذج يتصور أن هناك صورة منعكسه على الماء وهي باقية ثابتة والناظر الدقيق يرى أن الصورة تتبدل حسب جريان الماء وسيلانهِ، فهناك صور مستمرة.

المطلب الثالث: الأدلة على الحركة الجوهرية

اولا: الادلة العقلية

الدليل الأول- العلة الطبيعية والمعلول العرضي:

يتألف هذا الدليل من مقدمتين ونتيجة، تتحدث أولاهما عن "أن التحولات العرضية معلولة لطبيعتها الجوهرية"،

أما الثانية فإنها تركز على "أن العلة الطبيعية للحركة لا بد أن تكون متحركة".

فتكون النتيجة هي أن الجوهر -الذي يعتبر علة للحركات العرضية-

لا بد أن يكون متحركاً.

وبعبارة اخرى: (كلّ ما بالعرض ينتهي إلى ما بالذات)، هناك أصل عام وهو انّ كلّ موجود استعار صفة من غيره وأنّها لابدّ أن تنتهي إلى مصدر تنشأ منه، وبدون ذلك سنواجه مشكلة (التسلسل)، أي أنّ الحرارة في الماء الحار مستعارة ولابدّ لها أن تنتهي إلى النار التي تولّد الحرارة من ذاتها .

بناءاً على هذا الأصل فانّ الحركة التي نلاحظها في أعراض الجسم (نظير الكميّة والكيفية) لابدّ لنا أن نعرف أنّ هذه الحركة ناشئة من إضطراب الذات والباطن، فمثلا: لو كانت التفاحة ثابتة في ذاتها ومستقرّة فكيف إذن يتغيّر لون إعراضها؟ هذه الحركة الظاهرية إذن تخبر عن حركة الداخل .

الدليل الثاني- ارتباط الأعراض وأصل التغيير: ويتكون من مقدمتين ونتيجة:

المقدمة الأولى: ترتبط حركة الأعراض -بشكل أو بآخر بأصل الموضوع، بحيث تكون الآثار الناتجة عنها غير مستقلة عن أصل الجوهر، بل هي - في حقيقة الأمر- من شؤون وجود الجوهر.. ولإيضاح ذلك نضرب المثال التالي:

تعتبر الإشعاعات المختلفة والمتعددة الناتجة عن حركة الإلكترونات ضمن المستويات الطاقية في الذرة، ومن الآثار الجانبية والظواهر العرضية التي هي في المجمل من آثار المادة، وليست أصل المادة.. لذلك تعتبر هذه المرحلة المتقدمة وجوداً آخر غير مستقل لأصل الجوهر (لحقيقة المادة). كنتيجة لذاتية الموضوع، الأمر الذي يمكننا أن نعتبره متعلقاً بالشؤون الذاتية لجوهر حركة المادة..

المقدمة الثانية: فهي تؤكد على أن أي تغير يطرأ على موجود ما، يدل على حقيقة تغيره في الداخل في مستوى علاقته بحركة الخارج، من موقع التفاعل المتبادل بينهما في العمق.

الجوهر علة العرض

تغير العرض يدل على تغير الجوهر (العرض متغير)

اذن الجوهر متغير

فعلى سبيل المثال: نجد أن جميع الصفات الخارجية للإنسان خاضعة للصفات الوراثية الباطنية التي ينقلها كل جيل للآخر من لون الشعر، ولون البشرة، والطول، والقصر، وغير ذلك من الأمراض التي أثبت العلم ارتباطها بأصل التغيرات الداخلية الذاتية (الوراثة).. أي أن جميع الحركات العرضية الخارجية تشير إشارة واضحة إلى حدوث أصل التغير في عمق وحقيقة الوجود الجوهري.

وبعبارة اخرى كلّ (معلول متغيّر) بحاجة إلى (علّة متغيّرة)، فلو جلسنا في ظل شجرة في بستان ولاحظنا التحرّك المستمرّ للظلّ فالواجب أن نعلم انّ علّته وهي أشعة الشمس في حالة تحرّك، ومن هناك ندرك الحركة في ذات الجسم عن طريق الحركة في اعراضه .

قال صدر الدين الشيرازي: «كل جوهر جسماني له نحو وجود مستلزم لعوارض ممتنعه الانفكاك عنه نسبتها إلى الشخص نسبه لوازم الفصول الاشتقاقية إلى الأنواع وتلك العوارض اللازمة هي المسماة بالمشخصات عند الجمهور والحق انها علامات للتشخص ومعنى العلامة هاهنا العنوان للشئ المعبر بمفهومه عن ذلك كما يعبر عن الفصل الحقيقي

الاشتقاقي بالفصل المنطقي كالنامي للنبات وكالحساس للحيوان والناطق للانسان فان الأول عنوان للنفس النباتية والثاني للنفس الحيوانية والثالث للنفس الناطقة وتلك النفوس فصول اشتقاقية وكذا حكم سائر الفصول في المركبات الجوهرية فان كلا منها جوهر بسيط يعبر عنه بفصل منطقي كلي من باب تسميه الشئ باسم لازمه الذاتي وهي بالحقيقة وجودات خاصه بسيطه لا ماهية لها وعلى هذا المنوال لوازم الأشخاص في تسميتها بالمشخص فان التشخص بنحو من الوجود إذ هو المتشخص بذاته وتلك اللوازم منبعثة عنه انبعاث الضوء من المضئ والحرارة من الحار والنار، فإذا تقرر هذا فنقول كل شخص جسماني يتبدل عليه هذه المشخصات كلا أو بعضا كالزمان والكم والوضع والأين وغيرها فتبدلها تابع لتبدل الوجود المستلزم إياها بل عينه بوجه فان وجود كل طبيعة جسمانية يحمل عليه بالذات انه الجوهر المتصل المتكمم الوضعي المتحيز الزماني لذاته فتبدل المقادير والألوان والأوضاع يوجب تبدل الوجود الشخصي الجوهري الجسماني وهذا هو حركه في الجوهر إذ وجود الجوهر جوهركما أن وجود العرض عرض »[(١)].

ثانيا: القران الكريم

ولا تفوتنا الاشاره الى ان ملا صدرا، يستند فى كل براهينه (على الحركه الجوهريه) على مجموعه من النصوص الشرعيه، ايضا، تاكيدا على منهجه فى التوفيق بين الحكمه والشريعه، وتعزيزا للمنظور الاشراقى المتاخم

(١) الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي: ٤: ١٠٠ – ١٠٩.

لطريقته البحثيه. وهو يرى انه ليس اول حكيم قال بذلك، بل انه استلهمها من القرآن الكريم، الذى دلت آياته على هذه الحقيقه الباطنيه للاشياء.

يقول (واما رابعا فقولك هذا مذهب لم يقل به حكيم، كذب وظلم، فاول حكيم قال به فى كتابه العزيز هو اللّه سبحانه وهو اصدق الحكماء)

وقد اورد جمله من الايات القرآنيه تدل من بعيد او قريب على حقيقه التغير والاستحاله والتبدل. وهى كالتالى

﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[1].

﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[3].

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[4].

﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[5].

﴿عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[6].

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[7].

﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾[1].

---

(١) سورة النمل :الاية ٨٨ .

(٢) سورة ق : الاية ١٥ .

(٣) سورة ابراهيم : الاية ٤٨ .

(٤) سورة فصلت : الاية ١١ .

(٥) سورة النمل : الاية ٨٧ .

(٦) سورة الواقعة :الاية ٦١ .

(٧) سورة فاطر : الاية ١٦ .

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾[٢].

وكل هذه الايات تدل بشكل او باخر، على احدى ضروب الحركه. وعلى الرغم من ان جمهور اهل التفسير، ارجعوا ظاهره مرور الجبال فى الايه الاولى، الى احداث يوم القيامه، الا ان ملا صدرا اوردها، هنا فى عالم الدنيا –وقد وفق لذلك–، لان حركه الجبال كما تحكى عنها الايه الاولى، تتعلق بحركه غير مشهوده. والحقيقه، ان كل ما يتعلق بعالم القيامه –عالم الشهاده– هومشهود ومرئى. ثم ان ثمه قياسا تجريه الايه بين حركه الجبال وحركه السحاب. اى ان الحركتين لهما قاسم مشترك من حيث هما معا ليستا ذاتيتين. فحركه السحاب –على الرغم من حركتها الكميه ذاتها– معلوله لحركه الريح.

فايضا، الجبال، وعلى الرغم من التغيرالداخلى الجارى فيها، تبقى لها حركه اخرى معلوله للارض التى هى (اوتادا) لها.فعلى الرغم من ثباتها الظاهر، هى متحركه. غير انه يلاحظ نوع من الغموض فى مغزى الايه الاخيره، فيظهر انها لا تودى الغرض فى اثبات الحركه، لولا ان ملا صدرا لا يفوته اخضاعها الى تاويل ممتاز، حيث يقول: (وجه الاشاره الى ان ما وجوده مشابك لعدمه وبقاوه متضمن لدثوره، يجب ان يكون اسباب حفظه وبقائه بعينها اسباب هلاكه وفنائه. ولهذا كما اسند الحفظ الى الرسل اسند التوفي اليهم بلا تفريط فى احدهما وافراط فى الاخرى) فهو هنا يشير الى ان

---

(١) سورة الانبياء : الاية ٩٣ .

(٢) سورة الانعام : الاية ٦١ .

الحركه بما هى سبب بقاء الاجسام، فهى ايضا سبب فى دثورها »[1].

(١) انظر الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي: ٤: ١١٢.

المبحث الخامس

الفرق بين النفس والعقل والروح والقلب(١)

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: ما نقله العلامة المجلسي في بحار الانوار(٢)

١- فالقلب يطلق لمعنيين

أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر، وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف، وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الروح ومعدنه، وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلق وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فان تعلقها به يضاهي تعلق الإعراض بالأجسام، والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان، وتحقيقه يقتضي إفشاء سر الروح، ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فليس لغيره أن يتكلم فيه.

٢- والروح أيضا يطلق على معنيين

---

(١) يمكن ان تكون لهذه الاصطلاحات في كل علم (الطب او غير ذلك) لها معنى معين ولكن ما يهمنا هو ماذكره علماء الاخلاق والعرفان وما له صله في بحثنا.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٦٧: ٣٥، ٣٧.

أحدهما جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، وينتشر بواسطة العروق الضوارب إلى ساير أجزاء البدن، وجريانها في البدن، وفيضان أنوار الحياة والحس والسمع والبصر والشم منها على أعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا الدار، فانه لا ينتهي إلى جزء من البيت إلا ويستنير به. فالحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج، وسريان الروح وحركتها في الباطن مثاله مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه، والأطباء إذا أطلقوا اسم الروح أرادوا به هذا المعنى، وهو بخار لطيف أنضجته حرارة القلب.

والمعنى الثاني هو اللطيفة الربانية العالمة المدركة من الإنسان وهو الذي شرحناه في أحد معنيي القلب، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله: .يسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي.

وهو أمر عجيب رباني يعجز أكثر العقول والافهام عن درك كنه حقيقته.

٣- والنفس أيضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا منه معنيان

أحدهما أن يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان، وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية، لانهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها، وإليه الاشارة بقولهﷺ: أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك.

المعنى الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها، التي هو الانسان في الحقيقة، وهي نفس الانسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها، فإذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات، سميت

النفس المطمئنة قال تعالى: " يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية " فالنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها إلى الله، فانها مبعدة عن الله تعالى، وهو من حزب الشيطان، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للنفس الشهوانية ومعترضة عليها، سميت النفس اللوامة، لانها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها، قال الله تعالى: " فلا اقسم بالنفس اللوامة " وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان، سميت النفس الامارة بالسوء قال الله تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام: " وما ابرئ نفسي إن النفس لامارة بالسوء " وقد يجوز أن يقال: الامارة بالسوء هي النفس بالمعنى الاول فاذن النفس بالمعنى الاول مذمومة غاية الذم، وبالمعنى الثاني محمودة لانها نفس الانسان أي ذاته وحقيقته العالمة بالله تعالى وبسائر المعلومات.

٤- والعقل أيضا مشتركة لمعان مختلفة والمناسب هنا معنيان أحدهما العلم بحقائق الامور أي صفته العلم الذي محله القلب، والثاني أنه قد يطلق ويراد به المدرك المعلوم، فيكون هو القلب أعني تلك اللطيفة. فإذن قد انكشف لك أن معاني هذه الاسامي موجودة وهو القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهوانية والعقل العلمي وهذه أربعة معان يطلق عليها الألفاظ الأربعة، ومعنى خامس وهي اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان والألفاظ الأربعة بجملتها يتوارد عليها، فالمعاني خمسة والألفاظ أربعة وكل لفظ أطلق لمعنيين.

المطلب الثاني: ما وصل إليه نظري في معاني هذه المصطلحات

القران الكريم عندما يقول نفس وروح وعقل وقلب يريد أن يشير إلى

ذلك البعد الإلهي الموجود في الإنسان يقول تعالى:﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[(١)] ، ولكن هذه الحقيقة فيها حيثيات متعددة فيها جهات متعددة ومن كل حيثية وكل جهة تسمى باسم معين.

أولاً: القلب:

يمكن أن يكون مصدر العواطف والمشاعر والتقلبات في الانسان ولذا سمي القلب لتقلبه.

ويمكن ان يكون القلب مصدر للرؤية الملكوتية في الانسان،فالانسان الكامل اذا وصل الى مرحلة اليقين فسوف ينفتح قلبه على عالم الجمال والجلال والملكوت، وسوف يرى أشياء لم يكن قد رآها من قبل، والدليل على ذلك:

(أ) القران الكريم

١- قال تعالى:«وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين»[(٢)] .

يقول السيد الطباطبائي: «قد تقدم تفسير الآية في الجزء السابع من الكتاب، وبينا هناك أن الملكوت هو باطن الأشياء لا ظاهرها المحسوس. فبهذه الوجوه يظهر أنه تعالى يثبت في كلامه قسما من الرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسية»[(٣)].

---

(١) سورة الحجر : الاية ٢٩ .

(٢) سورة الانعام : الاية ٧٥ .

(٣) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ٨: ٢٤٠.

ويقول في موضع اخر: «وقد أفاض الله سبحانه اليقين الذي ذكره غاية لاراءته الملكوت على قلبه بهذه المشاهدة والرؤية »[١].

٢- وقال تعالى :﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[٢].

٣- وقال تعالى:﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

٤- قوله تعالى:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[٤].

٥- وقال تعالى:﴿وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٥].

وهذه الايات تشير الى الرؤية القلبية. بان حجاب الرؤية والمنع من الرؤية القلبية هي الذنوب والمعاصي والسيئات التي يرتكبها العبد وكما في الدعاء«انك لا تحتجب عن خلقك الا ان الاعمال تحجبهم دونك» [٦] فلولا الاعمال السيئة لرأوا بقلوبهم.

(ب) السنة

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاة الشعبانية:

١- «الهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها

---

(١) تفسير الميزان :الطباطبائي : ٧: ١٨٤.

(٢)سورة الحج : الاية ٤٦ .

(٣) سورة المطففين : الاية ١٤ .

(٤) سورة محمد : الاية ١٤ .

(٥) سورة الاسراء : الاية ٧٢ .

(٦) مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي: ٥٨١.

إليك حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك»[١].

٢ــ وكذلك عن الإمام زين العابدين عليه السلام «ألا أن للعبد أربعة أعين، عينان يبصر بهما أمر أخرته وعينان يبصر بهما أمر دنياه فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فأبصر بهما العيب »[٢].

٣- وكذلك عن محمد بن الفضيل قال سألت أبا الحسن عليه السلام: «هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه تعالى، قال: نعم بقلبه رِآه، أما سمعت الله تعالى يقول: (ما كذب الفؤاد ما رأى) أي لم يراه بالبصر لكن رآه بالفؤاد »[٣].

٤- وعن النبي صلى الله عليه وآله: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »[٤].

٥- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس، وعينان في القلب، ألا والخلائق كلهم كذلك، ألا إن الله عز وجل فتح أبصاركم وأعمى أبصارهم»[٥].

ورد عن الصادق عليه السلام «ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفاء والبصيرة قال الله تعالى (فاعتبروا يا أولى الابصار) قال تعالى أيضا (فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) فمن فتح الله عين قلبه

---

(١) إقبال الإعمال: السيد بن طاووس الحلي: ٣: ٢٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ٥: ١١٣.

(٣) التوحيد: الشيخ الصدوق: ١١٦.

(٤) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ٣: ٢٦٠٤.

(٥) المصدر نفسه:٣: ٢٦٠٤

وبصيرته بالاعتبار فقد أعطاه منزلة رفيعة وملكا عظيما »[١].

٦- قال: وقال أبو جعفرعليه السلام: «إنما الأعمى عمى القلب، فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »[٢].

ثانياً: النفس: وعندما نقول نفس فهي من حيث أنها مدبرة للبدن لأن النفس مجردة ذاتاً مادية فعلاً، فالنفس يشير إليها القرآن بأنها هي العاملة وإن الإعمال تنسب الى النفس سواء كانت خير أم شر.

يقول تعالى:﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[٣].

ويقول تعالى:﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً﴾[٤].

وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا﴾[٥].

وقوله تعالى:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[٦].

وقوله تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[٧].

ثالثاً: الروح: فهي من حيث أنها منشأ الحياة في الإنسان.

ولذلك يقول تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

---

(١) مصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادقعليه السلام: ٢٠١.

(٢) وسائل الشيعة (ال البيت) : الحر العاملي: ٨: ٣٣٨.

(٣) سورة ال عمران : الاية ٢٥ .

(٤) سورة ال عمران : الاية ٣٠ .

(٥) سورة الانعام : الاية ١٦٤ .

(٦) سورة يوسف :٥٣ .

(٧) سورة النازعات : الاية ٤٠ .

ربِّي﴾[١].

وقوله تعالى ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾[٢].

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٣].

رابعاً: العقل: ونسمي هذه اللطيفة الربانية والجوهر المجرد، عقل باعتبارها تدرك الكليات، بخلاف الحيوانات فإنها لا تدرك الا الجزيئات، وكذلك تستنبط الآراء والأفكار وتميز بين الحق والباطل.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلّاً كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُون﴾[٤].

يقول تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٥].

يقول تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[٦].

يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٧].

يقول تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[٨]. (البقرة ١٧١)

يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ

---

(١) سورة الاسراء : الاية ٨٥ .

(٢) سورة السجدة : الاية ٩ .

(٣) سورة الحجر : الاية ٢٩ .

(٤) سورة يس : الاية ٦٢ .

(٥) سورة القصص : ٦٠ .

(٦) سورة العنكبوت : ٦٣ .

(٧) سورة الملك : الاية ١٠ .

(٨) سورة البقرة : الاية ١٧١ .

يَعْقِلُونَ﴾[١].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢].

---

(١) سورة الانفال : الاية ٢٢ .

(٢) سورة النحل ٦٧ .

المبحث السادس

طبيعة النفس

الانسان ياتلف عندما يتوافق مع غيره ،ويفترق عندما يتنافر معه، كما تاتلف بعض العناصر بالالفة الكيمياوية اذا توافقت ،وتفترق اذا تنافرت ،فهو كما ترى مع غيره متدافع ،متجاذب مؤتلف ،مفترق كما ترى عناصر الطبيعة كذلك .فهل طينة الانسان الاولى ،او طبيعته قد جاءت في الاصل متوافقة والتنافر طاريء، او جاءت متافرة والتوافق طاريء ،او هي قد جاءت وفيها استعداد لهذين الاصلين معا.

وبعبارة اخرى هل طينة وفطرة الانسان الاول او طبيعته قد كانت خيرا فحسب والشر طاريء، او شرا فحسب والخير طاريء ،او جاءت في الاصل وفيها استعدادا لهما معا .

هناك ثلاثة نظريات في حقيقة الطبيعة الانسانية الاولى، ولنا نظرية رابعة في ذلك.واليك النظريات وقبل ان نتحدث عن النظريات لا بد ان نعرف معنى الفطرة .

اولا: الفطرة لغة واصطلاحا

أ) والفِطْرَةُ لغة بالكسر: الخِلقةُ. وقد فَطَرَهُ يَفْطُرُهُ بالضم فَطْراً، أي خلقهُ.

والفَطْرُ: الابتداءُ والاختراعُ. قال ابن عبَّاس: كنت لا أدري ما فاطِرُ

السموات حتَّى أتاني أعرابيَّانِ يختصِمان في بئر فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها. أي أنا ابتدأتها[١].

ب) واصطلاحا: ذلك الشعور المغروز في النفس البشرية بشكل تكويني أوجده الله تعالى في الإنسان. مثال الفطرة، انسياق الطفل حديث الولادة إلى ثدي أمه عندما يولد من دون أن يتعلم ذلك من معلم ودون أن يدركه بدليل عقلي وكذلك عندما نحس بالجوع فنأكل، وكذلك نحس بالبرد ولذلك نتوقى منه وامور اخرى ندركها بالفطرة .

ثانيا : الفطرة في القران

يشير القرآن الكريم إلى الفطرة في عدة ايات، منها

١- يقول تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[٢]

٢- ويقول تعالى : (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)[٣] .

وهذه الآية الكريمة تشير إلى نقطة مهمة وهي إنّ الإنسان في حالة الضرّ والحاجة الصعبة التي لا يمكن لأيّ جهة مادية حلها وتأمينها ، فإنّه لا خيار له سوى الرجوع إلى المعرفة الفطرية التي تربطه بالله سبحانه و تعالى ، لذلك يتوجه لربّه ويدعوه بإخلاص وتضرّع. ولكن إذا أذاقه الله رحمة فإنّه يتنكر لفطرته ويتبع ما تعلمه من الناس من مفاهيم مادية وإلحادية مغلوطة ، فيرجع إلى الشرك بربه والكفر بخالقه ورازقه .

---

(١) الصحاح: الجوهري: الجزء: ٢: ص٧٨١.

(٢) سورة الروم : الاية ٣٠ .

(٣) سورة الروم :الاية ٣٣ .

فإذن يتجلى الإيمان الفطري بالله سبحانه وتعالى في لحظات الضرّ والحاجة والفقر والفاقة ، والانقطاع من إمكان الحصول على نفع من الناس لعجزهم عن مساعدته. في مثل هذه الظروف القاهرة التي تبين لذات الإنسان ضعفه وضعف المخلوقات كلها ، يتوجه بوحي من فطرته إلى الله سبحانه وتعالى لأنّه يعلم إنّ الله قادر على مساعدته وإنقاذه من محنته.

ثالثا:الفطرة في الأحاديث الكريمة:

وردت الإشارة الى الفطرة في كثير من الأحاديث الكريمة لأهل البيت (عليهم السلام). ومن هذه الأحاديث ما يلي:

١- قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم):" ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة، ثُمّ أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه" [(١)] .

٢- عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام) قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) ما تلك الفطرة؟ قال (عليه السّلام): (هي الإسلام ، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد فقال:(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ) وفيه المؤمن والكافر) [(٢)] .

٣- عن عبد الله بن كثير عن أبي عبد الله الصادق (عليه السّلام) في قول الله عزّ وجلّ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) قال (عليه السّلام): (التوحيد ومحمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين) [(٣)] .

٤- وقال الإمام علي (عليه السّلام): في نهج البلاغة (الخطبة الأولى): (

---

(١) صحيح البخاري : البخاري : ج٢ : ص ٩٧. وانظر تصحيح اعتقادات الامامية : الشيخ المفيد : ص ٦١ .

(٢) الكافي : الشيخ الكليني : ج٢ : ص١٢ .

(٣) بصائر الدرجات : محمد بن الحسن الصفار : ص٩٨ .

فبعث فيهم رسله ، وَوَاتر إليهم أنبياءه ، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، ويثيروا لهم دفائن العقول) [١].

رابعا: الفرق بين الفطرة والغريزة (٢).

الفطرة هي أشمل من الغريزة إذ تجمع بين الغريزة والأحاسيس ، والأفكار والمعلومات الأولية التي يعرفها كُلّ إنسان بدون حاجة إلى معلم ومربي ، وهي العلوم البديهية الضرورية ، ويشترك فيها كُلّ إنسان لأنّها جزء من إنسانيته ، ومما يمتاز به عن غيره من المخلوقات الأخرى مثل الحيوان والملائكة والجنّ.

والفطرة تدفع الإنسان نحو الكمال والرقيّ ، بينما الغرائز لا جهة لها سوى تأمين الحاجة الإنسانية المعينة التي يحتاج إليها جسمه في الماكل والمشرب والجنس .

والفطرة تهتدي بهدى العقل ، أمّا الغريزة فهي لا ترجع إلى المعرفة لأنّها أحاسيس جسمية ، ولكنّ العقل يمكنه أن ينظمها ويرشدها إلى الكمال الإنساني .

والفرق بين الفطرة والغريزة، أن الغريزة تدور في فلك الأمور المادية، بينما الفطرة تتعلق بالأمور الإنسانية من قبيل طلب الحقيقة ومعرفة الله تعالى والميل الى الكمال والجمال والابداع والابتكار ، فالإنسان بذاته طالب بالحقيقة من غير أي تدخل من المحيط الذي يلفه، فالأمور الفطرية تنبع من

---

(١) نهج البلاغة : خطب الإمام علي (ع) :ج١ : ص ٢٣ .

(٢) انظر تصميم البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية : الدكتور عبدالرحمن محمد العيسوي :ص٣٢ .

ذات الإنسان وقد زرعت فيه تلك الأمور الفطرية[1] .

خامسا: خصائص الأمور الفطرية

١ – هي شاملة وعامة لجميع أفراده فلا يخلو منها فرد، كما أنها ممتدة زمانا فلا يمكن لها أن تقتضي شيئا في زمان وتقتضي شيئا آخر في زمان آخر.

٢ – وهي تأتي من باطن الإنسان وذاته ولا تأتي من تعليم واكتساب، وإن كان التعليم قد يقويها وينميها.

٣ – وهي لا تخضع لتأثير العوامل المحيطة فهي موجودة في ذات الإنسان مهما اختلفت العوامل المحيطة بها، ولكنها قد تتأثر بالعوامل بحيث توجب ضعفها دون إلغائها فالعوامل لايمكنها أن تزيل الأمور الفطرية من الأساس [2]

بعد هذا الاستطراد نرجع الى النظريات في طبيعة النفس البشرية

النظرية الاولى : نظرية الخير(٣) .

يقول افلاطون : ان اشد ما في الانسان من الاستعدادات الفطرية هو ان نفسه تجانب الشر وتجري وراء الخير الاعلى وتلزمه متى وصلت اليه ، واذا قلنا افلاطون فكاننا قلنا سقراط ،لان مذهبهما في الاخلاق واحد .

ويقرر الرواقيون : ان الطبيعة الانسانية طاهرة فالقوة التي تحيا بها المادة ،عندهم ،هي الله حالا في العالم كحلول النفس في الجسد ،والله ليس فقط القوة المحركة بل هو ايضا الاحساس والعقل والارادة ،وجعلوا للكون وجودا حيا

---

(١) انظر : الاربعون حديثا : الامام الخميني قدس : ص ١٧٥ .

(٢) انظر : الاربعون حديثا : الامام الخميني قدس : ص ١٧٦ .

(٣) انظر تاملات في فلسفة الاخلاق : منصور علي رجب : ص ٩٤ .

حقيقا،وجميع اجزائه متالفة متجانسة ،وبتاثير فعله تتحرك جميع الموجـودات بنظام مستمر طبقا لقوانين ثابته ولغايات عقلية .

ويقول جان جاك روسو : ان الطفل بطبيعته والشر ياتي من البيئة .

واقوى حجة لهؤلاء جميعا : ان الانسان اثر من اثار الله جلت قدرته والله خير لا يصدر عنه الا كل خير ، حتى ان اعظم الاسباب التي دعت الطبيعيين لان ينكروا اله حكيم وخير ومدبر لهذا العالم هو وجود الشر على نحـو مـا يظهر في هذا العالم .

يقولون : ان كونا اوجده اله قدير حكيم خير لينبغـي ان يكـون ايـة في الحسن والخير ،ولكن الشر مستفيض في كل مكان ،شر مادي من الالم بكـل انواعه ، وشر معنوي من الخطيئة والرذيلة والجريمة.

النظرية الثانية : نظرية الشر(١) .

وهو ما يذهب اليه جمهرة البراهمة والبوذيين من فلاسفة الهند ومن تبعهم من العرب "ان الانسان خلق شريرا بالطبع"

فغاية الفلسفة في الفلسفة الهنديـة الوصـول الى الاتحـاد ببرهمـة وذلـك بتجردها من الهيولى ، فاذا تطهرت تنال هذا القصد ،اما الـشريرة فتـسقط في (ناراكا) لتعذب .

وجماع المذهب البوذي انه يبشر بالحقائق الاتية وهي

١- الوجود الحسي ضلال وغرور .

٢- الرغبة الناشئة من هذا الوجود تنتج الالم .

٣- غرور والم الوجود المادي يمكن ملاشاتها بانعدام الوجود المتحرك في

---

(١) انظر تاملات في فلسفة الاخلاق : منصور علي رجب : ص ٩٦ .

قلب الوجود الثابت

٤- للوصول الى هذا الانعدام الحسي يجب انكار الـذات ،وملاشـاة كـل رغبة ، وعلى هذا تبنى اخلاق بوذا ،وفيها كمـا تـرى ان الطبيعـة الانـسانية اصلها الشر فالوجود الحسي كله ضلال وغرور

النظرية الثالثة : نظرية الاستعداد للامرين معا، الخير والشر (١) .

وهذه النظرية ما عليه علماء الاسلام من المفسرين القران و الاخلاقـيين والفلاسفة الالهيين

ومستند كلامهم هو القران الكريم .

يقول تعالى :(أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ، وَهَـدَيْنَاهُ النَّجْـدَيْنِ) (٢)

ويقول تعالى :(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ،فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَـدْ أَفْلَـحَ مَنْ زَكَّاهَا ،وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(٣) .

النظرية الرابعة : نظرية التفصيل للنظرية الثالثة

وهو اننا ننظر تارة الى النفس بما هي نفـس وبقطـع النظـر عـن تعلقهـا بالبدن ، وادراكها للشهوات وللذائذ، والعقل يستطيع تجريد النفس عن البدن ، فان فيها الاستعداد والقابلية، للخير والشر . وهذا ما ينطق فيه القران الكـريم ،يقول تعالى :(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ،فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَـدْ أَفْلَـحَ مَـنْ

---

(١) انظر تاملات في فلسفة الاخلاق : منصور علي رجب : ص ٩٨ .

(٢) سورة البلد : الاية من ٨ الى ١٠ .

(٣) سورة الشمس: الاية من ٧ الى ١٠ .

زَكَّاهَا ،وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا[١] .

وتارة ننظر الى النفس وتعلقها بالبدن وادراكها للذائذ ومجاورة المحسوسات الدنيوية ، وهنا النفس تدفع بالانسان نحو المفاسد والانحرافات ، من اجل تحصيل الملذات واشباع الاهواء . وعلى هذا فتكون نفسه امارة بالسوء الا مارحم ربي . وعلى هذا جاءت الايات والاحاديث الشريفة في ذم النفس والامر بجهادها .

الادلة على ان النفس امارة بالسوء

الدليل القرآني:

قد اشار القران الكريم الى هذه الحقيقة وان النفس امارة بالسوء بطبعها.

١- يقول تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾يوسف٥٣

يقول السيد الطباطبائي صاحب الميزان، إي إن النفس بطبعها تدعو الى مشتهياتها من السيئات على كثرتها ووفورها فمن الجهل أن تبرء من الميل الى السوء، وأذا كفت عن السوء فذلك برحمةِ الله تعالى ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾[٢] .

ويقول الرازي صاحب التفسير الكبير ما حاصله:

أن النفس ميالة الى القبائح راغبة في المعصية والسبب في ذلك أن

---

(١) سورة الشمس: الاية من ٧ الى ١٠ .

(٢) تفسير الميزان: ١١: ١٩٨.

لنفس من أول حدوثها قد الفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها[١].

وربما يؤكد ذلك ما ورد في آية أخرى من القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[٢].

٢- وقوله تعالى عندما اراد ان يخلق الانسان﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء﴾[٣]. فالملائكة تنبأت بما يحدث من الانسان وهو الجور والظلم والفساد والانحراف والضلال وهذا دليل على النفس بطبعها امارة بالسوء ولذا نرى ان الله تعالى لم يعترض على هذه الحقيقة التي صرح بها الملائكة بل اقر هذه الحقيقة؟

الادلة من السنة: وهي على انواع

النوع الاول : تبين ان النفس امارة بالسوء بشكل مباشر

١- ما جاء في مناجاة الشاكين للامام علي بن الحسين عليه السلام (إلهي إلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَإلَى الْخَطيئَةِ مُبادِرَةً، وَبِمَعاصيكَ مُولَعَةً، وَلِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تسْلُكُ بِي مَسالِكَ الْمَهالِكِ، وَتَجْعَلُني عِنْدَكَ أَهْوَنَ هالك، كَثيرَةَ الْعِلَلِ* طَوِيلَةَ الاَمَلِ، إنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ،

---

(١) انظر تفسير الرازي: ١٨: ١٥٦، ١٥٧.

(٢) سورة ال عمران : الاية ١٤ .

(٣) سورة البقرة : الاية ٣٠ .

مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ*، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ)(١).

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال «النفس مجبولة على سوء الأدب والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب والنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يجهد بردها عن سوء المطالبة فمتى أطلق عنانها فهو شريك في فسادها ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك في قتل نفسه»(٢)

وهنا الامام عليه السلام يوضح حقيقة وهي ان النفس بطبعها مفطورة على المخالفة وسوء الادب.

النوع الثاني : تبين وتطلب من الله العون والسداد على النفس وهذا دليل على ان النفس امارة بالسوء

١- عن ابي عبدالله عليه السلام في دعاء النبي صلى الله عليه وآله «إلهي وإله آبائي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا، فإنك ان تكلني إلى نفسي طرفة عين، أقرب من الشر وأبعد من الخير»(٣).

٢- عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «وهو رافع يده إلى السماء: " رب لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا، لا أقل من ذلك ولا أكثر " قال: فما كان بأسرع من أن تحدر الدموع من جوانب لحيته، ثم أقبل علي فقال: يا ابن أبي يعفور إن يونس بن متى وكله الله عز وجل إلى نفسه أقل من طرفة عين فأحدث ذلك الذنب، قلت فبلغ به كفرا - أصلحك

---

(١) الصحيفة السجادية: ٤٠٣. * العلل: الحجج والأعذار .

(٢) مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: ٤٣٣.

(٣) الكافي: ٧: ٢

الله -؟ قال لا ولكن الموت على تلك الحال هلاك »[(١)].

النوع الثالث: ان الوصول الى الكمال شرطه الوقوف بوجه النفس.

دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه مجاشع،فقال: يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفة الحق؟فقال صلى الله عليه وآله: معرفة النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى موافقةالحق؟فقال صلى الله عليه وآله: مخالفة النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى رضا الحق؟فقال صلى الله عليه وآله: سخط النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى وصل الحق؟فقال صلى الله عليه وآله: هجر النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى طاعة الحق؟ فقال صلى الله عليه وآله: عصيان النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذكر الحق؟فقال صلى الله عليه وآله: نسيان النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى قرب الحق؟ فقال صلى الله عليه وآله: التباعد عن النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى أنس الحق؟ فقال صلى الله عليه وآله: الوحشة من النفس.قال: يا رسول الله فكيف الطريق إلى ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: الاستعانة بالحق على النفس[(٢)].

النوع الرابع: روايات تدل على محبوبية مجاهدة النفس والامر بجهادها

وهذا يدل على ان النفس بطبعها امارة بالسوء والا لما امرنا بمجاهدة النفس.

أولا: قوله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[(٣)].

---

(١) الكافي: ٢: ٥٨١

(٢) سورة العنكبوت : الاية ٦٩ .

(٣) عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الاحسائي: ١: ٢٤٦.

«يقول الطباطبائي: الجهاد استفراغ الوسع في مدافعة العدو والجهاد ثلاثة أضرب مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس، وجاهدوا فينا أي استقر جهادهم في الله تعالى وما يتعلق بهِ سبحانه وتعالى فجهده مبذول فيما يتعلق بالله تعالى، لتهدينهم سبلنا، فالسبل هي الطرق المقربة إلى الله تعالى والهادية إليه. وأن الله لمع المحسنين، وذلك تفيدهم الدعم والنصرة والمعونة التي يحتاجونها»[١].

ثانيا: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾[٢].

وإذا أخرج الإنسان من قلبه حب النفس بالرياضة النفسية، فبالمقدارالذي يفرغ القلب من حب النفس، يمتلأ حباً لله، وتخلص أعماله من الشرك الخفي أيضاً. وما دام حب النفس في القلب، وما دام الإنسان يعيش في البيت المظلم للنفس، لا يكون مسافراً إلى الله تعالى، بل يعدّ من المخلّدين في الأرض. فإن الخطوة الأولى نحو الله، تتمثل في ترك حب النفس، والوطأ بقدمه على الأنانية والذاتية. وهذا هو المقياس في السفر إلى الله.. قال بعض أن هذا هو أحد معاني الآية الكريمة ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ أي من يخرج من بيت نفسه ويهاجر إلى الحق في الرحلة المعنوية ثم يدركه الفناء التام كان أجره على الله تعالى.

ومن المعلوم أن مثل هذا المسافر لا يستحق أجراً ومكافأة إلاّ مشاهدة

---

(١) انظر تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ١٦: ١٥٢.

(٢) سورة النساء : الاية ١٠٠ .

الذات المقدس، والوصول إلى الفناء في حضرته، كما يقال على ألسنتهم بيت شعر:

لا يتطرق إلى قلوبنا أحد أبداً إلا الحبيب.

فَقَدِّم العالم إلى العدوّ فإننا إقتصرنا على الحبيب[١].

ثالثا: وعن أبي عبد الله عليه السلام الصادق أن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا، قال مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل يا. رسول الله وما الجهاد الأكبر؟قال (جهاد النفس)[٢].

رابعا: قال أبو عبد الله عليه السلام (اجعل نفسك عدواً تجاهده)[٣].

خامسا: وقال عليه السلام (إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه)[٤].

سادسا: وكذلك عن الرضي في المجازات النبوية عنه صلى الله عليه وآله إنه قال (المجاهد من جاهد نفسه)[٥].

سابعا: وقال أمير المؤمنين عليه السلام (جهاد النفس مهر الجنة)[٦].

ثامناً: قال أمير المؤمنين(ع) (جاهد نفسك وقدم توبتك تفز بطاعة ربك)[٧].

---

(١) الأربعون حديثاً: الإمام الخميني روح الله: ٣٠٩: الحديث العشرون .

(٢) فروع الكافي: الشيخ الكليني: ٥: ١٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١٥: أبواب جهاد النفس: ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٥: ١٦٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٥: ١٦٢.

(٦) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١١: ١٣٩.

(٧) عيون الحكم والمواعظ: ٢٢٢.

تاسعا: يقول الإمام عليه السلام (اعلموا أن الجهاد الأكبر جهاد النفس فاشتغلوا بجهاد أنفسكم تسعدوا)[١].

عاشرا: قال الإمام الكاظم عليه السلام (جاهد نفسك لتردها عن هواها، فإنه واجباً عليك كجهاد عدوك)[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ٥٥٢.

(٢) تحف العقول: ابن شعبه الحراني: ٣٩٩.

المبحث السابع

كيفية اماتة النفس الإمارة بالسوء او الانا

أعلم إن موت النفس ليس موت الذات وإنما نقصد بهِ موت النفس الإمارة بالسوء ذات الأهواء المخالفة لله تعالى وإخضاع هذهِ النفس لحكم العقل والشرع.

وإما كيفية إخضاع النفس لحكم العقل والشرع فقد ذكر أصحاب المعرفة طرق كثيرة سوف نذكرها وقد ذكر الشيخ الكفعمي في كتاب محاسبة النفس إن من أهم وسائل إخضاع النفس.هو قله الطعام وقله النوم وترك إكثار الكلام، واحتمال الأذى من الناس[١].ونحن سوف نذكر أهم الوسائل في كيفية إماتة النفس الإمارة بالسوء:

الوسيلة الأولى: قلة الطعام او ما يعبر عنه بالجوع

وفيه عدة مطالب:

المطلب الأول: الروايات التي ذكرت فوائد قلة الطعام

الروايات التي ذكرت فوائد قلة الطعام الصادرة من منبع القدس والطهارة. واهل البيتعليهم السلام اعلم بما في البيت لانهم

اولا: يعرفون حقيقة الانسان وما ينفعه وما يضره

(١) كتاب محاسبة: الشيخ إبراهيم الكفعمي: ١٥٥.

وثانيا: لانهم قد مارسوا الجوع عمليا وعلموا اثاره

١.عن النبي محمدﷺ: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش»[١].

والرواية تشير الى عدة امور

اولا: الامر بجهاد النفس بالجوع والعطش وهذا يدل على ان النفس لا تقبل الجوع بسهولة بل تحتاج الى جهاد.

ثانيا: لان الجوع عملية جهاد للنفس وليس عملية سهلة يقوم بها العبد لذلك هناك اجر وثواب رتب على ذلك، وهو ان الذي يقوم بالجوع سوف يحصل على الاجر الذي يحصله المجاهد الذي يقوم بجهاد اعداء الدين.

ثالثا: ان النبيﷺ يخبر ان الجوع هو محبوب لدى الله تعالى وهذا دليل على ان الجوع له فوائد عظيمة والا لما احب الله الجوع للانسان ولذا يقول النبيﷺ: «أحبكم إلى الله أقلكم طعما وأخفكم بدنا »[٢].

٢. وكذلك عن النبيﷺ: «الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة»[٣].

والرواية تشير الى أمرين:

الاول: مدح التفكر، ولاشك ان التفكر يولد الايمان القطعي في النفس القائم على اساس الدليل ولذا مدح الله الذين يتفكرون.

---

(١) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي: ١: ٣٥٥.

(٢) كنز العمال: المتقي الهندي: ٣: ٣٨٩.

(٣) جامع السعادات: ٢: ٥.

يقول تعالى:﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[(١)].

الثاني: ان قلة الطعام تعتبر هي العبادة وهذا دليل كبير وعظيم على فوائد الجوع لان الجوع وقلة الطعام موصل الى كل خير.

٣. وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله: «أفضلكم منزلة عند الله تعالى يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم إلى الله تعالى كل نؤم أكول شروب»[(٢)].

والرواية تشير الى؟

اولا: المنزلة العظيمة للانسان الذي جاع في الدنيا.

ثانيا: ان الانسان الاكول والشروب والنؤم مبغوض لدى الله تعالى.

٤- وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله: «ان أقرب الناس الى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا»[(٣)] ولذا يقول الإمام الصادق عليه السلام «أقرب ما يكون العبد من الله - جل وعز - إذا خف بطنه»[(٤)].

وهذه الرواية تشير الى القرب المعنوي الذي يحصل عليه العبد الجائع مع الله تعالى.

---

(١) سورة آل عمران :الاية ١٩١ .

(٢) ميزان الحكمة: ١: ٣٥٥.

(٣) أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٢١.

(٤) الكافي: الكليني:٦ :٢٦٩.

المطلب الثاني: فوائد قلة الطعام

الفائدة الأولى: الجوع وقلة الطعام يورث الحكمة والعلم

ان الله تعالى وصف نفسه بالحكيم، والحكيم الذي يضع الامور في مواضعها. ولذلك مدح الله تعالى الحكمة بقوله تعالى:﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾[1] ،وقد اشارت الروايات عن النبي صلى الله واله، ان السبيل الى الحكمة هو الجوع.

١- عن النبي ﷺ: «لا تدخل الحكمة جوفاً مليء طعاماً» [2]

٢- وعن النبي محمدﷺ: «القلب يتحمل الحكمة عند خلو البطن، والقلب يمج الحكمة عند إمتلاء البطن»[3].

٣- وعن الإمام علي(ع): «التخمة تفسد الحكمة»[4].

٤- في حديث المعراج: «يا أحمد، لو ذقت حلاوة الجوع والصمت والخلوة، وما ورثوا منها. قال: يا رب، ما ميراث الجوع؟ قال: الحكمة، وحفظ القلب، والتقرب إلي، والحزن الدائم، وخفة المؤنة بين الناس، وقول الحق، ولا يبالي عاش بيسر أم بعسر. يا أحمد، هل تدري بأي وقت يتقرب العبد إلي؟ [قال: لا، يا رب]. قال: إذا كان جائعا أو ساجدا »[5]

٥- عن النبيﷺ: «إذا رأيتم أهل الجوع والتفكر فاقتربوا منهم؛ فإنه

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٦٩ .

(٢) عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي: ١ :٤٢٥.

(٣) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ١: ٨٩ .

(٤) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي الواسطي:٣٢.

(٥) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١٦: ٢١٩.

تجري الحكمة معهم »[١].

٦- وعنه ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: وضعت خمسة في خمسة والناس يطلبونها في خمسة فلا يجدونها: وضعت العلم في الجوع والجهد والناس يطلبونه بالشبعة والراحة فلا يجدونه»[٢].

٧- وقال الحكيم أفلاطون: «الجوع سحاب يمطر العلم والحكمة، والشبع سحاب يمطر الجهل والغفلة»[٣].

الفائدة الثانية: النجاة من الشيطان

١- عن النبي ﷺ: «من سره أن يخلص نفسه من إبليس فليذب شحمه ولحمه بقلة الطعام ؛ فإن من قلة الطعام حضور الملائكة وكثرة التفكير فيما عند الله عز وجل »[٤]

٢- وعن النبي ﷺ: «جاهدوا أنفسكم بقلة الطعام والشراب، تظلكم الملائكة، ويفر عنكم الشيطان »[٥]

الفائدة الثالثة: الجوع يولد الفكر

١- وقال الإمام علي عليه السلام: «من قل أكله صفا فكره»[٦].

---

(١) كنز العمال:المتقي الهندي: ٩: ٣٧.

(٢) عوالي اللئالي: ٤: ٦٢.

(٣) جامع الشتات: الخوا جوئي: ٢١٤.

(٤) موسوعة الاحاديث الطبية: محمد الريشهري: ٢:٤٠٢.

(٥) المصدر نفسه: ٤٠٢.

(٦) عيون الحكم والمواعظ:٤٥٦

٢- عن الامام علي عليه السلام: «كيف يصفوا فكرة من يستديم الشبع»[١].

الفائدة الرابعة: الدخول في ملكوت السماوات

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «البسوا الصوف وشمروا، وكلوا في أنصاف البطون، تدخلوا في ملكوت السماوات »[٢].

وعنه صلى الله عليه وآله: «لا يدخل ملكوت السماوات والأرض من ملا بطنه »[٣].

الفائدة الخامسة: رؤية الله بالقلب

١- عن النبي صلى الله عليه وآله: «أجيعوا أكبادكم، وأعروا صوركم. ... لعلكم ترون الحق بقلوبكم »[٤].

٢- وعن النبي عيسى عليه السلام: «أجيعوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم؛ فلعل قلوبكم ترى الله عز وجل »[٥].

٣- وعنه عليه السلام - للحواريين -: «يا معشر الحواريين، جوعوا بطونكم، وعطشوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم ؛ لعل قلوبكم ترى الله عز وجل »[٦].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٣٨٤.

(٢) مكارم الأخلاق:الشيخ الطبرسي: ١١٥.

(٣) موسوعة الاحاديث الطبية: ٢: ٤٠٣.

(٤) مشكاة الانوار:علي الطبرسي: ٤٤٨.

(٥) موسوعة الاحاديث الطبية: ٢: ٤١٣.

(٦) المصدر نفسه: ٢: ٤١٣.

المطلب الثالث: مضار كثرة الاكل على باطن الانسان

(أ) فساد الورع

١- الإمام علي عليه السلام: «نعم عون المعاصي الشبع »[(١)].

٢-و عنه عليه السلام: «الشبع يورث الأشر ويفسد الورع »[(٢)].

٣- وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا شبع البطن طغى »[(٣)].

(ب) فساد النفس

١-عن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ؛ فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء »[(٤)].

٢-و عنه صلى الله عليه وآله: «من تعود كثرة الطعام والشراب، قسا قلبه »[(٥)].

٥- وكذلك عن النبي صلى الله عليه وآله: «ما من شيء أضر لقلب المؤمن من كثرة الاكل وهي مورثة شيئين (قسوة القلب) وهيجان الشهوة»[(٦)].

٣- وعنه صلى الله عليه وآله: «إياكم وفضول الطعام ؛ فإنه يسم القلب بالقسوة، ويبطئ بالجوارح عن الطاعة، ويصم الهمم عن سماع الموعظة »[(٧)].

٤- وعنه عليه السلام: «إذا ملئ البطن من المباح، عمي القلب عن الصلاح

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ٩٠.

(٣) الكافي: ٦: ٢٧٠.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٦: ٢١٠.

(٥) المصدر نفسه: ١٦: ٢١٣.

(٦) المصدر نفسه: ١٦: ٢١١.

(٧) عدة الداعي:ابن فهد الحلي: ٢٩٤.

».[١]

(ج) حجاب الفطنة

١- الإمام علي عليه السلام: (من زاد شبعه كظته البطنة، ومن كظته البطنة حجبته عن الفطنة ».[٢]

٢-وعنه عليه السلام: «لا تجتمع الفطنة والبطنة»[٣]

٣- وعنه عليه السلام: «البطنة تحجب الفطنة».[٤]

(د) قلة العبادة

١. الإمام علي عليه السلام: «لا يجتمع الشبع والقيام بالمفترض ».[٥]

٢. عنه عليه السلام: «لا تطمع في ثلاثة مع ثلاثة: في سهر الليل مع كثرة الأكل، وفي نور الوجه مع نوم أجمع الليل، وفي الأمان من الدنيا مع صحبة الفساق ».[٦]

٣. المحاسن عن حفص بن غياث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ظهر إبليس ليحيي بن زكريا عليه السلام، وإذا عليه معاليق من كل شيء. فقال له يحيي: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم. قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربما شبعت فثقلتك عن الصلاة والذكر. قال يحيي: لله علي ألا أملا بطني من طعام أبدا. وقال إبليس: لله علي ألا أنصح مسلما

---

(١) ميزان الحكمة: ١: ٩٠.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٦: ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٦: ٢٢٢.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٣٢.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٣.

(٦) مستدرك الوسائل: ٦: ٣٤٠.

أبدا. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص، لله على جعفر وآل جعفر ألا يملؤوا بطونهم من طعام أبدا، ولله على جعفر وآل جعفر ألا يعملوا للدنيا أبدا »[١].

٤. عيسى عليه السلام: «يا بني إسرائيل، لا تكثروا الأكل ؛ فإنه من أكثر الأكل أكثر النوم، ومن أكثر النوم أقل الصلاة، ومن أقل الصلاة كتب من الغافلين »[٢].

المطلب الرابع: تاثير قلة الطعام على موت النفس الآمارة

من خلال ما تقدم من الروايات الواردة عن المعصومين إن منشأ المعاصي كلها بالنهاية يعود الى قوتها المستمدة من الطعام فقلة الطعام وسيلة في أضعاف نزوع النفس الى شهواتها نتيجة ضعف المحرك لها الى الشهوات وبالجوع يسهل أنقياد النفس لصاحبها وخضوعها لسلطانه .

ولذلك كتب الله الصيام على المؤمنين في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣]. باعتبار الصيام سبب للجوع وبالتالي الى كسر الشهوات وغير ذلك ولذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله (يا معشر الشباب من أستطاع منكم فليتزوج، ومن لم يقدر فعليه بالصوم فإنه وجاء)[٤].

يقول صاحب جامع السعادات في هذا الشأن:

«والبطن منبت الأدواء والآفات وينبوع الشهوات، إذ تتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات، وتتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة

---

(١) وسائل الشيعة (ال البيت) :الحر العاملي: ٢٤: ٢٤١.

(٢) شرح نهج البلاغة:ابن ابي الحديد: ١٩: ١٨٨.

(٣) سورة البقرة : الاية ١٨٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ٧: ٥٠٧.

في الجاه والمال ليتوسل بهما الى التوسع في المطعومات والمنكوحات، ويتبع ذلك أنواع الرعونات وضروب المحاسدات والمنافسات، وتتولد من ذلك آفة الرياء، وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب والكبر، ويداعى ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء، ويفضي ذلك بصاحبهِ الى أقتحام البغي والمنكر والفحشاء، وكل ثمرة اهمال المعدة وما يتولد من بطر الشبع والامتلاء، ولو ذلل العبد نفسه بالجوع، وضيق مجاري الشيطان لم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به الى الانهماك في الدنيا والانغمار فيما يفضيه الى الهلاك والردى»[١].

المطلب الخامس: اهل البيت عليهم السلام وقلة الطعام

١- عن الإمام علي عليه السلام «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حفر الخندق وإذ جاءت فاطمة عليها السلام ومعها كسيره من خبز قدمتها الى النبي صلى الله عليه واله فقال، ما هذه الكسيرة قالت قرص شعير خبزته للحسن والحسين وجئتك منه بهذِه الكسيرة، فقال، يا فاطمة اما أنه اول مقام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»[٢].

٢- وكذلك يقول الامام عليه السلام «وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله

لأروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مادوماً»[٣].

٣- قالت أم كلثوم بنت أمير المؤمنين صلوات الله عليه: لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر رمضان قدمت إليه عند إفطاره طبقا فيه قرصان من

---

(١) جامع السعادات: ١: ٣٥٥.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي:محمد هادي اليوسفي:٢: ٤٨٠.

(٣) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ٣: ٧١.

خبز الشعير وقصعة فيها لبن وملح جريش، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره، فلما نظر إليه وتأمله حرك رأسه وبكى بكاءا شديدا عاليا، وقال: يا بنية ما ظننت أن بنتا تسوء أباها كما قد أسأت أنت إلي، قالت: وماذا يا أباه؟ قال: يا بنيةأتقدمين إلى أبيك إدامين في فرد طبق واحد؟ أتريدين أن يطول وقوفي غدا بين يدي الله عز وجل يوم القيامة أنا أريد أن أتبع أخي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنية ما من رجل طاب مطعمه ومشربه وملبسه إلا طال وقوفه بين يدي الله عز وجل يوم القيامة[١].

٤-عن عائشة قالت: «ان رسول الله .لم يمتلىء قط شبعاً وربما بكيت رحمة مما أرى بهِ من الجوع فأمسح بطنه بيدي فأقول نفسي لك الفداء، لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمتعك من الجوع فيقول يا عائشة أخواني من اولي العزم قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني أستحي أن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم، فاصبر أياماً يسيرة أحب الي من أن ينقص بي حظي غداً في الآخرة وما من شيء أحب الي من اللحوق بأصحابي وأخواني»[٢].

المطلب السادس: النبي داودعليه السلام وأهل التصوف وقولهم في الجوع

١- وقال داوودعليه السلام: «ترك لقمة مَعَ الظرورة اليها أحب الي من قيام عشرين ليلة»[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢: ٢٧٦.

(٢) بحار الانوار: ٧٠: ٢٠٩.

(٣) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١١: ١٣٠.

٢- وقيل ليوسف عليه السلام: «ما لك لا تشبع وفي يديك خزائن مصر؟ قال: إني إذا شبعت نسيت الجائعين »[(١)].

٣- فقال أبو علي الروذباري وهو من المتصوفة «اذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق بالكسب»[(٢)].

٤- وقال يحي بن معاذ لو أن الجوع يباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره»[(٣)].

وأكلة أوقعت في الهلك صاحبها   كحبة القمح دقت عنق عصفور

لكسرة بجريش الملح آكلها   ألذ من تمرة تحشى بزنبور[(٤)]

فإنك مهما تعط بطنك سؤله   وفرجك نالا منتهى الذم أجمعا[(٥)]

الوسيلة الثانية: الصمت

وفيه عدة مطالب:

المطلب الاول: الصمت لغة واصطلاحا

(ا) الصمت لغة: الصَّمْتُ: طُولُ السُّكوتِ[(٦)].

وكذا في القاموس المحيط الصَّمْتُ والصُّموتُ والصُّماتُ السُّكوتُ، [(١)]

---

(١) شرح نهج البلاغة :ابن ابي الحديد : ١٩: ١٨٧ – ١٩٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١: ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ١١: ١٣٠.

(٤)شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١٩: ١٨٨.

(٥) الدعوات:قطب الدين الراوندي: ١٣٨.

(٦) كتاب العين: ٧: ١٠٧.

(ب) الصمت اصطلاحا: يمكن تعريف الصمت في هذا المقام «بانه السكوت الا عن ذكر الله تعالى او ما لا بد منه من الامور الحياتية»

المطلب الثاني: فضل الصمت كما ذكر في الاحاديث الشريفة

١- عن الإمام الصادق عليه السلام: «الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجف القلم بهِ، وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة، وفيه رضا الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل، قد جعله الله ستراً على الجاهل وزيناً للعالم ومعه عزل الهوى، ورياضه النفس، وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب. وكان ربيع بن خيثم يضع قرطاساً بين يديه فيكتب كلما يتكلم بهِ ثم يحاسب نفسه في عشيتهِ ماله وما عليه ويقول أوه نجا الصامتون، وكان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يضع حصاة في فمه فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ولوجه الله أخرجها من فمهِ، فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابهِ وعلم الصمت وفوائده فإن ذلك من أخلاق الانبياء وشعار الاصفياء»(٢).

٢- وعن امير المؤمنين عليه السلام: أنه قال في وصيته لولده الحسين عليه السلام: " يا بني، العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلا بذكر الله، وواحد منها في ترك مجالسة السفهاء "(٣).

٣- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: " السكوت ذهب والكلام فضة"(٤).

---

(١) القاموس المحيط: ١ :١٥٢.

(٢) مصباح الشريعه: ١٠١

(٣) مستدرك الوسائل: ٩: ١٦.

(٤) المصدر نفسه: ٩: ١٦

المطلب الثالث: فوائد الصمت والسكوت

أولاً: الحكمة

الحكمة لها مكانة عظيمة في دين الله والشريعة الالهية .؟ والأقوال والأفعال إذا اتصفت بصفة الحكمة صار لها قدر وقيمة، وإذا تباعدت عنها استحقت الذم ووصفت بالرعونة والطيش والحمق؛ ولذلك نجد الكبير والصغير والرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، بل والمسلم والكافر ينسب نفسه إليها، ويفرح أشد الفرح إذا وصف بأنه حكيم في تقديراته وتصرفاته.

١- يقول الله تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[(١)].

٢-وعن البزنطي، عن الرضاعليه السلام: (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، أن الصمت باب من أبواب الحكمة، وأن الصمت يكسب المحبة، وهو دليل على الخير[(٢)].

٣- وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الصمت حكم وقليل فاعلة»[(٣)].

٤- وفي حديث المعراج يا أحمد: إن العبد إذا أجاع بطنه وحفظ لسانه علمته الحكمة وإن كان كافرا تكون حكمته حجة عليه ووبالا، وإن كان مؤمنا تكون حكمته له نورا وبرهانا وشفاء ورحمة، يا أحمد ليس شيء من العبادة أحب إلي من الصمت والصوم، فمن صام ولم يحفظ لسانه كان كمن قام ولم يقرأ في صلاته فأعطه أجر القيام ولم أعطه

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٦٩ .

(٢) بحار الأنوار: ٦٨: ٢٧٦.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخواطر: الحلواني: ص٢٠.

أجر العابدين[١].

ثانيا: العبادة

العبادة من أقوى الوسائل والارتباط بالله تعالى ولذا يقول تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

وقد نزل الصمت منزلة العبادة وهذا دليل على ان الصمت له منزلة عظيمة عند الله تعالى.

١-يقول النبي صلى الله عليه وآله: «يا رب ما أول العبادة، قال الصمت والصوم»[٢].

٢- وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت»[٣].

٣- وعن النبي صلى الله عليه وآله: «أربع لا يصيبهنَّ الا مؤمن: الصمت وهو أول العبادة، والتواضع لله، وذكر لله على كل حال، وقلة الشيء، يعني قلة المال»[٤].

ثالثا: العز في الصمت وترك الكلام

٤ - عن عثمان بن عيسى قال: حضرت أبا الحسن عليه السلام: «قال له رجل: أوصني، فقال له: إحفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك»[٥].

إذ بالصمت تكون الهيبة والعزة لأن من رآه يخيل إليه أن له شأنا

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤: ٢٩، ٣٠

(٢) مستدرك الوسائل: ٧: ٥٠٠.

(٣) الخصال: الصدوق:الحديث (٨) : ٣٥.

(٤) الأمالي:الشيخ الطوسي:٥٣٦.

(٥) الكافي: الكليني: ٢ :١١٣.

فيهيب منه ويعزه بخلاف ارخاء اللسان فإنه يشين القائل ويبدى مساوي الجاهل ويصغره في أعين الناس ويذهب بعزه وبهائه.

رابعا: الصمت حفظ ونجاة للانسان من الهلاك

لا شك ان الانسان يتمنى العيش بسلام وامن واطمئنان واهم الامور التي تجعل الانسان بعيد عن الخطر من الهلاك ويكون في حفظ هو الصمت. ولذا اشار النبي واهل البيت الكرام الى هذه الخاصية.

١- يقول النبي صلى الله عليه وآله: «من صمت نجا»[(١)].

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا حافظ أحفظ من الصمت»[(٢)].

٣-عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يسلم فليلزم الصمت)[(٣)].

٤- وكذلك قال صلى الله عليه وآله: «رحم الله امرء قال خيرا فغنم أوسكت عن سوء فسلم »[(٤)].

٥ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه ضمنت له الجنة»[(٥)].

وذلك يدل على أن للسان حصه في البعد عن الجنة بسبب ما تكسب من السيئات

---

(١) الامالي:الطوسي: ٥٣٧

(٢) كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي: ١٨٦: وانظر، عيون الحكم والمواعظ، ص٥٣٤

(٣) كتاب الصمت وآداب اللسان: ابن أبي الدنيا: ٣٩.

(٤) مستدرك الوسائل: ٩:٢٤

(٥) المصدر نفسه: ٩: ٢٤.

٦- عن جعفر بن محمدعليه السلام: «إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء، وصبر في دولة الباطل على الأذى، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقا، وهم المؤمنون »[(١)].

وما قيل في الشعر فكثير يشير الى ان حفظ النفس من الهلاك ياتي عبر حفظ اللسان من الكلام

جراحات السنان لها التئام ... ولا يلتام ما جرح اللسان[(٢)]

رأيت الكلام يزين الفتى ... والصمت خير لمن قد صمت

فكم من حروف تجر الحتوف ... ومن ناطق ود أن لوسكت

وقال آخر:

أحفظ لسانك ايها الانسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان[(٣)]

وقال نصر ابن احمد:

لسان الفتى حتف الفتى حين يجهل ... وكل امرئ ما بين فكيه مقتل

إذا ما لسان المرء أكثر هذره ... فذاك لسان بالبلاء موكل

وكم فاتح أبواب شر لنفسه ... إذا لم يكن قفل على فيه مقفل

فلا تحسبن الفضل في العلم وحده ... بل الجهل في بعض الأحايين أفضل

---

(١) مستدرك الوسائل : ١٨:٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢: ٦٢.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٢: ٦٢

إذا شئت أن تحيا سعيدا مسلما فدبر وميز ما تقول وتفعل[١]

وقال آخر:

الحلم زين والسكوت سلامة فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة الا ندمت على الكلام مرارا[٢]

وقال الحسن بن هاني:

خل جنبيك لرام وامض عني بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
رب لفظ ساق آجال فئام وفئام
إنما السالم من ألجم فاه بلجام[٣]

المطلب الرابع: مساوىء الكلام بغير ذكر الله تعالى

أولا: قسوة القلب

الانسان بروحه وقلبه لا ببدنه ولذا الله تعالى ينظر الى قلب الانسان كما ورد في الحديث الشريف عن النبيﷺ: (ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم)[٤].

فاذا الانسان كثر كلامه بغير ذكر الله تعالى قسى قلبه ولذا يكون بعيد عن الله تعالى وقد ورد في الاحاديث ما يشير الى ذلك

١-يقول النبيﷺ: " لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام

---

(١) أدب المجالسة: ابن عبد البر: تحقيق: ٩٠.

(٢) نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ٧: ٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) بحار الانوار: ٦٧ :٢٤٨.

بغير ذكر الله يقسي القلب، وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب[١].

٢-و في حديث المعراج:(يا أحمد عليك بالصمت، فإن أعمر مجلس قلوب الصالحين الصامتين وان أخرب مجلس قلوب المتكلمين بما لا يعنيهم)[٢].

ثانيا: خسارة الآخرة

غاية خلق الإنسان هي الآخرة وليس الدنيا كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام «فان الغاية امامكم وان الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا انما ينتظر بأولكم أخركم»[٣].

والدنيا مزرعة الآخرة ،وعلى الإنسان إن يراقب لسانه ولا يخرج منه الا خيرا ويبتعد عن الكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان. لان هناك من يرصد كلامه وسوف يؤاخذ عليه أجلا أم عاجلا.

قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٤].

وقد قال الامام الصادق عليه السلام: «وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الاحصائد السنتهم»[٥].

---

(١) مستدرك الوسائل: ٩: ٢٦ ، ٣٥.

(٢) الجواهر السنية: الحر العاملي: ١٩٧ .

(٣) نهج البلاغة: الامام علي عليه السلام: ١: ٥٨.

(٤) سورة ق : الاية ١٨ .

(٥) مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: ٣٠٧.

ثالثا: كثرة الخطأ

١–عن الامام علي حيث يقول: «ومن كثر كلامه كثر خطاؤه، ومن كثر خطؤه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار»[١] وهذا من الامور الوجدانية

٢– وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله: «أكثر خطايا بن آدم في لسانهِ ومن كف لسانهِ ستر الله عورته»[٢].

رابعا: البلاء والمحنة وعداواة الناس

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ان كان في شيء شؤم ففي اللسان»[٣].

وقال صلى الله عليه وآله: " بلاء الانسان من اللسان"[٤]

وقال صلى الله عليه وآله: " البلاء موكل بالمنطق "[٥]

وقال صلى الله عليه وآله: " فتنة اللسان أشد من ضرب السيف"[٦].

ولابن المبارك شعر:

احفظ لسانك إن اللسا ن ... سريع إلى المرء في قتله

وإن اللسان دليل الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

ولابن مطيع:

---

(١) نهج البلاغة: الامام علي عليه السلام: ٤: ٨١.

(٢) مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: ٣٠٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٠٥.

(٤) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٩: ٣٠.

(٥) المصدر نفسه: ٩: ٣١.

(٦)مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٩: ٣١.

لسان المرء ليث في كمين إذا خلى عليه له إغاره
فصنه عن الخنا بلجام صمت يكن لك من بليته ستاره[١]

وقال الكسائي:
احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ان البلاء موكل بالمنطق[٢]

المطلب الخامس: تاثيرالصمت في مجاهدة النفس وموتها

من خلال ما تقدم من الروايات الصادرة عن النبيﷺ وعترتهِ الطيبين الطاهرين، وما عرفناه من فوائد الصمت، ومضار الكلام بغير ذكر الله تعالى يعتبر الصمت ركن أساسي من أركان مجاهدة النفس وموتها لأن في الكلام خطر كبير وآفات عظيمة من الكذب والغيبة والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وكل هذه الامور تبعد عن ساحة الله تعالى وتقرب العبد إلى ساحة الشيطان والنفس الإمارة بالسوءِ وعليه فالسالك إلى الله تعالى عليه أن يعرف خطر الكلام ولا يخوض مَعَ الخائضين.

الوسيلة الثالثة: في مجاهدة النفس وموتها (مخالفة النفس)

وفيها مقدمة ومطالب:

المقدمة

إنّ أشق ما على النفس مخالفة النفس – لأن النفس بطبيعتها تريد ان يكون لها مطلق العنان – لا تريد التقيد بشيء لا تريد تكليفاً أو مشقة واجباً

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٦: ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣: ٢٩٢.

كان أو حراماً، مكروهاً كان او مستحباً، من هنا جاءت الروايات التي تقول إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر وجهاد العدو هو الأصغر، واليك بعض الأحاديث وقد مرت بنا:

أولاً: قال النبي صلى الله عليه وآله: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[١].

ثانياً: عن علي عليه السلام: «نفسك اقرب أعدائك إليك»[٢]

وثالثا: وعن علي عليه السلام(نفسك عدو محارب وضد مواثب إن غفلت عنها قتلتك)[٣].

المطلب الاول: القران الكريم ومخالفة النفس

ما ورد في القران الكريم وان مخالفة النفس والهوى وكبح جماحها تحصيل للسعادة الأبدية في الآخرة.

يقول تعالى:﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فان الجنة هي المأوى﴾[٤].

المطلب الثاني: السنة النبوية ومخالفة النفس

ما ورد عن النبي والمعصومين صلوات الله عليهم في شان مخالفة النفس

١- دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه مجاشع فقال: يا رسول الله كيف الطريق الى معرفة الحق؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله: معرفة النفس. قال: يا رسول الله فكيف الطريق الى موافقة الحق؟ قال: مخالفة النفس. قال: يا رسول

---

(١) عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي:٤ :١١٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٩٧.

(٣) المصدر نفسه: ٤٩٨.

(٤) سورة النازعات :الاية ٤٠ .

الله فكيف الطريق الى رضا الحق؟ فقالﷺ: سخط النفس. قال يا رسول الله فكيف الطريق الى وصل الحق؟ قالﷺ: هجر النفس. قال يا رسول الله فكيف الطريق الى طاعة الحق؟ فقالﷺ عصيان النفس. قال: يا رسول الله فكيف الطريق الى ذكر الحق؟ قالﷺ: نسيان النفس. قال يا رسول الله فكيف الطريق الى قرب الحق؟ فقالﷺ: التباعد عن النفس. قال يا رسول اللهﷺ فكيف الطريق الى انس الحق؟ قالﷺ: الوحشة من النفس.قال يا رسول اللهﷺ فكيف الطريق الى ذلك كله؟ فقالﷺ: الاستعانة بالحق على النفس[1].

المطلب الثالث: ثمار مخالفة النفس

أولا: الاستقامة والصواب والرشد في طريق الله تعالى

فالاستقامة والصواب والرشد هي الغاية القصوى لسير وسلوك الانسان، وذلك لان الاستقامة توصل الانسان الى طاعة الله ورضوانه وقربه سبحانه وتعالى ،ولان الاستقامة توصل الى مقام القرب الالهي امر الله نبيهﷺبالاستقامة،قال تعالى:﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ معك﴾[2]. ومخالفة الانسان لنفسه حالة توصل العبد الى الاستقامة والرشد والصواب. وقد ورد في الاحاديث ما يشير الى ذلك ايضا

١- عن عليعليه السلام: «خالف نفسك تستقم»[3].

٢- وكذلك عن عليعليه السلام: في خطبة تسمى الوسيلة في بعضها «وفي

---

(١) عوالي اللئالي:١ :٢٤٦.

(٢) سورة هود : الاية ١١٢ .

(٣) عيون الحكم والمواعظ:٢٤٢.

خلاف النفس رشدك»[١].

٣- في وصية الامام موسى بن جعفرعليه السلام لهشام قولهعليه السلام: «واكثر الصواب في خلاف الهوى»[٢].

ثانيا: خير الدنيا والآخرة

يذكر القرآن الكريم دعاءاً يعلم فيه العبد كيف يدعو: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» السلامة في الدنيا والاخرة لا تحصل إلا في مخالفة النفس، ولذا ورد عن الامام الرضاعليه السلام عندما سأله شخص عما يجمع فيه الدنيا والآخرة فقالعليه السلام: خالف نفسك»[٣].

ثالثا: يكون في حفظ الله تعالى وفي رزق الله

الانسان يتمنى ان يكون له حارس يحميه من الاعداء فكيف إذا كان الحارس لك الله وملائكته، والإنسان يتمنى أن يتكفل أحدٌ برزقه فكيف إذا تكفل الله رزقك.وهذا يحصل للانسان والعبد إذا خالف الانسان هوى نفسه واتبع هوى الله تعالى وهذا ما ورد في حديث الامام الباقرعليه السلام يرويه عن جده النبي الاكرمصلى الله عليه وآله يقول الله تعالى.

١- «وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والارضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدنيا

(١) الكافي: الشيخ الكليني:٢٣:٨.

(٢) جامع احاديث الشيعة: السيد البروجردي: ١٤: ٧٠.

(٣) فقه الرضا: علي بن بابويه: ٢٣.

وهي راغمة»[١].

٢- وعن أمير المؤمنين عليه السلام قوله «خالف الهوى تسلم، وأعرض عن الدنيا تغنم»[٢].

رابعا: الوصول الى الجنة

من أهم الثمار التي يحصل عليها الانسان من خلال مخالفة هوى النفس هي الجنة التي عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين كما يقول تعالى﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى،فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣].

خامسا: موافقة الحق

كلُ منا يتمنى ان يوافق كلامه كلام رئيسه أو المسؤول عنه ويفتخر بذلك فما بالك لو كان فعلك وحركتك وسكناتك توافق ما يريد الله تعالى. أكيد هذه السعادة الحقيقة التي ليس مثلها سعادة .

ولذلك جاء في الحديث

١- «حين سئل رسول الله صلى الله عليه وآله كيف الطريق الى موافقة الحق؟ قال: مخالفة النفس»[٤].

٢- وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله: «ملاك الدين مخالفة الهوى»[٥].

---

(١) جامع احاديث الشيعة: ١٣ :٢٧٣.

(٢) موسوعة احاديث اهل البيت عليهم السلام: هادي النجفي: ١٢: ٨٨ .

(٣) سورة النازعات : الاية ٤٠ الى ٤١ .

(٤) عوالي اللئالي: ١: ٢٤٦.

(٥) عيون الحكم والمواعظ:٤٨٦.

سادسا: راحة الانسان:

قيل للصادق عليه السلام اين طريق الراحة؟ فقال عليه السلام: «في خلاف الهوى»[١] ويقصد الامام عليه السلام خلاف هوى النفس

المطلب الرابع: مساوىء عدم مخالفة النفس

كما ان مخالفة النفس فيها ايجابيات كثيرة وعظيمة في حياة الانسان في حاضره ومستقبله في دنياه واخرته، كذلك طاعة النفس في كل ما تريد له لوازم خطيرة في شقاء الانسان في الدنيا والاخرة وهذا ما اشارت اليه الروايات الشريفة الصادرة عن المعصومين

١- عن أمير المؤمنين قوله: «من سامح نفسه فيما تحب طال شقاؤها فيما لا تحب»[٢].

وعنه عليه السلام: أشقى الناس من غلبه هواه فملكته دنياه وأفسد أخراه[٣].

وعنه عليه السلام: إن طاعة النفس ومتابعة أهويتها أس كل محنة ورأس كل غواية[٤].

وعنه عليه السلام: إنك إن أطعت هواك، أصمك وأعماك وأفسد منقلبك وأرداك[٥].

المطلب الخامس: ما قاله العرفاء وأرباب المعرفة في مخالفة النفس

(١) يقول ابن العربي:

خالف هواك فإنه محمود   واعلم بأنك وحدك المقصود

---

(١) تحف العقول: ابن شعبه الحراني: ٣٧٠

(٢) عيون الحكم والمواعظ:٢٥٦.

(٣) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ١٢: ٨٨ – ٩٠.

(٤) موسوعة احاديث اهل البيت: ١٢: ٨٨ – ٩٠.

(٥) المصدر نفسه: ١٢: ٨٨ – ٩٠.

الكل يسعد غير من هو مثله فلتلق سمعك لي وأنت شهيد
أنت العزيز فذق وبال صفاته يوم القيامة والأنام شهود

يقول: «اعلم أيدك الله إن مخالفة النفس هو الموت الاحمر وهو حال شاق عليها وهي المخالفة نفسها. فالمخالف عين المخالف وهذا من أعجب الأمور اعني وجود المشقة، نعم لو كان المخالف نفساً أخرى لم يكن التعجب من حصول المشقة في ذلك »[١].

أقول: هنا أشار ابن العربي إلى إن مخالفة النفس تعتبر موتاً احمراً باعتبار إن للعرفاء أربع موتات ــ موت ابيض وهو الجوع، لان الجوع ينور الباطن ويبيض وجه القلب وعلى هذا سوف تحيي فطنته لان البطنة تميت الفطنة، وموت احمر، وهو مخالفة النفس في هواها فإن من خالف هواه فقد ذبح نفسه، وموت اخضر وهو لبس المرقعات كما ورد عن علي عليه السلام «لقد رقعت مدرعتي حتى استحيت من راقعها»[٢]. يقول الشاعر:

إذ المرء لم تدنس من اللوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل[٣]
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم[٤]

وموت اسود وهو احتمال الاذى من الناس فأن في ذلك غم النفس والغم ظلمة النفس والظلمة تشبة في الالوان السواد.

٢- وفي الرسالة القشيرية: «واعلم ان اصل المجاهدة وملاكها فطم

---

(١) الفتوحات المكية: ابن العربي: ٢: ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة:خطب الإمام علي عليه السلام: ٢: ٦١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق:ابن عساكر: ١٧: ٣٠٩.

(٤) الوافي بالوفيات:الصفدي: ٣: ٢٤٦.

النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الاوقات »[١].

٣- وقال ذو النون المصري: وعلامة الإصابة: مخالفة النفس والهوى ومخالفتهما وترك شهواتهما.

ولا يخفى ان هذا الكلام هو نفس كلمات الأئمة الأطهار التي سبقت. «اكثر الصواب في مخالفة الهوى»[٢].

٤- قال الجنيد: أرقت ليلة فقمت إلى وردي فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوه والتلذذ بمناجاتي لربي فتحيرت، فأردت إن أنام فلم اقدر عليه، فقعدت فلم اطق القعود ففتحت الباب وخرجت، فأذا رجل ملتف في عباءه مطروح على الطريق فلما أحس بي رفع رأسه وقال يا ابا القاسم الى الساعة، فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى قد سألت محرك القلوب أن يحرك إلي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك؟ فقال متى يصير داء النفس دواءها؟ فقلت اذا خالفت هواها صار داؤها دواءها. فأقبل على نفسه وقال اسمعي فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت أن تسمعيه إلا من الجنيد، فقد سمعت»[٣].

٥- وفي الرسالة القشيرية للقشيري انه روئي رجل جالساً في الهواء، فقيل له: لم نلت هذا فقال: تركت الهوى فسخر لي الهواء[٤].

يقول الشاعر:

---

(١) الرسالة القشيرية: ابو القاسم القشيري: ١٩٨.

(٢) الرسالة القشيرية: ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٥.

(٤) الرسالة القشيرية : ٢٧٧.

عاص الهوى إن الهوى مركب يصعب بعد اللين منه الذليل
إن يجلب اليوم الهوى لذة ففي غد منه البكا والعويل
ما بين ما يحمد فيه وما يدعو إليك الذم إلا القليل

المطلب السادس: أين تقع مخالفة النفس

ينقسم الأمر التكليفي وهو الحكم المتعلق بأفعال الانسان والموجه لها مباشرة الى خمسة أقسام:

١- (الوجوب): وهو حكم شرعي يبحث نحو الشيء الذي تعلق به بدرجة الالزام نحو وجوب الصلاة، ووجوب الصيام....؟

٢- (الاستحباب): وهو حكم شرعي يبعث نحو الشيء الذي تعلق به بدرجه دون الالزام ولهذا توجه إلى جانبه رخصة من الشارع في مخالفته كاستحباب صلاة الليل.

٣- (الحرمة): وهي حكم شرعي يزجر عن الشيء الذي تعلق به بدرجة الالزام نحو حرمة الربا وحرمه الزنا ..

٤- (الكراهة): وهي حكم شرعي يزجر عن الشيء الذي تعلق به بدرجة دون الالزام، مثل بيع الاكفان.

٥- (الإباحة): وهي إن يفسح الشارع المجال للمكلف لكي يختار الموقف الذي يريده ونتيجة ذلك ان يتمتع المكلف بالحرية فله أن يفعل وله أن يترك[١]. مثل اكل الفاكهة وغيرها من المباحات .

ونحن نعتقد ان مخالفة النفس تكون في المحرم والمكروه والمباح، باعتبار

---

(١) انظر:دروس في علم الأصول (الحلقة الأولى) : محمد باقر الصدر: ٣٩ .

انا قلنا ان النفس امارة بالسوء وتدعو الى مشتهياتها ولذاتها المحظورة لذا يجب مدافعتها ومخالفتها في ذلك والصبر على المحرم والمكروه.ولذا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات»[١] والمقصود انه لا يصل امرء الى الجنة إلا بتخطي المكاره والصبر عليها، والمكاره الصبر على المعاصي والشهوات.واما مخالفة النفس في المباح باعتبار ان دائرة المباح واسعة وكبيرة جدا فلاجل ان لاتصل النفس الى ارتكاب المحرم والمكروه يجب تضييق دائرة العمل بالمباح في الماكل والملبس والمشرب والمسكن وهكذا....الخ، وعدم اطلاق العنان للنفس، والاقتصار على الضروري من المباح سيولد القوة فيها من اجل ان لا تصل الى المحرم او التفكير فيه .ولا يغرك الشيطان بقوله تعالى عندما يقول لك:﴿قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾[٢]. فأنت على هذا لا تستطيع التقدم إلى الله تعالى، فان الإنسان إذا بقى يتلذذ بالطيبات أنست النفس الإمارة بالسوء ولم تتحمل البلاء والمحن الإلهية.

المطلب السابع: من روائع مخالفة النفس

يعتبر النبي الاكرم صلى الله عليه وآله والانبياء والائمة عليهم السلام القدوة والاسوة في هذا المجال. ولذا يقول الله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٣].

---

(١) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري: ٨ :١٤٢.

(٢) سورة الاعراف : الاية ٣٢ .

(٣) سورة الممتحنة : الاية ٦ .

علي عليه السلام، يصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في مخالفته لنفسه وعدم اهتمامه بالدنيا:«قضم الدنيا قضماً ولم يعرها طرفاً أخظم اهل الدنيا كشحاً وأخمصهم بطناً عرضت عليه الدنيا فابى أن يقبلها وعلم أن الله سبحانه أبغض شيئاً فابغضه، وحقر شيئاً فحقره وصغر شيئاً فصغره، ولقد كان صلى الله عليه وآله، يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله، ويرفع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه، ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لأحد أزواجه نحيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها فأعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه»(١).

ويأتي بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، في إماتة النفس ومخالفة النفس المولى أمير المؤمنين عليه السلام.

يقول المولى عليه السلام:«وأيم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً»(٢).

ويقول عليه السلام:«والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك؟ فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى»(٣). وهذا مثل معناه إذا أصبح النائمون وقد رأوا السائرين واصلين على مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم انفسهم .

ويقول امير المؤمنين عليه السلام:«ألا وأن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه

---

(١) نهج البلاغة: الإمام علي عليه السلام:٢: ٥٩ .

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٧١ .

(٣) المصدر نفسه: ٢: ٦١ .

ومن طعمه بقرصيه فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وقراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً»[١].

ويقول علي عليه السلام: «ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة»[٢].

بربك أي انسان علي عليه السلام يستطيع أن تكون الدنيا تحت قدمه ولكنه يأبى إلا أن يخالف نفسه ويعيش في الدنيا بلباس بسيط ومأكل قليل .

وما جاء في رواية عن الباقر عليه السلام: تعتبر القمة في مخالفة النفس، فالنفس بطبعها لا ترضى الاستهزاء بها ولكن الامام عليه السلام قدم لنا صورة رائعه في عدم الرد على المستهزء به «عندما قال له نصراني: أنت بقر؟ قال: أنا باقر. قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذلك حرفتها. قال: انت ابن السوداء الزنجية البذية؟ قال: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك. قال: فأسلم ذلك النصراني »[٣].

«وهكذا نصير الملة والدين الخواجه الطوسي قدس سره عندما شخص بعث له برسالة في طيها «يا كلب ابن كلب» فكان الجواب: أما قولك يا كذا فليس بصحيح لان الكلب من ذوات الاربع وهو نابح طويل الأظفار وأما أنا فمنتصب القامة بادي البشرة عريض الاظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول

---

(١) نهج البلاغة: ٣: ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٣: ٧١ .

(٣) مناقب آل أبي طالب:ابن شهر آشوب: ٣: ٣٣٧.

والخواص غير تلك الفصول والخواص »[١].

كذلك ما يروى عن الشيخ جواد الملكي التبريزي وهو من أكابر الفقهاء والعرفاء: يقول الشيخ كنت في زيارة مع عالم آخر الى المرحوم المامقاني (صاحب كتاب تنقيح المقال) يقول الميرزا جواد (رض): قالت لي نفسي كلما تكلم هذا العالم بشيء فيجب عليك أن تقول شيئاً في مقابله أيضاً ولكني قلت لنفسي يجب عليك ان تقدمي له حذائه وتضعيه امام قدميه إذا أراد النهوض فتألمت نفسي وقالت: كيف تفعل ذلك؟ فقلت: يجب عليك أن تضعي الحذاء لخادمه أيضاً»[٢].

الوسيلة الرابعة: العزلة وفيها عدة مطالب

المطلب الاول: العزلة في اللغة والاصطلاح

(أ) العزلة في اللغة: لها عدة معاني

١- الابتعاد والانصراف والتنحي جانباً:

جاء في كتاب مقاييس اللغة: (عزل الانسان الشيء يعزله اذا كان في جانب وهو بمعزل وفي معزل اصحابه أي في ناحية منهم والعزلة الاعتزال)[٣].

وقال ابن منظور: (عزل الشيء يعزله عزلاً وعزله فأعتزل وانعزل وتعزل نحاه جانباً فتنحى، وتعازل القوم انعزل بعضهم عن بعض، واعتزلت

---

(١) منازل الآخرة والمطالب الفاخرة:الشيخ عباس القمي: ٢١٢.

(٢) مدرسة العرفاء: ابراهيم حسين سرور: ١: ٦٠١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ٤:٣٠٧.

القوم فارقهم وتنحيت عنهم)[١].

ويقول الراغب في مفرداته «الاعتزال تجنب الشيء عمالة كانت او براءة او غيرهما بالبدن كان او بالقلب)

ومنه قوله تعالى «انهم عن السمع معزولون» اي ممنوعون بعد ان كانوا يمكنون»[٢].

٢- وثاني العزلة بمعنى الانفراد والانزواء والمزايلة والانقطاع.

قال ابن منظور: (والعزلة، الانعزال نفسه يقال العزلة عباده وكنت بمعزل عن كذا وكذا أي كنت في موضع عزلة منه، والمعزال الذي ينزل ناحية في السفر ينزل وحده»[٣].

(ب): العزلة في الاصطلاح

ويمكن تعريف العزله في مقامنا بانها«الانفراد عن الناس لافراغ القلب الى الله والعباده»

باعتبار ان الانسان مادام مشغولا مع الناس لا يفرغ قلبه الى الله تعالى ولا يتوجه الى العباده

ويقول الجرجاني: (العزلة هي الخروج من مخالطة الخلق بالانزواء والانقطاع)[٤].

---

(١) لسان العرب: ١١: ٤٤٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٣٣٤.

(٣) لسان العرب: ابن منظور: ١١: ٤٤٠.

(٤) التعريفات:١٢٣.

المطلب الثاني: اهمية العزلة في بداية السلوك والسير الى الله تعالى

يحتاج السالك الى الله تعالى عزلة عن الاختلاط مع الناس من اجل تربية النفس وحفظ القلب واللسان والسمع والبصر وكلها تؤدي الى التفكير السليم والتدبر في خلق الله وحصانة النفس من الزلل والمعصية.

وذكر القشيري في الرسالة القشيرية (لا بد للمريد – في ابتداء حاله– من العزلة عن ابناء جنسه والعزلة من امارات الوصلة.

ومن حق العبد – اذا آثر العزلة– ان يعتقد بأعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره ولا يقصد سلامتة من شر الخلق فأن الاول دليل تواضعه والثاني دليل تكبره وروي بعض الرهبان فقيل انك راهب، فقال لا، بل انا حارس كلب، ان نفسي كلب يعقر الخلق اخرجتها من بينهم، ليسلموا منها..)[1].

ويقول ابو طالب المكي[2] «واعلم ان المريد لابد له من خصال سبع ... ويستعين على هذه السبع بأربع هن اساس بنيانه وبها قوة اركانه، أوّلها الجوع، ثم السهر، ثم الصمت، ثم الخلوة، فهذه الاربع سجن النفس وضيقها، وضرب النفس وتقييدها بهن تضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملتها ولكل واحدة من الاربع صفة حسنة في القلب»[3].

---

(١) الرسالة القشيرية: للقشيري:١٠١.

(٢) ابو طالب، محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ الصوفي نزيل بغداد المتوفي سنة (٣٨٦) من تصانيفه (قوت القلوب في معاملة المحبوب) ومشكل اعراب القرآن وغير ذلك. عن هدية العارفين للمؤلف اسماعيل باشا البغدادي:٢:٥٥.

(٣) قوت القلوب: محمد ابي طالب المكي: ٢: ٢٠.

المطلب الثالث: فوائد العزلة

اولاً: في العزلة عبادة واستئناس بالله تعالى:

ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه وأنجمع عليها بجوارحه وقلبه لقلة من يشغله عن ذلك وتمكن لذيذ المناجات لفراغ سره وهذا مجرب صحيح حتى يجد في الخلوة من الحلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية وحتى يكون أنسه في الوحدة وروحه في الخلوة وأحسن أعماله في السر.

(أ)يقول النبي صلى الله عليه وآله: «العزلة عبادة»[(١)].

(ب)ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «من انفرد عن الناس انس بالله سبحانه»[(٢)].

(ج) وعن اميرالمؤمنين عليه السلام: «في الانفراد لعبادة الله كنوز الارباح»[(٣)].

(د) وعن اميرالمؤمنين عليه السلام: «الانفراد راحة المتعبدين»[(٤)].

(ه) جاء هرم بن حيان الى اويس القرني فقال له اويس ما حاجتك قال جئت انس بك قال ما كنت اعرف احد يعرف ربه فيانس بغيره.

وقيل لأحدهم ما أصبرك على الوحدة فقال لست وحدي انا جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت)[(٥)].

---

(١) مشكاة الأنوار:علي الطبرسي:٤٤٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي: ٤٤٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥٤.

(٤) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي: ٢٥

(٥) نهج السعادة: الشيخ المحمودي: ٨: ٥٣.

ثانيا: في العزلة التخلص من الذنوب والمعاصي .

وهذا مما لاشك فيه ولاريب لانك لا تستطيع ان ترد كل من يغتاب او يكذب او يرتكب المعاصي والذنوب ولذا سوف تكون في منأى عن هذه الامور كلها اذا ابتعدت عن الناس .

وقد ورد عن الامام الصادق(ع) ما يشير الى ذلك.

قال عليه السلام: «إن قدرت أن لا تخرج من بيتك فافعل فأن عليك في خروجك أن لا تغتاب ولا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تدهن ثم قال: نعم صومعة المسلم بيته يكف فيه بصره ولسانه ونفسه وفرجه»[١].

ثالثاً: صلاح وسلامة الإنسان في الدنيا والآخرة.

صيانة نفسه ودينه من التعرض لشرور والخصومات التي توجبها الخلطة فإن للنفس تولعاً وتسارعاً للخوض في مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «سلامة الدين في اعتزال الناس»[٢].

وقال كذلك: «من اعتزل الناس خلص من شرهم»[٣].

وقال كذلك «في اعتزال الدنيا جماع الصلاح»[٤].

وقد قيل شعراً في العزلة:

أنست بوحدتي فلزمت بيتي   فتم العز لي ونما السرور

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٨: ١٢٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ:علي بن محمد الليثي: ٢٨٥.

(٣) المصدر نفسه: ٤٤٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥٤.

وأدبني الزمان فليت أني هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما دمت يوما أسار الجند أم قدم الأمير
ومن يك جاهلا برجال دهر فإني عالم بهم خبير
كأنهم إذا فكرت فيهم ذباب أو كلاب أو حمير[١]

وقال آخر:
رأيت الانقباض أجل شيء وادعى في الامور الى السلامة
فهذا الخلق سالمهم ودعهم فخلطتهم تقود الى الملامة
ولا تعبأ بشيء غير شيء يقود الى خلا صك في القيامة[٢]

قال الثوري لجعفر بن محمدعليه السلام يا ابن رسول الله اعتزلت الناس فقال: يا سفيان فسد الزمان وتغير الاخوان، فرأيت الانفراد اسكن للفؤاد ثم قال:
ذهب الوفاء ذهاب امس الذاهب والناس بين مخاتل وموارب
يفشون بينهم المودة والصفا وقلوبهم محشوة بعقارب[٣]

ويقول الشافعي:
ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلى عذبها وعذابها
فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سرابها
وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن أجتذابها

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ٢٣: ٣٥٣.
(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: ٢: ٣٦٩ .
(٣) العدد القوية:علي بن يوسف الحلي: ١٥٣.

فإن تجتنبها عشت سلماً لأهلها وأن تجتذبها ناهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطنت قعر دارها مغلقة الأبواب مرخي حجابها[١]

رابعا: التمكن من عبادة التفكر والإعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة

عن الصادق عليه السلام: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»[٢] ويقول العسكري عليه السلام: «ليست العباده كثرة الصلاة والصيام بل العباده التفكر في امر الله»[٣] والتفكر لا يتم الا اذا خلا الانسان لوحده .

المطلب الرابع: روايات تدعو الى الاجتماع وعدم العزلة وهجر الاخوان

اولاً: عن النبي صلى عليه واله: «ايها الناس عليكم بالجماعة واياكم والفرقة»[٤].

ثانياً: وعنه صلى عليه واله: «ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم القاصية والناحية والشاردة واياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد»[٥].

ثالثاً: كذلك عنه صلى الله عليه وآله: «لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة ايام»[٦].

---

(١) العهود المحمدية:الشعراني: ٣٦٠.

(٢) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١١: ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه:١١: ١٨٣.

(٤) كنز العمال: المتقي الهندي: ١: ٢٠٦.

(٥) مجمع الزوائد:الهيثمي: ٢ :٢٣.

(٦) الامالي: الشيخ الطوسي: ٣٩١ .

رابعا: قال العلاء ابن زياد الحارثي: يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخي عاصم بن زياد، قال وما له؟ قال لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال علي به. فلما جاء قال: يا عدي نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أما رحمت أهلك وولدك. أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك. قال: ويحك إني لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره»[١] الى غير ذلك من الروايات.

المطلب الخامس: وجه الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات

وجه الجمع بين هاتين الطائفتين من الروايات واضح وذلك .

أولاً: نحن قلنا ان المريد والسائر السالك الى الله تعالى يحتاج الى العزلة فترة لا مطلقاً، كي يتحصن من الذنوب والمعاصي، فان فترة انعزال السالك ضرورية عن الناس كي تكون عنده مناعة قوية للابتعاد عن الذنوب والمعاصي التي اساسها الاختلاط، والا فالعزلة مطلقاً خلاف طبيعة الانسان وخلاف ماجاءت به الشرائع والانبياء كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٢] ،أي لكي يتعرف بعضكم على بعض.

ثانياً: الروايات التي تشير الى الاجتماع وعدم العزلة والوحده فيما اذا كان الاجتماع ليس فيه معصية ولا يعصى فيه الله تعالى، واما اذا كان المكان

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام: شرح محمد عبده: ٢: ١٨٧.

(٢) سورة الحجرات : الاية ١٣ .

الذي يكون فيه اجتماع الناس يكون فيه معصية الله تعالى فهنا العزلة افضل وهذا الحديث يشير الى ذلك: فقد ورد في وصية الرسولﷺ لأَبي ذر الغفاري رضي الله عنه: « ... يا أبا ذر، الجليس الصالح خيرٌ من الوحدة، والوحدة خيرٌ من جليس السوء.. »[(١)].

وعنه(صلى الله عليه واله): «لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه المسلم فوق ثلاثة ايام الا ان يكون ممن لا يؤمن بوائقه»[(٢)].

وعلى هذا فليس الاختلاط مطلقاً محبوب ومفضل وليس الانعزال كذلك محبوب ومفضل وانما هذه المسائل تقدر بقدرها.

المطلب السادس: تاثير العزله على موت النفس الاماره

قلنا سابقاً ان النفس امارة بالسوء بطبعها وتدعو الى المعصية بشتى اشكالها. فأذا اعتزل السالك والمريد نفسه فترة عن الاماكن والمواطن التي من خلالها يعصى الله كسماع الغيبة والكذب والخداع والنفاق واسقاط الاخرين وغير ذلك سوف تروض النفس وتقهر هذه النفس الداعية لكل سوء ويقوى الجانب العقلي عند هذا الانسان كما جاء في الحديث عن الامام موسى الكاظمؑ: «الصبر على الوحدة علامة على قوة العقل»[(٣)].

واذا قوي العقل اصبح قاهراً للطباع والصفات الذميمة كما جاء في

---

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) : ١٢: ١٨٨.

(٢) الكامل:عبد الله بن عدي: ٦: ١٤٧«هـذه الروايـه لم اجـدها في المجـاميع الروائيـه الـسنيه والشيعيه الا في هذا الكتاب)) .

(٣) الكافي: الشيخ الكليني: ١: ١٧.

الحديث عن امير المؤمنين عليه السلام: «العقل الكامل قاهر للطبع السوء»[١].

الوسيلة الخامسة: السهر وفيه مطالب

المطلب الاول: السهر لغة واصطلاحا:

(أ)السهر لغة:

١- قال الخليل الفراهيدي: «مادة سهر - السهر: امتناع النوم بالليل تقول اسهدني (هم) فسهرت له سهراً أي امتنعت عن النوم»[٢].

٢- وعن القاموس المحيط «سهر كفرح: لم ينم ليلاً»[٣].

٣- وعن مجمع البحرين «والسهر بالتحريك اعدم النوم في الليل كله او بعضه، وقد سهر بالكسر يسهر فهو ساهر.وسهران اذا لم ينم الليل كله او بعضه»[٤].

(ب) السهر اصطلاحا:

ونحن نأتي بتعريف للسهر اصطلاحا يكون مناسب للموضوع الذي نحن فيه فنقول السهر: «عدم النوم في الليل كله او بعضه للعبادة وقهر النفس»وعندما قلنا للعبادة يخرج ما كان لغير العبادة من انواع السهر وعدم النوم.وعندما قلنا لقهر النفس باعتبار ان من فوائد السهر هو قهر النفس الامارة بالسوء وجعلها في طاعة الشرع والعقل.

---

(١) ميزان الحكمة:محمد الريشهري: ٣: ٢٠٥٥.

(٢) كتاب العين: الخليل الفراهيدي: ٤: ٧ .

(٣) القاموس المحيط: الفيروز ابادي: ٢: ٥٤.

(٤) مجمع البحرين: الشيخ الطريحي: ٢: ٤٤٠.

المطلب الثاني: فضل السهر في القران

اولاً: قوله تعالى: ﴿يا ايها المزمل﴾ قم الليل الا قليلاً﴾ نصفه او انقص منه قليلاً﴾ او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ ان ناشئه الليل هي اشد وطأ واقوم قيلاً﴾[١].

يقول مكارم الشيرازي في تفسيره الامثل «المخاطب في هذه الايات هو النبيﷺ ولكن لا بعنوان الرسول او النبي بل بعنوان يا ايها المزمل، وان هذا ليس زمان الانزواء والتزمل بل زمان القيام والبناء الذاتي والاستعداد لاداء الرسالة واختيارالليل لهذا العمل.

١: لان أعين الأعداء نائمة.

٢: تتعطل الاعمال. ولهذا فان الانسان يستعد للتفكير ولتربية النفس وكذلك اختيار القران لان يكون المادة الاولى في البرنامج العبادي لان القران يعد من افضل الوسائل لتقوية الايمان والاستقامة والتقوى وتربية النفوس»[٢].

اقول: ان السالك الى الله يحتاج الى قيام الليل والسهر فيه وتكون مادته القران والاذكار لأيجاد التوسعة في قابليته لنزول الفيض الالهي، ولان الليل هو افضل زمان للتامل والتفكر الذي يعينه على الحركة الى الله تعالى.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾[٣].

يقول السيد الطباطبائي والمعنى: (هم الذين يدركون حال كونهم

---

(١) سورة المزمل: الاية من ١ الى ٦ .

(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل:مكارم الشيرازي: ١٩: ١٢٦.

(٣) سورة الفرقان: الاية ٦٤ .

ساجدين فيه لربهم وقائمين يتراوحون سجداً وقياماً)[١].

ويقول الشيخ مكارم الشيرازي: (في عتمة الليل حيث اعين الغافلين نائمة وحيث لا مجال للتظاهر والرياء حرموا على انفسهم لذه النوم ونهضوا الى ماهو الذ من ذلك حيث ذكر الله والقيام والسجود بين يدي عظمته عز وجل، فيقضون شطراً من الليل في مناجاة المحبوب فينورون قلوبهم وارواحهم بذكره وبأسمه)[٢].

ولنعم ما قيل من الشعر:

لله قوم أخلصوا في حبه ... اختصهم ورضى بهم خداماً
قوم اذا هجم الظلام عليهم ... قاموا فكانو سجدا وقياماً
يتلذذون بذكره في ليلهم ... ونهارهم لا يفترون صياماً
خمص البطون من الحرام اعفة ... لا يعفرون سوى الحلال طعاما
فسيفرحون بورد حوض محمد ... وسيسكنون من الجنان خياماً[٣]

ويقول اخر:

للَّهِ قومٌ اذا ما اللَّيل جنّهمو ... قاموا من الفرشِ للرحمنِ عُبَّادا
ويركبون مطايا لا تملُّهمو اذا ... هُمو بمنادي الصبحِ قد نادا
هُمو اذا ما بياضُ الصبحِ لاحَ لهم ... قالوا من الشوقِ ليت اللَّيلَ قد عادا

---

(١) تفسير الميزان:الطباطبائي: ١٥: ٢٤٠.

(٢) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: مكارم الشيرازي: ١١: ٣٠٦.

(٣) بستان الواعظين ورياض السامعين: جمال الدين أبو الفرج المعروف بابن الجوزى: ١: ٢٦٨.

الارضُ تبكي عليهم حينَ تفقدُهمْ لأنّهم جعلوا للأرضِ اوتادا[١]

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[٢]. وهذه الاية وان نزلت في حق النبي الاكرمﷺ وان وجوب الصلاة متعلق به ولكن نستفيد منها ان الصلاة في جوف الليل لها قيمة حقيقية ومنزلة عظيمة لا يعرفها الا من تذوقها (ومن لم يذق لم يعرف).

رابعاً: قوله تعالى:﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

اقول سمى الله تعالى اهل الليل بالعلماء وجعلهم اهل الخوف والرجاء واعطى لهم قرة العين من الجزاء بخلاف من هو غافل نائم ليله اجمع فهو غير عالم بما يحذر وبما يرجو من ربه تعالى.

المطلب الثالث: منزلة الليل في روايات النبي واهل البيتعليهم السلام:

الرواية الاولى:

عن المفضل بن عمر عن الصادقعليه السلام «قال كان فيما ناجى الله به موسى ابن عمرانعليه السلام ان قال له: يا ابن عمران كذب من زعم انه يحبني فأذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب خلوه حبيبه ها انا ياابن عمران مطلع على احبابي اذا جنهم الليل حولت ابصارهم في قلوبهم ومثلت عقوبتي

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ١٣٦.

(٢) سورة الاسراء : الاية ٧٩ .

(٣) سورة الزمر : الاية ٩ .

بين اعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع وادعني ظلم الليل فإنك تجدني قريباً مجيباً»[١].

ونستفيد من هذه الرواية:

اولاً: محبه الله تقتضي السهر في الليل لان ذلك وقت لقاء الحبيب لحبيبه.

ثانياً: هناك فيض من الله تعالى لا يحصل الا بالسهر في الليل.

ثالثاُ: في الليل يكون العبد قريب الى الله تعالى، وذلك لانصرافه عن جميع المشاغل التي تشغله والتوجه الى الله بالكليه.

رابعاً: هناك اطلاع خاص من قبل الله تعالى لعباده واوليائه الذين يسهرون بالليل.

الرواية الثانية:

ورد عن الامام الحسن العسكري عليه السلام: «ان الوصول الى الله عز وجل سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل»[٢].

هذه الرواية الصادرة من الامام المعصوم تدل دلالة واضحة ان الوصول الى الله تعالى ومعرفة الله تعالى لا يمكن بدون السهر في الليل، وجعل الليل مركوب يمتطيه الانسان للسير الى الله تعالى.

يقول الشاعر:

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي: ٧ :٧٨.

(٢) بحار الانوار: العلامة المجلسي: ٧٥ :٣٧٩.

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي
تريد العزم ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب اللئالي[١]

الرواية الثالثة:

وعن عليعليه السلام في كتاب لهعليه السلام الى عثمان بن حنيف: «طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنبه بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها وتوسدت كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون»[٢].

الرواية الرابعة:

وعن النبيصلى الله عليه وآله: (اذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس في عينه يرضى ربه عز وجل لصلاة الليل باهى الله تعالى به ملائكته فقال اما ترون عبدي هذا قام من لذيذ مضجعه الى صلاة لم افرضها عليه، اشهدوا اني قد غفرت له»[٣].

الرواية الخامسة:

عن الصادقعليه السلام عن النبي الاكرمصلى الله عليه وآله. «وان العبد اذا تخلى بسيده في جوف الليل وناجاه اثبت الله النور في قلبه فاذا قال يارب يارب ناداه الجليل جل جلاله لبيك عبدي سلني اعطك، وتوكل علي اكفك، ثم يقول جل جلاله

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: المناوي: ٤: ٦٦١.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي(ع) :شرح محمد عبدة: ٣: ٧٥.

(٣) وسائل الشيعه: ٨: ١٥٧.

لملائكته انظروا الى عبدي فقد تخلى بي في جوف الليل المظلم والبطالون لاهون والغافلون نيام اشهدوا اني غفرت له»[(١)].

الرواية السادسة:

ما ورد عن امير المؤمنين عليه السلام: «سهر الليل في طاعة الله ربيع الاولياء»[(٢)].

الرواية السابعة:

وعنه عليه السلام «سهر الليل شعار المتقين وشيمة المشتاقين»[(٣)].

الرواية الثامنة:

وعنه عليه السلام «سهر العيون بذكر الله خلصان العارفين وداب المقربين»[(٤)].

الرواية التاسعة:

وعنه عليه السلام «أسهروا عيونكم واضمروا بطونكم واخذوا من اجسادكم فجودوا بها على انفسكم»[(٥)].

الرواية العاشرة:

وعنه عليه السلام «افضل العبادة سهر العيون بذكر الله سبحانه»[(٦)].

الرواية الحادي عشر:

---

(١) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٦: ٣٣٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: علي بن محمد الليثي: ٢٨٥.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢٨٦.

(٥) المصدر نفسه: ٨٩.

(٦) المصدر نفسه: ١١٢.

وعنه عليه السلام «ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمة والزمت قلوبهم مخافته حتى اسهرت لياليهم واضمأت هواجرهم»[١].

الرواية الثانية عشر:

وعن الامام زين العابدين(ع): «اللهم اجعلنا ممن دابهم الارتياح اليك والحنين ودهرهم الزفرة والانين جباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة لخدمتك»[٢].

الرواية الثالثة عشر:

وكذلك عن الامام زين العابدين عليه السلام: «فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي»[٣].

المطلب الرابع: امثلة من روّاد الليل

الاول : علي عليه السلام

عن ضرار بن ضمرة، عند دخوله الى معاوية، قال: اشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد ارخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه، قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عني، ابي تعرضت ام الي تشوفت، لا حان حينك، هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعه فيها، فعيشك قصير وخطرك يسير، واملك حقير، اه من قله الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظم المورد »[٤].

الثالث: ما ورد عن الامام امير المؤمنين في وصفه اصحاب النبي

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام:شرح محمد عبده: ١: ٢٢٤.

(٢) الصحيفة السجادية: تحقيق ابطحي: ٤١٤.

(٣) الصحيفة السجادية: ٤١٢.

(٤) نهج البلاغة:خطب الامام علي عليه السلام:شرح محمد عبده: ٤: ١٧ .

الاكرم صلى الله عليه وآله:

«اما والله لقد عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجداً وقياماً يراوحون بين اقدامهم وجباههم يناجون ربهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون»(١). الرابع: يصف أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين صفات المتقين وفي هذه الخطبة:

«اما الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً، يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها شوقاً وظنوا انها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم، مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم، وأطراف أقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم»(٢).

وللامام كلام آخر في نهج البلاغة يصف فيها بعض عباد الله:

«أما الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون الى الله سبحانه بأدعيتهم قد حلا في افواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به، قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الاعلى في مقعد صدق عنده»(٣).

الثاني : زين العابدين

---

(١) الكافي: ٢: ٢٣٦ .

(٢) نهج البلاغه: ٢: ١٦١.

(٣) شرح نهج البلاغه:ابن ابي الحديد:٢٠: ٢٧٧.

١- «ولقد دخل ابو جعفر عليه السلام على ابيه فأذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه احد، فرآه قد اصفر لونه من السهر، ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته، وانخرم انفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فقال ابو جعفر(ع) فلم املك حين رأيته بتلك الحال البكاء واذا هو يفكر، فالتفت الي بعد هنيئة من دخولي فقال يا بني اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن ابي طالب(ع) فأعطيته، فقرأ فيها يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عباده علي عليه السلام»[(١)].

٢- عن الأصمعي يقول كنت أطوف حول الكعبة ليلة فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول: نامت العيون، وعلت النجوم، وأنت الملك الحي القيوم، غلقت الملوك أبوابها، وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين، جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم أنشأ يقول:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت قاطبة ... وأنت وحدك يا قيوم لم تنم

أدعوك رب دعاء قد أمرت به ... فارحم بكائي بحق البيت والحرم

إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف ... فمن يجود على العاصين بالنعم

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام »[(٢)].

٣- وعن طاووس الفقيه: يقول رأيته يطوف من العشاء إلى سجر

---

(١) الارشاد: الشيخ المفيد: ٢: ١٤٢ .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٢٩٠.

ويتعبد، فلما لم ير أحدا رمق السماء بطرفه وقال: إلهي غارت نجوم سماواتك، وهجعت عيون أنامك، وأبوابك مفتحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدي محمد في عرصات القيامة ثم بكى وقال: وعزتك

وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك. وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاك، ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرض، ولكن سولت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخى به علي، فأنا الآن من عذابك من يستنقذني، وبحبل من اعتصم ان قطعت حبلك عني، فوا سوأتاه غدا من الوقوف بين يديك إذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا، أمع المخفين أجوز أم مع المثقلين أحط؟ ويلي كلما طال عمري كثرت خطاياي ولم أتب، أما آن لي أن استحي من ربي؟ ثم بكى، ثم أنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى   فأين رجائي ثم أين محبتي
أتيت بأعمال قباح ردية   وما في الورى خلق جنى كجنايتي

ثم بكى وقال: سبحانك تعصى كأنك لا ترى، وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم، وأنت يا سيدي الغني عنهم. ثم خر إلى الأرض ساجدا فدنوت منه وشلت رأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فاستوى جالسا وقال: من ذا الذي أشغلني عن ذكر ربي ! فقلت: انا طاوس يا ابن رسول الله ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جافون أبوك الحسين بن علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله؟ قال: والتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي خلق الله الجنة لمن اطاعه وأحسن ولو كان حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيدا

قرشيا، أما سمعت قوله تعالى: (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) والله لا ينفعك غدا إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح[١].

المطلب الخامس: اثرالسهر على موت النفس الأمارة

قيام الليل بما فيه من مجاهدة النفس وتحكم في الهوى ومعاناة في سبيل الوقوف بين يدي الله تعالى، وذلك لأن الانسان يواجه سلطان النوم وأتعاب النهار جراء العمل والشعور بالوحدة في جوف الليل، من هنا تتولد الارادة التي تقهر النفس الامارة، وتجعل النفس الامارة مقهورة وخاضعة لارادة الخير والعطاء والعقل والشرع. وبتعبير آخر: هذا الانسان الذي يقضي الليل في عبادة الله في طاعة الليل تعالى في مناجاة الله وهو يكابد النعاس ويكابد الوحدة، سوف يسهل عليه ان يقف بوجه النفس الامارة بالسوء، بمعونة الله تعالى لكي يقهر هذه النفس المتمردة على اوامر الله وطاعته .

وقد قال تعالى:﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾[٢].

الوسيلة السادسة: محاسبة النفس

وفيها مطالب

المطلب الأول: المحاسبة لغة واصطلاحا

(أ)المحاسبة لغة:

مصدر من حاسب يحاسب، ماخوذ من حسب حسبت الشيء أحسبه

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٢٩٠.

(٢) سورة المزمل : الاية ٦.

حسباناً وحساباً إذا أعددته والحساب والمحاسبة: عدُّك الشيء»[(١)].

(ب) المحاسبة اصطلاحاً:

فلا يوجد تعريف للمحاسبة في الكتب المعتبرة، واذا وجد فهي تعريفات شخصية، ولذا نحن من خلال اللغة والروايات التي تحدثت عن المحاسبة نستطيع ان نعرف المحاسبة بما يلي:«وهو أن يحاسب العبد نفسه عن كل ذنب صدر منه لكي يتداركه ويلقى الله وليس عليه شيء» .

وبتعبير اخر، تهيئة الوازع الديني في النفس، وتربيتها على تنمية اللوم الباطني الذي يجردها من كل ما يقف أمامها عقبة في طريق الصفاء والمحبة والإيثار والإخلاص.

المطلب الثاني: القرآن ومحاسبة النفس

لقد أشار القران الكريم الى وجوب محاسبة النفس قبل حساب الآخرة يقول الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[(٢)].

يقول صاحب تفسير الميزان: «هو النظر في الاعمال التي قدموها ليوم الحساب أهي صالحة فليرج بها ثواب الله أو طالحة فليخش عقاب الله عليها ويتدارك بالتوبة والأنابة وهو محاسبة النفس»[(٣)].

وقال الغرناطي: «هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من اعمالها

---

(١) كتاب العين: الخليل الفراهيدي: ٣: ١٤٩ .

(٢) سورة الحشر : الاية ١٨ .

(٣) تفسير الميزان: ١٩: ٢١٨ .

ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات»[١].

وقال الطوسي:(أي تنظر وتفكرما الذي تقدمه من الاعمال ليوم القيامة من طاعة او معصية)[٢].

المطلب الثالث: ما ورد عن النبي وأهل البيت عليهم السلام في محاسبة النفس:

الرواية الاولى: نفي الايمان عن العبد الذي لا يحاسب نفسه

عن ابراهيم بن عمر اليماني؟ عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام قال: ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً استزاد الله، وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه»[٣].

الرواية الثانية:المحاسبة دليل الخير

عن ابي حمزة الثمالي، قال كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: ابن آدم إنك ما تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً، ابن آدم انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله فأعد جواباً»[٤].

الرواية الثالثة: محاسبة النفس دليل العقل

عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله: «وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: الغرناطي الكلبي: ٤: ١١١.

(٢) انظر، التبيان: الشيخ الطوسي: ٩: ٥٧١.

(٣) وسائل الشيعة: ١٦: ٩٥ .

(٤) المصدر نفسه: ١٦: ٩٦ .

يتفكر فيها صنع الله»[١].

الرواية الرابعة: حساب الدنيا يهون حساب الاخرة

عن ابي ذر في وصية النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل ان تحاسب فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن وتجهز للعرض الاكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافيه .. الى ان قال: يا ابا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من اين مطعمه، ومن اين مشربه ومن أين ملبسه، أمن حلال أو حرام، يا أبا ذر من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين أدخله النار»[٢].

الرواية الخامسة: كيفية محاسبة النفس كما يصفها علي عليه السلام

«عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت فقال رجل: يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثم أمسى رجع الى نفسه، وقال يا نفس إن هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه بما أفنيته، فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته؟ أقضيت حوائج مؤمن فيه؟ أنفست عنه كربة؟ أحفظته بظهر الغيب في اهله وولده؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن؟ أعنت مسلماً؟ ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان فيه، فإن ذكر انه جرى منه خير حمد الله وكبره على توفيقه، وإن ذكر معصية أو تقصيراً استغفر الله وعزم

---

(١) المصدر نفسه: ١٦: ٩٧ .

(٢)وسائل الشيعة: ١٦: ٩٥ .

على ترك معاودته)[١].

الرواية السادسة: المحاسبة يجب ان تكون شديدة

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطالبها بحقوق الله مطالبة الخصم خصمه، فإن أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه»[٢].

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على محاسبة النفس

اولا: صلاح النفس

لان العبد بعد ان يحاسب نفسه في كل يوم سوف يردعها عن الاثام والمعاصي وبالتالي سوف تنصلح نفسه ويترك المعصية وعندها تسمو النفس من حضيض المعصية وهذا ما اشارت اليه الاحاديث عن المعصومين

عن علي عليه السلام: «ثمرة المحاسبة صلاح النفس»[٣].

وكذلك عن علي عليه السلام: «قيدوا انفسكم بمحاسبتها، واملكوها بمخالفتها، تأمنوا من الله الرهب وتدركوا عنده الرغب فإن الحازم من قيد نفسه بالمحاسبة وملكها بالمغالبة واسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه وطالبها حقوقها بيومه وأمسه»[٤].

ثانيا: الاطلاع على عيوب النفس

من لم يحاسب نفسه لم يطلع على عيوبها ومن لم يطلع على عيب نفسه

---

(١) وسائل الشيعة : ١٦: ٩٨ .

(٢) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١٢: ١٥٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٢: ١٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٢: ١٥٥.

لم يمكنه أزالتها. ولذا اشارت الاحاديث الى هذا الامر.

عن عليعليه السلام: «من حاسب نفسه وقف على عيوبه، وأحاط بذنوبه، واستقال الذنوب وأصلح المعيوب»[١].

ثالثا: تحقيق سعادة الدارين ونيل رضا الله تعالى ومحبته

لأنه إذا حاسب نفسه علم تقصيرها وأنه مهما عمل لم يقم بما طلب منه القيام به، وانه لو قام بما طلب منه أحتاج الى شكر الله الذي من عليه بأن وفقه للقيام بما أمر به، وإذا أدرك تقصيره في جنب الله قاده ذلك الى أن يبذل المزيد من الجهد وأن يتدارك النقص ويستعد اكمل الاستعداد ليوم المعاد. وهذا ما اشارت اليه الاحاديث الواردة عن الامام عليعليه السلام.

يقولعليه السلام: «من حاسب نفسه سعد»[٢].

وكذلك يقولعليه السلام: «من حاسب نفسه ربح»[٣].

رابعاً: الزهد في الدنيا

فإن العبد المحاسب لنفسه سوف يعرف حقيقة الدنيا وأنها لا قيمة لها وإنها دار ممر وليس مقر له، كما يقول عليعليه السلام (فان الغاية أمامكم وإن الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا انما ينتظر باولكم اخركم)[٤].

خامساً: الاستشعار بمراقبة الله له

سوف يستشعر الانسان المحاسب لنفسه مراقبة الله له في كل تصرفاته

---

(١) مستدرك الوسائل : ١٢: ١٥٤.

(٢) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ٢ ١: ١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه: ١٢: ١٥٤ .

(٤) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ١: ٥٨ .

يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء ١).

ويصبح هذا العبد كما قال علي عليه السلام: «ما رايت شيئاً إلا ورأيت الله فيه أو قبله أو معه»[١].

سادساً: التعرف على حقيقة النفس

المحاسب لنفسه سوف يتعرف على حقيقة نفسه وإنها أمارة بالسوء ولذلك يقوم بتوبيخها والازراء عليها ومقتها والحذر منها .

سابعاً: طلب العون من الله

المحاسب لنفسه سوف يعرف بأنه بحاجة الى معونة الله في تقويم نفسه، وإنه لا يملك الحول والقوة (لا حول ولا قوة إلا بالله)[٢] ولذلك يطلب المعونة من الله تعالى (رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين ابدا)[٣]

المطلب الخامس: الاسباب المعينة على محاسبة النفس

أولاً: صحبة الأخيار

ثبت بالتجربة ان الصداقة والعلاقة لها تاثير كبير في شخصية الانسان ولذا على الشخص المحاسب لنفسه، صحبة الاخيار المراقبين والمحاسبين لأنفسهم ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[٤] فإذا كاثرهم المجالس وطاولهم المؤانس أحب أن يقتدي بهم في افعالهم ويتأسى بهم في اعمالهم يقول الشاعر:

---

(١) موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري: ٣: ٧٥.

(٢) الدعوات: قطب الدين الراوندي: ٨٣.

(٣) الكافي: ٧: ٢.

(٤) الامالي: الشيخ الطوسي: ٥١٨.

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فان القرين بالمقارن يقتدي[١]

وعن بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لِأَبِي بَكْرٍ الْخُوَارِزْمِيِّ:

لَا تَصْحَبْ الْكَسْلَانَ فِي حَالَاتِه   كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ
عَدْوَى الْبَلِيدِ إِلَى الْجَلِيدِ سَرِيعَةٌ   وَالْجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَاعِ فَيَخْمُدُ[٢]

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «صحبة الولي اللبيب حياة الروح»[٣].

ويقول عليه السلام: «عمارة العقول في معاشرة ذوي العقول»[٤].

ويقول عليه السلام: «لا تصحب إلا عاقلاً تقياً، ولا تعاشر إلا عالماً زكياً، ولا تودع سرك إلا مؤمناً وفياً»[٥].

وعنه عليه السلام: «قارن أهل الخير تكن منهم»[٦].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «لا تجلسوا إلا عند كل عالم يدعوكم من خمس الى خمس: من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الرهبة ومن الكبر الى التواضع ومن الغش الى النصيحة»[٧].

ويقول مالك بن دينار: «انك إن تنقل الحجارة مع الابرار خير من ان

---

(١) تاريخ مدينة دمشق:ابن عساكر: ٤٠.

(٢) يتيمة الدهر: الثعالبي: ٤: ٢٧٥.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٣٠١ .

(٤) المصدرنفسه: ٢٤٠ .

(٥) المصدر نفسه: ٥٢٠.

(٦) مستدرك الوسائل: ٨: ٣٢٧ .

(٧) بحار الانوار: ٧١: ١٨٩.

تأكل الخبيص مع الفجار»[١].

وقد اشار الخواجة عبد الله الانصاري ، الى اهمية الصحبة ضمن عبارة مهمة في كتابه منازل السائرين،فقال:«وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام فانها تستقيم بثلاثة اشياء بسماع العلم وإجابة دواعي الحرمة وصحبة السالكين» وقد شرح القاساني هذه العبارة .

فقال: «إنما لا يمكن ولا يصبح معرفة الزيادة والنقصان إلا بالتعلم لانها موقوفة على تمييز المنجيات والصالحات الموجبة للترقي وزيادة القرب من الله في المرتبة من المهلكات والسيئات الموجبة للنقصان المبعدة عن الحق وذلك لا يكون إلا بسماع العلم والموعظة ومعرفة الحرمات وهي التكليفات والاحكام الشرعية التي لا يحل هتكها حتى يعظمها فإن اجابة دواعيها تعظيمها بامتثال الاوامر والنواهي الالهية «وذلك لا يتم الا بصحبة العلماء الزاهدين الصالحين من السالكين للتأدب النفس بآدابهم وتتخلق باخلاقهم وتستمد منهم وتحسن أحوالها ببركة أنفاسهم، فإن النفس لا تتاثر بشيء كالصحبة، ولا تترك عاداتها ومقتضيات جبلتها وطبيعتها إلا بصحبة أهل الصلاح والمنسلخين عن رسوم الطباع وعادات السوء وهم السالكون»[٢].

يقول الشاعر:

أصحب خيار الناس حيث لقيتهم خير الصحابة من يكون عفيفاً[٣]

---

(١) تفسير الثعلبي: الثعلبي: ٧: ١٣٢.

(٢) شرح منازل السائرين: عبدالرزاق القاساني: تحقيق وتعليق محسن بيدار: ٤٠.

(٣) تفسير الثعلبي: الثعلبي: ٧: ١٣١.

ثانياً: الاطلاع على اخبار الأولياء والعرفاء والسلف الصالح وكيفية محاسبتهم لأنفسهم.

الاطلاع على اخبار العرفاء والاولياء يجعل العبد يزداد حرصاً على متابعتهم ويتجدد نشاطه من اجل الوصول الى الكمالات التي حصلوا عليها .

ينقل الغزالي بعض من حكايات هؤلاء الذين حاسبوا انفسهم وعاقبوها:

«أن رجلاً من العباد كلم أمرأة ووضع يده على فخذيها، ثم ندم فوضع يده في النار حتى يبست عقوبة لها، وبعضهم نظر الى إمرأة فجعل على نفسه ألا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار ينغص على نفسه العيش»[١].

«وبعضهم مر بغرفة فقال متعجباً: متى بنيت هذه الغرفة؟ ثم اقبل على نفسه وقال: تسألين عما لا يعنيك لأعاقبنك بصوم سنة فصامها»[٢]. وكذلك قصة اخرى «إن ابن الصمة وكان بالرقة وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتى القى الملك بأحد وعشرين الف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة الاف ذنب ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت فسمعوا قائلاً يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى[٣].

---

(١) احياء علوم الدين: ابي حامد الغزالي: ٤: ٣٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ٤: ٣٥٤.

(٣) احياء علوم الدين : ابي حامد الغزالي : ٤: ٣٥٤.

وينقل كذلك الغزالي: «ان شخصاً أنه نام ليلة لم يقم فيها يتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع »[١].

وكذلك ينقل الغزالي «إن ابا طلحة الانصاري كان يصلي فاشتغل بطائر كان على حائطه (البستان) فبعد الصلاة تصدق بهذا البستان قربة الى الله تعالى»[٢].

ويحكي الغزالي في كتابه «إن رجلا في زمن النبيﷺ انطلق ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء فكان يقول لنفسه: ذوقي ونار جهنم أشد حراً؟ أجيفة بالليل بطالة في النهار، فبينما هو كذلك إذ أبصر النبيﷺ في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي، فقال له النبيﷺ ألم يكن لك بد من الذي صنعت اما لقد فتحت لك ابواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة، ثم قال لاصحابه: تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان أدع لي يا فلان ادع لي»[٣] وهذا كناية على ان الانسان المحاسب لنفسه والمتهم لها تظله الرحمة الالهية ويكون مستجاب الدعوة.

المطلب السادس: تقسيم المحاسبة

أولاً: محاسبة الاعمال التي صدرت، فإن صدر عنه الخير شكر الله تعالى وطلب الزيادة منه سبحانه

---

(١) المصدر نفسه: ٤: ٣٥٤.

(٢) احياء علوم الدين : ٤: ٣٥٤.

(٣) المصدر نفسه: ٤ : ٣٥٤.

وتعالى وإن صدر عنه الشر ناب الى الله وتداركه، وهذا ما ورد عن الامام الكاظم عليه السلام في الحديث المتقدم .

ثانياً: محاسبة النفس على نواياها ودوافعها الكامنة، فإن النية لها مدخلية في صلاح الانسان وفي فساد الانسان فلا يقتصر الانسان على إصلاح ظاهره وترك باطنه، يقول الله تعالى «إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله» فلعل الانسان يعمل بحسب الظاهر ولكن نيته ليست لله سبحانه وتعالى كما تشير هذه الاية المباركة الكريمة:﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾(١)

المطلب السابع: كيفية المحاسبة بعد التقصير كما يصفها النراقي (رض)

لا شك ان هناك الكثير من الطرق لمحاسبة النفس قد ذكرتها الروايات وعلماء الاخلاق، وقد ذكر الاخلاقي الكبير محمد مهدي النراقي – بان النفس إذا ارتكبت المعاصي فينبغي للعاقل:

أولاً: ان يعاقبها، ويقول: أف لك يا نفس، هلكتيني وعن قريب تعذبيني في النار مع الشياطين والاشرار، فيا ايتها النفس الامارة الخبيثة أما تستحين وعن عيبك أما تنتهين؟ فما أعظم جهلك وحماقتك؟ أما تعرفين أن بين يديك الجنة والنار وأنت عائدة الى احداهما عن قريب؟ فما لك تضحكين وتفرحين باللهو والعصيان تشتغلين؟ اما علمت ان الموت يأتي بغتة من غير إخبار وهو أقرب اليك من كل قريب؟ فما لك لا تستعدين له؟أما تخافين من جبار السموات والارض؟ ولا تستحين منه؟ تعصين بحضرته وهو مطلع عليك!

---

(١) سورة الكهف : الاية من ١٠٣ الى ١٠٤ .

ويحك يا نفس جرأتك على معصية الله إن كانت لاعتقادك انه لا يراك فما أعظم كفرك، وإن كانت مع علمه باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياؤك وما أعجب نفاقك وكثرة دعاويك الباطلة؟ فإنك تدعين الايمان بلسانك واثر النفاق ظاهر عليك؟ فتنبهي عن رقدتك وخذي حذرك، لو ان يهودياً اخبرك في ألذ اطعمتك بانه يضرك لصبرت وتركتيه، ولو أخبرك طفل بعقرب في ثوبك تدعينه، فقول الله وقول أنبيائه المؤيدين بالمعجزات وقول الانبياء والحكماء والعلماء أقل تاثيراً عندك من قول يهودي أو طفل، فلا يزال يكرر عليها امثال هذه المواعظ والتوبيخات والمعاتبات .

ثانياً: يعاقبها ويلزمها ما يشق عليها من وظائف العبادات والتصدق بما يحبه جبراً لما فات منها وتداركاً لما فرط فيها، فغذا أكل لقمة مشتبهة ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع، وإذا نظر الى غير محرم يعاقب العين بمنع النظر، وإذا اغتاب مسلماً يعاقب اللسان بالصمت والذكر مدة كثيرة، وكذلك يعاقب كل عضو من أعضائه إذا صدرت منه معصية بمنعه من شهواته، وإذا استخف بصلاة ألزم نفسه بصلاة كثيرة بشرائطها وآدابها، وإذا استهان بفقير اعطاه صفو ماله وهكذا في سائر المعاصي والتقصيرات»[1].

يقول الشاعر:

حاسب النفس قبل يوم الحساب   وأذقها العذاب قبل العذاب
وأصبها من الأسى بشواظ   ينضج اللحم قبل نفخ الاهاب
وإذا ما بكيت يوماً بدمع   فبدمع من الفؤاد مشاب

(١) جامع السعادات: ٣: ٧٩ – ٨٠ .

وحذار حذار أن تتهنا بطعام تناله او شراب
او منام تنام بالليل حتى تستبين المآل يوم المآب[١]

ويقول شاعر اخر:

حاسب النفس قبل يوم الحساب وتـأهب لـرحلة واغـتراب
سـفر شـاسع ومـرمى بعيد وهـبوط الـى مـحل خراب
وسـؤال مـن مـنكر ونكير أفـهل أنـت ناهض بالجواب
وكـتاب في الحشر تلقاه منشورا فـماذا أنت صانع بالكتاب
حين تبدو لك الصحائف سودا اكـسبتها الذنوب لون الغراب[٢]

المطلب الثامن: اثر محاسبة النفس على موت النفس الامارة

لاشك إن عدم أهمال النفس ومحاسبتها ومعاتبتها وحتى معاقبتها في بعض الاحيان إذا استلزم ذلك مراراً وتكراراً سوف يؤدي بالنهاية الى خضوعها واستسلامها وموتها وبالتالي الى حاكمية العقل والشرع في مملكة الانسان، فيخرج هذا الانسان من حيز البهيمية الى حيز الانسانية. وتكون السعادة كما يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣]

---

(١) العاقبة في ذكر الموت:عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد:١٣٠.

(٢) المصدر الابيات: الابيات للشيخ عبدالكريم صادق المتوفي ١٣٩٢ هجري قمري:موقع مؤسسة الامام الكاظم: مكتبة الادب واللغه:

.http:: :www.alkadhim.org:other:mktba:adab:adabaltaf١٠:٣٥٥.htm

(٣) سورة النحل : الاية ٩٧ .

يقول ابن الفارض:

فأحياء أهل الحب موت نفوسهم وقوت قلوب العاشقين مصارع[١]

---

(١) شرح ديوان ابن الفارض: ٢: ٣٤٩.

المبحث الثامن

ما قاله الشارحون لنهج البلاغة

في هذا المقطع أعني (أمات نفسه)

أولاً: يقول ابن ميثم البحراني في المصباح

«إشار بإماتة نفسه، الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة، بحيث لا يكون لها تصرف على حد طباعها إلا بارسال العقل وباعثه فكانت في حكم الميت عن الشهوات والميول الطبيعية الذي لا تصرف له من نفسه»[(١)].

ثانياً: يقول ابن ابي الحديد المعتزلي:

«وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة»[(٢)].

ثالثاً: يقول العلامة المجلسي صاحب البحار:

«وإماتة النفس بجعلها مقهورة للعقل بحيث لا يكون لها تصرف إلا بحكمه، فكانت في حكم الميت في ارتفاع الشهوات النفسانية كما قيل «موتوا قبل أن تموتوا»[(٣)].

---

(١) شرح المصباح شرح كبير: ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٣ .

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن ابي الحديد: ١١: ١٢٧ .

(٣) بحار الانوار: ٦٦: ٣١٧ .

رابعاً: وقال العلامة حبيب الله الخوئي (قدس) ما حاصله:

«إماتة النفس جعلها ذليلة لا تفعل فعلاً إلا بأذن مولاها وهو العقل ولا يحصل تذليل النفس إلا بالمجاهدة والرياضة النفسانية والمجاهدة عبارة عن ذبح النفس بسيوف المخالفة»[١].

خامساً: يقول محمد جواد مغنية في ظلال نهج البلاغة:

«أمات نفسه: بكبحها عن الشهوات والمحرمات»[٢].

سادساً: ويقول موسوي:

«أمات نفسه: وهي النفس الأمارة بالسوء التي تطالبه باستمرار بالتمرد على الحق والخروج عن العدل هذه النفس قضى عليها بحيث أضحت ميتة لا تؤثر على قراره العادل ومنطقه الصادق»[٣].

---

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: ١٤: ٢٥٢.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: ٣: ٢٨٤.

(٣) شرح نهج البلاغة: السيد عباس علي الموسوي: ٣: ٥١٤.

الفصل الرابع

نتائج إحياء العقل وإماتة النفس

قد اتضح في الفصلين الثاني والثالث معنى قول الامام أمير المؤمنين (قد أحيا عقله وامات نفسه) وحان الان بيان معنى قوله «دق جليله ولطف غليظه وبرق له لا مع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة.....الخ» وهذه الفقرة الشريفة هي بمثابة النتائج المترتبة على إحياء العقل وإماتة النفس ولذا سيدور كلامنا في هذا الفصل حول هذه الفقرة في ضمن المباحث التالية:

المبحث الاول : شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام

١- شرح قوله عليه السلام: «دق جليله»

٢- شرح قوله عليه السلام: «ولطف غليظه»

٣- شرح قوله عليه السلام: وبرق له لا مع كثير البرق

٤- شرح قوله عليه السلام: «فابان له الطريق وسلك به السبيل)

٥- شرح قوله عليه السلام: «وتدافعته الابواب الى باب السلامة»

المبحث الثاني : المنازل والابواب المهمة في السلوك إلى الله

١- اليقظة	٥- الخوف	٩- الشكر	١٣- اليقين
٢- التوبه	٦- التقوى	١٠- التوكل	
٣- الزهد	٧- الذكر	١١- الرضا	
٤- الصبر	٨- الاخلاص	١٢- المحبة الالهية	

اولا: شرح قوله عليه السلام (دق جليله) وفيه مطالب

المطلب الاول: دق جليله في اللغه

«دق: دَقَقْتُ الشيء دَقّاً، وكل شيءٍ كسرته قطعة قطعة، إلا أنهم يقولون: كسرته الحمى لأنها لم تكسره قطعة قطعة، وتقول: دَقَّ الشيء يَدِقُّ دِقّةً وهو على أربعة أنحاء: الدَّقيق الطحين، والدَّقيقُ الأمر الغامض، والدَّقيقُ الرجل الدَّقيق الخَيْرِ والقليله، والدَّقيقُ الشيء الذي لا غلظ فيه»[1].

وقال ابن منظور: «والدق مصدر قولك دققت الدواء أدقه دقا وهو الرض والدق الكسر والرض في كل وجه، والدق بالكسر كل شيء دق وصغر»[2].

ويقول ابن فارس: «في مادة (دق) الدال والقاف أصل واحد يدل على صغر وحقارة فالدقيق خلاف الجليل»[3].

واما كلمة الجليل فيقول الجوهري: «الجليل – العظيم»[4].

ويقول الفيروز آبادي: «في مادة جل يجل جلالة وجلالا اسن واحتنك فهو جليل وجل بالكسر والفتح»[5].

المطلب الثاني: المراد العرفاني من (دق جليله)

دق جليله هو نتيجه طبيعيه لما قام به المريد والسالك الى الله تعالى فبعد

---

(١) كتاب العين: ٥: ١٨.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ١٠: ١٠١.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ابو الحسين:احمد بن فارس: ٢: ٢٥٨.

(٤) الصحاح:الجوهري: ٤: ١٦٥٩.

(٥) القاموس المحيط: الفيروز ابادي: ٣: ٣٤٩.

مجاهدة النفس من الجوع والصيام والسهر، فذلك الجسم الكثيف والعظيم لايبقى بل يتغير ويتبدل بحيث يصبح بدنه دقيق أي ضعيف ونحيل ونحيف.

يقول امير المؤمنين عليه السلام (اجسامهم نحيفة)[١] ويقول عليه السلام (خمص البطون من الصيام)[٢].

بل اقول اكثر كما عن ارباب المعرفة، بان عظام السالك تصل الى مرحلة من التفتت والرقة، بحيث تصبح كعظام الطفل الصغير ....؟

المطلب الثالث: ما قاله شراح نهج البلاغه في هذا المقطع «دق جليله»

أولاً: يقول ابن ابي الحديد:

«دق جليله» حتى نحل بدنه الكثيف»[٣].

ثانيا: يقول ابن ميثم البحراني:

«حتى دق جليله أي حتى انتهت به اماتته لنفسه الشهويه الى أن دق جليله، وكنى بجليله عن بدنه فانه أعظم ما يرى منه»[٤].

ثالثا: يقول محمد عبده:

ودق صغر والجليل العظيم ــاي صغر بدنه حتى خفي أوكاد»[٥].

ورابعا: يقول محمد جواد مغنيه:

«حتى دق جليله» نحل جسمه لانه يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل[١].

---

(١) نهج البلاغة: الامام علي عليه السلام:شرح محمد عبده: ٢: ١٦١

(٢) وسائل الشيعة: ١: ٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغه: ابن ابي الحديد: ١١: ١٢٧.

(٤) شرح المصباح: ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٣.

(٥) نهج البلاغه: محمد عبده: ١: ٤٦٦.

وخامسا: يقول العلامه الخوئي:

«حتى دق جليله- وصل الى مرتبه أوجبت هزال جسمه ونحول بدنه».[٢]

وخلاصه ما تقدم يصبح المريد والسالك الى الله تعالى نحيف الجسم وذلك لاجل مجاهدة نفسه في المأكل وشهوة الاكل بحيث اصبحت معدته أقل مما كانت عليه من السعه قبل المجاهده ولذلك سوف يأكل ليعيش للعباده والسهر ولايأكل لشهوه الأكل كما عليه الناس الذين يصفهم الامام علي عليه السلام الذين شغلهم الطيبات.

يقول الامام علي عليه السلام: «فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلاضها وتلهو عما يراد بها»[٣].

ثانيا: شرح قوله عليه السلام (ولطف غليظه) وفيه مطلبان

المطلب الاول: لطف في اللغه

قال صاحب الصحاح: مادة لطف - لطف الشيء بالضم يلطف لطافه، أي صغر، فهو لطيف[٤].

ويقول ابن فارس: في مادة (لطف): اللام والطاء والفاء اصل يدل على

(١) في ظلال نهج البلاغه: محمد جواد مغنية: ٣: ٢٨٤.

(٢) منهاج البراعه في شرح نهج البلاغه: العلامه الخوئي: ١٤: ١٩٨.

(٣) نهج البلاغه: تحقيق محمد عبده: ٣: ٧٢.

(٤) الصحاح: الجواهري: ٤: ١٤٢٦.

رفق ويدل على صغر في الشيء[(١)].

ويقول ابن منظور في لسان العرب: (لطف) بالضم، يلطف معناه صغر ودق[(٢)].

وغليظ في اللغه[(٣)]:غلظ:الغلظ: ضد الرقه في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك .ورجل غليظ فيه غلظه، وغلظه وفظاظه وقساوه وشده، وفي التنزيل العزيز يقول تعالى:«وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»[(٤)].

المطلب الثاني: ما قاله شراح نهج البلاغه في هذا المقطع

١- يقول ابن ابي الحديد:

«ولطف غليظه» تلطفت اخلاقه، وصفت نفسه، فان كدر النفس في الاكثر انما يكون من كدر الجسد والبطنه كما قيل تذهب الفطنه[(٥)].

٢- يقول ابن الميثم البحراني:

ولطف غليظه: اشاره الى لطف بدنه ايضا، ويحتمل أن يشير الى لطف قواه النفسانيه بتلك الرياضه وكسر الشهوة، فأن اعطاء القوة الشهوية مقتضى طباعها من الانهماك في المأكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس، ولذلك قيل البطنه تذهب الفطنه وتورث القسوة والغلظه، فاذا قصرت على

---

(١) معجم مقاييس اللغه: ابو الحسن احمد بن فارس زكريا: ٥: ٢٥٠.

(٢) لسان العرب: ابن منظور: ٩: ٣١٦.

(٣) لسان العرب: ابن منظور: ٧: ٤٤٩.

(٤) سورة آل عمران:الاية ١٥٩ .

(٥) شرح نهج البلاغه: ابن ابي الحديد المعتزلي: ١١: ١٢٧.

حد العقل لطفت الحواس عن قلة الانجرة عن التملي بالطعام والشراب، ولطف بذلك من غلظ من جوهر النفس بالهيئات البدنيه المكتسبه من متابعة النفس الأمارة بالسوء كلطف المرآة بالصقال حيي يصير ذلك اللطف مسببا لاتصالها واستشراقها بانوار الملأ الاعلى[١].

٣- يقول حسيني شيرازي:

ولطف غليظه - فان النفس خشنه بالرذائل جموح، واذ ا اتقى الانسان لطفت النفس حتى تمحى خشونتها وتكون لينه حكيمه[٢].

٤- يقول التستري:

(ولطف غليظه من شدة ترك الشهوات بواسطة اماتة النفس)[٣].

اقول: وهذه كذلك نتيجه طبيعيه لما قام به السالك والمريد في سيره وسلوكه الى الله فبعد قلة الطعام والسهر ومجاهدة النفس الأمارة بالسوء تحصل له لطافة في نفسه وهذه اللطافة في النفس نعبر عنها بالقابلية والارضية لنزول الفيض الاهي، لان الكثافة في النفس والبدن مانع عن استقبال الفيض الالهي، هذا الفيض الذي ينزل في كل آن آن الى العالم ولكن يستقبل هذا الفيض من له قابلية وهذا السالك قد اوجد القابلية بالعناية الالهية.

«اللهم هب لنا نفحة من نفحات قدسك تكشف عن بصائرنا الغواشي الجسمانية وتصرف عن ضمائرنا النواشي الهيولانية .

---

(١) شرح المصباح الكبير: ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٣.

(٢) توضيح نهج البلاغة: الحسني الشيرازي: ٣: ٣٤٩.

(٣) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد تقي التستري: ١٢: ٤٨٥.

ثالثا: شرح قوله عليه السلام (وبرق له لامع كثير البرق) وفيه مطلبان

المطلب الاول: البرق لغة واصطلاحا

(أ)البرق لغة

يقول الجوهري: «برق السيف وغيره يبرق بروقا، أي تلألأ، والاسم البريق، .والبرق واحد بروق السحاب ويقال رعدت السماء وبرقت برقا، أي لمعت»[١].

وقال ابن فارس: «برق» الباء والراء والقاف اصلان تتفرع الفروع منهما أحدهما لمعان الشيء»[٢].

(ب)البرق اصطلاحا

يقول الشريف الجرجاني صاحب التعريفات: «البرق اول ما يبدو للعبد من اللوامع النورية فيدعوه الى الدخول في حضرة القرب من السير في الله»[٣].

ويقول الخواجه عبدالله الانصاري: «البرق» باكورة تلمع للعبد فتدعوه الى الدخول في هذا الطريق[٤].

المطلب الثاني: ما قاله شراح نهج البلاغة في هذا المقطع

١-يقول ابن ميثم البحراني:

---

(١) الصحاح: الجوهري: ٤: ١٤٤٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ابن فارس زكريا: ١: ٢٢١.

(٣) كتاب التعريفات: الجرجاني: ١٣.

(٤) شرح منازل السائرين:عبدالرزاق القاساني: ٤٣١.

«و برق له لامع كثير البروق أشار باللاّمع إلى ما يعرض للسّالك عند بلوغ الارادة بالرّياضة به حدّا ما من الخلسات إلى الجناب الأعلى فيظهر له أنوار إلهيّة لذيذة شبيهة بالبرق فى سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللّوامع مسمّاة عند أهل الطّريقة أوقاتا وكلّ وقت فانّه محفوف بوجد اليه ما قبله ووجد عليه ما بعده لأنّه لما ذاق تلك اللذّة ثمّ فارقها حصل فيه حنين وأنين الى ما فات منها، ثمّ إنّ هذه اللوامع في مبدء الأمر تعرض له قليلا فاذا أمعن فى الارتياض كثرت فأشارعليه السلام، باللاّمع إلى نفس ذلك النّور وبكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان في الرّياضة»[1].

يقول ابن الفارض شعرا:

ابرق بدا من جانب الطور لامع   أم ارتفعت عن وجه ليلى البراقع

نعم اسفرت ليلا فصار بوجهها   نهارا به نور المحاسن ساطع

ولما تجلت للقلوب تزاحمت   على حسنها للعاشقين مطامع[2]

٢- يقول محمد تقي التستري في هذا المقطع:

(وبرق له لامع كثير البرق) استعارة ومثل، ومحصله ان العارفين باللّه مثلهم كمثل من أراد مقصدا في ليل مظلم فبرق له سحاب لامع يتصل برقه فانكشف له الطريق فسلك مبصرا حتى وصل إلى مقصده سالما.أخذعليه السلام مثله من عكس ما ضربه اللّه تعالى للمنافقين في قوله تعالى:﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

(١) شرح المصباح لنهج البلاغة:ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٤.

(٢) شرح ديوان ابن الفارض: ٢: ٢٤٥.

ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ * يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]. هذا والمشبه به في كلامهعليه السلام معقول، وقد وقع محسوسا في (مناقب السبطين) كما روي ففي (عيون) ابن بابويه، ان الحسن والحسينعليهما السلام كانا.يلعبان عند النبيصلى الله عليه وآله حتى مضى عامة الليل، ثم قال لهما انصرفا إلى امكما فبرقت برقة فما زالت تضيء لهما حتى دخلا على فاطمةعليها السلام والنبيصلى الله عليه وآله ينظر إلى البرقة، فقال الحمد للّه الذي أكرمنا أهل البيت.

وروى الطوسي في (أماليه) عن الصادقعليه السلام عن آبائهعليهم السلام ان النبيصلى الله عليه وآله مرض فعادته فاطمة ومعها الحسنانعليهما السلام فما أفاق من نومه، فقالت لهما انصرفا حتى يفيق جدكما فقالا لسنا بارحين فاضطجعا على عضدي النبيصلى الله عليه وآله فغفيا وانتبها قبل النبيصلى الله عليه وآله وقد كانت فاطمةعليها السلام لمّا ناما انصرفت. فقالا لعايشة ما فعلت أمّنا؟ قالت لمّا نمتما رجعت. فخرجا في ليلة ظلماء مدلهمة ذات رعد وبرق، وقد أرخت السماء عزاليها فسطع لهما نور فلم يزالا يمشيان في ذلك النور ويتحدثان حتى أتيا حديقة بني النجار الخبر بطوله ...)[٢].

٣- ما قاله ابن ابي الحديد:

(وبرق له لامع كثير البرق) هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة قول

---

(١) سورة البقرة : الاية من ١٧ الى ٢٠ .

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة:التستري: ١٢: ٤٨٧.

الصوفية أصحاب الطريقة والحقيقة وقد صرح به الرئيس أبو علي ابن سينا في كتاب (الإشارات) فقال في ذكر السالك إلى مرتبة العرفان «ثم إنه إذا بلغت به الإرادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق إليه لذيذة كأنها بروق تومض إليه ثم تخمد عنه وهي التي تسمى عندهم أوقاتا وكل وقت يكتنفه وجد إليه ووجد عليه ثم إنه لتكثر عليه هذه الغواشي إذا أمعن في الارتياض ثم إنه ليتوغل في ذلك حتى يغشاه في غير الارتياض فكلما لمح شيئا عاج منه إلى جانب القدس فتذكر من امره أمرا فغشيه غاش فيكاد يرى الحق في كل شيء ولعله إلى هذا الحد تستولي عليه غواشيه ويزول هو عن سكينته ويتنبه جليسه لاستنفاره عن قراره فإذا طالت عليه الرياضة لم تستنفره غاشية وهدى للتأنس بما هو فيه ثم إنه لتبلغ به الرياضة مبلغا ينقلب له وقته سكينة فيصير المخطوب مألوفا والوميض شهابا بينا ويحصل له معارف مستمرة كأنها صحبة مستمرة ويستمتع فيها ببهجته فإذا انقلب عنها انقلب حيران آسفا. فهذه ألفاظ الحكيم أبي علي بن سينا في (الإشارات) وهي كما نراها مصرح فيها بذكر البروق اللامعة للعارف.

وقال القشيري في الرسالة: لما ذكر الحال والأمور الواردة على العارفين قال هي بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها ثم تمثل بقول البحتري

خطرت في النوم منها خطرة خطرة البرق بدا ثم اضمحل
أي زور لك لو قصدا سرى وملم بك لو حقا فعل

فهو كما تراه يذكر البروق اللامعة حسبما ذكره الحكيم وكلاهما يتبع ألفاظ أمير المؤمنين عليه السلام لأنه حكيم الحكماء وعارف العارفين ومعلم الصوفية

ولولا أخلاقه وكلامه وتعليمه للناس هذا الفن تارة بقوله وتارة بفعله لما اهتدى أحد من هذه الطائفة ولا علم كيف يورد ولا كيف يصدر »[(١)].

٤- ما قاله العلامة حبيب الله الخوئي:

«وبرق له لامع كثير البرق» الظاهر انه عطف على سابقه فيكون هو ايضا غاية لتكميل عقله وجهاد نفسه يعني انه بلغ من كمال قوته النظرية والعمليه الى مقام شروق الانوار والمعارف الالهيه على مرآة سره فصار مشاهدا بعين بصيرته أنوار قدسه وسبحات وجهه عين اليقين كما أشار عليه السلام في وصف أحب عباد الله اليه يقول «فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس» وقال زين العابدين عليه السلام في مناجاة المحبين «يامن أنوار قدسه لابصار محبيه رائعه وسبحان وجهه لقلوب عارفيه شائقه»[(٢)].

أقول: قد تحقق لاهله هذه الحقيقه بعد المجاهدة والارتياض حتى صار القلب كالمرآة المصقوله القابلة لفيضان هذه البروق اللامعة، وبتعبير الامام الصادق عليه السلام عندما يشير الى القلوب وانواعها فيشير الى القلب المؤمن ويقول: «وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر ولا يطفأ نوره الى يوم القيامة»[(٣)].

يقول الامام الحسين عليه السلام «انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك»[(٤)].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ١١: ١٣٧ – ١٣٩.

(٢) شرح منهاج البراعه في نهج البلاغه: حبيب الله الخوئي: ١٤: ١١٨.

(٣) بحار الانوار: ٩٥: ٢٢٦.

(٤) الكافي: ٢: ٤٢٣.

رابعا: شرح قوله عليه السلام (فأبان له الطريق وسلك به السبيل)

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: ابان لغة

الامر الأول - أبان لغة - كما عن الجواهري - من بان الشيء بيانا - أتضح فهو بين وكذلك أبان الشيء فهو مبين قال الشاعر:

لو دب ذر فوق ضاحي جلدها لأبان من آثارهن حدور[١]

المطلب الثاني: المقصود من الابانه

المقصود من الابانه هنا هو طريق الحق فبعد أن كان السالك لاتوجد عنده وضوح في سيره وسلوكه الى الله تعالى كما يقول تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[٢]. فصار الان عنده وضوح في الرؤيه وصار الطريق الى الحق واضحا كوضوح الشمس في رابعه النهار يقول تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾[٣].

يقول ابن ميثم البحراني في شرح هذه العبارة:

«فبأن له الطريق أي ظهر بسبب ذلك ان الطريق الحق الى الله تعالى هي ماهو عليه من الرياضه»[٤].

---

(١) الصحاح: الجواهري: ٥: ٢٠٨٣.

(٢) سورة النور : الاية ٤٠ .

(٣) سورة البقرة : الاية ٢٥٧ .

(٤) شرح المصباح الكبير: ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٤

خامسا: شرح قول الامام عليه السلام (وسلك به السبيل)

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معنى سلك، والسبيل: لغة

١- يقول صاحب مقاييس اللغه: (سلك)السين واللام والكاف اصل يدل نفوذ شيء في شيء يقال سلكت الطريق سلكه[١]. قال تعالى: «ما سلككم في سقر» ما ادخلكم بها .

٢- قال الجواهري: (السبيل- الطريق، يذكر ويؤنث قال تعالى (قل هذه سبيلي) انث وقال (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) فذكر[٢].

المطلب الثاني: مقصود الامام من سلك به السبيل

يقصد الامام علي عليه السلام والله العالم ان الله تعالى يسر للسالك الحقيقي الدخول الى ساحة القرب الالهي (ثم السبيل يسره) بعد مسيرة الجهاد الطويل لنفسه.يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٣].

يقول الامام زين العابدين عليه السلام

«سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله ! وما أوضح الحق عند من هديته سبيله !إلهي فاسلك بنا سبل الوصول إليك، وسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليك، قرب علينا البعيد، وسهل علينا العسير الشديد، وألحقنا

---

(١) معجم مقاييس اللغه: ابو الحسن احمد بن فارس زكريا: ٣: ٩٧.

(٢) الصحاح: الجواهري: ٥: ١٧٢٤.

(٣) سورة العنكبوت : الاية ٦٩ .

بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدوام يطرقون، وإياك في الليل والنهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون الذين صفيت لهم المشارب، وبلغتهم الرغائب، وأنجحت لهم المطالب، وقضيت لهم من فضلك المآرب، وملأت لهم ضمائرهم من حبك، ورويتهم من صافي شربك، فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا،»[١].

ويقول كذلك: «يا من يعلم علل الحركات وحوادث السكون، ولا يخفى عليه عوارض الخطرات في محال الظنون، اجعلنا من الذين أوضحت لهم الدليل عليك، وفسحت لهم السبيل إليك، فاستشعروا مدارع الحكمة، واستطرقوا سبل التوبة، حتى أناخوا في رياض الرحمة، وسلموا من الاعتراض بالعصمة، إنك ولي من اعتصم بنصرك، ومجازي من أذعن بوجوب شكرك »[٢].

سادسا: شرح قول الامام عليه السلام (وتدافعته الابواب)

وفيه مطلبان:

المطلب الاول: المقصود من الابواب:

الابواب هي المنازل والمقامات التي يسير فيها السالك الى الله تعالى فلا زال السالك يسير من منزل الى منزل ومن مقام الى مقام حتى يصل الى مقام السلامه ودار الاقامه وحالة الاطمئنان .

يقول حافظ شيرازي:

به مي سجاده رنكين كن كرت بير مغان كويد

(١) الصحيفة السجادية: ٤١١ – ٤١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤٦٦ – ٤٦٧.

که سالك بي خبر نبود از راه ورسم منزلها
مرا در منزل جانان جه امن وعيش جون هردم
جرس فرياد مي دارد كه بر بنديد محملها[١]

وترجمة ذلك

فلون السجادة بالخمر اذا قال لك ذلك الشيخ الكامل
فان سالكا مثله لايجهل الطريق ورسوم المنازل
واي أمن وراحة لي في منزل الاحبة
وفي كل لحظه من الحظات يصلصل الجرس قائلا

اعقد الاحبال وأربط الرحال.

المطلب الثاني: ما ذهب اليه علماء وشراح نهج البلاغه في هذا المقطع (وتدافعته الابواب)

١- قال ابن أبي الحديد:

(وتدافعته الابواب) أي لم يزل يتنقل من مقام من مقامات القوم الى مقام فوقه حتى وصل. وتلك المقامات معروفه عند اهلها ومن له أنس بها)[٢]

٢- وقال العلامه المجلسي:

أنه لم يزل يتنقل من منزلة من منازل قربه سبحانه الى ما هو فوقه حتى ينتهي الى مقام اذا دخله كان مستيقنا للسلامة، وهي درجه اليقين،

---

(١) ديوان حافظ شيرازي: غزل اول: ١.

(٢) شرح نهج البلاغه: ابن ابي الحديد: ١١: ١٤١.

ومنزلة اولياء الله المتقين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١].

٣- ويقول العلامة الخوئي صاحب نهج البراعة:

(و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الاقامة) الظاهر أنّ المراد بالأبواب مقامات العارفين ودرجات السّالكين اللاّتى بعضها فوق بعض، وأراد بتدافعها إيّاه ترقيه من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة إلى أن ينتهى ترقّياته إلى مرتبة حقّ اليقين .فوصل به الصراط الأقوم إلى باب اللّه الأعظم الّذى من دخل منه كان سالما فى الدّنيا من المعاطب والمهالك ومن الزّيغ والضّلال، وسالما في الآخرة من الخزي والنّكال، وهو في الحقيقة باب دار السّلام الموعود للمذّكّرين في قوله وهذا صراط ربّك مستقيماً قد فصّلنا الآيات لقوم يذّكّرون. لهم دار السلام عند ربّهم وهو وليّهم بما كانوا يعملون والمدعوّ إليه في قوله «و اللّه يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم» أى دار السلامة الدّائمة من كلّ آفة وبليّة ممّا يلقاه أهل النار والعذاب .ووصل به أيضا إلى دار الاقامة وهي دار المخلصين في التّوحيد في الدّنيا والمقيمين عليه وهم « الّذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة الّتى كنتم توعدون..... »[٢].

٤- ويقول العلامة محمد جواد مغنية: تدافعته الأبواب الخ

.. قال الشارحون: المراد أبواب الرياضة وتطويع النفس الأمارة، والانتقال من مقام الى مقام حسبما حدده الصوفية.. والصحيح على فهمنا ان

---

(١) بحار الانوار: العلامه المجلسي: ٦٦: ٣١٧.

(٢) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة:العلامة الخوئي: ١٤: ٢٠٤.

كل الأبواب التي يدخل منها هذا العالم المتقي هي أبواب الهدى والحكمة والسلامة.. أبدا لا سفه ولا جهل ولا ضلال في أي شي ء من أفعاله وتصرفاته، هذا هو المراد من أبواب المتقي، وقد انتهت به الى قرار مكين وأمين[(١)].

٥- ويقول العلامة ميثم البحراني:

في قوله عليه السلام (وتدافعته الابواب) أي ابواب الرياضة، وهي ابواب الجنة اعني تطويع النفس الامارة، والزهد الحقيقي، والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات وترك الدنيا فان كل تلك الابواب يسير منها السالك حتى ينتهي الى باب السلامة وهو الباب الذي اذا دخله السالك تيقن فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله»[(٢)].

اذن هؤلاء الاعلام وان اختلفت عباراتهم ولكنهم يشيرون الى ما اشرنا اليه وهو ان هذه الابواب التي يتنقل فيها السالك هي المقامات والمنازل المعروفة عند ارباب العرفان (رض) .

ونحن سوف نشير الى اهم تلك الابواب في البحث اللاحق ان شاء الله تعالى.

---

(١) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: ٣: ٢٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة (المصباح الكبير) :ابن ميثم البحراني: ٤: ٥٤.

المبحث الثاني

اهم الابواب التي يتنقل فيها السالك

في هذا المبحث سوف نتعرض الى اهم الابواب التي يتنقل فيها السالك والسائر الى الله تعالى: وهي

١- باب اليقظة

٢- باب التوبه

٣- باب الزهد

٤- باب الصبر

٥- باب الخوف

٦- باب التقوى

٧- باب الذكر

٨- باب الاخلاص

٩- باب الشكر

١٠ – باب الوكل

١١- باب الرضا

١٢ – باب المحبة

١٣- باب اليقين

الباب الاول
اليقظة وفيها مطالب

المطلب الاول: تعريف اليقظة لغة واصطلاحا

أ- اليقظة لغة: قال ابن منظور - اليقظة – نقيض النوم والفعل استيقظ وقد تكرر في الحديث ذكر اليقظة والاستيقاظ، وهو الانتباه من النوم وايقظته من نومه أي نبهته فتيقظ، وهو يقظان.

ومن الناس من يعيش شقيا   جيفة الليل غافل اليقظة
فاذا كان ذا حياء ودين   راقب الله واتقى الحفظه
انما الناس سائر ومقيم   والذي سار للمقيم عظه[١١٣٧]

ب- اليقظة اصطلاحا: ونحن نعرفها «القيام لله من نومة الغفلة الباطنية»

لاشك أن الانسان المغمور في نواشي النشأة، الذاهل عن الحق ونور الفطرة كالنائم بالحقيقة كما ورد عن علي عليه السلام «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهو»[١١٣٨] وهناك كلام في غاية الكمال لامير المؤمنين في اليقظة يقول عليه السلام:

«فأفق أيها السامع من سكرتك، واستيقظ من غفلتك، واختصر من عجلتك، وأنعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه،

(١١٣٧) لسان العرب: ٧: ٤٦٦.

(١١٣٨) عوالي اللئالي: ٤: ٧٣.

ولا محيص عنه»[١].

يا ايها الراقد كم ذا المنام ... علام ذا الغفلة مهلا علام
علام تفني العمر لا ترعوي ... سكرت يا هذا بغير المدام
في طمع الدنيا ولذتها ... وجمع ما تتركه من حطام
حل بك الشيب أما تستحي ... ما آن اقلاعك عن ذي الحرام[٢]

المطلب الثاني: سبب اليقظة

سبب اليقظة هو انقذاف نور اسم «الهادي»[٣].في قلب العبد، وهو واعظ الله في قلب العبد فيتنبه من غفلته.

يقول تعالى:﴿وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

ويقول تعالى:﴿ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾[٥].

ويقول تعالى:﴿وَاللّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٦].

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد: ٩: ١٥٨.

(٢) محاسبة النفس:الشيخ إبراهيم الكفعمي: ١٣٠.

(٣) الانسان الكامل والعارف الواصل هو من تلبس «بالاسم الهادي » وربما نعبر عن العارف الذي تلبس بهذا الاسم ، بانه طاهر بنفسه مطهر لغيره، وهذا يستطيع اخراج من هو في ظلمات الوهم الى نور المعرفة والقرب الالهي، ممن كان له القابلية والاستعداد.

(٤) سورة البقرة : الاية ٢١٣ .

(٥) سورة النور : الاية ٣٥ .

(٦) سورة يونس : الاية ٢٥ .

وهذه الهداية الخاصة لتوفر القابلية والاستعداد، فيرجع الى فطرته يقول تعالى:﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[(١)].

ويحي بحياة العلم والمعرفة والنور الالهي،بعد ان كان ميتا غافلا.

يقول تعالى:﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[(٢)].

قال ابن الفارض شعرا:

أرج النسيم سرى من الزوراء　　　سحرا فأحيا ميت الاحياء[(٣)]

وقال حافظ شيرازي: شعرا

سحرم دولت بيدار به بالين آمد　　　كفت برخيز كه آن خسرو شرين آمد[(٤)]

وترجميها:في وقت السحر، أقبل الحظ المفيق الى وسا دتي

وقال: أفق من نومك، فقد اقبل المليك الجميل.

وقال كذلك:

صبا وقت سحر بوي ز زلف يار مي آورد

دل شوريده ما را به بو در كار مي آورد[(٥)]

---

(١) سورة الروم : الاية ٣٠ .

(٢) سورة الانعام : الاية ١٢٢ .

(٣) شرح ديوان ابن الفارض: بدر الدين البوريني: ٢: ٢٤.

(٤) ديوان حافظ السيرازي: غزل ٢٣١: ٢٣٩.

(٥) المصدر نفسه: غزل ١٤٧: ١٣٩.

وترجمتها: هبت نسائم الصبا في وقت السحر، بنفحة من طرة الحبيب فجعلت قلوبنا الضائعة توله بهذا العبير والطيب.

المطلب الثالث: اليقظة بشكل اخر

وربما نستطيع ان نبين اليقظة بشكل اخر وهذه اليقظة هي نتاج ذلك النور الاهي الذي فاض على العبد القابل لليقظة.

اولا: التصديق[1]: بان الكمال الحقيقي هو في القرب الاهي والمحبة الاهية وطاعة الله تعالى ولذا لا بد ان يسعى لتحصيل الكمال والتقوى والتلبس بالفضائل والتخلي من الرذائل لكي يحظى بالقرب الاهي.

يقول علي عليه السلام: «الهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنير ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك، الهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرا وعمل لك جهرا»[2].

ثانيا: التصديق: بان الغاية هي الاخرة وليس عالم الدنيا وانما الدنيا ممر لمقر دائم وهي الاخرة .

يقول تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ

---

(١) الفرق بين التصور والتصديق التصور –حضور صورة الاشياء عند العقل التصديق – حضور صورة الاشياء عند العقل ولكنه يستتبع الحكم وقناعة النفس وتصديقها (منطق المظفر: ص١٤) .

(٢) إقبال الأعمال:السيد ابن طاووس: ٣: ٢٩٩.

لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[١].

ويقول تعالى:﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[٢].

ويقول امير المؤمنينعليه السلام: (فإن الغاية أمامكم وإن وراءكم الساعة تحدوكم. تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم)[٣].وعلى هذا يجب السعي لعمل الاخرة في عالم الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٤]. النجم٣٩.

وقال الرسول الاكرمصلى الله عليه وآله: (الدنيا مزرعة الاخرة)[٥].

ثالثا: التصديق: بان الذنوب والمعاصي قبيحة عقلا وشرعا وعرفا فيجب الكف والامتناع عنها.

رابعا: التصديق: بان الله يراه حينما يفعل المعصية ولذا من القبيح ان يبقى على المعصية حياء او خوفا.

---

(١) سورة الانعام : ٣٢ .

(٢) سورة الحديد ٢٠ .

(٣) نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ١: ٥٨.

(٤) إقبال الأعمال:السيد ابن طاووس: ٣: ٢٩٩.

(٥) بحار الأنوار: ٦٧: ٢٢٥.

المطلب الرابع: حصول اليقظة لبعض الغافلين

اولا: بشر الحافي

حصلت اليقظة لبشر الحافي على يد الامام موسى بن جعفر عليه السلام وصار بعد ذلك احد العرفاء والاولياء الكبار في التاريخ وخلاصة ذلك ما ذكره العلامة الحلي (رض) «ان الامام عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية وبيدها قمامة البقل، فرمتها في الدرب: فقال لها: يا جارية ! صاحب هذه الدار حر أم عبد؟ فقالت: بل حر فقال: صدقت، لو كان عبدا خاف من مولاه ! .

فلما دخلت قال مولاها وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافيا حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده»[١].

ثانيا: الفضيل بن عياض

وهكذا حصلت اليقظة الى الفضيل بن عياض الذي اصبح فيما بعد من كبار الوعاظ قال إبراهيم بن الأشعث كان مبتدأ توبة فضيل بن عياض أنه خرج عشية يريد مقطعه وكان يقطع الطريق فإذا بقوم حمارة معهم ملح فسمع بعضهم يقول مروا مروا لا يفجأنا فضيل فيأخذ ما معنا فسمع ذلك فضيل فاغتم وتفكر وقال يخافني هذا الخلق الخوف العظيم فتقدم إليهم وسلم عليهم وقال لهم وهم لا يعرفونه تكونون الليلة عندي وأنتم آمنون من الفضيل قال فاستبشروا وفرحوا وذهبوا معه فأنزلهم وخرج يرتاد لهم علفا

---

(١) منهاج الكرامة: العلامة الحلي: ٥٩.

فرجع إليهم فسمع قارئا يقرأ " ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق " فصاح الفضيل ومزق ثيابه على نفسه وقال بلى والله قد آن وكان هذا مبتدأ توبته[١].

المطلب الخامس: علامة اليقظة

يقول تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾[٢].

عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: «فمن يرد أن يهديه يشرح صدره للاسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أن النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علم؟ قال نعم، التجافي عن دار الغرور، والأ نابة الى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله»[٣].

المطلب السادس: اسباب الغفلة

اولا: حب الدنيا – من اهم الاسباب التي تجعل الانسان يعيش الغفلة عن الله تعالى هو حب الانسان، وتعلقه بالدنيا ولوازمها، وقد ورد عن اهل البيت عليهم السلام ما يبين ذلك كما ورد في الحديث: (حب الدنيا رأس كل خطيئه»[٤] ولذلك يقول الله تعالى: «ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين طبع الله على قلوبهم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٤٨: ٣٨٤

(٢) سورة الانعام : الاية ١٢٥ .

(٣) كنز العمال: المتقي الهندي: ١: ٧٦.

(٤) كنز العمال: المتقي الهندي: ١: ٧٦

وسمعهم وأبصارهم واولئك هم الغافلون»[١].

وثانيا: طول الآمل- طول الامل يجعل الانسان مكبلا عن الاستعداد والنهوض من ورطة الفترة ولقاء الله تعالى والاستعداد للاخرة

يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٢]

وقال امير المومنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله ان الامل يذهب العقل ويكذب الوعد ويحث على الغفلة ويورث الحسرة»[٣]

ثالثا: الجهل- اهم سبب من اسباب الغفلة هو الجهل بالله تعالى وصفاته واسمائه ، والا لو عرفوا الله تعالى لما غفلوا عنه .

قال امير المومنين عليه السلام: «ان من عرف الايام لم يغفل عن الاستعداد»[٤].

رابعا: سكر النعمة- عندما تنفتح النعم على بعض الناس تجعلهم يغرقون في الغفلة ولا يشعرون بذلك الا عندما يرحلون عنها يقول الامام زين العابدين عليه السلام: «ان قسوة البطنة وفتر الحيلة وسكر الشبع وعزة الملك مما تثبط وتبطي عن العمل وينسى الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلى بحب الدنيا به من سكر الشراب»[٥].

---

(١) سورة النمل : الاية ١٠٨ .

(٢) سورة الحديد : الاية ١٦ .

(٣) تحف العقول: ١٢٥.

(٤) الكافي: ٨: ٢٣.

(٥) بحار الانوار: ٧٥: ١٣٠.

خامسا: صحبة السوء- وهذ ا مما لا شك فيه ،وذلك عندما يجلس الانسان بقرب اهل الغفلة واهل الجراءة على المعاصي سرى الى نفسه ذلك الداء، وقد قيل قديما من تصاحب اقول لك من انت ...؟

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرينا بالمقارن يقتدي

الباب الثاني

التوبة وفيها مطالب

المطلب الاول: التوبه لغة واصطلاحا

(أ) التوبة لغة:

قال صاحب لسان العرب التوبة: «الرجوع من الذنب، وفي الحديث: الندم توبة والتوب مثله وقال الاخفش: التوب جمع توبة ومتابا، اتاب ورجع عن المعصية الى الطاعة»[١].

(ب) التوبه اصطلاحا:

يمكن تعريف التوبة (انها حالة الرجوع من المخالفة الى الموافقة)

وقد اشار الامام زين العابدين عليه السلام الى حالة الرجوع في التوبة في مناجاة التائبين: «فوعزتك ما أجد لذنوبي سواك غافرا، ولاأرى لكسري غيرك جابرا، وقد خضعت بالإنابة إليك، وعنوت بالاستكانة لديك، فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ؟ ! وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ ؟! إلهي هل يرجع العبد الآبق إلا إلى مولاه؟ ! أم هل يجيره من سخطه أحد سواه»[٢].

وقد عرفت التوبه بتعريفات متعددة ولكنها كلها تشير الى حالة رجوع العبد الى الله تعالى.

---

(١) لسان العرب: ١: ٢٣٣.

(٢) الصحيفة السجاديه:٤٠١.

١- الشريف الجرجاني:

التوبة: الرجوع الى الله تعالى بحل عقد الاصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب[١].

٢- وللامام الخميني (رض) تعريف آخر:

التوبة: عبارة عن الرجوع من عالم المادة الى روحانية النفس، بعد أن حجبت هذه الروحانية ونور الفطرة، بغشاوات ظلمانية من جراء الذنوب والمعاصي[٢].

المطلب الثاني: معرفة الذنب

باعتبار التوبة لا تصح الا بعد معرفة الذنب وفيه مسائل:

المسالة الاولى: الذنب لغة واصطلاحا

(أ)الذنب لغة: الاثم والجرم والمعصية والجمع ذنوب[٣].

(ب)والذنب اصطلاحا: (تجاوز حدود الله).

المسالة الثانية: هنا عبارة لطيفة للخواجه الانصاري: -قال في المنازل وهي أن تنظر في الذنب الى ثلاثة اشياء. الى انخلاعك من العصمه حين اتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك على الاصرار عن تداركه مع تيقنك نظر الحق اليك[٤].

(أ) معنى الانخلاع عن العصمه - انخلاعه عن الاعتصام بالله تعالى،

---

(١) كتاب التعريفات: ٢٢.

(٢) الاربعون حديثا: الامام الخميني: ٢٥٧.

(٣) لسان العرب: ١: ٣٨٩.

(٤) شرح منازل السائرين: عبدالرزاق القاساني: ٤٢.

فانه لو اعتصم بالله لما خرج عن طاعته قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

ووردت الاخبار عن المعصومين بطلب الاعتصام بالله سبحانه وتعالى وان من اعتصم بالله كفاه ولم يخذله:

١- عن امير المومنين عليه السلام: «اعتصم في احوالك كلها بالله، فأنك تعتصم منه سبحانه بمانع عزيز»[٢].

٢- وعنه عليه السلام: «من اعتصم بالله لم يضره الشيطان»[٣].

٣- وعنه أيضا عليه السلام: «من اعتصم بالله نجاه»[٤].

٤- وعنه عليه السلام في الدعاء: «الهي خلقت لي جسما، وجعلت لي فيه آلات اطيعك بها وأعصيك، وأغيظك بها وارضيك وجعلت لي من نفسي داعية الى الشهوات وأسكنتني دارا قد ملئت من الافات ثم قلت لي انزجر، فبك انزجر، وبك أعتصم وبك أستجير وبك أحترز وأستوفقك لما يرضيك»[٥].

(ب) وقول الخواجه: «وفرحك عند الظفر به»

هناك الكثير من الناس عندما يعصي يفرح ويستبشر بمعصيته .يقول الامام السجاد عليه السلام في دعاء السحر: «انا الذي أعطيت على المعاصي جليل

(١) سورة آل عمران :الاية ١٠١.

(٢) مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: ١١: ٢١٥.

(٣) نفس المصدر:١١ :٢١٥.

(٤) نفس المصدر:١١ :٢١٥.

(٥) المصباح: الكفعمي:٣٧٦.

الرشا، أنا الذي حين بشرت بها خرجت اليها اسعى»[١].

وكذلك يقول الامام السجاد عليه السلام: (اياك والابتهاج بالذنب فان الابتهاج بالذنب اعظم من ركوبه)[٢].

والفرح بالمعصية يدل على امرين:

الاول: الجهل بمن عصيت

وهو الله تعالى المحيط بكل شيء والمالك لكل شيء والخالق لكل شيء والقادر على كل شيء، والعالم كله حاضر بين يديه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء. وهو معكم اينما كنتم، يقول علي عليه السلام: (سبحانك اللهمّ وبحمدك! من ذا يعرف قدرك فلا يخافك؟! ومن ذا يعلم ما أنت فلا يهابك)[٣] يعني الذي يعرف الله تعالى يستحيل ان يعصي الله تعالى.

الثاني: الجهل بالاثار الخطيرة للمعصية

المعصية والذنب له آثار خطيره على الانسان في الدنيا والاخرة وليس فقط في الاخرة، وقد وضع الله تعالى قانون غيبي بازاء كل معصية يعصيها الانسان. وهناك اثار كثيرة نتعرض الى بعضها كما اشارت لها الايات والروايات.

اولا: البعد عن الله تعالى

يقول الامام زين العابدين عليه السلام: «أنك لاتحتجب عن خلقك الا ان

---

(١) اقبال الاعمال: السيد ابن طاووس:١: ١٦٥.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الائمة:ابن الصباغ المالكي: ٢: ٨٦٠.

(٣) بحار الانوار: ٨٤: ٣٤١.

الاعمال تحجبهم دونك»[١].

ولذا الانسان لو ملك الدنيا باسرها اذا كان بعيد عن الله تعالى ما قيمته.

يقول الامام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: (ماذا وجد من فقدك)[٢].

ثانيا: فساد القلب

(١) يقول تعالى: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

(٢)عن الامام الصادق عليه السلام كان ابي يقول: ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، ان القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اعلاه اسفله »[٤].

(٣) ويقول زين العابدين عليه السلام في الدعاء: «وامات قلبي عظيم جنايتي»[٥].

ثالثا: زوال النعمة

عن الامام علي عليه السلام: «مازالت نعمة ولا نضارة عيش الا بذنوب اجترحوا وان الله ليس بظلام للعبيد»[٦].

ثالثا: نسيان العلم

عن النبي صلى الله عليه وآله: «اتقوا الذنوب فانها ممحقة للخيرات ان العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان قد علمه)[٧].

---

(١) مصباح المتهجد: الطوسي: ٥٨٣.

(٢) بحار الانوار: ٩٥: ٣٤١.

(٣) سورة المطففين : الاية ١٤.

(٤) الكافي: ٢: ٢٨٦.

(٥) الصحيفة السجادية: ٤٠١.

(٦) مستدرك الوسائل: ٥: ١٧٨.

(٧) عدة الداعي: ابن فهد الحلي: ١٩٨.

ولذلك يقول الشاعر:

شكوت الى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني الى تركي المعاصي
وقال اعلم بان العلم باب ... وباب الله لا ياتيه عاصي[١]

رابعا: للذنوب دور في حلول النقمة

(١)يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٢].

(٢)عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أما إنّه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة ولا صُداع ولا مرض إلاّ بذنب، وذلك قول الله عزَّوجلَّ في كتابه: (وما أصابكم من مصيبة) ـ الآية، ثمَّ قال: وما يعفو الله أكثر ممّا يؤاخذ به »[٣].

خامسا: المعصية تورث الذل

من كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي يطلبها بطاعة الله تعالى فان العبد لا يرى العزة الا في طاعة الله تعالى:

(١) قال جعفر بن محمد عليه السلام: (من أخرجه الله (تعالى) من ذل المعصية إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا عشيرة)[٤].

(٢) وورد عن الامام السجاد عليه السلام في ادعية شهر رمضان: «وانقلني في هذا الشهر العظيم من ذل المعاصي الى عز طاعتك يا ارحم الراحمين»[٥].

---

(١) منية المريد:الشهيد الثاني:٢٢٥.

(٢) سورة الشورى : الاية ٣٠ .

(٣) الكافي: ٢: ٢٦٩.

(٤) الكافي: ٢: ٧٦.

(٥) بحار الانوار: ٩٥: ٦٠.

(٣) ويقول الامام السجادعليه السلام: (الهي البستني الخطايا ثوب مذلتي)[١].

يقول الشاعر:

رايت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل ادمانها
وترك الذنوب حياة القلوب والخير للنفس عصيانها[٢]

سادسا: أثر الزنا على الانسان

(١)عن عليعليه السلام، عن النبيصلى الله عليه وآله اّنه قال: «إياكم والزنا، فإن فيه ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الاخرة: فأما اللواتي في الدنيا: فإنه يذهب بالبهاء، ويقطع الرزق من السماء، ويعجّل الفناء. وأما اللواتي في الاخرة: فسوء الحساب، وسخط الرب، وخلود النار»[٣].

(٢) وروي عن الباقرعليه السلام: «قال كان فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمرانعليه السلام، يا موسى من زنا زني به ولو في العقب من بعده، يا ابن عمران عف تعف أهلك، يا موسى بن عمران إن أردت أن يكثر خير أهل بيتك فإياك والزناء، يا ابن عمران كما تدين تدان»[٤].

(٣) وروى عبد الحميد عن أبي إبراهيمعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله، تزوجوا إلى آل فلان فإنهم عفوا فعفت نساؤهم ولا تزوجوا إلى آل فلان فإنهم بغوا فبغت نساؤهم. وقال مكتوب في التوراة أنا الله قاتل القاتلين

---

(١) الصحيفة السجادية: ٤٠١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق:ابن عساكر: ٦: ٣٣٧.

(٣) الخصال: ٣٢١.

(٤) وسائل الشيعة: ٢٠: ٣٥.

ومفقر الزانين أيها الناس لا تزنوا فتزني نساؤكم كما تدين تدان»[١].

(ج) ومعنى قول الخواجة: «وقعودك عن الاصرار عن تد اركه مع تيقنك نظر الحق اليك»

الإصرار: هو الإستقرار على المخالفة والعزم على المعاودة وذلك ذنب آخر لعله أعظم من الذنب الأول بكثير وهذا من عقوبة الذنب: أنه يوجب ذنبا أكبر منه ثم الثاني كذلك ثم الثالث كذلك حتى يستحكم الهلاك.وقد ورد في الحديث عن الامام الصادقعليه السلام في قوله تعالى: (ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)قال الاصرار ان يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الاصرار)[٢].

فالإصرار على المعصية معصية أخرى والقعود عن تدارك الفارط من المعصية إصرار ورضا بها وطمأنينة إليها وذلك علامة الهلاك وأشد من هذا كله: المجاهرة بالذنب مع تيقن نظر الرب جل جلاله من فوق عرشه إليه، فإن آمن بنظره إليه وأقدم على المجاهرة فعظيم، وإن لم يؤمن بنظره إليه واطلاعه عليه فكفر وانسلاخ من الإسلام بالكلية، فهو دائر بين الأمرين: بين قلة الحياء ومجاهرة نظر الله إليه وبين الكفر والإنسلاخ من الدين، فلذلك يشترط في صحة التوبة تيقنه أن الله كان ناظرا ولا يزال إليه مطلعا عليه يراه جهرة عند مواقعة الذنب، لأن التوبة لا تصح إلا من أسلم، إلا أن يكون كافرا بنظر الله إليه جاحدا له فتوبته دخوله في الإسلام وإقراره بصفات الرب جل جلاله.

---

(١) الكافي: ٥: ٥٥٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥: ٣٣٧.

ولذلك قيل لاحد الاولياء عظني فقد اسرفت على نفسي فقال له: (فإن أبيت إلا أن تعصي الله فعصه في مكان لا يراك فيهِ) فقال له: فأين أعصيهُ وهو معنا أينما كُنَّا..!! قال،،، ألا تستحي منه وهو معك قريبٌ منك في كل مكان أن تعصيهُ »[١].

المطلب الثالث: بيان امير المؤمنين عليه السلام في اركان وشروط التوبة وحقيقتها

لم يسبق امير المؤمنين عليه السلام من بين حقيقة التوبة واركانها وشروطها، وكل من جاء بعده ممن كتب في ذلك اخذ ذلك عنه .

جاء في نهج البلاغة أنه قال عليّ عليه السلام لقائل قال بحضرته: «استغفر الله»: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العلّيين وهو اسم واقع على ستة معانٍ: أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: «أستغفر الله»[٢].

---

(١) انظر كتاب التوابين: عبد الله بن قدامه:٢٨٥.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده:٤: ٩٧.

اقول: يشتمل هذا الحديث الشريف الذي نقله السيد الرضي عن إمام الموحّدين علي عليه السلام على نقاط

(أ) ركنين من أركان التوبة هما.

(١) الندامة. وهو الندم على ما ارتكب من الذنوب والمعاصي والقبائح

(٢) والعزم على ترك العودة، وعزمه على عدم العود كراهيته للمعصية والذنوب

(ب) وعلى شرطين مهمين لقبول التوبة هما.

(١) إرجاع حقوق المخلوق، من الاموال وغير ذلك

(٢) وردّ حقوق الخالق لله سبحانه. من الصلاة والصوم وغير ذلك

(ج) شروط كمال التوبة.

(١): أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم.

(٢) أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية.

أي أن التوبة الكاملة لا تتحقّق ولا تقبل من دونهما.

يقول الامام الخميني قدس سره: «في هذين الشرطين الاخيرين: إن لكلّ منزل من منازل السالكين مراتب ودرجات تختلف حسب اختلاف حالات قلوبهم، وإن التائب إذا أراد البلوغ إلى مرتبة الكمال فلابدّ من تدارك ما تركه وتدارك الحظوظ أيضاً. يعني لابدّ من تدارك الحظوظ النفسانية التي لحقت به أيّام الآثام والمعاصي، وذلك بالسعي لمحو كلّ الآثار الجسمية والروحية التي حصلت في مملكة جسمه ونفسه من جرّاء الذنوب حتى تعود النفس مصقولة كما كانت في بدء الأمر، وتعود الفطرة إلى روحانيتها الأصيلة

وتحصل له الطهارة الكاملة. وذلك لما علمت بأن لكلّ معصية انعكاساً وأثراً في الروح والقلب كما قد يحصل أثر من بعض الذنوب واللذائذ في الجسم، فلابد للتائب أن ينتفض ويستأصل تلك الآثار ويقوم بالرياضة البدنية والروحية حتى تزول منهما كل تبعات ومضاعفات الخطايا والآثام، كما أمر الإمام عليه السلام. فطريق ممارسة الرياضة الجسمية من الإمساك عن أكل المقوّيات والمنشّطات والصيام المستحب أو الواجب إذا كان في ذمّته صيام واجب، يذيب اللحوم التي نشأت على جسمه من الحرام أو المعصية. وعن طريق الرياضة الروحية من العبادات والمناسك يتدارك الحظوظ الطبيعية، لأن صورة اللذات الطبيعية (المادّية) لا تزال ماثلة في ذائقة النفس، وما دامت عالقة بها ترغب إليها النفس ويعشقها القلب، ويُخشى من لحظة طغيان النفس وتمرّدها على صاحبها والعياذ بالله. ولابدّ على السالك لسبيل الآخرة والتائب عن المعاصي أن يذيق الروح ألم الرياضة الروحية ومشقّة العبادة، فإذا سهر ليلة في المعصية تداركها بليلة في العبادة، وإذا عاش يوماً واحداً مع اللذائذ الطبيعية تداركه بالصوم والمستحبات المناسبة حتى تطهر النفس من كلّ آثار المعاصي وتبعاتها التي هي عبارة عن تعلّق حبّ الدنيا بالنفس ورسوخه فيها وتتطهّر من كلّ ذلك »[١].

اقول: هذا ما تحقق لنا فان التوبة ليست قول احدنا استغفر الله وانما هي عملية ازالة الاثار الناتجة عن الذنوب والمعاصي التي لحقت بالنفس حتى ترجع النفس الى فطرتها النورانية .

---

(١) الاربعون حديث: الامام الخميني (رض) : ٢٦٣.

المطلب الرابع: ما الامور التي تزيل الذنوب

لا يوجد داء الا وله دواء وللذنوب دواء وقد ذكرت الاحاديث عن النبي والعترة الطاهرة صلوات الله عليهم، ان هناك جملة من الامور التي تزيل اثر المعصية اهمها

أولا- الامراض

١- قال الله سبحانه: «أهل طاعتي في ضيافتي، وأهل شكري في زيادتي، وأهل ذكري في نعمتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن دعوا فأنا مجيبهم، وإن مرضوا فأنا طبيبهم، أداويهم بالمحن والمصائب، لأطهرهم من الذنوب والمعايب»[(١)].

٢- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «السقم يمحو الذنوب»[(٢)].

٣- وعنه صلى الله عليه وآله: «حمى ليلة كفارة سنة»[(٣)].

٤- وعنه صلى الله عليه وآله: «ساعات الوجع يذهبن ساعات الخطايا»[(٤)].

٥- وعنه صلى الله عليه وآله: «إن المرض ينقي الجسد من الذنوب كما يذهب الكير خبث الحديد -كان - علي بن الحسين عليهما السلام - إذا رأى المريض قد برئ قال له: ليهنئك الطهر " أي من الذنوب " فاستأنف العمل»[(٥)].

٦- وعن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سأله رجل: ما الذي يمحو عني الخطايا؟

---

(١) عدة الداعي: ٢٣٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ٢: ٦٥.

(٣) عدة الداعي: ١١٦.

(٤) جامع احاديث الشيعة: ٣: ٨٩.

(٥) الامالي: الشيخ المفيد: ٣٥.

فقال- الدموع والخضوع والأمراض[1].

٧- وعن الإمام علي عليه السلام: «إذا ابتلى الله عبدا أسقط عنه من الذنوب بقدر علته»[2].

٨- عن الإمام الرضا عليه السلام: «المرض للمؤمن تطهيرورحمة، وللكافر تعذيب ولعنة، وإن المرض لا يزال بالمؤمن حتى لا يكون عليه ذنب »[3].

ثانيا: الأحزان

١-عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كثرت ذنوب المؤمن ولم يكن له من العمل ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها به عنه»[4].

٢-وعن رسول الله عليهما السلام: «إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها صلاة ولا صوم، قيل: يا رسول الله فما يكفرها؟ قال: الهموم في طلب المعيشة»[5].

٣- وعنه صلى الله عليه وآله: «ما أصاب المؤمن من نصب ولا وصب ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به عنه من سيئاته»[6].

٤-وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الهم ليذهب بذنوب المسلم»[7].

٥-وعن الإمام الرضا عليه السلام: «ما أحد من شيعة علي أصبح صبيحة أتى

---

(١) كنز العمال: المتقي الهندي:١٦: ١٢٩.

(٢) دعائم الاسلام: القاضي النعمان المغربي: ١:٢١٨:.

(٣) ثواب الاعمال: الشيخ الصدوق: ١٩٣.

(٤) كتاب الدعوات:قطب الدين الراوندي: ١٢١.

(٥) الدعوات: ٥٦.

(٦) تحف العقول:ابن شعبة الحراني: ٣٨.

(٧) المصدر نفسه: ١٢٠.

بسيئة أو ارتكب ذنبا إلا أمسى وقد ناله غم حط عنه سيئته، فكيف يجري عليه القلم»[١].

المطلب الخامس: الدليل على وجوب التوبة

أولا: الادله النقلية

(أ)القران الكريم وهي ايات كثيرة تأمر بالتوبة والرجوع الى الله تعالى .

١- يقول تعالى:﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[٢].

٢- ويقول تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾[٣].

٣-ويقول تعالى:﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

٤- ويقول تعالى:﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[٥].

٥- ويقول تعالى:﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

٦- ويقول تعالى:﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[٦].

٧- ويقول تعالى:﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

---

(١) كتاب التمحيص:محمد بن همام الاسكافي: ٤٢.

(٢) سورة هود : الاية ٣ .

(٣) سورة التحريم : الاية ٨ .

(٤) سورة النور : الاية ٣١ .

(٥) سورة هود : الاية ٦١ .

(٦) سورة هود : الاية ٣ .

عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

٨- ويقول تعالى:﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢].

(ب) السنة المطهرة واحاديث اهل البيت عليهم السلام.

١-يقول الإمام السجاد عليه السلام في مناجاة التائبين: «إلهي أنت الذي فتحت لعبادك بابا إلى عفوك سميته التوبة، فقلت توبوا إلى الله توبة نصوحا فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه »[٣].

٢-وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إن الله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده، في ليلة ظلماء فوجدها»[٤]

ثانيا: الأدلة العقلية

الأول: لزوم دفع الضرر المحتمل بحكم العقل، ولا شك في أن في ترك التوبةاحتمال ضرر عظيم، وهو عذاب الله الشديد الأليم الذي تطول مدته ويدوم بقاؤه ولا تطيقه السماوات والأرضون، لأنه من غضب الله وانتقامه .

يقول علي عليه السلام: «وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاء ومكروه قليل مكثه يسير بقاؤه قصير مدته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها وهو بلاء تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفف عن أهله لأنه لا يكون إلا

---

(١) سورة البقرة : الاية ٥٤ .

(٢) سورة الحجرات : الاية ١١ .

(٣) الصحيفة السجاديه:٢٠٤.

(٤) الكافي: ٢: ٤٣٥.

عن غضبك وانتقامك وسخطك وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض»[١].

الثاني: شكر المنعم

والعقل يستقل بلزوم شكر المنعم، فالكبرى فطري، وأما الصغرى – أي كون التوبة من شكر المنعم – فلانه لاشك في أنه تعالى أنعم بجميع النعم من ابتداء خلقة الانسان وكونه علقة في الرحم، إلى أن صار إنسانا سويا كاملا عاقلا بالغا ذا رشد، ومن إعطائه نعمة الوجود أولا، ثم إعطاء الجوارح اللازمة لرفع احتياجاته من اليد والرجل والعين والاذن وغيرها، بحيث يكون فقد أي واحد منها عنه يكون بلاء عظيما له، ولا شك في أن عصيان المولى المنعم ومخالفته في أوامره ونواهيه تمرد وبغي وطغيان عليه وابتعاد عنه، ورجوعه عن مخالفته وطغيانه وبغيه وابتعاده عنه إلى المولى والتزامه بترك مخالفته شكر له، فيجب ذلك عليه بحكم العقل

الثالث: الترقي في مدارج الكمال يستلزم التوبه.

لا شبهة في حكم العقل بلزوم الاستكمال والترقي في مراتب الحقيقة واليقين إن كان ذلك ممكنا وميسورا .يقول تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[٢] ،ولا شك في أن الانسان بواسطة ارتكاب المعاصي، سواء كان بترك الواجبات، أو بفعل المحرمات ينزل، بل ربما يكون أنزل من الحيوان.

وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

---

(١) مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي: ٨٤٧.

(٢) سورة الحجر : الاية ٩٩ .

يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[١].

ولكن لما تاب ورجع إلى الله صار كمن لا ذنب له، كما ورد في الحديث الشريف عن ابي جعفر الصادق عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢].

فينقلب نفسه من الخسة والرذالة والدناءةوالخباثة والشقاوة إلى الشرافة والنزاهة والعلو والطيبة والسعادة.

وليس علاج ودواء لأمراض النفس أحسن وأنفع وأفيد من التوبة، إذ بها يطهرالقلب عن الرذائل ويحفظ سلامته، وبها يخرج عن الحيوانية والبهيمية. وربمايحصل له مرتبة شامخة من الولاية التكوينية يكون له بعض التصرفات في الكون وفي الوجود.

المطلب السادس: مراتب التوبة

أولاً: توبة العوام وهي ثلاثة أنواع

أ - توبة عوام المؤمنين عن الصغائر التي صدرت منهم، بسهو أو غفلة اوجهل أو نسيان قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[٣].

ب - توبة الفاسقين وهي الندم على ما مضى من الذنوب وترك الذنب في الحال والعزم على تركه في المستقبل ورد المظالم إلى أهلها وإذابة النفس في

---

(١) سورة الفرقان : الاية ٤٤ .

(٢) الكافي: ٢: ٤٣٥.

(٣) سورة النساء : الاية ١٧ .

الطاعة والبكاء في الأسحار بحضرة الملك الجبار.

ج - توبة الكافرين بدخولهم الإسلام والايمان به وأداء حق الله عليهم ونعته بالرب ونعت أنفسهم بالعبيد .

ثانيا: توبة الخواص: وهي في ترك الاولى

وهي توبة يونس عليه السلام عندما خرج من قومه ومدينته، وكان يعتقد ان الله تعالى لا يضيق عليه بل يجوز له الخروج عندما لا حت علامات العقاب الالهي ، وبعد ذلك عرف ان الله تعالى ،تاب على القوم، وكان خروجه خلاف الاولى له، ولذا كان يرى نفسه ظالماً وقام يردد :﴿أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١].

وهكذا آدم عليه السلام عندما أخرج من الجنة، لم يرفع رأسه مائتي عام[٢]. كان يطأطئ رأسه دائماً حياءً،مع انه لم يرتكب ذنبا متعارفا كالذي ترتكبه الناس ،بل ترك الاولى ولكن ادم يعتبر ذلك ذنبا.

ثالثا -توبة أخص الخواص: وهي الالتفات الى غير الحق

ومثال توبة أخص الخواص، توبة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله حين يقول: «انه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[٣] أي لأجل تطهير قلبي من الالتفات لغير الله.

وكذلك توبة أمير المؤمنين عليه السلام،والائمة الاطهار عليهم السلام وعلى راسهم امهم فاطمة الزهراء عليها السلام ، باعتبارهم الكاملين في معرفة الله

---

(١) سورة الانبياء : الاية ٨٧ .

(٢) انظر تفسير البغوي : البغوي : ج١ : ص٦٥ .

(٣) بحار الانوار: ٢٥: ٢٠٤.

تعالى والكاملين في محبة الله تعالى ،فلا ينبغي ان يلتفتوا الى غيره سبحانه وتعالى ،بل ينبغي ان يتوجهوا الى الحق دائما ، فكان التفاتهم الى غير الله تعالى في وقت التحدث مع الاخرين ، واشتغالهم في قضاء حوائج الناس وغير ذلك من قضاء الوطر، والاكل والشرب ،يعتبر ذنبا في حقهم ولذا كانوا يستغفرون منه ، ولذلك ترى ادعية اهل البيت مشحونة بالاستغفار والبكاء لاجل الالتفات الى غير الحق تعالى لانهم عرفوا الله حق معرفته.

المطلب السابع: اثار التوبة الخالصة

١- محبة الله تعالى لعبده:

(أ) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[(١)].

(ب)عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «إذا تاب العبد توبة نصوحة أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: كيف يستر عليه؟ قال: ينسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ثم يوحى إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه ويوحى إلى بقاع الأرض اكتمي عليه ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[(٢)].

٢- فرح الله بتوبة عبده

(أ)قال الباقر عليه السلام: «ان اللّه اشد فرحا بتوبة عبده من رجل اضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فاللّه اشد فرحا بتوبة عبده من ذلك

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٢٢ .

(٢) الكافي: ٢: ٤٣١.

الرجل براحلته حين وجدها»[١].

(ب) وعن النبيﷺ قال: «الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل في أرض دوية[٢] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقدذهبت فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا وراحلته وزاده»[٣]

٣- التوبه تطهر القلب

عن امير المؤمنينعليه السلام: «التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب»[٤]

وهنا لا شك الامام يشير الى نتائج التوبة الصحيحة كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٥].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[٦] .

---

(١) الكافي: ٢: ٤٣٥.

(٢)الدوية منسوبة إلى الدو بتشديد الواو وهي البرية التي لانبات فيها.

(٣) صحيح مسلم:مسلم النيسابوري: ٨: ٩٢.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٢: ١٢٩.

(٥) سورة التحريم : الاية ٨ .

(٦) سورة الفرقان : الاية ٧٠ .

٤- التوبه تستنزل الرحمة:

قال تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً،وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارا﴾[١] .

وورد عن المولى علي عليه السلام:(التوبة تستنزل الرحمة)[٢].

٥- التائبون أهل الجنة

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اءِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً اَوْ ظَلَمُوا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ الاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَي مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * اُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْم اَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٣].

٦- التوبة سبب في أطالة العمر، وسعة العيش

قال تعالى: ﴿وَاَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا اَلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً الى اَجَلٍ مُسَمّيً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَانْ تَوَلَّوْا فَانِّي اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[٤].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «من يموت بالذنوب أكثر ممَّن يموت بالاجال »[٥].

---

(١) سورة نوح : الاية من ١٠ الى ١٢ .

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢: ١٢٩.

(٣) سورة ال عمران : الاية من ١٣٥ الى ١٣٦ .

(٤) سورة هود : الاية ٣ .

(٥) مستدرك الوسائل :١١: ٣٢٧.

٧- التوبة مقبولة عند الله

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[١].

(١) سورة الشورى : الاية ٢٥ .

الباب الثالث

باب الزهد

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الزهد لغة واصطلاحا

(أ)الزهد لغة: الزَهدُ: خلاف الرَغبة. تقول: زَهِدَ في الشيء وعن الشيء، يَزْهَدُ زَهَداً وزَهادَةً. وزَهد يَزْهَدُ لغة فيه[١].

(ب)وفي الاصطلاح: يمكن تعريف الزهد: «افراغ القلب من الاغيار» والاغيار هي الدنيا والمال والشهوات والانا والرئاسة وكل شيء سوى الله تعالى ....؟

وقد عرفها الجرجاني«هو بغض الدنيا والإعراض عنها »[٢].

المطلب الثاني: الزهد في القران الكريم

١- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾[٣].

٢- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ

---

(١) الصحاح:٢: ٤٨١.

(٢) التعريفات: ٨٧ .

(٣) سورة النحل : الاية ٩٦ .

الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[١].

٣- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[٢].

٤- ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[٣].

والقران العزيز فيه ايات كثيرة للتزهيد في الدنيا والترغيب في الاخرة

المطلب الثالث: فضل الزهد في منهج اهل البيت عليهم السلام

١- ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله - لابن مسعود -: يا بن مسعود! النار لمن ركب محرما والجنة لمن ترك الحلال، فعليك بالزهد، فإن ذلك مما يباهي الله به الملائكة، وبه يقبل [الله] عليك بوجهه ويصلي عليك الجبار[٤].

٢-وعنه صلى الله عليه وآله: ما عبد الله بشئ أفضل من الزهدفي الدنيا[٥].

٣- وعنه صلى الله عليه وآله: طوبى لمن تواضع لله عز ذكره وزهد فيما أحل له من غير رغبة عن سنتي، ورفض زهرة الدنيا من غير تحول عن سنتي[٦].

٤- وعن الإمام علي عليه السلام: إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده

---

(١) سورة الحديد : الاية ٢٠ .

(٢) سورة طه : الاية ١٣١ .

(٣) سورة الزخرف : الاية ٣٣ .

(٤) مكارم الاخلاق: الطبرسي: ٤٤٩.

(٥) مستدرك الوسائل: ١٢: ٥١.

(٦) تحف العقول: ٣٠.

في عاجل زهرة الدنيا[١].

٥- عن الإمام الصادق عليه السلام: «جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»[٢].

المطلب الرابع: حقيقة الزهد كما يراها اهل البيت عليهم السلام

١- عن الإمام علي عليه السلام: الزهد كله في كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) فمن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فهو الزاهد[٣].

٢- الإمام علي عليه السلام: أيها الناس إنما الناس ثلاثة: زاهد، وراغب، وصابر، فأما الزاهد فلا يفرح بشئ من الدنيا أتاه، ولا يحزن على شيء منها فاته، وأما الصابر فيتمناها بقلبه فإن أدرك منها شيئا صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها، وأما الراغب فلا يبالي من حل أصابها أم من حرام[٤].

٣- وعنه عليه السلام: يا بن آدم ! لا تأسف على مفقود لا يرده إليك الفوت، ولا تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت[٥].

٤- وكذلك عن علي عليه السلام: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل

---

(١) المصدر نفسه: ٢: ١٢٨.

(٢) الكافي: ٢: ١٢٨.

(٣) بحار الانوار: ٧٥: ٧٠.

(٤) الامالي: الشيخ الطوسي: ٤٢٤.

(٥) ميزان الحكمة: ٢: ١١٦٨.

نعمة، والورع عن كل ما حرم الله عز وجل[١].

٥-وكذلك عن الإمام علي عليه السلام: الزهد أن لا تطلب المفقود حتى يعدم الموجود[٢].

٦- الإمام زين العابدين عليه السلام - في الدعاء -: اللهم صل على محمد وآله، واجعل ثنائي عليك ومدحي إياك وحمدي لك في كل حالاتي حتى لا أفرح بما آتيتني من الدنيا، ولا أحزن على ما منعتني فيها[٣].

٧- الإمام الصادق عليه السلام: ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل[٤].

٨- الإمام الصادق عليه السلام: الزهد مفتاح باب الآخرة، والبراءة من النار، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله، من غير تأسف على فوتها، ولا اعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة، وتكون أبدا هاربا من الآفة، معتصما بالراحة وأن الزهد تنكب حرام الدنيا[٥].

ومن خلال ما تقدم من الاخبار، نعرف ان حقيقة الزهد هو ترك كل شيء يشغلك عن الله تعالى، لان الانسان وجد في هذا العالم لكي يكون عبدا

---

(١) الكافي: ٥: ٥١.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢: ٤٧.

(٣) الصحيفة السجادية: ١١٨.

(٤) الكافي: ٥: ٧١.

(٥) بحار الانوار: ٦٧: ٣١٥.

لله تعالى والعبودية تتطلب افراغ القلب عما سوى الله تعالى ولا يكون همه كهم البهائم همها علفها وشغلها تقممها بحيث يكون القلب مشغول في الدنيا وعلائقها .

المطلب الخامس: كيف الطريق الى الزهد

اولا: معرفة الدنيا وانها زائلة

ثانيا: معرفة الاخرة وانها الباقية

ثالثا: ذكر الموت وذكر الاخرة

واليك بعض ما جاء في روايات اهل البيت عليهم السلام.

١-عن الإمام علي عليه السلام - من وصاياه لابنه الحسن عليه السلام -: أكثر ذكر الآخرة، وما فيها من النعيم والعذاب الأليم فإن ذلك يزهدك في الدنيا ويصغرها عندك، وقد نبأك الله عنها، ونعت لك نفسها[١].

٢-وعن ابي جعفر محمد بن علي صلوات الله عليه انه اوصى بعض اصحابه، «فقال اكثروا ذكر الموت، فانه ما اكثر ذكر الموت انسان الا زهد في الدنيا[٢].

٣- الإمام زين العابدين عليه السلام:

وفي دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضها داع وبالزهد آمر
فجد ولا تغفل فعيشك زائل وأنت إلى دار المنية صائر

---

(١) تحف العقول: ٧٦.

(٢) دعائم الاسلام: القاضي النعمان المغربي: ١: ٢٢١.

ولا تطلب الدنيا فإن طلابها فإن نلت منها غبها لك ضائر[١]

٤- الإمام الكاظم عليه السلام: إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته[٢].

٥- الإمام الكاظم عليه السلام - عند قبر حضره -: إن شيئا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره[٣].

أُدخل الإمام علي الهادي عليه السلام على المتوكل والكأس في يده، فلما رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه... وقال له: أنشدني شعراً، فقال الإمام عليه السلام: أنا قليل الرواية للشعر، ثمّ أنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم وأُسكنوا حفراً يابئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم أين الأساور والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة من دونها تُضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكلوا

---

(١) الصحيفة السجادية: ٥٠٢.

(٢) الكافي: ١: ١٨.

(٣) معاني الاخبار: الشيخ الصدوق: ٣٤٣،

فبكى المتوكل حتى بلّت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون[١].

وروي أنه تحارب ملكان من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرد أصحابه، وزينت له السرر ودار الملك، وتلقاه الناس ليدخل. فبينا هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها، وقف له رجل كان ينسب للجنون، فأنشده:

تسمع من الأيام إن كنت حازما فإنك فيها بين ناه وآمر

فكم ملك قد ركم الترب فوقه وعهدي به بالأمس فوق المنابر

إذا كنت في الدنيا بصيرا فإنما بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

فقال له: صدقت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورقي الجبل وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به. وبقيت اليمن شاغرة أياما اختير لها من عقدوا له الملك عليها[٢].

المطلب السادس: اهمية الزهد للسالك الى طريق الحق

الزهد للسالك الى الله تعالى، ضروري كضرورة الاكل والشرب،وذلك لان السائر الى الله تعالى سوف يفرغ قلبه الى الله وهو الغاية التي يريدها ،ولا يبقى حجاب بينه وبين مطلوبه، فان أي تعلق بشيء من امور الدنيا من حب الرئاسة والشهوة والمال يعد حجابا ومانعا من الوصول الى المطلوب.

وهذه الاحاديث الواردة عن المعصومين تشير الى هذه الحقيقة .

---

(١) بحار الانوار: ٥٠: ٢١٣.

(٢) بحار الانوار: ٥٠: ٢١٣.

يقول الإمام الصادقعليه السلام: إنما أرادوا الزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة[١].

ويقول الإمام الصادقعليه السلام:« حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا»[٢].

المطلب السابع: درجات الزهد

يشير الخواجة الانصار ي الى درجات ثلاثة:«الزهد في الشبهة، والزهد في الفضول، والزهد في الزهد»[٣].

ونشرح عبارة الانصاري

الدرجة الاولى: الزهد في الشبهة- يعني بعد ترك الحرام لان ترك الحرام هو اعظم الزهد.

عن ابي عبداللهعليه السلام: وأن أزهد الناس من ترك الحرام[٤].

ويقول عليعليه السلام: لا زهد كالكف عن الحرام[٥].

واما الزهد في الشبهة- فهو ترك ما يشتبهه على العبد هل هو حرام ام حلال كما ورد في الحديث عن النبيصلى الله عليه وآله: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُتَشَابِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاتِعِ حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ

(١) الكافي: ٢: ١٦.

(٢) الكافي : ٢: ١٢٨.

(٣) شرح منازل السائرين: ١٢١-١٢٣.

(٤) الخصال: الشيخ الصدوق: ١٦.

(٥) عيون الحكم والمواعظ: ٥٣٢

أَنْ يَقَعَ فِيهِ أَلَا، وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ »[١].

الدرجة الثانية:الزهد في الفضول- وهو ان العبد يكتفي بالمقدار البسيط في الماكل والمشرب والملبس والمسكن حتى يكون عنده الوقت للتفرغ للعبادة والتقرب الى الله تعالى في حديث المعراج: «يا أحمد إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا وارغب في الآخرة، فقال: يا إلهي كيف أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ؟ قال: خذ من الدنيا خفا من الطعام والشراب واللباس، ولا تدخر لغد»[٢].

ويمثل سلمان الفارسي الصورة الكاملة لهذا الزهد.

وقع حريق في المدائن وسلمان أميرها فلم يكن في بيته إلا مصحف وسيف فرفع المصحف في يده وحمل السيف في عنقه وخرج قائلا هكذا ينجوا المخفون قيل دخل عليه رجل فلم يجد في بيته إلا سيفا ومصحفا فقال له ما في بيتك إلا ما أرى قال إن أمامنا منزل كؤود وإنا قد قدمنا متاعنا إلى المنزل.

قال الحسن كان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان أميرا على زهاء ثلاثين ألفا من المسلمين وكان يحطب في عبائة يفترش نصفها ويلبس نصفها فإذا خرج عطاؤه تصدق به[٣].

الدرجة الثالثة: الزهد في الزهد-وهو ان لا يرى زهده لان كل ما في الكون لا يستحق النظر اليه وذلك لامتلاء قلبه بحب الله تعالى فلا

---

(١) الخلاف: الشيخ الطوسي: ٣: ١٢٧.

(٢) بحار الانوار: العلامة المجلسي: ٧٤: ٢٢.

(٣) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد على خان المدنى: ٢١٥.

يوجد تعلق بشيء من علائق الدنيا حتى يلتفت اليه وهذا الحديث يشير الى ذلك .

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره »[١].

ويقول الحسين عليه السلام (ماذا فقد من وجدك)[٢].

المطلب الثامن: ثمرات الزهد في الدنيا

اولا: الزهد يوصل الى الحكمة والعلم

الحكمة والعلم من اعظم المواهب الالهية في عالم الدنيا

قال تعالى :«يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»[٣].

وقد ابى الله تعالى ان يعطي هذه المواهب الى المنغمسين في الدنيا، الطالبين لها، وقد ورد عن اهل البيت عليهم السلام ما يشير الى ذلك .

١-عن ابي عبدالله عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، ويبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام[٤].

---

(١) الكافي: ٢: ١٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٦

(٣) سورة البقرة: الاية ٢٩٦ .

(٤) وسائل الشيعة: ١٦: ١٠.

٢-وعن النبيﷺ: من يرغب في الدنيا فطال فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر رغبته فيها، ومن زهد فيها فقصر فيها أمله أعطاه الله علما بغير تعلم، وهدى بغير هداية، وأذهب عنه العماء وجعله بصيرا[١].

٣- وكذلك عن النبيﷺ - لما خرج ذات يوم فقال-: هل منكم من يريد أن يؤتيه الله علما بغير تعلم وهديا بغير هداية؟! هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا؟! ألا! إنه من زهد الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهديا بغير هداية[٢].

٤- وعن النبيﷺ: يا أبا ذر ! إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقي الحكمة[٣].

٥- وعن الإمام عليعليه السلام: من زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلها، ولم ينافس من عزها، هداه الله بغير هداية من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره وأجراها على لسانه[٤].

٦- في دعاء الندبه المنسوب الى الامام الحجة: اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك. .. بعد أن شرطت عليهم الزهد. .. فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به فقبلتهم. .. وأهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك[٥].

---

(١) بحار الانوار: ٧٤: ١٦٣.

(٢) ميزان الحكمة: ٢: ١١٧٢.

(٣) بحار الانوار: ٧٤ :٨٠.

(٤) تحف العقول: ٢٢٣.

(٥) اقبال الاعمال: ١: ٥٠٥.

ثانيا: الزهد يوصل الى المكاشفة

الزهد يوصل الى المكاشفة عما وراء عالم الحس الظاهر ،لانه الانسان عندما يزهد في النيا ولا يعير لها هما ، يؤدي ذلك ان تكون النفس متوجه الى مصدر الفيض الالهي وهو الله تعالى ،وقد ورد هذا المعنى في روايات اهل البيت عليهم السلام ،

عن سلام قال، كنت عند أبي جعفرعليه السلام فدخل عليه حمران بن أعين فسأله عن أشياء، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفرعليه السلام: أخبرك أطال الله بقاك وأمتعنا بك انا نأتيك فما نخرج من عندك حتى يرق قلوبنا وتسلو أنفسنا عن الدنيا، ويهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك فإذا صرنا مع الناس والتجار أحببنا الدنيا ؟قال: فقال أبو جعفرعليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل. ثم قال أبو جعفرعليه السلام: أما إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق !، قال: فقال لهم، ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا، روعنا ووجلنا ونسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار، ونحن عندك. وإذا دخلنا هذه البيوت وشممنا الأولاد ورأينا العيال والأهل والمال يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك وحتى كأنا لم نكن على شئ؟ أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق ؟. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: كلا، هذا من خطوات الشيطان ليرغبكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم

أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة ومشيتم على الماء[١].

ثالثا- الزهد يوصل الى شرح الصدر

وشرح الصدر من ثمار الزهد الحقيقي في الدنيا ،وذلك لان العبد بعد ان يزهد في هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها ،لايهم اصبح غنيا أم فقيرا . يصبح هذا العبد منشرح الصدر ،وقد ورد عن النبيﷺ ان العبد اذا زهد في الدنيا وقع في قلبه نورا .

عن بن مسعود عن رسول اللهﷺ : في قوله تعالى:« أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ»[٢]. إن النور إذا وقع في القلب انفسح له وانشرح " قالوا: يا رسول الله ! فهل لذلك علامة يعرف بها؟ قال: التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزول السلام، فمن زهد في الدنيا قصر امله فيها وتركها لاهلها[٣].

المطلب التاسع: المصداق الكامل للزهد في الاسلام هو الامام عليعليه السلام

وهكذا نجد الامام عليعليه السلام يتربع منصة الزهد في هذه الدنيا بعد رسول اللهﷺ، وقد خاطبه النبي الاكرم مادحا له على تزينه بهذه الصفة.

عن النبيﷺ يخاطب علي: يا عليّ، إنّ اللَّه قد زيّنك بزينة لم يزين العباد بزينة احب الى الله منها، هي زينة الابرار عند الله، الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ من الدنيا شيئا ولا ترزأ منك الدنيا شيئا[٤].

---

(١) اقبال الاعمال: ١: ٥٠٥.

(٢) سورة الزمر : الاية ٢٢ .

(٣) مكارم الاخلاق: ٤٤٧.

(٤) بحار الانوار: ٤٠: ٣٣٤.

وعن ضرار بن ضمرة؛ في حديث مع معاويه:وكأنّي به وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وهو في محرابه قابض على لحيته، يتململ تململ السَّلِيم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي تشوفت، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّفت لا حان حينُك،؟ هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، واملك حقير، آه من قلّة الزاد وطول الطريق وبعد السفر، وعظيم المورد[(١)].

ويقول الامام علي عليه السلام: ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، فواللّه ما كنزت من دنياكم تبرا، ولا ادّخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا[(٢)].

ويقول علي عليه السلام عن قيمة الدنيا: (والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم)[(٣)].

ذكر عبد الرزاق عن الثوري عن أبي حيان التيمي عن أبيه قال: «رأيت علي بن أبي طالب على المنبر يقول: من يشتري مني سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته فقام إليه رجل فقال: نسلفك ثمن إزار. قال: عبد الرزاق: وكانت بيده الدنيا كلها إلا ما كان من الشام »[(٤)].

وجاء في الخبر أن الدنيا تمثلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في

---

(١) نهج البلاغة: ٤: ١٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣: ٧١.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٠٤.

(٤) الاستيعاب:ابن عبد البر: ٣: ١١١٤.

صورةامرأة قد تزينت له بكل زينة وهي تظن أنه لا يعرفها فلما رآها قال لها: ألست الدنيا؟ قالت: نعم، فكيف عرفتني فقال: كشف لي الغطاء فعرفتك فقالت له: كلمني كلمة واحدة فقال لها: أنت مطلقتي وكلام المطلقة حرام أخرجي من داري قالت له: الدار داري قال: صدقت وخرج هو وتركها فخرجت خلفه لتقد قميصه كزليخا مع يوسف عليه السلام فلم تجد له إلا درعا فقالت: سلمت مني يا علي فقال لها: اخدعي غيري.

وأنشد في المعنى:

عتبت على الدنيا فقلت إلى متى أكابد دارا همها ليس ينجلي
فقالت نعم يا ابن الكرام لأنني قبضت عليك منذ طلقني علي[1]

---

(١) شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي: ٨: ٢٦٣.

الباب الرابع
باب الصبر

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الصبر لغة واصطلاحا

(ا)الصَبْرُ لغة: حَبس النفس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يَصْبِرُ صَبْراً. وصَبَرْتُهُ أنا: حبسْته. قال الله تعالى: " واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدْعونَ ربَّهُمْ ". قال عنترة يذكر حرباً كان فيها:

فصَبَرْتُ عارِفَةً لذلك حُرَّةً ... تَرْسو إذا نَفْسُ الجبانِ تَطَلَّعُ[١].

(ب) الصبر اصطلاحا:نعرفه بانه «توطين النفس على تحمل المكاره وعدم اظهار الجزع»

وفي روايات اهل البيت(ع) ما يشير الى ذلك عن ابي عبد الله عليه السلام «الصبر يعقب خيرا فاصبروا ووطنوا انفسكم على الصبر»[٢].

وهناك عدة تعاريف ذكرت للصبر

١- يعرف الشريف المرتضى في رسائله الصبر إنه: «كفّ النفس عن الجزع عند الشدائد»[٣]

---

(١) الصحاح: ٢ :٧٠٦.

(٢) اصول الكافي: ٢: ٨٩: باب الصبر.

(٣) رسائل المرتضى: الشريف المرتضى: ٢ :٢٧٤.

١- قال الخواجه الانصاري صاحب منازل السائرين: «الصبر حبس النفس على جزع كامن عن الشكوى»[١].

يقول عبدالرزاق القاساني شارح منازل السائرين، في شرح تعريف الانصاري،المراد (بالشكوى) الشكاية الى غير الحق لان الشكوى الى الله تعالى في باب الصبر محمودة، الا ترى ايوب عليه السلام كيف شكى الى ربه بقوله (اني مسني الشيطان بنصب وعذاب)مع ان الله مدحه بقوله (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) ويعقوب عليه السلام يقول (انما اشكو بثي وحزني الى الله) مع انه كان من الصابرين، كيف وترك الشكاية الى الله تعالى اظهار التجلد والظهور بالدعوى »[٢].

يقول ابن الفارض

ويحسن اظهار التجلد للعدى ويقبح الا العجز عند الاحبة

ويمنعني شكواي حسن تصبري ولو اشك للاعداء ما بي لاشكت[٣]

المطلب الثاني: منزلة الصبر في القران الكريم

هناك العشرات من الايات تشير الى فضيلة الصبر وهذه الايات مذكورة على انحاء متعددة ونحن نذكر بعض من ذلك.

١- الامر بالصبر.

كما في قوله تعالى

(١) شرح منازل السائرين: ١٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٦.

(٣) ديوان ابن الفارض: ابن الفارض: قصيدة التائية الكبرى:٢٥.

(أ) قال تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[١].

(ب)قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[٢].

(ج) قال تعالى : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ﴾[٣].

(د) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤].

٢- الصبر يوجب محبة الله تعالى

قال تعالى :﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٥].

٣- الصبر يوجب معية الله تعالى:

(أ)قال تعالى :﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٦].

(ب) قال تعالى :﴿وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٧].

---

(١) سورة البقرة : الاية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : الاية ١٥٣ .

(٣) سورة النحل : الاية ١٢٧ .

(٤) سورة آل عمران : الاية ٢٠٠ .

(٥) سورة آل عمران : الاية ١٤٦ .

(٦) سورة الانفال : الاية ٦٦ .

(٧) سورة الانفال : الاية ٤٦ .

(ج) قال تعالى :﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(١).

(د) قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢).

٤- تحصيل الكمالات والاعمال الصالحة لا تحصل الا للصابرين

أ- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾(٣).

ب- ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٤).

٥- تحصيل الاجر العظيم والجزيل لا يحصل الا بالصبر

أ- ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾(٥).

ب- وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة : الاية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة : الاية ١٥٣ .

(٣) سورة القصص : الاية ٨٠ .

(٤) سورة فصلت : الاية ٣٥ .

(٥) سورة القصص : الاية ٥٤ .

(٦) سورة الزمر :الاية ١٠ .

٦- الصبر يورث الامامة لصاحبه

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[(١)].

٧- أنه علق النصر على الصبر

فقال: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[(٢)].

٨- البشرى لاصحاب الصبر ونزول الرحمة الالهية عليهم

يقول تعالى ﴿وَبَشِّرِ الصابرين الذين إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ أولئك عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئك هُمُ المهتدون﴾[(٣)].

٩- الخير كله في الصبر

أ- ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ﴾[(٤)].

ب- ﴿وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٥)].

المطلب الثالث: فضل الصبر عند اهل البيت عليهم السلام

١- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الصبر نصف الإيمان»[(١)].

---

(١) سورة السجدة : الاية ٢٤.

(٢) سورة آل عمران : الاية١٢٥ .

(٣) سورة البقرة : الاية١٥٦.

(٤) سورة النحل : الاية ١٢٦.

(٥) سورة النساء : الاية ٢٥.

٢- وسئل النبي صلى الله عليه وآله: «ما الايمان؟ قال، الصبر »[٢].

١-عن الإمام علي عليه السلام: «الصبر أحسن خلل الإيمان، وأشرف خلايق الإنسان»[٣].

٢-عن الإمام علي عليه السلام: «الصبر مطية لاتكبو»[٤].

٥-عن الإمام الصادق عليه السلام: «الصبر رأس الإيمان»[٥].

٦- وعنه عليه السلام: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[٦].

تنبيه: تحليل روايات الصبر من الايمان كالراس من الجسد

خلق الله الانسان لكي يكون عبدا مؤمنا كاملا له سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ولكن تعترض مسيرة الانسان في الدنيا الكثير من المحن والابتلاءات والاهواء والشيطان من اجل انحراف هذا الانسان وعدم رسوخه وثباته في الايمان، ولذا يحتاج الانسان الى الصبر والصمود امام هذه التحديات للوصول الى الله تعالى، ولذلك ورد في الاحاديث ما يشير الى ذلك

---

(١) مستدرك الوسائل ٢: ٤٢٥.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٤٢٥.

(٣) ميزان الحكمة ٢: ١٥٥٦.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ١٨.

(٥) الكافي ٢: ٨٧.

(٦) المصدر نفسه: ٢: ٨٧

١– عن الامام علي عليه السلام: من صبر على الله وصل إليه[(١)].

٢–وعنه عليه السلام: بالصبر تدرك الرغائب[(٢)].

٣–وعنه عليه السلام: بالصبر تدرك معالي الأمور[(٣)].

فالصبر على المحارم يوصل الانسان الى ادراك الرغائب ومعالي الامور وما عند الله خير وابقى.

المطلب الرابع: انواع الصبر

وردت روايات عن اهل البيت عليهم السلام تبين انواع الصبر ونحن من خلالها سوف نرتب هذه الانواع ونشرحها.

١–ورد في الحديث الشريف النبوي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الصَّبْرُ ثَلاثَةٌ، صَبْرٌ عَلَى الْمُصيبَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمُصيبَةِ حَتَّى يَرُدَّهَا بِحُسْنِ عَزائِهَا، كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلاثَ مِائَة دَرَجَة مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلَى الدَّرَجَةِ كَما بَينَ السَّمَاءِ اِلَى الاَرضِ، وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الطَّاعَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ستَّ مائَةِ دَرَجَة، مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَينَ تُخُومُ الأَرضِ اِلَى الْعَرْشِ وَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَعْصيةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ تِسْعَ مِائَةِ دَرَجَة مَا بَينَ الدَّرَجَةِ اِلى الدَّرَجَةِ كَمَا بَينَ تُخُومِ الاَرْضِ اِلَى مُنْتَهَى الْعَرْشِ»[(٤)].

٢– وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الصبر صبران، صبر عند المصيبة حسن

---

(١) الدعوات: ٢٩٢.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ١٨٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٨.

(٤) الكافي: ٢: ٩١

جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك»[١].

٣- وعن عليعليه السلام: (الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب)[٢].

٤-وعن الباقرعليه السلام قال: «الصبر صبران، صبر على البلاء حسن جميل وافضل الصبر من الصابرين: الورع من المحارم »[٣].

ومن خلال هذه الروايات الشريفة نعرف ان الصبر له انواع

أولاً: الصبر على الطاعة

فإن النفس الأمارة نافرة عن العبودية ومن ثم تشق عليها العبادات، إما بسبب الكسل كالصلاة، أو البخل كالزكاة، أو بهما جميعا كالحج وهكذا ...؟ فالعابد يحتاج إلى الصبر على الطاعة من خلال.

١- الدوام على الطاعة

والدوام على الطاعة ليس بمعنى الكثرة، ولكن البقاء على العبادةولو بالحد الادنى من الطاعة والعبادة الواجبة بحيث لا يترك العبادة، مهما حدث له من حدث او بلاء وقد مدح الله تعالى المؤمنين لانهم يداومون على عباداتهم

أ- يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[٤].

ب- ويقول تعالى:﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١].

---

(١) الكافي : ٢: ٩٠.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥: ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٢: ٩١.

(٤) سورة المعارج : الاية ٢٣ .

ج –ويقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[٢].

د– وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض»[٣].

د– عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْهَيْئَةِ فَقَالَ مَنْ هَذِهِ فَقُلْتُ هَذِهِ فُلَانَةُ بِنْتُ فُلَانٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ هِيَ لَا تَنَامُ اللَّيْلَ فَقَالَ مَهْ مَهْ خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَأَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ وَإِنْ قَلَّ »[٤].

٢– الاخلاص في الطاعة

والاخلاص ان يفعل العبد الطاعة والعبادة ويبتغي بها وجه الله تعالى ولا يريد سواه ،والاخلاص أشد من العمل كما يتبن لنا في الواقع العملي، وكذلك هذا الامر واضح من خلال روايات اهل بيت العصمة والطهارة المعصومين عليهم السلام

أ– عن أمير المؤمنين(ع) يقول: «تصفية العمل، خيرٌ من العمل»[٥].

ب– وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الابقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز

---

(١) سورة المعارج : الاية ٣٤ .

(٢) سورة المؤمنون : الاية ٩ .

(٣) وسائل الشيعة: ٤: ٧٠.

(٤) وسائل الشيعة: ٤: ٧٠.

(٥) الكافي: ٢: ٢٩٦.

وجل والنية أفضل من العمل، ألا وإن النية هي العمل »[(١)].

ج- وعن الإمام الصادقعليه السلام: «الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل قال الراوي: وما الإبقاء على العمل؟ قال: «يصل الرَّجل بصلةٍ، ويُنْفِق نفقةً لله وحده لا شريك له، فتُكتب له سِراً، ثم يذكرها فتُمْحى فتكتب له علانية، ثمَّ يذكرها فتُمْحى وتُكتب له رياء»[(٢)].

د-وعن عليعليه السلام: «تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد »[(٣)].

وتوضيح ذلك: (تصفية العمل أشد من العمل) هي جعله صافيا عن المقتضيات والمفسدات الداخلة والخارجة وجعله خالصا لوجه الله تعالى غير ملحوظ فيه غيره كما قال علي(ع) «الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا (او شوقا الى) في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك »[(٤)].

(وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد) النية هي القصد إلى إيقاع الفعل المأمور به شرعا وهذا وإن كان سهلا في بادي النظر لكنه صعب ان يستمر الانسان الى اخر عمره مخلصا في نيته ويقصد بالعمل وجه الله تعالى وذلك لعرقلة الشيطان والنفس الامارة بالسوء ولذا لابد من جهاد النفس الذي هو اعظم من جهاد العدو لان جهاد العدو وان طال فهو اسهل لان العدو الخارجي اسهل من العدو الداخلي .كما في

---

(١) الكافي : ٢: ١٦.

(٢) الكافي: ٢: ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ٨: ٢٤.

(٤) عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي: ٢: ١١.

الحديث: «اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[(١)].

٣- مطابقة العبادة لما جاء عن الله والنبي واهل البيت عليهم السلام

باعتبار لا عمل الا بالفقه واصابة السنة المطهرة وترك الاختراع في العبادة وذلك لورود النهي عن الاختراع في العبادة عن زياد القندي، عن عبد الرحيم القصير قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: جعلت فداك إني اخترعت دعاء قال: دعني من اختراعك،»[(٢)].

ومطابقة العبادة للمامور به وعدم الزيادة والنقيصة المخلة فيها يجب على المكلف.

أ- اما بالاجتهاد، وهو تحصيل الحكم من المدارك المقررة وهي الكتاب والسنة والاجماع والعقل.

ب- او التقليد، وهو الالتزام العملي بفتوى المجتهد الجامع للشرائط.

ج- او الاحتياط، وهو تيقن اصابة الواقع وهذا يحصل لمن وصل مرتبه بالعلم.

ثانيا: الصبر على البلاء والصبر على البلاء يستقيم بعد المعرفة

١- ان البلاء سنة الهية تشمل الجميع ولا تستثني احدا من البشر.

أ- يقول تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِين آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ

---

(١) عوالي اللئالي : ٤: ١١٨.

(٢) الكافي: ٣: ٤٧٦.

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[١].

ب- يقول تعالى:﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ﴾[٢].

ج- يقول تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٣].

٢- ان هناك جزاء في قبال هذا البلاء.

أ-عن الصادقعليه السلام قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: يأتى على الناس زمان لاينال فيه الملك إلاالقتل والتجبر، ولاالغنى إلا بالغصب والبخل ولا المحبة إلاباستخراج[٤] الدين واتباع الهوى، فمن ادرك ذلك الزمان فصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صديقا ممن صدق بي[٥].

ب- وقال النبيصلى الله عليه وآله: «من ابتلي من المؤمنين ببلاء وصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد»[٦].

ج- وعنهصلى الله عليه وآله حاكياً عن الله تعالى: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه أن

---

(١) سورة آل عمران : الاية ١٤٠ .

(٢) سورة النساء : الاية ١٠٤ .

(٣) سورة العنكبوت : الاية ٤ .

(٤) أي طلب خروج الدين من القلب أو بطلب خروجهم من الدين.

(٥) الكافي: ٢: ٩١.

(٦) المصدر نفسه: ٢: ٩٢.

أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً »[١].

د–وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن قبره كانت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر مظل عليه، ويتنحى الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسألته، قال الصبر للصلاة والزكاة والبر: دونكم صاحبكم فإن عجزتم عنه فأنا دونه[٢].

و– وعن الإمام الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود: أن خلادة بنت أوس بشرها بالجنة وأعلمها أنها قرينتك في الجنة، فانطلق إليها فقرع الباب عليها، فخرجت وقالت: هل نزل في شئ؟ قال: نعم، قالت: وما هو؟ قال: إن الله تعالى أوحى إلي وأخبرني أنك قرينتي في الجنة، وأن أبشرك بالجنة، قالت: أو يكون اسم وافق اسمي؟! قال: إنك لأنت هي ! قالت: يا نبي الله ما أكذبك، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به. قال داود: أخبريني عن ضميرك وسريرتك ما هو؟ قالت: أما هذا فسأخبرك به، أخبرك أنه لم يصبني وجع قط نزل بي كائنا ما كان، ولا نزل بي ضر وحاجة وجوع كائنا ما كان، إلا صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه عني حتى يحوله الله عني إلى العافية والسعة، ولم أطلب بدلا، وشكرت الله عليه وحمدته، فقال داود عليه السلام: فبهذا بلغت ما بلغت. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام وهذا دين الله الذي ارتضاه للصالحين[٣].

٣– ان البلاء فيه تمييز الخبيث من الطيب

ان سنة الله تعالى اقتضت أن يبتلي المؤمنين بانواع المصائب والشدائد

---

(١) الدعوات: ١٧٢.

(٢) الكافي: ٢: ٩٠.

(٣) بحار الانوار: ٦٨: ٨٩.

والبلاءات والجهاد والعمل الصالح والعبادات وغير ذلك، وفي هذه المسائل سوف يتميز الصالح من الطالح على مر الوقت ،كما ان النار تميز بين الذهب وغيره .

قال تعالى :﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[١].

وقال تعالى:﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ ،وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٢].

٤- ان البلاء هو لرفع مقام الاولياء والانبياء

وهذا ما جرى فعلا للانبياء عليهم السلام فكانت الابتلاءات التي مروا بها هي من اجل رفع مقاماتهم، ولاظهار بواطنهم وطاعتهم لله تعالى

يقول تعالى عن ابراهيم عليه السلام :﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٣].

ففي هذه الاية المباركة تشير الى أن ابراهيم عليه السلام خاض ابتلاءات كبيرة في حياته،وقد استطاع ان يتغلب على هذه المصائب والمحن ولذا استحق مقام الامامة ومن جملة المصائب التي تعرض لها ابراهيم عليه السلام ،الرؤيا التي راها وهي الامر بذبح ولده اسماعيل ، كما حكاها القران الكريم ،قال تعالى:﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ،فَلَمَّا

---

(١) سورة آل عمران : الاية ١٧٩ .

(٢) سورة العنكبوت : الاية ٣ .

(٣) سورة البقرة : الاية ١٢٤ .

بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ، وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ﴾[١].

٥- انتظار الفرج من الله تعالى وعدم اليأس.

على الانسان ان يعتقد ان المصائب ومهما تعاظمت وكثرت لابد من الفرج من الله تعالى، لان بعد العسر يسرا، وهذه سنة اخرى من سنن الله تعالى،وقد حصل الفرج للانبياء والصالحين والصديقين كابراهيم ويونس ويوسف وايوب عليهم السلام، كما اخبرنا القران الكريم .

قال تعالى :﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾[٢].

وقال تعالى :﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الصافات : الاية من ١٠٠ الى ١٠٦ .

(٢) سورة الانبياء : الاية من ٦٨ الى ٧٠ .

(٣) سورة الانبياء : الاية من ٨٧ الى ٨٨

(٤) سورة الانبياء : الاية من ٨٣ الى ٨٤ .

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن الحر حر على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره وإن أسر وقهر واستبدل باليسر عسرا كما كان يوسف الصديق الأمين (صلوات الله عليه) لم يضرر حريته أن استعبد وقهر واسر ولم تضرره ظلمة الجب ووحشته وما ناله أن من الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبدا بعد إذ كان [له] مالكا، فأرسله ورحم به أمة وكذلك الصبر يعقب خيرا، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا»[١].

ثالثا: الصبر على المعصية

هو الوقوف أمام الأهواء والدوافع النفسية والنوازع الدنيوية الّتي تستعر في قلب الإنسان وباطنه، وقد تستعر نيرانها إلى درجة أن تتحول إلى اعصار يدمر جميع عناصر الخير في الإنسان، ويتلف ما لديه من الإيمان والتقوى والطهارة والصدق والصفاء.

ومما يعينه على الصبر عن المعصية شيئان:

الأول: النظر في العاقبة وسوء المصير

فإن الصبر عن لذة عاجلة أسهل من الوقوع في نار حامية، فإذا قارن العاقل بين اللذة العاجلة الفانية، وبين الخسارة والحسرة الآجلة الباقية، فإنه يدرك الفرق الذي يحمله على الكف عن المعصية .كما خبر سبحانه وتعالى في ايات كثير ة في القران الكريم واخبر انبيائه ولاسيما النبي الاكرم صلى الله عليه وآله باهوال الاخرة وتجسم الاعمال وانما هي اعمال الانسان ترد عليه.

---

(١) الكافي: ٢: ٨٩.

اولا: القران الكريم

أ- يقول تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي* فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾(١).

ب- ويقول تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾(٢).

ج- ويقول تعالى:﴿ إن المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر﴾(٣).

د- ويقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ *

---

(١) سورة الفجر : الاية من ٢١ الى ٢٦ .

(٢) سورة الواقعة : الاية من ٤١ الى ٥٦ .

(٣) سورة القمر : الاية ٤٧ الى ٤٨ .

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾[١].

٥- ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٢].

و- ويقول تعالى: ﴿وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]

ز- ويقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٤]

ح- ويقول تعالى: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾[٥]

ط- ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا

---

(١) سورة المدثر : الاية من ٣٨ الى ٤٩ .

(٢) سورة القلم : الاية ٤٢ الى ٤٥ .

(٣) سورة النمل: الاية ٩٠ .

(٤) سورة السجدة : الاية ٢٠ .

(٥) سورة الجاثية : الاية ٣٤ .

يَحْيَى ﴾[١]

ثانيا: رويات النبي صلى الله عليه وآله في شان عذاب الاخرة

(أ)- أبو جعفر أحمد القمي في كتاب " زهد النبي "عليهما السلام، أن جبرئيل عليه السلام جاءه عند الزوال في ساعة لم يأته فيها، وهو متغير اللون، وكان النبي صلى الله عليه وآله يسمع حسه وجرسه فلم يسمعه يومئذ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل مالك جئتني في ساعة لم تكن تجيئني فيها؟ وأرى لونك متغيرا، وكنت أسمع حسك وجرسك فلم أسمعه؟ فقال: إني جئت حين أمر الله بمنافخ النار فوضعت على النار. فقال النبي صلى الله عليه وآله: فأخبرني عن النار يا أخي جبرئيل حين خلقها الله تعالى، فقال: إنه سبحانه أوقد عليها ألف عام فاحمرت، ثم أوقدعليها ألف عام فابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام فاسودت، فهي سوداء مظلمة لا يضئ جمرها، ولا ينطفئ لهبها، والذي بعثك بالحق نبيا، لو أن مثل خرق إبرة خرج منها على أهل الأرض لاحترقوا عن آخرهم، ولو أن رجلا دخل جهنم ثم أخرج منها لهلك أهل الأرض جميعا حين ينظرون إليه لما يرون به، ولو أن ذراعا من السلسلة التي ذكرها الله في كتابه وضع على جميع جبال الدنيا لذابت عن آخرها، ولو أن بعض خزان جهنم التسعة عشر نظر إليه أهل الأرض لماتوا حين ينظرون إليه، ولو أن ثوبا من ثياب أهل جهنم أخرج إلى الأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه، فانكب النبي صلى الله عليه وآله وأطرق يبكي، وكذلك جبرئيل، فلم يزالا يبكيان حتى ناداهما ملك من السماء: يا جبرئيل ويا محمد إن الله قد أمنكما من أن تعصياه فيعذبكما»[٢].

---

(١) سورة الاعلى : الاية من ٩ الى ١٣ .

(٢) الدروع الواقية: السيد ابن طاووس:٢٧٢.

(ب)-وقال - أيضا - أبو محمد جعفر بن أحمد القمي في كتاب زهد النبي صلوات الله عليه وآله، فيما رواه عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: " ربما خوفنا رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: والذي نفس محمد بيده لو أن قطرة من الزقوم قطرت على جبال الأرض لساخت أسفل سبع أرضين ولما أطاقته، فكيف بمن هو طعامه؟! ولو أن قطرة من الغسلين أو من الصديد قطرت على جبال الأرض لساخت أسفل سبع أرضين ولما أطاقته، فكيف بمن هو شرابه؟! والذي نفسي بيده لو أن مقماعا واحدا مما ذكره الله في كتابه وضع على جبال الأرض لساخت إلى أسفل سبع أرضين ولما أطاقته، فكيف بمن يقمع به يوم القيامة في النار؟ ". وقال - أيضا - مؤلف كتاب زهد النبي صلوات الله عليه وآله قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله [وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم] بكى رسول الله صلى الله عليه وآله بكاء شديدا وبكى أصحابه، ولا يدرون ما نزل به جبرئيل عليه السلام، ولم يستطع أحد من أصحابه أن يكلمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى فاطمة فرح بها، فانطلق بعض أصحابه إلى باب فاطمة وبين يديها شيء من شعير وهي تطحن وتقول: " ما عند الله خير وأبقى ". قال: فقال: السلام عليك يا بنت رسول الله. فقالت: " وعليك السلام، ما جاء بك؟ ". قال: تركت رسول الله صلى الله عليه وآله باكيا حزينا، ولا أدري ما نزل به جبرئيل ! !. فقالت: " تنح [من] بين يدي أضم إلي ثيابي وأنطلق إلى رسول الله لعله يخبرني بما نزل به جبرئيل ". قال: فلبست فاطمة شملة من صوف خلقانا، قد خيطت باثني عشر مكانا من سعف النخل، فلما خرجت فاطمة عليها السلام نظر إليها سلمان

رضي الله عنه فوضع يده على رأسه وهو ينادي: (وا حزناه) إن قيصر وكسرى لفي السندس والحرير، وابنة محمد عليها شملة من صوف قد خيطت باثني عشر مكانا بسعف النخل. فلما دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله قالت: " يا رسول الله، إن سلمان تعجب من لباسي، فوالذي بعثك بالحق نبيا مالي ولعلي منذ خمس سنين إلا (مسك) كبش، تعلف عليه بالنهار بعيرنا، فإذا كان الليل افترشناه، وإن مرفقتنا لمن أدم حشوها ليف النخل ". قال النبي صلى الله عليه وآله: " يا سلمان، ويح ابنتي فاطمة، لعلها تكون في الخيل السوابق ". قالت: " يا رسول الله، فدتك نفسي يا أبه، ما الذي أبكاك؟ ". قال: " كيف لا أبكي وقد نزل جبرئيل بهذه الآية: [وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم] " قال فسقطت فاطمة على وجهها وهي تقول: " الويل ثم الويل لمن دخل النار ". قال: فسمع ذلك سلمان فقال: يا ليتني كنت كبشا لأهلي فأكلوا لحمي ومزقوا جلدي ولم أسمع بذكر النار. وقال عمار: يا ليتني كنت طائرا في القفار ولم يكن علي حساب ولا عذاب. ثم خرج علي عليه السلام وهو يقول: " يا ليتني لم تلدني أمي، ويا ليت السباع مزقت لحمي ولم اسمع بذكر النار " ثم وضع يده على رأسه (وجعل يبكي و) يقول: " وابعد سفراه، واقلة زاداه، في سفر القيامة يذهبون، وبين الجنة والنار يترددون، وبكلاليب النار (يتخطفون)، مرضى لا يعاد سقيمهم، وجرحى لا يداوى جريحهم، ولا يفك أسيرهم، ولا يعاد مريضهم، ولا يجار (قتيلهم) من النار يأكلون، ومن النار يشربون، وبين أطباق النيران يتقلبون ". فلقيه بلال فقال: يا أمير المؤمنين مالي أراك باكيا ؟. قال: " الويل لي ولك يا بلال إن كان مصيرنا إلى النار، ولباسنا بعد القطن والكتان نلبس من مقطعات النيران.

الويل لي ولك يا بلال إن كان معانقنا بعد الأزواج نقرن مع الشياطين في النار " ثم تفرقا »[١].

(ج)-عن النبي صلى الله عليه واله قوله تعالى: (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا): يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتا. .. فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، وأما المنكسون على رؤوسهم فآكلة الربا، والعمي الجائرون في الحكم، والصم والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم، والذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء[٢].

(د)- قال قيس بن عاصم: وفدت مع جماعة من بني تميم إلى النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ فدخلت وعنده الصلصال بن الدلهمس، فقلت: يا نبي الله، عظنا موعظة ننتفع بها، فإنا قوم نعمر في البرية. فقال رسول الله صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: (يا قيس، إن مع العز ذلا، وإن مع الحياة موتا، وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيبا، وعلى كل شيء رقيبا، وإن لكل حسنة ثوابا، ولكل سيئة عقابا، ولكل أجل كتابا، وإنه لا بد لك - يا قيس - من قرين يدفن معك وهو حي، وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريما أكرمك، وإن كان لئيما أسلمك، ثم لا يحشر إلا معك، ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه، فلا تجعله إلا

---

(١) الدروع الواقية: السيد ابن طاووس: ٢٧٦.

(٢) جامع احاديث الشيعة: السيد البروجردي: ١٦: ٣٦٦.

صالحا، فإنه إن صلح أنست به، وإن فسد لا تستوحش إلا منه، وهو فعلك.

فقال: يا نبي الله، أحب أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر، نفخر به على من يلينا من العرب، وندخره. فأمر النبيﷺ من يأتيه بحسان. قال: فأقبلت أفكر فيما أشبه هذه العظة من الشعر، فاستتب لي القول قبل مجئ حسان، فقلت: يا رسول الله، قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد. فقلت لقيس:

تخير خليطا من فعالك إنما ... قرين الفتى في القبر ما كان يفعل
ولا بد بعد الموت من أن تعده ... ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فإن كنت مشغولا بشئ فلا تكن ... بغير الذي يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته ... ومن قبله إلا الذي كان يعمل
ألا إنما الانسان ضيف لأهله ... يقيم قليلا بينهم ثم يرحل[(١)]

الامر الثاني: الحياء من الله تعالى، وهذه درجة رفيعة لا ينالها الا ذو حظ عظيم.

فقد ورد في الحديث عن النبيﷺ: «الحياء خير كله»[(٢)].

وقال النبيﷺ (الحياء والايمان كله في قرن واحد فإذا سلب أحدهما أتبعه الآخرة)[(٣)].

وفسر بعضهم قوله تعالى:(ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان

---

(١) الامالي: الشيخ الصدوق: ٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢: ١٦٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١٢: ١٦٨

ربه)

وعن الفخر الرازي ،عن زين العابدين«ع»: «كان في ذلك البيت صنم فألقت المرأة ثوبا عليه وقالت: أستحي منه. فقال يوسف: تستحي من الصنم، فأنا أحق أن أستحي من الواحد القهار »[١].

يقول الشاعر:

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء

إذا ما قال لي ربي أما استحيت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي وبالعصيان تأتيـني

والحياء[٢] من الله يتصور على جهات

١- لان الله خالق .

﴿ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[٣].

٢-ولان الله مالك .

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[٤]

---

(١) عصمة الانبياء: الفخر الرازي: ص ٥٨.

(٢) ورد عن الامام الحسين عليه السلام: « من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدلّه على الهدى أو تردّه عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشية »المصدر«الأمالي، الشيخ الصدوق، ص٤٧٤)) .

(٣) سورة الانعام : الاية ١٠٢ .

(٤) سورة فاطر : الاية ١٣ .

٣- ولان الله مربي ورازق

يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(١) .

ويقول تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢) .

ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾(٣).

٤- ولان الله مطلع على العالم جميعا لا تخفى عليه خافية

يقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾(٤)

ويقول تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٥)

ويقول تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٦) .

٥- ولان الله نهى عن المعصية

---

(١) سورة غافر : الاية ٦٤ .

(٢) سورة النحل : الاية ١٨ .

(٣) سورة لقمان : الاية ٢٠ .

(٤) سورة العلق : الاية ١٤ .

(٥) سورة التوبة : الاية ١٠٥ .

(٦) سورة الحديد : الاية ٤ .

يقول تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

والى هذه المعاني اشار الامام الحسين عليه السلام «عندما جاءه رجل وقال: أنا رجل عاص ولا أصبر عن المعصية فعظني بموعظة فقال عليه السلام: افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت، فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعا لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاء ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفسك وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت»[(٢)].

المطلب الخامس: تقسيم اخر للصبر ذكره صاحب منازل السائرين

«الصبرلله تعالى، والصبر بالله، والصبر على الله»[(٣)].

ونشرح ذلك

١- الصبر لله: وهو صبر العبد وثباته في طريق السلوك والمجاهدة وابتغاء وجه الله تعالى في هذا الصبر

٢- الصبر بالله: وهو ان يعتقد السالك ان الصبر لا يكون الا بالله

(١) سورة الاعراف : ٣٣.

(٢) وسائل الشيعة: ١٢: ٢٩٦.

(٣) شرح منازل السائرين: ص٢٠٢.

يقول تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾[(١)].

ولذا لابد ان يبرء من حوله وقوته ويتمسك بحول الله وقوته:« لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »[(٢)].

٣- الصبر على الله: وهو السكون تحت جريان الأقدار وشهودها من الأنعام، ومن حسن تدبير الأقسام.

قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[(٤)].

وهناك صبران اخران ذكرهم الامام الخميني«قدس»

١- صبر مع الله تعالى: وهو لأهل الحضور ومشاهدي الجمال حين الخروج من جلباب الإنسانية، والتجرد عن ملابس الأفعال والصفات ولدى تجلي القلب بتجليات الأسماء والصفات، وتوارد واردات الأُنس والهيبة، وحفظ النفس من التلّونات، والغياب عن مقام الأنس والشهود.

٢- (الصَبْرُ عَنِ اللهِ) وهو من درجات العشاق والمشتاقين من أهل الشهود والعيان عندما يعودون إلى عالَمِهم ويرجعون إلى عالم الكثرات والصحو »[(٥)].

وهذا من أصعب مراتب الصبر وأقسى المقامات. وقد أشار إلى هذه

---

(١) سورة النحل : الاية ١٢٧ .

(٢) المحاسن : ١ : ٩ .

(٣) سورة المدثر : الاية ٧ .

(٤) سورة الطور : الاية ٤٨ .

(٥) الاربعون حديثا: الامام الخميني: ص٢٥٢.

المرتبة مولى السالكين وإمام الكُملين أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء الشريف الموسوم بدعاء كميل: «فَهبني يَا إلهي وَسَيِّدي وَمَوْلاَيَ صَبَرْتُ عَلَى عَذَابِك فَكَيْفَ أصْبِرُ عَلَى فِرَاقِكَ»[١].

وَرُوِيَ أَنَّ شَابّاً مِنَ الُمحِبّينَ سَأَلَ الشِّبْلي عَنِ الصَّبْرِ فَقَالَ: أيُّ الصَّبْرِ أَشَدُّ؟ فَقَالَ: الصَّبْرُ للهِ. فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: الصَّبْرُ باللهِ. فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: الصَّبْرُ عَلَى اللهِ. فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: الصَّبْرُ فِي اللهِ. فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: الصَّبْرُ مَعَ اللهِ. فَقَالَ: لاَ. فَقَالَ: وَيْحَكَ فَأَيُّ؟ فَقَالَ: الصَّبْرُ عَنِ اللهِ فَشَهِقَ الشِّبْلِي وَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْه[٢].

صابر الصبر فاستغاث به الصبر   فصاح المحب بالصبر، صبرا الخوف

---

(١) إقبال الأعمال:السيد ابن طاووس: ٣: ٣٣٥.

(٢) شرح منازل السائرين: ٢٠٣.

الباب الخامس

الخوف

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الخوف لغة واصطلاحا

(أ)الخوف لغة: يقول ابن منظور في مادة (خوف) الخَوْفُ الفَزَعُ خافَه يخافُه خَوْفاً وخِيفةً ومَخافةً[١].

وفي مختار الصحاح (خ وف) خَافَ يَخَاف خَوْفاً وخِيفَة ومَخَافة فهو خَائف وقَوْمٌ خُوَّفٌ على الأَصل وخُيَّفٌ على اللفظ والأمر منه خَفْ بفتح الخاء. والخِيفَة الخَوْف. والإِخَافَة التَّخْوِيف يقال وجَعٌ مُخِيفٌ أي يُخِيف مَن رآه وطريق مَخُوف لأنّه لا يُخِيف وإنما يُخِيف فيه قاطِعُ الطَّريق. وتَخَوَّفْتُ عليه الشَّيءَ أي خِفْت. وتَخَوَّفَه أي تَنَقَّصه. ومنه قوله تعالى (أو يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّف)[٢].

(ب) الخوف اصطلاحا: عدم الامن تصديقا بالوعيد.

وذكر الراغب في مفرداته تعريفا للخوف: توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة، ثم يقول والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من

---

(١) لسان العرب: ٩: ٩٩.

(٢) مختار الصحاح: محمد عبدالقادر: ١٠٧.

الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا[(١)].

قال رسول الله ﷺ وسلم: لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم سمينا[(٢)].

وفي هذا الحديث إعلام أن البهائم لو كان لها عقل لكانت أفضل من الناس، وذلك لانها ليست بمكلفة، ولو علمت بالموت لم تأكل ولم تشرب فكانت تهزل وابن آدم يأكل ويشرب ويعلم أنه غدا ميت وسوف يلاقي الاهوال العظيمة، كما اخبر سبحانه وتعالى: (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [(٣)].

المطلب الثاني: وجوب الخوف من الله تعالى

أولاً: القران

١-يقول تعالى:﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[(٤)].

٢- ويقول تعالى:﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ

---

(١) مختار الصحاح: محمد عبدالقادر: ص ١٠٧.

(٢) الدعوات: ص٢٣٦.

(٣) سورة سورة الحج: الاية ٢

(٤) سورة البقرة : الاية ١٥٠ .

وَاخْشَوْنِ﴾[١].

٣- ويقول تعالى: ﴿فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾[٢].

٤- ويقول تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[٣].

٥- ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٤].

ثانيا: الروايات

١- عن الامام علي عليه السلام (خف الله خوف من شغل بالفكر قلبه فإن الخوف مظنة [مطية] الأمن وسجن النفس عن المعاصي)[٥].

٢- وكذلك عن علي عليه السلام: (خف الله يؤمنك ولا تأمنه فيعذبك)[٦]

٣- قيل لابي عبدالله عليه السلام: ماكان في وصية لقمان فقال كان فيها الاعاجيب وكان اعجب مافيها ان قال لابنه، خف الله خيفة لوجئته ببر الثقلين لعذبك وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك ثم قال ابوعبدالله "ع" كان ابي يقول انه ليس من عبد مؤمن إلاوفي قلبه نوران نور رجاء ونور خوف لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا[٧].

---

(١) سورة المائدة : الاية ٣ .

(٢) سورة المائدة :الاية٤٤ .

(٣) سورة البقرة :الاية٤٠ .

(٤) سورة آل عمران : الاية١٧٥ .

(٥) مستدرك الوسائل: ١١: ٢٣٦.

(٦) مستدرك الوسائل: ١١: ٢٣٦.

(٧) وسائل الشيعة: ١٥: ٢١٦.

٤- عن أحمد، عن الفضيل بن يسار، قال سمعت أبا جعفرعليه السلام يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد حاجة، فإذا هو بالفضل بن العباس. قال فقال احملوا هذا الغلام خلفي. قال فاعتنق رسول الله صلى الله عليه وآله بيده من خلفه على الغلام، ثم قال يا غلام، خف الله تجده أمامك، يا غلام خف الله يكفك ما سواه[1].

٥-عن الصادقعليه السلام « خف الله كانك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنّه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنّه يراك ثم استترت من المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها فقد جعلته في حد أهون الناظرين إليك »[2].

٦- وقالعليه السلام: «خف الله تعالى لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك»[3].

المطلب الثالث: تقسيم الخوف من الله

(أ) الخوف من عقاب الله تعالى: يعني الابتعاد عن معاصي الله تعالى تصديقا بوعيده سبحانه وتعالى.

أولاً: القران الكريم

(أ) قال تعالى:﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[4]

(ب) قال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[1]

---

(١) بحار الانوار: ١٦: ٢٨٩.

(٢) الكافي: ٢: ٦٨.

(٣) بحار الانوار: ٦٨: ٣٣٧.

(٤) سورة الإنسان :الاية ٧ .

(ج) قال تعالى:﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢] .

(د)قال تعالى: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[٣] .

(هـ)وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾[٤].

(ز) قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٥]

ثانيا: الروايات الواردة في هذا المجال

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ترك معصية من مخافة الله عز وجل أرضاه الله يوم القيامة[٦].

٢- وعن علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) [قال:] إن رجلا ركب البحر بأهله فكسر بهم، فلم ينج ممن كان في السفينة إلا امرأة الرجل، فإنها

---

(١) سورة الإنسان : الاية ١٠ .

(٢) سورة الزمر : الاية ١٣ .

(٣) سورة المائدة : الاية ٢٨ .

(٤) سورة هود : الاية ٦٣ .

(٥) سورة يونس : الاية ١٥ .

(٦) بحار الأنوار: ٦٧: ٣٩٨.

نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أم جنية؟ فقالت: إنسية فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله، فلما أن هم بها اضطربت، فقال لها: مالك تضطربين؟ فقالت: ‹ أفرق من هذا - وأومأت بيدها إلى السماء - قال: فصنعت من هذا شيئا؟ قالت: لا وعزته، قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئا وإنما أستكرهك استكراها فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك قال: فقام ولم يحدث شيئا ورجع إلى أهله وليست له همة إلا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظلنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئا، قال: فأدعو أنا وتؤمن أنت؟ قال نعم فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها مليا من النهار ثم تفرقت الجادة جادتين فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحابة مع الشاب، فقال: الراهب أنت خير مني، لك استجيب ولم يستجب لي فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل[(١)].

٣- وعن نوادر علي بن أسباط: عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عابد من بني إسرائيل فطرقته امرأة بالليل فقالت له:

---

(١) الكافي: ٢: ٦٩.

أضفني فقال: امرأة مع رجل لا يستقيم قالت: إني أخاف أن يأكلني السبع فتأثم، فخرج وأدخلها قال والقنديل بيده فذهب يصعد به فقالت له أدخلتني من النور إلى الظلمة، قال فرد القنديل فما لبث أن جاءته الشهوة فلما خشي على نفسه قرب خنصره إلى النار فلم يزل كلما جاءته الشهوة أدخل أصبعه النار حتى أحرق خمس أصابع فلما أصبح قال: أخرجي فبئست الضيفة كنت لي[١].

٤- وعن الباقر عليه السلام قال: «خرجت إمرأة بغيّ على شباب من بني إسرائيل فأفتنتهم، فقال بعضهم: لو كان العابد فلان رآها أفتنته!. وسمعت مقالتهم، فقالت: واللّه لا أنصرف الى منزلي، حتى أفتنه. فمضت نحوه بالليل فدقت عليه، فقالت: آوي عندك؟ فأبى عليها فقالت: إن بعض شباب بني اسرائيل راودوني عن نفسي، فإن أدخلتني والا لحقوني، وفضحوني، فلما سمع مقالتها فتح لها، فلمّا دخلت عليه رمت بثيابها، فلما رأى جمالها وهيئتها وقعت في نفسه، فضرب يده عليها، ثم رجعت اليه نفسه، وقد كان يوقد تحت قدر له، فأقبل حتى وضع يده على النار فقالت: أي شيء تصنع؟ فقال: أحرقها لأنها عملت العمل، فخرجت حتى أتت جماعة بني إسرائيل فقالت: الحقوا فلاناً فقد وضع يده على النار، فأقبلوا فلحقوه وقد احترقت يده»[٢].

(ب) الخوف من مقام الله تعالى: يعني الخوف من جبروت الله تعالى وعظمته سبحانه وتعالى.

القران الكريم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٧: ٤٠١.

(٢)بحار الأنوار: ١١: ٢٣٦.

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[١]. وهؤلاء هم الذين عرفوا عظمة الله تعالى وانه قائم على كل نفس وانه محيط بكل شيء ومتصرف في كل الامور وهو اقرب اليهم من حبل الوريد، اهل الاخلاص الخاضعون لجلاله تعالى العابدون له لأنه الله عز اسمه لا خوفا من عقابه ولا طمعا في ثوابه.

يُحْرَقُ بالنار من يحس بها فمن هو بالنار كيف يحترق

والدليل على ان المراد من الخوف هنا في الاية الخوف من عظمة الله تعالى لا من عقابه.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[٢].

ففرق بين خوف المقام وخوف الوعيد فخوف المقام ارقى من خوف الوعيد وكذلك وصف الله ملائكته بانهم خائفون مع انهم امنون من العقاب باعتبارهم معصومون عن المعصية وما ذلك الا لخوف المقام.

قال تعالى:﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٣].

٢- قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[٤]. الخشية تحصل لهم بسبب الاستشعار بعظمة الله وهيبته والوقوف على قصورهم عن أداء حق العبودية فهو خوف خاص.

---

(١) سورة الرحمن : الاية ٤٦ .

(٢) سورة ابراهيم : الاية ١٤ .

(٣) سورة النحل : الاية ٥٠ .

(٤)سورة فاطر : الاية ٢٨ .

٣- ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

الروايات

١- قال النبي صلى الله عليه وآله: «اعلمكم بالله اخوفكم لله »[٢].

٢- وكذلك يقول النبي صلى الله عليه وآله: «انا اخشاكم لله واتقاكم لله»[٣].

٣- ويقول الامام علي عليه السلام: «سبحانك اللهم وبحمدك من ذا يعرف قدرك فلا يخافك ومن ذا يعلم ما انت فلا يهابك»[٤].

فالذي يعرف قدر الله يخاف ويهاب الله تعالى،وهذا بخلاف من لا يعرف الله تعالى ،فانه يتجرأ على معاصيه وسخطه.

٤- ويقول السجاد عليه السلام في دعاء التوبة: «ويا من هو منتهى خوف العابدين،ويا من هو غاية خشية المتقين »[٥].

٥- يقول الامام الصادق عليه السلام:« من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[٦].

(ج) الخوف من مكر وخذلان الله تعالى:

ينبغي للعبد ان يخاف مكر الله تعالى فانه لا يامن مكر الله الا القوم

---

(١) سورة السجدة : الاية ١٦ .

(٢) تفسير مجمع البيان: ٨: ٢٤٢.

(٣) الاصابة: ابن حجر: ١: ٤٢.

(٤) بحار الانوار: ٨٤: ٣٤١.

(٥) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٥٢ .

(٦) الكافي: ٢: ٦٨.

الخاسرون.

ولذا العبد عليه ان لا يغتر بشيء اعطي له من العلم والكرامات وغير ذلك فلعل ذلك اختبار له يسقطه من عين الله تعالى كما حصل، لبلعم ابن باعورة، وكان عنده الاسم الاعظم كما في هذا الحديث، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم، وكان يدعو به فيستجيب له، فمال إلى فرعون، فلما مر فرعون في طلب موسى وأصحابه قال فرعون، لبلعم: ادع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمر في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته، فأقبل يضربها فأنطقها الله عز وجل فقالت: ويلك على ماذا تضربني؟ أتريد أن أجئ معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها[1].

ولذلك سلخ الله الاسم الاعظم منه، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وقال المولى ابو عبدالله الحسين عليه السلام في اجمل تعبير بليغ في دعاء عرفة «الهى ان اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون الى عطاء واليأس منك في بلاء الهى منى ما يليق بلومي

(١) بحار الأنوار: ١٣: ٣٧٧ ، ٣٧٨.

(٢) سورة الاعراف : الاية ١٧٦ .

ومنك ما يليق بكرمك»[١].

ويقول الشاعر:

احسنت ظنك بالايام إذا حسنت ... ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها ... وعند صفو الليالى يحدث الكدر

(د) خوف الاحتجاب:

وهو ان العبد في هذا المقام يخشى ويخاف من الاحتجاب من قبل الله تعالى.

قال الامام علي بن الحسين عليه السلام في مناجاة الخائقين: «إلهي لا تغلق على موحديك أبواب رحمتك، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك. الهي نفس أعززتها بتوحيدك كيف تذلها بمهانة هجرانك»[٢].

(هـ) الخوف من عدم قبول العمل:

العباد الصالحون لايطمئنون ولا يبتهجون بأكبر عمل مهما زكا وسما، بل وينجزون الأعمال الصالحة التي تعادل عبادة الثقلين. ومع كل هذا يقولون: آه من قلة الزاد وبعد السفر.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ* وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٥.

(٢) الصحيفة السجادية: ص٤٠٥.

(٣) سورة المؤمنون : الاية من ٥٧ الى ٦١ .

وهذه الاية تشير الى عدة امور.

١- الاشفاق، وهو الخشية من الله تعالى.

٢- التصديق بايات الله تعالى وهذا دليل المعرفة بالله تعالى .

٣- نفي الشرك الخفي عنهم ومعنى ذلك انهم ياتون بالعمل خالصا لوجه تعالى.

٤- ان هؤلاء قلوبهم وجلة ان لا يقبل العمل منهم.

وسألت عائشة رسول الله ﷺ فقالت: (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟ فقال عليه الصلاة والسلام: " لا، ولكن هو الرجل يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى"(١).

ويقول الامام زين العابدين في مناجاة الخائفين: «إلهي أتراك بعد الإيمان بك تعذبني؟ أم بعد حبي إياك تبعدني؟ أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني؟ أم مع استجارتي بعفوك تسلمني؟ ! إلهي هل تسود وجوها خرت ساجدة لعظمتك؟ أو تخرس ألسنة نطقت بالثناء على مجدك وجلالتك؟ ! أو تطبع على قلوب انطوت على محبتك؟ أو تصم أسماعا تلذذت بسماع ذكرك في إرادتك؟ أو تغل أكفا رفعتها الآمال إليك رجاء رأفتك؟ أو تعاقب أبدانا عملت بطاعتك حتى نحلت في مجاهدتك؟ ! أو تعذب أرجلا سعت في عبادتك(٢).

---

(١) تفسير الرازي: الرازي: ٢٣: ١٠٧.

(٢) الصحيفة السجادية: ٤٠٤، ٤٠٥.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: صلى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق، فلما انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله، ثم قال: أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وإنهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا، بين أعينهم كركب المعزى، يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين أقدامهم وجباههم، يناجون ربهم ويسألونه فكاك رقابهم من النار، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون، مشفقون»[(١)].

إذا ما الليل أظلم كابدوه   فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا   وأهل الأمن في الدنيا هجوع[(٢)]

عن طاووس اليماني قال: رأيت في جوف الليل رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول:

ألا أيها المأمول في كل حاجة   شكوت إليك الضر فاسمع شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي   فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل ما أراه مبلغي   أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي
أتيت بأعمال قباح ردية   فما في الورى خلق جنى كجنايتي
أتحرقني في النار يا غاية المنى   فأين رجائي منك أين مخافتي ؟

قال: فتأملته فإذا هو علي بن الحسين عليهما السلام، فقلت: يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع وأنت ابن رسول الله ! ولك أربع خصال: رحمة الله، وشفاعة جدك رسول الله، وأنت ابنه، وأنت طفل صغير. فقال له: " يا طاووس، إنني نظرت

---

(١) الكافي: ٢: ٢٣٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: ١٩: ١٨١.

في كتاب الله فلم أر لي من ذلك شيئا، فإن الله تعالى

يقول:﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[١].

وأما كوني ابن رسول الله، فإن الله تعالى

يقول:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾[٢].

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾[٤]

وأما كوني طفلا، فإني رأيت الحطب الكبار لا يشتعل إلا بالصغار ″ ثم بكى عليه السلام حتى غشي عليه »[٥].

---

(١) الأنبياء٢٨

(٢) المؤمنون١٠١

(٣) المؤمنون١٠٢،

(٤) المؤمنون١٠٣

(٥) الصحيفة السجادية: ٥١٤.

الباب السادس

التقوى

وفيه مطالب:

المطلب الاول: التقوى لغة واصطلاحا

(أ) التقوى لغة:

وقى: الوقاية حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره، يقال وقيت الشئ أقيه وقاية ووقاء، قال: (فوقاهم الله - ووقاهم عذاب السعير - وما لهم من الله من واق - مالك من الله من ولى ولا واق - قوا أنفسكم وأهليكم نارا) والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، هذا تحقيقه، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روى: " الحلال بين، والحرام بين، ومن رتع حول الحمى فحقيق أن يقع فيه"[١].

(ب)التقوى اصطلاحا:

وعند أهل الحقيقة:

١- هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك.

---

(١) مفردات غريب القرآن: ٥٣٠، ٥٣١.

٢-والتقوى في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر.

٣-وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى.

٤-وقيل: المحافظة على آداب الشريعة.

٤-وقيل: مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى.

٥-وقيل: ترك حظوظ النفس ومباينة النهى.

٦-وقيل: ألا ترى نفسك خيراً من أحد.

٧-وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم، هو الذي اتقي متابعة الهوى.

٨- وقيل: الاهتداء بالنبيﷺ قولاً وفعلاً[١].

المطلب الثاني: مراتب التقوى

قال السيّد حيدر الآملي في تفسيره (المحيط الاعظم): «اعلم أنّ للتقوى مراتب ومدارج، وفيها أقوال بحسب الظاهر والباطن.

قول اهل الظاهر: أمّا قول أهل الظاهر فالتقوى عندهم: عبارة عن الاجتناب عن محارم الله تعالى، والقيام بما أوجبه عليهم من التكاليف الشرعية، والمتّقي هو الذي يتّقي بصالح عمله عذاب الله، وهو مأخوذ من اتّقاء المكروه بما يجعله حاجزاً بينه وبينه، كما يقال: اتّقى السهم بالترس، أي جعله حاجزاً بينه وبين السهم.

قول اهل الباطن: وأمّا قول أهل الباطن، فالتقوى عندهم: عبارة عن

---

(١) كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني: ٥٢.

الاجتناب المذكور مع ما أحلّ الله تعالى عليهم من طيّبات الدنيا ولذّاتها، على حسب طبقاتها ومراتبها إلاّ بقدر الضرورة فضلاً عن الاجتناب عن محارمه»[١].

المطلب الثالث: مراتب التقوى من المفاهيم المشككة[٢]

التقوى لها مراتب مشككة كما تشير الى ذلك الايات المباركة في القران. وليس هناك مرتبة واحدة في التقوى، وهذا يرجع الى التفاوت في القابليات عند الناس.

الاية الاولى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٣].

وهذه الاية واضحة الدلالة ان التقوى من المفاهيم المشككة، باعتبار أن الاستطاعة تختلف باختلاف قوى الأشخاص وأفهامهم وهممهم في طريق التقوى.

الاية الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[٤].

وهذه الاية المباركة تشير الى المرتبة العليا من التقوى وهي حق التقوى يقول الطباطبائي: «و لا ريب أن حق التقوى ليس في وسع كثير من الناس، فإن في هذا المسير الباطني مواقف ومعاهد ومخاطر لا يعقلها إلا

---

(١) انظر التقوى في القران: للسيد كمال الحيدري: ٢٨.

(٢) المفهوم المشكك: التفاوت بين الافراد مع بقاء وحدة المفهوم عليها.مثلا العدد، عدد الألف أكثر من عدد المائة وكل منهما عدد، وكذلك الوجود. وجود الخالق أولى من وجود المخلوق، ووجود العلة متقدم على وجود المعلول بنفس وجوده لا بشئ آخر، وكل منهما وجود.

(٣) سورة التغابن : الاية ١٦ .

(٤) سورة آل عمران : الاية ١٠٢ .

العالمون، ودقائق ولطائف لا يتنبه لها إلا المخلصون،»[١].

المطلب الرابع: كيفية الوصول الى التقوى

أولاً: الصيام

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢].

إن الذي أوجبه الله تعالى على المؤمنين هو الصيام وليس الصوم، والفرق كبير جداً، فالصوم هو المصدر، والمصدر يعني الحدث نفسه لا غير،أما الصيام فهو اسم مصدر، واسم المصدر يعني نتيجة الحدث لا الحدث نفسه. ونتيجة الحدث هو التقوى والصيام يؤدي الى التقوى لان الصيام له فوائد عظيمة لا يمكن عدها واليك بعضها

اولا: الجوع: وقد ذكرنا فوائد الجوع سابقا

ثانيا: الصبر:

ثالثا: قوة الارادة والعزم:

رابعا: الصفاء القلبي:

خامسا: تطهير البدن:

وهذه الفوائد ذكرها النبيصلى الله عليه وآله في الرواية المنسوبة اليه عن الامام الصادقعليه السلام،قال الصادقعليه السلام: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال تعالى: الصوم لي وانا اجزى به، والصوم يميت مراد النفس، وشهوة الطمع، وفيه صفاء القلب، وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والاحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وحبل

---

(١) تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: ٣: ٣٦٧.

(٢) سورة البقرة : الاية ١٨٣ .

الالتجاء الى الله تعالى، وسبب انكسار الهمة، وتخفيف السيئات وتضعيف الحسنات وفيه من الفوائد ما لا يحصى »[١].

ثانيا: المشارطة والمراقبة والمحاسبة

يقول الامام روح الله الخميني (قدس)، من الأمور الضرورية للمجاهد: «المشارطة والمراقبة والمحاسبة».

«فالمشارط» هو الذي يشارط نفسه في أول يومه على أن لا يرتكب اليوم أي عمل يخالف أوامر الله، ويتخذ قرارا بذلك ويعزم عليه. وواضح أن ترك ما يألف أوامر الله، ليوم واحد، أمر يسير للغاية، ويمكن للإنسان بكل سهولة أن يلتزم به. فاعزم وشارط وجرب، وأنظر كيف أن الأمر سهل يسير.

ومن الممكن أن يصور لك إبليس اللعين وجنده أن الأمر صعب وعسير. فادرك أن هذه هي من تلبيسات هذا اللعين، فالعنه قلباً وواقعاً، وأخرج الأوهام الباطلة من قلبك، وجرب ليوم واحد، فعند ذلك ستصدق هذا الأمر.

«المراقبة»، وكيفيتها هي أن تنتبه طوال مدة المشارطة إلى عملك، فتعتبر نفسك ملزماً بالعمل وفق ما شارطت. وإذا حصل ـ لا سمح الله ـ حديث لنفسك بأن ترتكب عملاً مخالفاً لأمر الله، فاعلم أن ذلك من عمل الشيطان وجنده، فهم يريدونك أن تتراجع عمَّا اشترطته على نفسك، فالعنهم واستعذ بالله من شرهم، واخرج تلك الوساوس الباطلة من قلبك، وقل للشيطان: «إني اشترطت على نفسي أن لا أقوم في هذا اليوم ـ وهو يوم

---

(١) مصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ١٣٥، ١٣٧.

واحد ـ بأ ي عمل يخالف أمر الله تعالى، وهو ولي نعمتي طول عمري، فقد أنعم وتلطّف عليَّ بالصحة والسلامة والأمن وألطاف أخرى، ولو أني بقيت في خدمته إلى الأبد لما أديت حق واحدة منها، وعليه فليس من اللائق أن لا أفي بشرط بسيط كهذا»، وآمل ـ إن شاء الله ـ أن ينصرف الشيطان، ويبتعد عنك، وينتصر جنود الرحمن.

والمراقبة لا تتعارض مع أي من أعمالك كالكسب والسفر والدراسة، فكن على هذه الحال إلى الليل ريثما يحين وقت المحاسبة.

«المحاسبة» فهي أن تحاسب نفسك لترى هل أدّيت ما اشترطت على نفسك مع الله، ولم تخن ولي نعمتك في هذه المعاملة الجزئية؟ إذا كنت قد وفيت حقاً فاشكر الله على هذا التوفيق، وإن شاء الله ييسر لك سبحانه التقدم في أمور دنياك وآخرتك، وسيكون عمل الغد أيسر عليك من سابقه، فواظب على هذا العمل فترة، والمأمول أن يتحول إلى ملكة فيك بحيث يصبح هذا العمل بالنسبة إليك سهلا ويسيراً للغاية، وستحسُّ عندها باللذة والأنس في طاعة الله تعالى وترك معاصيه، وفي هذا العالم بالذات، في حين أن هذا العالم ليس هو عالم الجزاء لكن الجزاء الإلهي يؤثر ويجعلك مستمتعاً وملتذاً ـ بطاعتك لله وابتعادك عن المعصية.

وأعلم أن الله لم يكلفك ما يشق عليك به، ولم يفرض عليك ما لا طاقة لك به ولا قدرة لك عليه، لكن الشيطان وجنده يصورون لك الأمر وكأنه شاق وصعب.

وإذا حدث ـ لا سمح الله ـ في أثناء المحاسبة تهاوناً وفتوراً تجاه ما اشترطت على نفسك، فاستغفر الله وأطلب العفو منه، وأعزم على الوفاء بكل

شجاعة بالمشارطة غداً، وكن على هذا الحال كي يفتح الله تعالى أمامك أبواب التوفيق والسعادة، ويوصلك إلى الصراط المستقيم للإنسانية »[١]

المطلب الخامس: اثر التقوى على الانسان

(أ) الاثار الدنيوية:

١–معية الله تعالى للعبد المتقي:

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢]

٢–حب الله تعالى للمتقين

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٣]

٣–التقوى شرط لقبول العمل

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

٤–الله تعالى يتولى المتقين

قال تعالى:﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٥].

٥–عدم ضياع الاجر للمتقي

---

(١) الاربعون حديث: الامام الخميني:٢٦ .

(٢) سورة البقرة : الاية ١٩٤ .

(٣) سورة آل عمران : الاية ٧٦ .

(٤) سورة المائدة : الاية ٢٧ .

(٥) سورة الجاثية : الاية ١٩ .

يقول تعالى: ﴿قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

٦- التقوى سبب لتكفير السيئات

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾(٢).

٧- التقوى سبب لتيسير الامور

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾(٣).

٨- التقوى سبب للخروج من المصائب

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾(٤).

٨-التقوى سبب لمعرفة الحق والتمييز بين الحق والباطل

يقول تعالى: ﴿يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾(٥).

١٠-التقوى سبب لافاضة العلم والمعرفة

يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٦).

١١- التقوى سبب للرزق الحلال

يقول تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث

---

(١) سورة يوسف : الاية ٩٠ .

(٢) سورة الطلاق : الاية ٥ .

(٣) سورة الطلاق ك الاية ٤ .

(٤) سورة الطلاق : الاية ٢ .

(٥) سورة الانفال : الاية ٢٩ .

(٦) سورة البقرة : الاية ٢٨٢ .

لايحتسب﴾[١].

(ب) الاثار الاخروية وهو الحصول على الجنان والراحة الابديه

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللّهُ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[٨].

---

(١) سورة الطلاق : الاية ٣ .

(٢) سورة الحجر : الاية ٤٥ .

(٣) سورة النحل : الاية ٣٠ .

(٤) سورة النحل : الاية ٣١ .

(٥) سورة مريم : الاية ٨٥ .

(٦) سورة مريم : الاية ٩٧ .

(٧) سورة الزخرف : الاية ٦٧ .

(٨) سورة الدخان : الاية ٥١ .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾[(٤)].

وقال تعالى:﴿وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[(٥)].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٦)].

المطلب السادس: الصفات الذاتية للمتقين

أولاً: القران الكريم

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[(٧)].

---

(١) سورة الذاريات : الاية ١٥ .

(٢) سورة المرسلات : الاية ٤١ .

(٣) سورة الطور : الاية ١٧ .

(٤) سورة القمر : الاية ٥٤ .

(٥) سورة الاعراف : الاية١٦٩ .

(٦) سورة القصص : الاية ٨٣ .

(٧) سورة البقرة : الاية ١٧٧ .

ثانيا: نهج البلاغة

تعرض امير المؤمنين عليه السلام الى صفات المتقين بشكل مفصل والذي لم يتحملها همام ونحن نتعرض الى بعض هذه الصفات»[١].

الصفة الاولى: الشوق الى لقاء الله تعالى

يقول المولى علي عليه السلام: «لولا الأجل الّذى كتب اللّه لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب»

وهذا الكلمات التي قالها سيد العارفين إشارة إلى غاية نفرة المتقين عن الدّنيا وفرط رغبتهم إلى الآخرة لما عرفوا من عظمة وعده ووعيده، يعني أنّهم بكليّتهم متوجّهون إلى العقبى مشتاقون إلى الانتقال إليها شدّة الاشتياق، لا مانع لهم من الانتقال إلاّ الآجال المكتوبة وعدم بلوغها غايتها .

عن أبي حمزة قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: « من عرف اللّه خاف اللّه ومن خاف اللّه سخت نفسه عن الدّنيا» [٢].

الصفة الثانية: تعظيم الخالق

يقول علي عليه السلام: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»

١- في السّير: «انّ ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السّدّ انطلق على وجهه فبينا يسير هو وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلّي فوقف عليه بجنوده حتّى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من جنودي، قال: كنت أناجي من هو أكثر منك جنودا وأعزّ سلطانا وأشدّ قوّة

---

(١) انظر نهج البلاغة: شرح محمد عبده: ٢: ١٦١.

(٢) الكافي: ٢: ٦٨.

ولو صرفت وجهي اليك لا أدرك حاجتي قبله، فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي واستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم، ان ضمنت لي أربع خصال، نعيما لا يزول، وصحّة لا سقم فيها، وشبابا لا هرم فيه، وحياة لا موت فيها، فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال، فقال الشّيخ: فانّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك »(١).

٢- و في الخبر: «أنّ عبد الملك كان يطوف بالبيت وعليّ بن الحسين عليه السلام يطوف بين يديه ولا يلتفت اليه ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه، فقال: من هذا الّذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت الينا فقيل هذا عليّ بن الحسين عليهما السلام فجلس مكانه وقال: ردّوه إليّ فردّوه فقال له: انّي لست قاتل أبيك فما يمنعك من المصير إليّ؟ فقال عليه السلام: انّ قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فان أحببت أن تكون مثله فكن، فقال: كلاّ، ولكن صر إلينا لتنال من دنيانا، فجلس وبسط رداءه وقال: اللّهمّ أره حرمة أوليائك عندك. فاذا رداؤه مملوّا درّا يكاد شعاعها يخطف الأبصار وقال له: من يكون هذا حرمته عند ربّه يحتاج الى دنياك؟ ثمّ قال: اللّهمّ خذها فلا حاجة لي فيها »(٢).

الصفة الثالثة: رؤية الجنة والنار بعين البصيرة

يقول علي عليه السلام: «فهم والجنّة كمن قد رآها، فهم فيها منعّمون، وهم والنّاركمن قد رآها فهم فيها معذبون»

---

(١) الأمالي: الشيخ الصدوق: ٢٦٣.

(٢) الصحيفة السجادية: ٦٠٤.

عن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:« إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرا لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه بالايمان، ثم قال له: الزم ما أنت عليه، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن ارزق الشهادة معك، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر »[(١)].

الصفة الرابعة : الحزن الدائم

«قلوبهم محزونة» لما غلب عليهم من الخوف .

الصفة الخامسة : لا يصدر الشر منهم ابدا

«شرورهم مأمونة»: لأنّ مبدء الشرور والمفاسد كلّها ورأس كلّ خطيئة هو حبّ الدّنيا، والمتّقون زاهدون فيها معرضون عنها مجانبون عن شرّها وفسادها .

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٢: ٥٣.

الصفة السادسة: اصحاب الاجساد النحيفة «أجسادهم نحيفة»

لاتعاب أنفسهم بالصيام والقيام وقناعتهم بالقدرالضروري من الطعام .

عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام ان فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام لمّا نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين عليه السلام بنفسه من الدأب في العبادة أتت جابر الأنصاري فقالت له: يا صاحب رسول اللّه ان لنا عليكم حقوقا ومنها إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهادا ان تذكروه اللّه وتدعوه إلى البقيا على نفسه وهذا علي بن الحسين عليه السلام بقية أخي الحسين عليه السلام قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه دأبا منه لنفسه في العبادة ،فأتاه عليه السلام جابر فوجده في محرابه قد انضته العبادة، فقال له: يا ابن رسول اللّه أما علمت ان اللّه تعالى خلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم وخلق النار لمن عاداكم، وأبغضكم فما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك فقال عليه السلام له يا صاحب رسول اللّه أما علمت ان جدّي النبي صلى الله عليه وآله قد غفر اللّه ما تقدّم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهاد بأبي هو وأمي حتى ورم قدمه وانتفخ ساقه وقيل له تفعل هذا وقد غفر اللّه لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر فقال أفلا أكون عبدا شكورا؟ فلمّا رأى جابر لا يغني قوله قال له يا ابن رسول اللّه البقيا على نفسك فانّك من اسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف اللاواء وبهم يستمطر السماء فقال له يا جابر لا أزال على منهاج أبوي محمّد وعليّ صلى الله عليه وآله مؤتسيا بهما حتى ألقاهما »[١].

(١) الامالي: الشيخ الطوسي: ٦٣٦.

الصفة السابعة: واصحاب الحاجات الخفيفة

(حاجاتهم خفيفة) لاقتصارهم من حوائج الدّنيا على ضروريّاتها وعدم طلبهم منها أكثر من البلاغ.

الصفة الثامنة: انفسهم عفيفة

(أنفسهم عفيفة) أى مصونة عن المحرّمات لكسرهم سورة القوّة الشهويّة.

عن منصور بن حازم عن أبي جعفرعليه السلام قال: ما من عبادة أفضل عند اللّه من عفّة فرج وبطن[١].

الصفة التاسعة: اختاروا الصبر في الدنيا لراحة الاخرة

«صبروا أياما قصيرة أعقبتهم» تلك الأيّام القصيرة راحة طويلة، يعنى أنهم صبروا فى دار الدّنيا على طوارق المصائب وعلى مشاق الطاعات وعن لذّات المعاصى بل احتملوا جميع مكاره الدّنيا واستعملوا الصبر فى جميع أهوالها فأوجب ذلك السعادة الدائمة فى الدّار الآخرة.

الصفة العاشرة: طلقوا الدنيا

يقول عليعليه السلام: «ارادتهم الدنيا فلم يريدوها، واسرتهم ففدوا أنفسهم منها»

وكانعليه السلام يخاطب الدنيا بقوله «الي تعرضت؟ أم اليّ تشوّقت؟ لا حان حينك، غرّي غيري فعيشك قصير وخطرك يسير وأملك حقير.

وفي الديوان المنسوب الامام علي عليه السلام:

لقد خاب من غرته دنيا دنية   وما هي ان غرت قرونا بطائل

---

(١) عوالي اللئالي: ٣: ٥٤٨.

اتتنا على زي العزيز بثينة وزينتها في مثل تلك الشمائل
فقلت لها غري سواي فانني عزوف عن الدنيا ولست بجاهل
فغري سواي انني غير راغب لمّا فيك من عزّ وملك ونائل
و قد قنعت نفسي بما قد رزقته فشانك يا دنيا وأهل الغوائل
فاني أخاف اللَّه يوم لقائه وأخشى عتابا دائما غير زائل[١]

(١) مناقب آل أبي طالب:ابن شهر آشوب: ١: ٣٧١.

الباب السابع

باب الذكر

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الذكر لغة واصطلاحا

(أ) الذكر لغة:

في مختارالصحاح يطلق الذكر على عدة معان[١].

١- الذكر ضد النسيان

والذِّكْر والذِّكْرَى والُّكْرة ضدّ النِّسْيان تقول ذَكَرْتُه ذِكْرَى غير مُجْراةٍ واجْعَلْه مِنْك على ذُكْرٍ وذِكْر بضم الذال وكسرها بمعنى.

٢- الصيت والثناء

والذِّكْر الصِّيتُ والثَّنَاء. قال الله تعالى: ﴿ ص والقُرْآنِ ذي الذِّكْرِ﴾[٢]. أي ذي الشَّرَف.

٣- الذكر باللسان والقلب

وذَكَره بعد النِّسْيان وذَكره بِلسانه وبِقَلْبه يَذْكُره ذِكْراً وذُكْرة وذِكْرَى أيضاً وتَذَكَّر الشيءَ وأذْكَرَه غَيْرَه وذَكَره بمعنًى »

---

(١) مختارالصحاح: ١٢٣.

(٢) سورة ص : الاية ١ .

ويقول ابن منظور

(ذكر) الذِّكْرُ الحِفْظُ للشيء تَذْكُرُه والذِّكْرُ أَيضاً الشيء يجري على اللسان والذِّكْرُ جَرْيُ الشيء على لسانك »[١].

وقال الراغب في المُفْردات: الذِّكْر تارةً يُرَادُ به هَيْئَةٌ لِلْنَفْس بها يُمْكِن الإنْسَانَ أَن يَحْفَظَ ما يَقْتَنِيه من المَعْرِفة وهو كالحِفْظ إلاّ أَن الحِفْظ يقال اعْتباراً بإحَرازه والذِّكْر يُقال اعْتِبَاراً باسْتِحْضَارِه وتارةً يقال لحُضُور الشَّيْءِ القَلْب أو القَوْل. ولهذا قِيل: الذِّكْر ذِكْرَانِ: ذِكر بالقَلْب وذكر باللسان »[٢].

(ب) الذكر اصطلاحا:

ويمكن ان نعرف الذكر اصطلاحا

أولا: حضور الله تعالى الدائم في قلب ولسان العبد

ثانيا: ذكر العبد لربه عز وجل في كل حال بجوارحه وجوانحه

ثالثا: ما ذكره صاحب منازل السائرين: «الذكر هو التخلص من الغفلة»[٣].

المطلب الثاني: فضل ذكر الله تعالى

١- عن أبي جعفرعليه السلام قال: مكتوب في التوراة التي لم تغير أن موسىعليه السلام سأل ربه فقال: يا رب أقريب أنت مني فأناجيك أم بعيد فأناديك. فأوحى الله عز وجل إليه: يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال

---

(١) مختارالصحاح: ١٢٣.

(٢) مفردات غريب القران: ١٧٩.

(٣) شرح منازل السائرين: ٢٩٣.

موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك؟ فقال: الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون في فاحبهم فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم[١].

٢- عن ابن فضال رفعه قال: قال الله عز وجل لعيسى عليه السلام: يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملا [ك] أذكرك في ملاء خير من ملاء الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات واعلم أن سروري أن تبصبص[٢] إلي وكن في ذلك حيا ولا تكن ميتا[٣].

٣- وقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله يقول: من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من يسألني[٤].

٤- كذلك عن النبي صلى الله عليه وآله: ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من الدينار والدرهم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، فقال: ذكر الله عز وجل كثيرا »[٥].

٥- في الحديث القدسيّ: «أيّما عبد اطلعت على قلبه، فرأيت الغالب عليه التّمسّك بذِكْرِي توليت سياسته، وكنت جليسه، ومحادثه، وأنيسه »[٦].

---

(١) الكافي: ٢: ٤٩٦ – ٤٩٧.

(٢) التبصبص-التملق والمسكنة لله تعالى....حيا- اي منتبه القلب.

(٣) الكافي: ٢: ٥٠٢.

(٤) الدعوات: ١٩.

(٥) الكافي: ٢: ٤٩٩.

(٦) بحار الانوار: ٩٠: ١٦٢.

والذكر أعظم باب أنت داخله   لله فأجعل له الأنفاس حراساً

المطلب الثالث: مراتب الذكر

المرتبة الاولى: الذكر باللسان

أي اشتغال هذه اللحمة (العَضَلة) بتحريكها بذكر الله عز وجل، وهو عطاءٌ من الله، أن يلهمك التوفيق لذكره وأن تــشغل لسانك بذكره وهو بحد ذاته عطاء ينبغي بأن تشهد فضل الله فيه ينبغي أن تحمده عليه.

يقول الامام السجاد عليه السلام

«إلهي لولا الواجب من قبول أمرك لنزهتك من ذكرى إياك. على أن ذكرى لك بقدري لا بقدرك وما عسى أن يبلغ مقداري حتى اجعل محلا لتقديسك، ومن أعظم النعم علينا جريان ذكرك على ألسنتنا وإذنك لنا بدعائك وتنزيهك وتسبيحك»[(١)].

ومن أدمن الذكر باللسان بصدق النية وإخلاص الوجهة، لابد وأن يثمر هذا الذكر في قلبه نوراً يرتقي به إلى ذكر القلب وهي الرتبة الأعلى.

يقول الامام الخميني(قدس) في كتاب-الاربعون حديث- قال شيخنا الكامل العارف الشاه آبادي ـ روحي فداه ـ يجب أن يكون الإنسان الذاكر مثل المعلم الذي يريد أن يعلم الطفل الصغير الذي لم ينطق بعد الكلمات، حيث يكرر الكلمة، حتى ينفتح لسان الطفل وينطق الكلمة، ثم نرى المعلم يداعب الطفل ويردد الكلمة بمثل ما سمعها من الطفل فيزول تعب المعلم وكأن مددا يبلغه من الطفل. كذلك الذاكر يجب أن يعلم قلبه الذكر إذا لم ينفتح

---

(١) الصحيفة السجادية: ٤١٨.

لسانه ـ القلب ـ على الذكر. وسبب تكرار الذكر هو انفتاح لسان القلب على الذكر. وآية انفتاحه ـ لسان القلب ـ أن لسان الفم يتبع القلب، فيزول نصب تكرار الذكر وعنائه. في البدء كان اللسان ذاكرا والقلب استمد الذكر منه، وبعد انفتاح لسان القلب بالذكر، يتبعه لسان الفم، ويستمد اللسان منه ـ القلب ـ الذكر، أو من الغيب »[١].

المرتبة الثانية: ذكر بالقلب

أول مراتب الذكر القلبي .استحضار معنى الذكر، وهو عند الذكر تقول لا إله إلا الله، هذا معناه لا معبود بحق إلا الله، لا موجود على وجه الحقيقة إلا الله، لامقصود إلا الله، لا مشهود إلا الله، نفي ما سوى الله عز وجل عن قلبك، هذا شيء تستطيع أن تستحضره في قلبك وعقلك وأن تتفهمه.

وثاني مراتب الذكر القلبي تذوق معنى الذكر، الاستمرار على الذكر القلبي يجعل القلب يتذوق لذة الذكر، يعرف أن لـ (لا إله إلا الله) ذوق، لها لذة (سبحان الله) لها لذة أخرى (الحمد لله) لها لذة ثالثة (الله أكبر) لها لذة رابعة..وهكذا ....

يقول الامام السجاد عليه السلام «الهي ما الذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب»[٢].

ثالثا: ذكر الروح

القلب ذكره يورث معرفة الله والالتذاذ لكن الروح ذكرها؟ أن تهيم في الشوق إلى الله عز وجل، أن تهيم في محبة الله، أن يأخذها معنى تلذذها

---

(١) الاربعون حديث: الامام الخميني: ٢٧٦.

(٢) الصحيفة السجادية: ٤١٨.

بالقرب منه سبحانه، بأنسها به. فـتـذَوقِ الروح للذكر هو الهيمان والانس بالله تعالى.

يقول الامام الحسينعليه السلام: «يا من اذاق احبائه حلاوة المؤانسة حتى قاموا بين يديه متملقين»[١].

وأنشد الشبلي:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وصرت بلا وجد أهيم من الهوى ... وهام على القلب بالخفقان
فلما أراني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... وشاهدت موجوداً بغير عيان

وقال كذلك:

ليس تخلو جوارحي منك وقتا ... هي مشغولة بحمل هواك
ليس يجري على لساني شيء ... علم الله ذا سوى ذكراك
وتمثلت حيث كنت بعيني ... فهي إن غبت أو حضرت تراك[٢]

وقال ابن الفارض:

ادر ذكر من اهوى ولو بملامي ... فان احاديث الحبيب مدامي
فلي ذكرها يحلو على كل صيغة ... وان مزجوه عذلي بخصام

---

(١) بحار الانوار: ٩٥: ٢٢٧.

(٢) تاريخ بغداد:الخطيب البغدادي: ١٤: ٣٩٢.

اصلي فاشدو حين اتلو بذكرها　　　واطرب في المحراب وهي امامي
وبالحج ان احرمت لبيت باسمها　　　وعنها ارى الامساك فطر صيامي[١]

المطلب الرابع: آثار الذكر على السالك الى الله تعالى

لاشك ان كل فعل في هذا الوجود له اثر خاص اما سلبي واما ايجابي فالافعال السلبية لها اثار على مستوى الكون والفرد والمجتمع والافعال الايجابية لها اثار على الكون والمجتمع والفرد. فالانحراف والفساد الاخلاقي له اثر وهو الخراب والدمار والزلازل والفيضانات.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢] .

كما ان صلاح المجتمع له اثر على حياتهم

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[٣] .

والذكر فعل من الافعال يقوم به الانسان. ولذا اذا قام به العبد تكون له اثار كل بحسبه وقابليته.

اولا: يقول امير المؤمنين عليه السلام في اثار الذكر

---

(١) ديوان ابن الفارض: ٩٥.

(٢) سورة الروم : الاية ٤١ .

(٣) سورة الاعراف : الاية ٩٦ .

(أ): «إنّ الله عزّوجلّ جعل الذكر جلاءً للقلوب»[١]

فانّ المداومة على الاذكار باللّسان مع حضور القلب وتوجّهه إليها توجب صفاء القلب ونوره وجلائه وطهارته ونقائه من ظلمة الذّنوب ورين المعاصي والغواشي كالمرآة المجلوّة الّتي ليس عليها شي ء من الكدر. وعلى هذا يمكن ان يكون الذكر نافع للقلب بامور عديدة

١- شِفَاءُ القَلْبِ: الدوام على ذكر الله تعالى ازالة للامراض التي تصيب القلب يقول الامام علي عليه السلام في دعاء كميل: «يا من اسمه دواء وذكره شفاء»[٢]

ويقول النبي صلى الله عليه وآله: (ذكر الله شفاء القلوب)[٣].

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ فَنَتْرُكَ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَنَنْتَكِسُ

٢- جَلَاءُ القَلْبِ: وَذِكْرُ الله يُورِثُ جَلَاءَ القَلْبِ مِنْ صَدَئِهِ. فان الذِّكْرِ يَجْلُوهُ حَتَّى يَدَعَهُ كَالمِرْآةِ البَيضَاءِ؛ فَإِذَا تَرَكَ الذِّكْرَ صَدِىءَ، فَإِذَا ذَكَرَ جَلَاهُ.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: (جلاء هذه القلوب ذكر الله وتلاوة القران)[٤].

٣- حَيَاةُ القَلْبِ: عن رسول الله صلى الله عليه وآله: "بذِكْرِ الله تحيي القلوب، وبنسيانه موتها"[٥].

---

(١) نهج البلاغة: ٢: ٢١١.

(٢) اقبال الاعمال: السيد ابن طاووس: ٣: ٣٣٧.

(٣) كنز العمال: ١: ٤١٤.

(٤) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ٣: ٢٦١٦.

(٥) ميزان الحكمة: ٢: ٩٦٩.

عن الإمام عليّ عليه السلام: "مَن ذَكَرَ الله سبحانه أحياالله قلبه، ونوّر عقله ولبّه"[١].

يقول الشاعر:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم أجسامهم قبل القبور قبورُ
وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشورُ

وقال اخر:

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم وأجسامهم فهي القبور الدوارسُ
وأرواحهم في وحشة من حبيبهم ولكنها عند الخبيث أوانس[٢]

٤- رِقَّةُ القَلْبِ: فِي القَلْبِ قَسْوَةً لَا يُذِيبُهَا إِلَّا ذِكْرُ الله تَعَالَى، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يُدَاوِيَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ بِذِكْرِ اللّه تَعَالَى؛ لأَنَّ القَلْبَ كُلَّمَا اشْتَدَّتْ بِهِ الغَفْلَةُ، اشْتَدَّت بِهِ القَسْوَةُ، فَإِذَا ذَكَرَ اللّه تَعَالَى، ذَابَتْ تِلْكَ القَسْوَةُ كَمَا يَذُوبُ الرَّصَاصُ فِي النَّارِ، فَمَا أُذِيبَتْ قَسْوَةُ القُلُوبِ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللّه تَعَالَى: ؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣].

٥- تَنْبِيهُ القَلْبِ: وَالذِّكْرُ.يُنَبِّهُ القَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ، وَيُوقِظُهُ مِنْ سِنَتِهِ، وَالقَلْبُ إِذَا كَانَ نَائِمًا فَاتَتْهُ الأَرْبَاحُ وَالمَتَاجِرُ، وَكَانَ الغَالِبُ عَلَيْهِ الخُسْرَانَ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ وَعَلِمَ مَا فَاتَهُ فِي نَوْمَتِهِ شَدَّ المِئْزَرَ، وَأَحيَى بَقِيَّةَ عُمُرِهِ، وَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَهُ، وَلَا تَحْصُلُ يَقظَتُهُ إِلَّا بِالذِّكْرِ.

---

(١) المصدر نفسه: ٢: ٩٦٩.

(٢) فقه الادعية والاذكار: عبدالرزاق البدر:٥٤

(٣) سورة الحديد : الاية ١٦ .

٥- نُورُ القَلْبِ: الذكرُ نُورٌ في القَلْبِ. فَمَا اسْتَنَارَتِ القُلُوبُ بِمِثْلِ ذِكْرِ الله تَعَالَى. وَإذا "اسْتَنَارَ القَلبُ أَقْبَلَت وُفُودُ الخَيرات إِلَيه مِنْ كُلِّ نَاحيَةٍ، كَمَا أنَّهُ إِذا أُظْلَمَ أَقْبَلَتْ سَحَائِبُ البَلاءِ وَالشَّرِّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ" يقول امير المؤمنين عليه السلام: الذكر يؤنس اللب وينير القلب ويستنزل الرحمة[١].

٦- صلاح القلب: أصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله[٢].

٧- طمانينة القلب: ذكر الله هو الذي يجعل القلب مطمئنا وساكناً، فلا يهم بما يهم به اهل الدنيا من تحصيلها، والرغبة فيها، والصراع عليها ،لانه عرف حقيقة الدنيا ،وانها زائلة لا دوام فيها، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣].

(ب): تسمع به بعد الوقرة:

يعنى يكون الذكر سببا لكون القلوب سميعة بعد صممها أى مستعدّة لاستماع كلام اللّه وكلام الأنبياء والدّعاة إلى اللّه واستفادة الكمالات والقربات منها بعد ما كانت قاصرة عنها .

(ج): وتبصر به بعد العشوة:

أى يكون سببا لكونها بصيرة بعد عشاها وضعف بصرها أى قابلة للانتفاع بما في الكون من عجايب التّدبير مدركة لما في الآفاق والأنفس من الآيات والعبر بعد ما كانت غافلة عن إدراكها .

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٠.

(٣) سورة الرعد : الاية ٢٨ .

يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

(د): وتنقاد به بعد المعاندة

أى تنقاد للحقّ بعد العناد والالحاد، وذلك لأنّه يحصل بدوام الذّكر والفكر حالة المراقبة واستشعار عظمة اللّه تعالى وجلاله وكبريائه فيحصل بذلك ذلّ وانكسار ومهانة للقلب ويكون داخرا ذليلا منقادا لقبول أمر الرب ونهيه، سالكا لسبيله بعد ما كان منحرفا عنه وتجلو الذكر قلبه وتقرّ عين باطنه فتبصر بما لا يبصر به قبل المداومة بالذّكر .

المطلب الخامس: أهم الأذكار التي يحتاجها السالك الى اللّه تعالى

هناك مجموعة من الاذكار يحتاجها السالك الى الله تعالى في سيره وطيه للمنازل وهي

اولا: ذكر: «لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم»(٢).

(أ)ومعنى هذا الذكر كما ورد عن الامام الباقرعليه السلام كما يرويه جابر الجعفي عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليهما السلام، قال سألته عن معنى (لا حول ولا قوة إلا بالله) فقال: معناه لا حول لنا عن معصية الله إلا بعون الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بتوفيق الله عز وجل

---

(١) سورة آل عمران : الاية ١٩١ .

(٢) المحاسن : ١ : ٩ .

»[(١)].

(ب)قال ابو ذر أوصاني خليلي رسول الله: (صلى الله عليه وآله) «بسبع خصال لا أدعهن على كل حال......... وأوصاني ان أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فإنها من كنوز الجنة »[(٢)].

(ج) إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي فقال: يا علي، وأكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعلموها أطفالكم[(٣)].

اقول: احد الايام كنت اسير مع اية الجمال والحق الشيخ العارف والاستاذ الكامل «الشيخ محمد تقي بهجت» وسالته عن ما هو الذكر المفيد للتحول والابتعاد من المعصية فقال رضوان الله تعالى عليه: «اكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

ثانيا: ذكر «لا اله الا الله» وفيها امران

الامر الاول: ماهية هذا الذكر وفضله

لا إله إلا الله تتكون من شقين اثنين نفي وإثبات، "لا إله" تفيد النفي العام لجميع الآلهة التي تعتقد أو تعبد في هذا الوجود. و"إلا الله" إثبات لذات الله عز وجل بالوجود واحداً فردا صمداً، لا شريك له في الخلق والأمر، ومعناه أن لا إله ولا معبود يستحق العبادة حقا وعدلاً غير الله عز وجل، وهو دحض ونفي لكل ما يعبد من أنداد وأضداد، وبكلمة «لا إله إلا الله » بعث الله الانبياء والرسل للانذارولتجديد العهد والتذكير بها.

---

(١) التوحيد: الشيخ الصدوق: ٢٤٢.

(٢) الخصال: الشيخ الصدوق: ٣٤٥.

(٣) دعائم الإسلام: ٢: ٣٥١ ، ٣٥٢.

قال تعالى :﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) [١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله» [٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله:« ما من الذكر شيء أفضل من قول لا إله إلا الله، وما من الدعاء شيء أفضل من الاستغفار، ثم تلا (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك» [٣].

الامر الثاني: اثر هذا الذكر على باطن الانسان

عندما يتحرك الانسان نحو الله تعالى بصدق واخلاص، فان الشيطان يتجه نحو باطن الانسان بشكل اكبر واكثر جدية من قبل، وليس على ظاهر وحركة الانسان في الظاهر، وقد يشكك الشيطان في عقيدة الانسان هذه المرة،ويكثر الوسوسة في شتى الامور، من اجل قطع الطريق عليه في مواصلة السير والسلوك الى الله تعالى .

وقد ذكر القران الكريم امكانية الشيطان للوقوف في حركة الانسان كما في ايات كثيرة.

١- قال تعالى :﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٤]

٢- وكذلكقال تعالى :﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ

---

(١) سورة النحل : الاية ٢ .

(٢) كنز العمال:المتقي الهندي: ٥: ٦٦.

(٣) الدعوات: ١٩ — ٢٠.

(٤) سورة الاعراف : الاية ١٦ .

أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[١] .

ومن اجل ذلك يحتاج هذا الانسان الى ذكر يطرد عنه وسواس الشيطان وقد ذكر الائمة الاطهارعليهم السلام الذكر المناسب لتطهير الباطن وطرد الشيطان الغوي الرجيم.

عن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة وإن كثرت، فقال: لا شيء فيها، تقول: «لا إله إلا الله»[٢].

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنه يقع في قلبي أمر عظيم، فقال: قل: «لا إله إلا الله» قال جميل: فكلما وقع في قلبي شيء قلت: «لا إله إلا الله» فيذهب عني[٣].

وقال كمال الدين عبدالرزاق القاساني شارح منازل السائرين بخصوص هذا الذكر: «ولكونها اجمع للقلب مع الله، وانفى للغير، واشد تزكية للنفس، وتصفية للباطن، وتنقية للخاطر من حديث النفس ولطرد للشيطان ولامر ما، اجمع المشايخ والسلف كلهم على ان المريد يجب ان يداوم على هذا الذكر وحده»[٤].

أقول: قد حصل لي هذا الوسواس ووصل الى درجة لا اطيقها فقلت للشيخ العارف اية الله محمد تقي بهجت روحي له الفداء، وقتها فقال لي اكثر من قول «لا اله الا الله» وبعد الدوام على هذا الذكر زالت الوساوس.

---

(١) سورة الاعراف : الاية ١٧ .

(٢) الكافي: ٢: ٤٢٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢: ٤٢٤.

(٤) شرح منازل السائرين: ٢٩٥.

ثالثا: اذكار اخرى .هناك اذكار مهمة اخرى للمريد منها

١- الذكر اليونسي في السجود: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١]

٢- وكذلك هذا الذكر في السجود مفيد جدا للتائب: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢]

٣- الصلوات: اللهم صل على محمد وال محمد.

فان للصلاة على محمد وال محمد اثار كبيرة جدا واليك بعض هذه الاحاديث تبين قيمة الصلوات .

قال الرضا عليه الصلاة والسلام: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير »[٣].

وكذلك عن الرضا عليه الصلاة والسلام: «من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدما »[٤].

٤- الاستغفار: هذا الاستغفار مجرب ومفيد جدا: «استغفر الله الذي لا اله هو الرحمن الرحيم بديع السموات والارض من جميع ظلمي وجرمي واسرافي على نفسي واتوب اليه»[٥].

وهناك اذكار وادعية اخرى ،ولكن يحتاج الى العمل بها اذن الاستاذ

---

(١) سورة الانبياء : الاية ٨٧ .

(٢) سورة الاعراف : الاية ٢٣ .

(٣) الأمالي:الشيخ الصدوق: ١٣١.

(٤) المصدر نفسه: ١٣١.

(٥) مفاتيح الجنان:الباقيات الصالحات: ١٨٩.

الكامل ، لان القابليات تختلف من شخص الى شخص اخر، وكذلك الزمان الذي يمارس فيه الذكر فان هناك اختلاف في الاستفادة من الذكر في الليل او النهار، وكذا الوضع، وهل أن هذا الذكر يستفاد منه في السجود او في وضع اخر، وهناك تاثير للمكان الذي يمارس فيه الذكر،فالذكر في المسجد غير الذكر في المنزل والذكر في بيت الله الحرام يختلف عن الذكر في المسجد العادي.

وخلاصة الامر: فان الاذكار كالادوية، فكما ان الادوية مختلفة ولكل دواء خصوصية في العلاج كذلك الاذكار لكل ذكر خصوصية وهذه الخصوصية لا يعرفها الا المعصوم عليه السلام او العارف الكامل الذي جرب هذا الذكر.

المطلب السادس: اهل البيت عليهم السلام المصداق الكامل للذاكرين

اولا: اهل البيت بيوت الله التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه.

١-عن أبي جعفر الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام الباقر لقتادة: من أنت؟ قال: أنا قتادة ابن دعامة البصري فقال له أبو جعفر عليه السلام: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال له الإمام الباقر عليه السلام: ويحك أبا قتادة إن الله خلق خلقا من خلقه فجعلهم حججا على خلقه، فهم أوتاد في أرضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه قال: فسكت قتادة طويلا ثم قال: أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدامهم، فما اضطرب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك. فقال له الإمام الباقر عليه السلام: أتدري أين أنت؟ بين يدي: بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت ثم ونحن أولئك. فقال له قتادة: " صدقت

والله جعلني الله فداك والله ما هي بيوت حجارة ولا طين. .. "[(١)].

ثانيا: اخذ اهل البيت الذكر بدلا عن الدنيا

٢- يقول امير المؤمنين عليه السلام: وإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ اَلدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ ولاَ بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ اَلْحَيَاةِ ويَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اَللَّهِ فِي أَسْمَاعِ اَلْغَافِلِينَ ويَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ ويَأْتَمِرُونَ بِهِ ويَنْهَوْنَ عَنِ اَلْمُنْكَرِ ويَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّهُمْ قَطَعُوا اَلدُّنْيَا إِلَى اَلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَافَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اِطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ اَلْبَرْزَخِ فِي طُولِ اَلْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ اَلْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ اَلدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لاَ يَرَى اَلنَّاسُ ويَسْمَعُونَ مَا لا يَسْمَعُونَ [(٢)]. وهذه الصفات لا يمكن ان تنطبق انطباقا كاملا الا على اهل البيت عليهم السلام.

المطلب السابع: الاثار الخطيرة للاعراض عن ذكر الله تعالى

فإنّ الإعراض عن ذكر الله تعالى، يبعده عن مصدر النّور الإلهي، ويقترب به من الخُلق الشّيطاني والجوّ الظّلماني، ممّا يؤدي بالإنسان إلى الحرمان من جميع الاثار الطيبه لذكر الله التي يحضى بها اهل الذكر اضافة الى انه يعرض نفسه للتبعات التي تترتب على الاعراض عن ذكره تعالى ٠ومنها

اولا: شيطنة الانسان وضلاله،يقول تعالى:﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[(٣)].

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٦: ٢٥٧.

(٢) نهج البلاغة: ٢: ٢١١.

(٣) سورة الزخرف :الاية٣٦ .

ثانيا: يؤدي الى ضنك العيش في الدنيا والعمى في الآخرة يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[(١)].

ثالثا: عدم الذكر يورث الحسرة: عن الفضيل بن يسار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما من مجلس يجتمع فيه أبرار وفجار، فيقومون على غير ذكر الله عز وجل إلا كان حسرة عليهم يوم القيامة »[(٢)].

وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها»[(٣)].

خامسا: نسيان الله ينسي النفس ويورث الفسق: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[(٤)].

---

(١) سورة طه : الاية ١٢٤ .

(٢) الكافي: ٢: ٤٩٦.

(٣) كنز العمال:المتقي الهندي: ١: ٤٢٢.

(٤) سورة الحشر : الاية ١٩ .

الباب الثامن
باب الاخلاص

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الاخلاص لغة واصطلاحا

(أ) الاخلاص لغة:

مَصْدَرُ أَخْلَصَ يُخْلِصُ وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ مَادَّةِ (خ ل ص) الَّتِي تَدُلُّ عَلَى تَنْقِيَةِ الشَّيْءِ وَتَهْذِيبِهِ.

يقول ابن منظور: في مادة (خلص) خَلَص الشيء بالفتح يَخْلُص خُلُوصاً وخَلاصاً إذا كان قد نَشِبَ* ثم نَجا وسَلِم[1].

وفي المفردات: (وَالْخَالِصُ كَالصَّافِي إِلاَّ أَنَّ الْخَالِصَ مَا زَالَ عَنْهُ شَوْبُه بَعْدَ أَنْ كَانَ فِيهِ وَالصَّافِي قَدْ يُقَالُ لِمَا لاَ شَوْبَ فِيهِ،)[2].

(ب) الآخلاص اصطلاحا:

اولا: «تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفاته» وتحقيقه: أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره، فإذا صفا عن شوبه، وخلص عنه يسمى: خالصاً، ويسمى الفعل، المخلص: إخلاصاً، قال الله تعالى: " من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً " فإنما خلوص اللبن ألا يكون فيه شوب من الفرث والدم. وقال

---

(١) لسان العرب: ٧: ٢٦. ونشِب: أي تَعَلَّق به شيء.

(٢) مفردات غريب القرآن: ١٥٥.

الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص الخلاص من هذين؛ وألا تطلب لعملك شاهداً غير الله[١].

ثانيا: ويقول الخواجه الانصاري: «الاخلاص، تصفية العمل من كل شوب»[٢].

وثالثا: وينقل صاحب البحار العلامة المجلسي، تعاريف اخر للاخلاص منها[٣].

١- هو ستر العمل عن الخلايق وتصفيته عن العلايق .

٢- أن لا يريد عامله عليه عوضا في الدارين .

المطلب الثاني: الاخلاص في القران الكريم

هناك الايات الكثيرة في القران الكريم التي جاءت في شأن الاخلاص وهي أما آمر على الاخلاص أو حاثة على الاخلاص واما ان الاعمال لا تقبل الا ما كانت عن اخلاص في عبادته وطاعته وان الدين الذي يقبله ما كان عن اخلاص.

١- قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ، ألا لله الدين الخالص ﴾[٤].

٢- وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

---

(١) التعريفات: ١٢.

(٢) شرح منازل السائرين: ١٥٨.

(٣) بحار الأنوار: ٦٧: ٢٣٤.

(٤) سورة الزمر : الاية من ٢ الى ٣ .

وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[١].

٣- وقال تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ، فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ، فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾[٢]. جعل الله الإخلاص سبباً في دخول الجنة.

٤- وقال تعالى : ﴿ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ، إلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٣]. ذكر الله الإخلاص وجعله منجاةً من الشيطان وغوايته فإن الشيطان لا شك أنه يغوي بعض عباد الله لكن من كان مخلصاً لله - عز وجل- لا يستطيع عليه الشيطان، مصداق ذلك في قول الله تعالى:

٥- قال الله عز وجل- عن يوسف -عليه السلام: ﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾[٤]. [يوسف: ٢٤]

وقال الله تعالى في حق موسى عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّ ﴾[٥].

وفي هذه الايات ذكر الله تعالى بعض الانبياء ووصفهم بالاخلاص واثنى عليهم .

---

(١) سورة البينة : الاية ٥ .

(٢) سورة الصافات : الاية ٤٠ الى ٤٣ .

(٣) سورة الحجر : الاية من ٣٩ الى ٤٠ .

(٤) سورة الصافات : الاية ٤٠ الى ٤٣ .

(٥) سورة مريم : الاية ٥١ .

المطلب الثالث: صعوبة تحصيل الاخلاص

ليس التحقق بالإخلاص أمر يسير، وأنه في متناول اليد لكل من أراد، وأن تحصيله ممكن بأدنى جهد وبلا معاناة ولا مجاهدة، فهذا بعيد عن الحقيقة. بل بعض مراتب الاخلاص لا يتيسر الا لاولياء الله تعالى ولذا أكد الانبياء والائمة الاطهار عليهم السلام وكذلك العرفاء على صعوبة هذا الامر ومشقته على النفس لان الانسان مملكة عظيمة كما يقول الامام علي عليه السلام

اتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر[١]

وهذا الانسان فيه ارادات متعددة، كل ارادة تريد قهر الانسان وابعاده عن جادة الصواب والهدى والطاعة لله تعالى وهذه الارادات

كما يصفها الشاعر:

ابليس ونفسي والهوى اين الفرار وكلهم اعدائي[٢]

والإخلاص يتضمن أمرين:

اولا: استحضار النية.

ثانيا: وتجريدها من الشوائب.

أما استحضار النية في العمل، فهو مهم، ولا يكفي أن يؤدي الإنسان العمل دون أن تحضره النية يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات»[٣] ويقول صلى الله عليه وآله: «إنما يبعث الناس على نياتهم»[١].

---

(١) الأنوار العلوية:الشيخ جعفر النقدي: ٤٨٨.

(٢) الفتوحات المكية:ابن العربي: ١: ٢٧٨.

(٣) وسائل الشيعة: ١: ٤٨.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لكل امرئ مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر اليه»[٢].

وأما تجريد النفس من أهوائها الظاهرة والخفية، وتصفية النية من الشوائب والرغبات الذاتية والدنيوية، فما أشقه على النفس وما أقساه! فإنه انتصار على الأنانية وحب الذات، وحب الدنيا، وفناء النفس عن حظوظها وأغراضها العاجلة، وهو امر غاية الصعوبة على النفس .ولهذا يحتاج إلى مجاهدة شديدة للنفس، ومراقبة دائمة لمداخل الشيطان إليها، وتنقية لها من عوامل الدغل والرياء، وحب الجاه والظهور، وحب المنافع الشخصية، وهي عوامل غلابة ذات سلطة وتأثير على النفس البشرية،تامل ما يقوله الائمة الاطهار عليهم السلام في صعوبة الاخلاص.

١- يقول الإمام عليه السلام: تصفية العمل خير من العمل[٣].

٢-وعنه عليه السلام: تصفية العمل أشد من العمل، وتخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد[٤].

٣-وعن الإمام الصادق عليه السلام: الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل[٥].

---

(١) بحار الانوار: ٦٧: ٢٤٩.

(٢) الجامع الصغير:جلال الدين السيوطي: ١: ٥.

(٣) بحار الانوار: ٧٥: ٩٠.

(٤) الكافي: ٨: ٢٤.

(٥) الكافي: ٢: ١٦.

يقول العلامة مهدي بحر العلوم في صعوبة الاخلاص شعرا

واحذر لدى التخصيص في العباد   شركاً وكذباً وإتباع العادة
إياك من قول بهِ تفند فأنت   عبد لهواك تعبدُ
تلهج في إياك نستعين   وأنت غير الله تستعين
حسن له الباطن فوق الظاهر   وإعبده بالقلب النقي الطاهر[(١)]

المطلب الرابع : الآخرة تكشف اخلاص النية الصادقة والكاذبة وصعوبة معرفة اخلاص الناس في الدنيا

الناس في الدنيا لا يمكن لك معرفة صدق نواياهم ،وذلك لستر الله تعالى ،وكذلك لان الدنيا عالم الاعمال وليس عالم الجزاء ،وكذلك لان النوايا اعمال قلبية ،والاعمال القلبية ليس لها طريق ومعرفة الا نفس الانسان،وعلى هذا لايمكن لك ان تقول لشخص انت غير مخلص في اعمالك ،ولكن في عالم الاخرة ،عالم كشف الاعمال ومن كان يعمل لله تعالى او لغيره تعالى .

عن النبيﷺ: إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت ليقال جرئ، فقد قيل ذلك. ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم

---

(١) مستدرك سفينة البحار:الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٧: ٦٥.

وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: قارئ القرآن، فقد قيل ذلك. ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار(١).

وكذلك عن النبيﷺ إن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، ولا خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له(٢).

المطلب الخامس : مراتب الاخلاص

والاخلاص له مراتب ودرجات وهو ليس على مرتبه واحدة وذلك لتفاوت مراتب القابليات والتوجه الحقيقي الى الله تعالى .

المرتبة الاولى: اخلاص العوام.

هو إخراج الخلق من معاملة الحق. حيث يُراد به تصفية كلّ عمل قلبيّ من كلّ شوب، بحيث يكون لله وحده، «أوهو تصفية الأعمال عمّا يشوبها من الحظوظ المتعلّقة بأعراض الدُّنيا»(٣).

عن النبيﷺ: إن لكل حق حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل لله(٤).

وعن أبو ثمامة: قال الحواريون لعيسىعليه السلام: يا روح الله، من المخلص

---

(١) منية المريد:الشهيد الثاني: ١٣٤.

(٢) الأمالي: الشيخ الصدوق: ٦٧٧ – ٦٧٨.

(٣) لطائف الأعلام في إشارات الإلهام: للشيخ العارف عبد الرزّاق الكاشاني: ٧٩ـ ٨٠.

(٤) عدة الداعي: ٢٠٣.

لله؟ قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس عليه[(١)].

وقد ورد في الحديث القدسي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنّه قال: (يقول الله سبحانه: أنا خير شريك، ومن أشرك معي شريكاً في عمله فهو لشريكي دوني لأنّي لا أقبل إلاّ ما خلُص لي)[(٢)].

المرتبة الثانية: إخلاص الخواص

الثاني: وهو إخراج رؤية العمل من العمل بحيث لا تفتخر في نفسك بالعمل ولا تعتقد أنّك تستحقّ عليه ثواباً، وبهذا الإخلاص يحصل الخلاص من طلب الأعواض، فإنّ العبد وما يملك لسيّده.

ويشهد بذلك ما روي: (أن الله - عز وجل - أوحى إلى موسى عليه السلام: يا موسى ! اشكرني حق شكري. فقال: يا رب ! وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي؟ قال: يا موسى ! الآن شكرتني، حيث علمت أن ذلك مني)[(٣)].

وكذلك عن الامام الهمام سيد الساجدين عليه السلام في الدعاء: لك الحمد على ابتدائك بالنعم الجسام والهامك الشكر على الاحسان[(٤)].

وفي موضع آخر يقول: نعمك ابتداء واحسانك التفضّل[(٥)].

وفي مصباح الشريعة يقول: وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته ثم

---

(١) الدر المنثور: جلال الدين السيوطي: ٢: ٢٣٧.

(٢) الجواهر السنية:الحر العاملي: ١٦٤.

(٣) الكافي: ٢: ٩٨.

(٤) الصحيفة السجادية: ١٧٢.

(٥) نفس المصدر: ٧٦.

لا يجعل لعمله عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافأة لعمله[١].

المرتبة الثالثة: اخلاص خواص الخواص.

وهو ان يُخلّص نفسه من رؤيته لإخلاصه، وبذلك يكون من المُخلَصين

يقول أحد المحقّقين: (نقصان كلّ مُخلِص في إخلاصه: رؤية إخلاصه. فإذا أراد الله تعالى أن يخلّص إخلاصه أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه، فيكون مُخلَصاً لا مُخلِصاً)[٢].

وفي ذلك يقول صاحب الفتوحات

من أخلص الدينَ فذاك الذي لنفسه الرحمن يستخلصه
فكلّ نقصان إذا لم يكن في كونه فإنّه ينقُصُه[٣]

ويقول ابن العربي في تفسيره: (ألا لله الدين الخالص) عن شوب الغيرية والأنانية لانك لفنائك فيه بالكلية، فلا ذات لك، ولا صفة، ولا فعل، ولا دين، وإلا لما خلص الدين بالحقيقة فلا يكون لله »[٤].

ويعلق الامام روح الله الموسوي الخميني (قدس) على هذه العبارةحيث قال:(فما دامت العبودية والغيرية والأنانية باقية والعابد والمعبود والعبادة والإخلاص والدين حاضراً، يكون ـ العمل ـ مشوباً بالغيرية والأنانية وهذا شرك لدى أرباب القلوب. إن عبادة أرباب الإخلاص هي رسم تجلّيات

---

(١) مصباح الشريعة: ٣٧.

(٢) الرسالة القشيرية: ابو القاسم القشيري:باب الاخلاص: ٣٦١.

(٣) الفتوحات المكية: ٢: ٢٢٠.

(٤) تفسير ابن عربي: ابن العربي: ٢ :١٧٠.

المحبوب، ولا يوجد في قلوبهم سوى الحق المتعالي الواحد»[١].

المطلب السادس : الطرق المؤدية للوصول الى الاخلاص

الاول: اخفاء العمل

لاشك ان اهم وسيلة للوصول الى مرتبة الاخلاص هو إخفاء العبادة وكل عمل بر يصدر من المؤمن، عدا الموارد التي أباح الشرع إظهار العمل فيها أو أمر بإظهاره فيها للناس قولاً أو عملاً، وهذا الاخفاء في العمل مطلوب بالطبع من ناحية الشارع محثوث عليه، حفظاً لنفس العامل عن عروض بعض الرذائل عليها كالعجب والرياء والتكبر وحب الجاه ونحوها، ولذا ورد عن اهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام الكثير من الروايات التي تحث على العمل بالخفاء بل نفس اهل البيت عليهم السلام كانوا يمارسون ذلك سرا وخفاء .واليك بعض من ذلك

١- عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أعظم العبادات أجرا أخفاها»[٢].

٢- وعن هشام بن سالم عن عمار الساباطي قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا عمار الصدقة والله في السر أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك والله العبادة في السر أفضل منها في العلانية[٣].

٣- وعن امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «من كنوز البر اخفاء

---

(١) الاربعون حديث: الامام الخميني: ٣٠٦.

(٢) جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي: ١: ٣٨٠.

(٣) الكافي: الشيخ الكليني: ٤: ٨.

العمل و..... الخ»[(١)].

٣- عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: " سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: ....، ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله ....»[(٢)].

٤- وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لابي ذر- يا أبا ذر أن الصلاة النافلة في السر تفضل على العلانية كفضل الفريضة على النافلة -إلى أن قال صلى الله عليه وآله- يا أبا ذر أن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر رجل يصبح في الأرض فردا فيؤذن ثم يصلى فيقول ربك للملائكة أنظروا إلى عبدي يصلى ولا يراه أحد غيري فينزل سبعون الف ملك يصلون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم...... الخ»[(٣)].

٥- وعن أبي جعفر عليه السلام، أنه قال: " لما أخذت في غسل أبي علي بن الحسين عليهما السلام، أحضرت معي من رآه من أهل بيته، فنظروا إلى مواضع السجود منه في ركبتيه وظاهر قدميه وبطن كفيه وجبهته، قد غلظت من أثر السجود حتى صارت كمبارك البعير، وكان صلوات الله عليه يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة، ثم نظروا إلى حبل عاتقه وعليه أثر قد اخشوشن، فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: أما هذه فقد علمنا أنها من أثر السجود، فما هذا الذي على عاتقه؟ قال عليه السلام: والله ما علم به أحد غيري، وما علمته من حيث علم إني علمته، ولولا أنه قد مات ما ذكرته، كان إذا مضى من الليل صدره قام وقد

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام:الشيخ الصدوق:١: ٤١.

(٢) الخصال: الشيخ الصدوق: ٣٤٣.

(٣) وسائل الشيعة: ٥: ٢٩٦.

هدأ كل من في منزله، فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين خفيفتين، ثم نظر إلى كل ما فضل في البيت عن قوت أهله فجعله في جراب، ثم رمى به إلى عاتقه، وخرج محتسبا يتسلل لا يعلم به أحد، فيأتي دورا فيها أهل مسكنة وفقر فيفرق ذلك عليهم وهم لا يعرفونه، إلا أنهم قد عرفوا ذلك عنه، فكانوا ينتظرونه، فإذا أقبل قالوا: هذا صاحب الجراب، وفتحوا أبوابهم له، ففرق عليهم ما في الجراب وانصرف به فارغا يبتغي بذلك فضل صدقة السر، وفضل صدقة الليل، وفضل إعطاء الصدقة بيده، ثم يرجع فيقوم في محرابه فيصلي باقي ليله، فهذا الذي ترون على عاتقه أثر ذلك الجراب[(١)].

٦-قال صفوان قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا كان يوم القيمة نظر رضوان خازن الجنة إلى قوم لم يمروا به فيقول من أنتم وأين دخلتم قال يقولون: إياك عنا فانا قوم عبدنا الله سرا فأدخلنا الله سرا[(٢)].

الثاني: حب الله تعالى

ان حب الله تعالى كلما ازداد يولد ويورث الاخلاص له سبحانه لان المحبة الاهية تطهر القلب عن كل ما سوى الله تعالى لان كل ما سوى الله فان لا يدوم وزائل لا يبقى والله تعالى محض الكمال والخير والجود والبقاء .

قال الطباطبائي: «كيف يورث الحب الاخلاص»، عبادته تعالى خوفا من العذاب تبعث الانسان إلى التروك وهو الزهد في الدنيا للنجاة في الآخرة فالزاهد من شأنه ان يتجنب المحرمات أو ما في معنى الحرام أعني ترك الواجبات. وعبادته تعالى طمعا في الثواب تبعث إلى الافعال وهو العبادة في

---

(١) مستدرك الوسائل: ٧: ١٨٢ – ١٨٣.

(٢) بحار الانوار: ٨: ١٤٦.

الدنيا بالعمل الصالح لنيل نعم الآخرة والجنة فالعابد من شأنه ان يلتزم الواجبات أو ما في معنى الواجب وهو ترك الحرام والطريقان معا انما يدعو ان إلى الاخلاص للدين لا لرب الدين. واما محبة الله سبحانه فإنها تطهر القلب من التعلق بغيره تعالى من زخارف الدنيا وزينها من ولد أو زوج أو مال أو جاه حتى النفس وما لها من حظوظ وآمال وتقصر القلب في التعلق به تعالى وبما ينسب إليه من دين أو نبي أو ولى وسائر ما يرجع إليه تعالى بوجه فان حب الشئ حب لآثاره. فهذا الانسان يحب من الأعمال ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله ويرضى برضا الله ولرضاه ويغضب بغضب الله ولغضبه وهو النور الذي يضئ له طريق العمل قال تعالى: " أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس "[١].

عن أبي عبد الله صلوات الله عليه قال: إن العبادة ثلاثة: قوم عبدوا الله عزوجل خوفا، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الاجراء، وقوم عبدوا الله عزوجل حبا له، فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة»[٢].

يقول احد العرفاء شعرا

كلهم يعبدون من خوفِ نار ... ويروْن النجاة حظاً جزيلاً
أو بأنْ يسكنوا الجنان فيضحوا ... في رياضٍ ويشربوا السلسبيلا
ليس لي في الجنان والنارِ رأيٌ ... أنا لا أبتغي بِحِبِّي بديلا

---

(١) سورة الانعام : الاية ١٢٢ .

(٢) تفسير الميزان: ١١: ١٦٠.

فقيل له فإن طردك فماذا تفعل:؟

فقال

فإذا لم أجد من الحب وصلا رمت في النار منزلا ومقيلا

ثم أزعجت أهلها ببكائي بكرة في ضريعها وأصيلا

معشر المشركين نوحوا علي أنا عبد أحببت مولا جليلا

إن لم أكن في الذي ادعيت صدوقا فجزاني منه العذاب الوبيلا[١]

الثالث: الصوم

تحقق لدينا ان من ضروريات الطريق والسلوك الى الله تعالى الصوم الكثير للسالك لانه يهيأ الارضية المناسبة للفيض الالهي .

وورد في الحديث القدسي: (إن الصوم لي وأنا أجزي به)[٢].

وقد قيل في وجه تخصيص الصوم بذلك مع أن جميع الأعمال لله تعالى، وانه تعالى يجزي الناس بها بأيدي الملائكة: ان الصوم أمر عدمي لا يظهر لغيره تعالى، فهو أبعد من شوب الرياء وأقرب إلى الإخلاص.ولذا يعتبر الصيام الخطوة المهمة نحو الاخلاص، وقد جاء في الحديث عن الزهراء عليها سلام:« ان الله تعالى جعل الصيام تثبيتا للاخلاص »[٣].

---

(١) الفتوحات المكية: ابن العربي: ٢: ٣٤٧.

(٢) الكافي: ٤: ٦٣.

(٣) علل الشرائع:الشيخ الصدوق: ١: ٢٤٨.

المطلب السابع : اثار الاخلاص

الاول: الاجتباء والاصطفاء

الدقّة في آيات القرآن تكشف عن أنّ كلمة «مخلِص» (بكسر اللام) غالباً ما تُستعمل في مراحل تكامل الإنسان الأُولى وفي حال بناء شخصيته، كقوله تعالى: (فإذا ركبوا في الفُلك دعوا الله مخلِصين له الدين)وكقوله تعالى: (وما أُمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلِصين له الدين)،غير أنّ كلمة «مخلَص» بفتح اللام إستعملت في المرحلة العالية للاخلاص .. التي تحصل بعد مدّة مديدة من جهاد النفس، تلك المرحلة التي ييأس الشيطان فيها من نفوذه ووسوسته داخل الإنسان، (قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلَصين) وهنا يكون الانسان مستخلص ومختار ومجتبى من قبل الله تعالى .

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[١].

وكذلك يقول تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢].

يقول النبيﷺ: قال الله عز وجل: لا أطلع على قلب عبد فأعلم منه حب الإخلاص لطاعتي ولوجهي وابتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته[٣].

ونقرأ في دعاء الندبة الوارد عن الامام الحجة:(اللهم لك الحمد على ما

---

(١) سورة يوسف : الاية ٢٤ .

(٢) سورة الصافات : الاية ٤٠ .

(٣) ميزان الحكمة: ١: ٧٥٩.

جرى به قضاؤك في أوليائك، الذين استخلصتهم لنفسك ودينك، إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم، الذي لا زوال له ولا اضمحلال، بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية، وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك وعلمت منهم الوفاء به)(١).

الثاني: تفجر الحكمة

الحكمة هي وضع الشيء في موضعه، وقدقال تعالى في شان الحكمة :(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (٢). والعبد اذا اخلص الى الله تعالى، وازال الاغيار، ولم يبق سوى الله في قلبه، فان الحكمة والعلم سوف تتفجر من قلبه على لسانه وسوف يكون القلب مراة صافية لقبول الفيض الالهي؛ وقد ورد في الحديث عن النبي الاكرم: «ما أخلص عبد لله عز وجل أربعين صباحا إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٣).

يقول جلال الدين الرومي:

فاذا المراة لم تعكس فما ... ذاك الا من قذارات العمى
لو صفت مراتنا عما سواه ... فاض في اجوائها نور الاله
امسح الاقذار عنها لترى ... كل شيء لسناه مظهرا
فاستمع بالروح ما فيه ابوح ... فهو سر الروح ما فيه ابوح
لتنقى النفس من طين وماء ... بعد ذا بالروح حلق للسماء

---

(١) إقبال الأعمال: ١: ٥٠٤.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٩

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق: ١: ٧٤.

فاذا القلب به الروح امتزج فاقصد الدرب ولا تخشى العوج[١]

المطلب الثامن : اهل البيتعليهم السلام المصداق الكامل في الاخلاص الى الله تعالى

١- ورد في زيارة الجامعة قولهعليه السلام «وَالْمُخْلِصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللّهِ»[٢].

والمخلصين، يُقرأ بكسر اللام وفتحه.

فبالكسر معناه: الذين أخلصوا في توحيد الله تعالى وكان اعتقادهم بالتوحيد خالصاً من كلّ شوب وريب .وقد بلغ أهل البيت المرتبة العليا في هذا الإخلاص.

بدليل قولهصلى الله عليه وآله: ياعلي ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك[٣].

وبالفتح معناه: الذين إختارهم الله وأخلصهم لتوحيده، بمعنى أنّهم هم المختارون الذين عرّفوا الله تعالى بأقصى مراتب التوحيد، وبسببيلهم عرف التوحيد.

وقد بلغ أهل البيتعليهم السلام مرتبة أن خصّهم الله بهذه الدرجة، بدليل قول الإمام الباقرعليه السلام في حديث جابر: بنا عُرف الله وبنا وُحّد الله وبنا عُبِد الله[٤].

بل إنحصرت معرفة الله بمعرفتهم كما في حديث مِقرن، عن أبي عبداللهعليه السلام أنّه قال أمير المؤمنينعليه السلام: ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله

---

(١) حكايات وعبر من المثنوي: جلال الدين الرومي: ١٣.

(٢) جامع احاديث الشيعة: ١٢: ٢٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩: ٨٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢٥: ٢٠.

عزّوجلّ إلاّ بسبيل معرفتنا[١].

٢-يقول تعالى في اخلاص اهل البيت عليهم السلام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً﴾ الإنسان٩. لم يكن مجرد اطعام، بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجة الماسة للغذاء، ومن جهة أخرى فهو إطعام في دائرة واسعة حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين واليتيم والأسير، ولهذا كانت رحمتهم عامة. والامر الاخير ان هذا الايثار المقصود به وجه الله تعالى والاخلاص له تعالى لا غير فيقول: «إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا».

وفي الكشاف: وعن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك (ولديك ظ) فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء. فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياما. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما أبصرهم وهم يرتعشون

(١) بحار الأنوار: ٢٤: ٢٥٣.

كالفراخ من شدة الجوع قال: ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرءه السورة »[١].

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري: ٤: ١٩٩.

الباب التاسع

الشكر

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الشكر لغة واصطلاحا

(أ) الشكر لغة: بالضم: عرفان الإحسان ونشره، وهو الشكور أيضا، أو لا يكون الشكر إلا عن يد، والحمد يكون عن يد وعن غير يد،

شكرتك إن الشكر حبل من التقي   وما كل من أوليته نعمة يقضي

فهذا يدل على أن الشكر لا يكون إلا عن يد، ألا ترى أنه قال: وما كل من أوليته إلخ، أي ليس كل من أوليته نعمة يشكرك عليها[١].

(ب) الشكر اصطلاحا: عبارة عن كيف نفساني ناتج عن مشاهدة نعم المنعم، وله اثار على القلب واللسان والجوارح .

وهناك عدة تعريفات ذكرها الشريف الجرجاني.

اولا: عبارة عن معروف يقابل النعمة، سواء كان باللسان أو باليد أو بالقلب.

ثانيا: وقيل: هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، فالعبد يشكر الله، أي يثني عليه بذكر إحسانه الذي هو نعمة، والله يشكر العبد، أي يثني عليه بقبوله إحسانه الذي هو طاعته.

---

(١) تاج العروس: الزبيدي: ٧: ٤٨ — ٥٢.

ثالثا: والشكر العرفي: هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق لأجله[١].

المطلب الثاني: اقسام الشكر

الاول: الشكر القلبي

وهو اصل الشكر لانه ادراك ومعرفة ان النعم المتوالية من الله تعالى.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِ بِنِعمَة فَعَرَفَها بِقَلبِهِ فَقَد أَدّى شُكرَها»[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى اشكرني حق شكري، فقال، يا رب، وكيف أشكرك حق شكرك وليس من شكر أشكرك إلا وأنت أنعمت به علي؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني[٣]. وهذا حقيقة الشكر الإعتراف بالعجز عن الشكر.

ويقول الامام السجاد عليه السلام في مناجاة الشاكرين: «إلهي أذهلني عن إقامة شكرك تتابع طولك وأعجزني عن إحصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك وأعياني عن نشر عوارفك توالي أياديك. وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء وقابلها بالتقصير، وشهد على، نفسه بالاهمال والتضييع فآلاؤك جمة ضعف لساني عن إحصائها، ونعماؤك

---

(١) التعريفات: الشريف الجرجاني: ١٠٦.

(٢) الكافي: ٢: ٩٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢: ٩٨.

كثيرة قصر فهمي عن إدراكها فضلا عن استقصائها. فكيف لي بتحصيل الشكر وشكري إياك يفتقر إلى شكر؟ ! فكلما قلت لك الحمد، وجب علي لذلك أن أقول لك الحمد[(١)].

يقول الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله وإن طالت الأيام واتصل العمر [(٢)]

الثاني: الشكر اللساني:

ويتفرع الى امرين

(أ) الحمد لله والثناء عليه بما يليق بكماله وجماله. وافضل كلمة اثنى بها الله عن نفسه واراد من عباده ان يثنوا عليه بها هي كلمة «الحمد لله» وقد رددها الانبياء والاولياء عليهم السلام فالله تعالى محمود على جميل أسمائه ومحمود على جميل أفعاله وأنه ما من حمد يحمده حامد لأمر محمود إلا كان لله سبحانه حقيقة لان الجميل الذي يتعلق به الحمد منه سبحانه، وكما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:«لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[(٣)].

القران الكريم

١- قال تعالى في خطابه لنوح عليه السلام:﴿ فقل الحمد لله الذي نجانا من

---

(١) الصحيفة السجادية: ٤٠٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق:ابن عساكر: ٥: ١٩٠

(٣) مستدرك الوسائل: ٤: ٣٢١.

القوم الظالمين﴾[١].

٢- وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام:﴿ الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق﴾[٢].

٣- وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله في بضعة مواضع من كلامه: ﴿ وقل الحمد لله﴾[٣].

٤- وقال تعالى حكاية عن داود وسليمان عليهما السلام:﴿ وقالا الحمد لله﴾[٤].

٥- وما حكاه عن أهل الجنة وهم المطهرون من غل الصدور ولغو القول والتأثيم كقوله: ﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[٥].

السنة النبوية

١-عن حماد بن عثمان قال خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردها الله علي لأشكرن الله حق شكره، قال: فما لبث أن اتي بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل: جعلت فداك أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعني قلت: الحمد الله[٦].

٢- عن ميسر، عن أبي عبد الله عليه السلام تمام الشكر قول الرجل الحمد الله

---

(١) سورة المؤمنون : الاية ٢٨ .

(٢) سورة ابراهيم : الاية ٣٩ .

(٣) سورة النمل : الاية ٣٩ .

(٤) سورة النمل : الاية ١٥ .

(٥) سورة يونس : الاية ١٠ .

(٦) الكافي: ٢: ٩٨.

رب العالمين[١].

٣- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهرا بلسانه فتم كلامه حتى يؤمر له بالمزيد[٢].

٤- عن ابي عبد الله عليه السلام يقول: شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل عليها[٣].

٥- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة[٤].

٦- عن إسماعيل بن الفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات، " اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو عافية من دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب حتى ترضى وبعد الرضا " فإنك إذا قلت ذلك كنت قد أديت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة.[٥]

٧- وعن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسمي بذلك عبدا شكورا[٦].

(ب) التحدث بنعم الله تعالى:

---

(١) الكافي : ٢: ٩٥.

(٢) الكافي: ٢: ٩٥.

(٣) الكافي: ٢: ٩٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢: ٩٧.

(٥) المصدر نفسه: ٢: ٩٩.

(٦) المصدر نفسه: ٢: ٩٩.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[(١)].

فالله سبحانه يحب إذا أنعم على عبده نعمة يحب أن يرى أثرها عليه واما عدم اظهار هذه النعم يكون من الجحود .والتحدث عن النعم عن جميع النعم، النعم المادية والنعم المعنوية

١- وفي المجمع عن الصادق عليه السلام: معناه فحدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهداك[(٢)].

٢- عن الحسين بن علي عليهما السلام قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه[(٣)].

٣- وعنه عليه السلام قال: إذا أنعم الله على عبده بنعمة فظهرت عليه سمي حبيب الله محدثا بنعمة الله وإذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سمي بغيض الله مكذبا بنعمة الله[(٤)].

ثالثا: شكر الجوارح

الشكر بالجوارح وهو العمل والنشاط في طاعة الله الموجب الى قربه سبحانه وتعالى وترك معاصيه.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة ألا أكون عبدا شكورا. قال: وكان سول الله صلى الله عليه وآله يقوم

---

(١) سورة الضحى : الاية ١١ .

(٢) تفسير مجمع البيان: ١٠: ٣٨٦.

(٣) المحاسن: ١: ٢١٨.

(٤) الكافي: ٦: ٤٣٨.

على أطراف أصابع رجليه فأنزل الله سبحانه وتعالى: " طه ❊ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى"[١].

المطلب الثالث: درجات الشكر

ذكر الخواجه الانصاري صاحب منازل السائرين ان هناك درجات ثلاثة للشكر[٢] مع توضيح منا .

الدرجة الأولى: الشكر على المحاب

ويقصد بذلك الاشياء المحبوبة بالنسبة للانسان من النعم الالهية المختلفة الواصلة اليه من قبل الله تعالى.

عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سألت الله عز وجل أن يرزقني مالا فرزقني وإني سألت الله أن يرزقني ولدا فرزقني وسألته أن يرزقني دارا فرزقني وقد خفت أن يكون ذلك استدراجا، فقال: أما - والله - مع الحمد فلا[٣].

عن هشام بن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله عن دابته، فخر ساجدا، فأطال وأطال، ثم رفع رأسه وركب دابته فقلت: جعلت فداك قد أطلت السجود؟ فقال: إنني ذكرت نعمة أنعم الله بها علي فأحببت أن أشكر ربي[٤].

---

(١) الكافي : ٢: ٩٥.

(٢) شرح منازل السائرين: ٢١٥.

(٣) الكافي: ٢: ٩٧.

(٤) الكافي : ٢: ٩٨.

الدرجة الثانية: الشكر في المكاره

عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى داود – صلوات الله عليه – أن قرينك في الجنة خلادة بنت أوس، فأتها وأخبرها وبشرها بالجنة، وأعلمها أنها قرينتك في الآخرة، فانطلق داود إليها فقرع الباب عليها فخرجت إليه فقال: أنت خلادة بنت أوس؟ قالت: يا نبي الله لست بصاحبتك التي تطلب، قال لها داود: ألست خلادة بنت أوس من سبط كذا وكذا؟ قالت: بلى، قال: فأنت هي إذن، فقالت: يا نبي الله لعل اسما وافق اسما، فقال لها داود: ما كذبت ولا كذبت وإنك لأنت هي، فقالت: يا نبي الله ما أكذبك، ولا والله ما أعرف من نفسي ما وصفتني به، قال لها داود – صلوات الله عليه –: خبريني عن سريرتك ما هي؟ قالت: أما هذا فسأخبرك به، إنه لم يصبني وجع قد نزل بي من الله تبارك وتعالى كائنا ما كان، ولا نزل بي مرض أو جوع إلا صبرت عليه، ولم أسأل الله كشفه حتى هو يكون الذي يحوله عني إلى العافية والسعة لم أطلب بها بدلا، وشكرت الله عليها وحمدته، قال لها داود – صلوات الله عليه –: فبهذا النعت بلغت ما بلغت. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هذا والله دين الله الذي ارتضاه للصالحين[١].

الدرجة الثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المنعم

أن لا يشهد العبد إلا المنعم فإذا شهد المنعم عبودة استعظم منه النعمة، وإذا شهده حبا استحلى منه الشدة، وإذا شهده تفريدا لم يشهد منه شدة ولا

---

(١) مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: ٦٠.

نعمة[١].

يقول الامام الخميني(قدس)في شرح هذه العبارة .

الأول: ان يشاهد جمال المنعم مشاهدة العبد الذليل لمولاه، ويغفل عن نفسه ويستغرق في آداب الحضور، ولا يرى لنفسه اعتبارا. فإذا أنعم عليه في اللحظات التي فيها يحتقر نفسه، بنعمة استعظمها، ويجد نفسه غير مؤهل لتلك النعمة.

الثاني: أن يشاهده مشاهدة الصديق لصديقه، وفي هذه الحال يستغرق في جمال محبوبه، وكل ما يرى منه يكون محبوباً لديه ومستمتعاً منه، حتى إذا كان شاقاً ومجهداً.

الثالث: يشاهده مشاهدة التفريد ومن دون تعيّنات الأسماء، بل يشاهد نفس الذات، فيغفل عن نفسه وعن غيره، ولا يكون مشهوداً له إلا ذات الحق من دون أن يرى نعمةً أو يشاهد شدّة[٢].

المطلب الرابع: اهم اثار الشكر هو الزيادة للشاكر

ان السالك الى الله تعالي دائم الشكر له تعالى ولذا فهو يعيش في كل لحظة الزيادات المعنويه والافاضات الربانيه ولذا فهو يكون في غنى دائم بل هو اغنى انسان في العالم .

وقد وردت عن اهل بيت العصمة والطهارة روايات كثيرة في اثر الشكر ونحن نقتصر على بعضها.

١-قال رسول الله ﷺ:ما فتح الله على عبد باب شكر فخزن عنه

(١) شرح منازل السائرين: ٢١٥.

(٢) الاربعون حديث: الامام الخميني: ٣٢١.

باب الزيادة[١].

٢–عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أعطي الشكر أعطي الزيادة، يقول الله عز وجل: " لئن شكرتم لأزيدنكم"[٢].

٣ – عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير[٣].

٤– عن معمر بن خلاد: قال الرضا عليه السلام: اتقوا الله وعليكم بالتواضع والشكر والحمد، إنه كان في بني إسرائيل رجل فأتاه في منامه من قال له: إن لك نصف عمرك سعة فاختر أي النصفين شئت؟ فقال: إن لي شريكا، فلما أصبح الرجل قال لزوجته: قد أتاني في هذه الليلة رجل فأخبرني أن نصف عمري لي سعة فاختر أي النصفين شئت، فقالت له زوجته: اختر النصف الأول، فقال: لك ذاك، فأقبلت عليه الدنيا، فكان كلما كانت نعمة قالت زوجته: جارك فلان محتاج فصله، وتقول: قرابتك فلان فتعطيه. وكانوا كذلك كلما جاءتهم نعمة أعطوا وتصدقوا وشكروا، فلما كان ليلة من الليالي أتاه رجل فقال: يا هذا، إن النصف قد انقضى فما رأيك؟ قال: لي شريك، فلما أصبح الصبح قال لزوجته: أتاني الرجل فأعلمني أن النصف قد انقضى، فقالت له زوجته: قد أنعم الله علينا فشكرنا والله أولى بالوفاء، قال: فإن لك

(١) الكافي: ٢: ٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢: ٩٥.

(٣) الكافي: ٢: ٩٤.

تمام عمرك[١].

المطلب الخامس: عقوبة كفران النعمة زوالها

يقول تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢].

عن عمرو بن شمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن قوما أفرغت عليهم النعمة وهم أهل الثرثار فعمدوا إلى مخ الحنطة فجعلوها خبزا هجاء وجعلوا ينجون به صبيانهم حتى اجتمع من ذلك جبل عظيم، قال: فمر بهم رجل صالح وإذا امرأة وهي تفعل ذلك بصبي لها، فقال لهم: ويحكم اتقوا الله عز وجل ولا تغيروا ما بكم من نعمة فقالت له: كأنك تخوفنا بالجوع أما ما دام ثرثارنا تجري فإنا لا نخاف الجوع قال: فأسف الله عز وجل فأضعف لهم الثرثار وحبس عنهم قطر السماء ونبات الأرض قال: فاحتاجوا إلى ذلك الجبل وإنه كان يقسم بينهم بالميزان[٣].

---

(١) مشكاة الأنوار: ٦٩.

(٢) سورة ابراهيم : الاية ٧ .

(٣) الكافي: ٦: ٣٠١.

الباب العاشر

التوكل

وفيه مطالب:

المطلب الاول: التوكل لغة واصطلاحا

(أ) التوكل لغة: التوكل من مادة " وكل " يقال: وكل بالله وتوكل عليه واتكل استسلم إليه، وهو الاعتماد على الغير، وتقول وكلت أمري إلى فلان أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه[(١)].

(ب) التوكل اصطلاحا: ذكرت هناك عدة تعريفات للتوكل. واليك بعضها

اولا: يقول صاحب منازل السائرين: التَّوَكُّلُ كِلَة الأمْرِ كُله إِلَى مَالِكهِ وَالتَّعْوِيلُ عَلَى وِكَالَتِه[(٢)].

ثانيا: وينقل الامام الخميني في كتابه الاربعون حديث تعريفات أخرى عن ارباب العرفان

١- التَّوَكُّلُ طَرْحُ البَدَنِ فِي العُبُودِيَّةِ وَتَعَلُّقُ القَلْبِ بِالرُّبُوبِيَّةِ

(١) لسان العرب: ١١: ٧٣٤.

(٢) شرح منازل السائرين: باب التوكل: ١٧١.

٢-ا لتَّوكُّلُ عَلَى اللهِ انْقِطَاعُ العَبْدِ فِي جَمِيعِ مَا يَأمُلُهُ مِنَ المَخْلُوقِينَ[١].

ثالثا: ويقول الشريف الجرجاني

التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس[٢].

وبالجملة التوكل حالة فاضلة للقلب توجب تفويض الأمور إلى الحق والانقطاع عما سواه وله مبدء وأثر مترتب عليه ومبدؤه العلم بأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه عالم بجميع الأشياء بحيث لا يعزب عنه تعالى مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأنه قادر على جميع المقدورات وأنه حكيم لا يجور في حكمه وأنه رؤوف بعباده.

المطلب الثاني: فضل التوكل

أولا: القران الكريم

التوكل له أهمية كبيرة وفضل عظيم ولذا امر الله تعالى به في كتابه العزيز.

١)يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣].

٢) يقول تعالى: ﴿ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤].

٣) يقول تعالى:﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا

(١) الاربعون حديث: الامام الخميني: ٢٠٧.

(٢) التعريفات: ٥٦.

(٣) سورة آل عمران : الاية ٥٩ .

(٤) سورة المائدة : الاية ١١ .

تَعْمَلُونَ﴾[١].

ثانيا: السنة النبوية

١-عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب. قال: (فقلت): من هم؟ قال: (هم) الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يعتافون، (و) على ربهم يتوكلون[٢].

٢- عن الإمام موسى الكاظم(ع): إن الغنى والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بمواضع التوكل أوطنا[٣].

٣-عن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا[٤].

ثالثا: العقل

ان العقل قاض بان الله تعالى هو مقدِّر الأمور، ومسبّب الأسباب، والمؤثر في الوجود، ولا حدود لقدرته وتصرّفه.والدليل العقلي على لزوم التوكل أمور:

اولا: أن الحق تعالى عالمٌ بحاجات العباد.

وثانيا: أنه قادر على تلبية تلك الحاجات.

وثالثا: أنه ليس في ذاته المقدسة بخل.

---

(١) سورة هود : الاية ١٢٣ .

(٢) كتاب الأربعون الصغرى: البيهقي: ٨٩.

(٣) الكافي: ٢: ٦٥.

(٤) مسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي: ١: ٢١٢.

ورابعا: أنه رحيم بالعباد ورءوف بهم.

وعلى هذا يجب التوكل على الله تعالى عقلا .وعدم التوكل على الله تعالى فيه مخالفة لحكم العقل القاضي بان الله تعالى المؤثر في الوجود ولا مؤثر في الوجود غيره.

المطلب الثالث: مراتب التوكل

(أ) ما ورد عن اهل البيت عليهم السلام في مراتب التوكل

عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: سألته: عن قول الله عز وجل: " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضيا، تعلم أنه لا يألوك خيرا وفضلا وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها[١].

(ب) ما ذكره بعض علماء[٢] العرفان ان للتوكل ثلاث مراتب:

الأُولى: أن يعيش الإنسان الاعتماد والاطمئنان والثقة بالله تعالى كما يطمئن الإنسان ويثق بوكيله عندما يجده لائقاً ومخلصاً فيفوض أُموره إليه (دون أن يفقد اصالته واستقلاله بهذا الاعتماد والثقة) وهذه هي أضعف مراتب التوكل.

الثانية: أن يكون حاله في اعتماده على الله وثقته بنفسه كحال الطفل بالنسبة لأُمّه، فالطفل في بداية الأمر لا يرى شيئاً سوى أُمّه ولا يعتمد على

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٢: ٦٥.

(٢) انظر احياء علوم الدين: الغزالي: ٤: ٢٦١.

غيرها إطلاقاً، فما أن يراها حتّى يتعلق بها، وعندما يجد نفسه لوحده فإنه بمجرد أن يصيبه شيء أو حادثة فإنه يطلب أُمّه فوراً ويبكي أيضاً في طلبها. ولاشكّ أنّ هذه المرتبة من التوكل أعلى من السابقة، لأن الإنسان لا يرى أحداً غيره ولا يطلب من أيّ أحد حلّ مشكلاته إلاّ من الله تعالى.

المرتبة الثالثة: وهي بدورها أعلى من المرتبة الثانية في سُلّم الكمال المعنوي، وهي أن يجد الإنسان نفسه عديم الإرادة والاختيار، كالميت مع الغاسل. فكلّما أراد منه الله شيئاً ورضي به كان رضاه بذلك الشيء وتعلّقت إرادته بذلك الشيء أيضاً، وكلّما عَلِم أنّ الله لا يريد ذلك الشيء فإنه لا يُريده أيضاً.

البعض يرى أن توكل إبراهيم عليه السلام كان يحكي عن هذه المرتبة الثالثة، عندما وضعوه في المنجنيق وأرادوا قذفه في النار المهيبة، ولكنه مع ذلك لم يطلب شيئاً من الملائكة على مستوى انقاذه من الهلكة، وعندما قالت له الملائكة: هل لك حاجة؟ قال: لي حاجة ولكن ليست إليكم، وعندما قيل له: اطلب حاجتك من الله لينقذك من هذه النار المحرقة، فقال: حَسْبِي مِنْ سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي[1]. وهذه الغاية في الفناء وهي من مقام الصديقين.

المطلب الرابع: التوكل ليس ترك الاسباب

روح التوكل لا تمنع من الأخذ بالأسباب الظاهرية.وأساساً فإنّ مشيئة الله تعالى قائمة على أساس أن يأخذ الناس في حركتهم لتحقيق مقاصدهم بالأسباب والوسائل الموجودة كما ورد في الحديث الشريف عن الإمام

---

(١) تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطبرسي: ٢: ٥٣٠.

الصادق عليه السلام حيث قال: اَبَى اللهَ اَنْ يَجْرِيَ الأَشْيَاءَ اِلاّ بِاَسْبَاب فَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَباً[١].

فقد ورد في حديث معروف أنّ رجلاً اعرابياً ترك ناقته وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ» فقال له النبي صلى الله عليه وآله: اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ[٢].

وهناك نصوص كثيرة توجب على المؤمنين الأخذ بالأسباب الظاهرية وأنّ ذلك لا يتقاطع مع روح التوكل من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾[٣].

وكذلك ورد في زمان النبي موسى عليه السلام حيث ورد أنّ موسى عليه السلام اعتلّ بعلّة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علّته فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرأت. فقال: لا أتداوى حتّى يعافيني من غير دواء، فطالت علّته فقالوا له: إن دواء هذه العلّة معروف مجرّب وإنّا نتداوى به فنبرأ. فقال: لا أتداوى، فدامت علّته فأوحى الله إليه: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ اَبْرَأْتُكَ حَتَّى تَتَدَاوَى بِمَا ذَكَرُوهُ لَكَ، فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله إليه: اَرَدْتَ اَنْ تَبْطُلَ حِكْمَتِي بَتَوَكُّلِكَ عَلَيَّ، فَمَنْ اَوْدَعَ الْعَقَاقِيرَ مَنَافِعَ الأَشْيَاءِ غَيْرِي[٤].

---

(١) بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار: ٢٦.

(٢) سنن الترمذي:الترمذي: ٥: ٤١٧.

(٣) سورة الانفال : الاية ٦٠ .

(٤) موسوعة الأحاديث الطبية:محمد الريشهري: ١ :٤٣.

المطلب الخامس: اثار التوكل على الله تعالى

اولا: التوكل يولد لدى الانسان الثقة، والمعنوية العالية، والشجاعة لتجاوز حالات الخوف.

فالخوف حالة متأصلة وغريزة فطرية في الانسان، فقد نشأت عنده طبيعة الخوف مذ خلق ومكث في الارض،، ولكن إذا أحسّ الانسان بأنّ هناك قوة عظيمة وراءه قادرة محيطة به لا يخشى احدا في هذا الوجود غير الله تعالى لان قوته سوف تكون مستمدة من قوته تعالى وقوة الله غير محدودة، وقد ورد في القران ما يدل على ان الله تعالى مع عبده الذي يتوكل عليه.

(أ)القران الكريم

١- يقول تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[١].

٢- ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[٢].

٣- ويقول تعالى ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٣].

(ب) السنة النبوية

عن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم، قال: سألت الرضا عليه السلام

---

(١) سورة الزمر : الاية ٣٦ .

(٢) سورة غافر : الاية ٤٥ .

(٣) سورة الطلاق : الاية ٣ .

فقلت له: جعلت فداك، ما حد التوكل؟ فقال لي: أن لا تخاف مع الله أحدا[١].

وعن مفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي واد هلك[٢].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: كَيْفَ اَخَافُ واَنْتَ اَمَلِي وكَيْفَ اُضَامُ واَنْتَ مُتَّكَلِي[٣].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ لاَ يُغْلَبُ، وَمَنْ اِعْتَصَمَ بِاللهِ لاَ يُهْزَمُ[٤].

ثانيا: التوكل يولد الانقطاع الى الله تعالى

التوكل حالة من الانقطاع الى الله تعالى والفناء في ساحة قدسه تعالى والعجز امام سلطان الله تعالى والخروج من الحول والقوة والدخول في حول الله وقوته .والانقطاع الى الله تعالى هي غاية امال العارفين .يقول امام العارفين ومولى الموحدين امير المؤمنين عليه السلام.

إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر ابصار قلوبنا بضياء نظرها

(١) الأمالي: الشيخ الصدوق: ٣١١.

(٢) الكافي: ٢: ٦٣.

(٣) المصباح: الكفعمي: ٢١٤.

(٤) مشكاة الأنوار:علي الطبرسي: ٥١.

إليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك، الهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك، فناجيته سرا وعمل لك جهرا[١].

وعلى هذا اصبح المتوكلون في عين الله تعالى ومحبته
قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٢].

المطلب السادس: الانبياء والأولياء هم المصداق الكامل للتوكل على الله تعالى

أولاً: نوح عليه السلام

واجه نوح قومه بكلّ شجاعة ودعاهم بالكلام الهادئ والمتّزن والمنطقي من موقع الاعتماد على الله والتوكل عليه، فتقول الآية الشريفة مخاطبة نبي الإسلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾[٣].

ثانيا: هود عليه السلام

وهذه الاية تتحدث على لسان النبي هود الّذي عاش بعد عصر نوح عليه السلام وقد هدّده قومه الوثنيّون بالموت، ولكنه انطلق من موقع القوّة والتوكل على الله وقال لهم بصراحة كما تقول الآية:

﴿... قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّـى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ

---

(١) إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس: ٣: ٢٩٩.

(٢) سورة آل عمران : الاية ١٥٩ .

(٣) سورة يونس : الاية ٧١ .

فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لاَتُنظِرُونِ * اِنّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾(١).

ثالثا: ابراهيم عليه السلام

هذه الاية المباركة تشير إلى جانب من سيرة النبي إبراهيم عليه السلام وتوكّله على الله في أحلك الظروف وأصعب الحالات الّتي يواجهها الإنسان وتقول: ﴿رَبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلوا ةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَا تِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٢).

فلو لم يكن ايمان إبراهيم كالجبل الشاهق، ولم يكن له قلب كالبحر المتلاطم، ولم يكن يعيش التوحيد والتوكل في أعلى مراتبه، فهل يمكنه كإنسان طبيعي أن يسكن زوجته وابنه الحبيب في صحراء قاحلة ومحرقة بلا ماء ولا كلاء ليس لشيء إلاّ امتثالاً لأمر الله تعالى ثمّ يعود من هناك إلى وطنه الأصلي؟

رابعا: شعيب عليه السلام

وشعيب حيث وقف مقابل المشركين من قومه وتصدّى لعقائدهم وتهديداتهم ومؤامراتهم من موقع الاستهزاء والسخرية، وكان يقول لهم في حكايته عن دعوته ورسالته السماوية: ﴿... إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الاِصْلاَحَ مَااسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(٣).

---

(١) سورة هود : الاية من ٥٤ الى ٥٦ .

(٢) سورة ابراهيم : الاية ٣٧ .

(٣) سورة هود : الاية ٨٨ .

خامسا: يعقوب عليه السلام

يعقوب عليه السلام كان يعيش في مضيقة شديدة في ذلك الزمان، فمن جهة فقد ابنه العزيز يوسف، ومن جهة أُخرى كان يعيش القحط الشديد في كنعان، ولذا اوصى ابناءه المتجهون إلى مصر بقوله: ﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لاَتَدْخُلُواْ مِن بَاب وَا حِدِ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَا ب مُّتَفَرِّقَة...﴾[١]. ثمّ أضاف: انني بهذه التوصية لا أستطيع أن أصُدّ عنكم البلاء أو أمنع عنكم ما قدّر الله لكم، ﴿...وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَىْء إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٢].

سادسا: موسى عليه السلام

انّ بني إسرائيل كانوا مستضعفين بأجمعهم من قبل الفراعنة وكانوا يعيشون الخوف وشدّة العذاب من قبل فرعون وقومه، فعندما نرى أنّ زوجة فرعون وبسبب اعلانها الإيمان بموسى عليه السلام قد وضعت تحت طائلة العذاب الشديد من قبل زوجها فرعون، فمن الواضح ما كان تعامل فرعون مع سائر بني إسرائيل، ولهذا السبب فإنّ موسى بن عمران ولغرض ايجاد حالة من الطمأنينة والهدوء النفسي في قومه وإزالة عنصر الخوف والرعب المسلّط عليهم أمرهم بالتوكل على الله، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِنْ كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة يوسف : الاية ٦٧ .

(٢) سورة يوسف : الاية ٦٧ .

(٣) سورة يونس : الاية ٨٤ .

ومن البديهي أنّ موسى عليه السلام نفسه كان في مرتبة متقدمة من هذا الأمر من حيث تجسيده لمعنى التوكل في ممارساته العملية، وهكذا لبّى المؤمنون من بني إسرائيل نداء موسى عليه السلام ﴿فَقَالُواْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا...﴾[١].

سابعا: النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله

يقول تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٢].

وهذه الايه تتحدّث عن نبي الإسلام ومقام توكله على الله تعالى، فعندما كان يواجه المشكلات والضغوط الصعبة في حركته التبليغية علّمه الله تعالى كيف يتغلب على هذه المشكلات الكبيرة، وهو التوكل على الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة يونس : الاية ٨٥ .

(٢) سورة التوبة : الاية ١٢٩ .

الباب الحادي عشر

الرضا

وفيه مطالب:

المطلب الاول: الرضا لغة واصطلاحا

(أ)الرضا لغة: (رضي) الرِّضا مقصورٌ ضدُّ السَّخَطِ وفي حديث الدعاء اللهم إني أَعوذُ برضاكَ من سَخَطِك[١].

(ب)الرضا اصطلاحا: سكون النفس واطمئنانها مع الله فيما يقضي ويقدر.

وذكرت تعاريف متعددة للرضا، منها

١-يقول صاحب التعريفات الرضا: سرور القلب بمر القضاء[٢].

٢-ويقول ابن عجيبة في معراج التشوف الرضا: ترك الاختيار على الله فيما دبر وامضى، او شرح الصدر ورفع الانكار لمايرد من الواحد القهار[٣].

٣- ويقول الخواجة الانصاري: والرضا، اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدما ولا متأخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا[٤].

---

(١) لسان العرب: ١٤: ٣٢٣.

(٢) التعريفات: ٩١.

(٣) معراج التشوف الى حقائق التصوف: عبدالله احمد ابن عجيبة: ٣١.

(٤) شرح منازل السائرين: باب الرضا: ٢٠٥.

المطلب الثاني: الرضا من المقامات او الاحوال

يقول القشيري[١]: وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرِّضا: هل هو من الأحوال، أو من المقامات.فأهل خراسان قالوا: الرضا: من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، ومعناه: أنه ينول إلى أنه يتوصل إليه العبد باكتسابه.

وأما العراقيون؛ فإنهم قالوا: الرضا: من جملة الأحوال، وليس ذلك كسباً للعبد، بل هو نازلةٌ تحل بالقلب كسائر الأحوال.

ويمكن الجمع بين اللسانين؛ فيقال: بداية الرِّضا مكتسبة للعبد، وهي من المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست بمكتسبة.

المطلب الثالث: اقسام الرضا

القسم الاول: الرضا بالله والاسلام والنبي والائمة الاطهار عليهم السلام

قال في المبسوط أيضا ": روي إذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله أن يقول: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا " عبده ورسوله، رضيت بالله ربا "، وبالإسلام دينا "، وبمحمد رسولا، وبالأئمة الطاهرين أئمة »[٢].

وعن محمد بن سليمان الديلمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إن شيعتك تقول: إن الايمان مستقر ومستودع فعلمني شيئا إذا قلته استكملت الايمان قال: قل في دبر كل صلاة فريضة رضيت بالله ربا

---

(١) انظر الرساله القشيريه: باب الرضا: ٩٠.

(٢) تحرير الأحكام: العلامة الحلي: ١: ١٤٢٠: ٢٣١.

وبمحمد نبيا وبالإسلام دينا وبالقرآن كتابا وبالكعبة قبلة وبعلي وليا وإماما وبالحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم اللهم إني رضيت بهم أئمة فارضني لهم إنك على كل شيء قدير »[١].

١- الرضا بالله ربا:

والله نعم المربي للانسان على المستويين المادي والمعنوي

اولا: اما على المستوى المادي فالله تعالى سخر كل شيء في الكون والوجود للانسان

يقول تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٢].

وقال الامام السجاد عليه السلام: «يا من يغذيني بالنعم صباحا ومساء»[٣].

وثانيا: واما على مستوى النعم المعنويه فأعظم النعم نعمة العقل التي اعطيت للانسان بحيث ميز عن البهائم، وبعث الانبياء والرسل وأقامة الحجج من الائمة الاطهار الكاملين عليهم السلام لايصال الناس الى الكمال وتخليصهم من الوثنية والاخلاق غير المرضية والدليل على ذلك عن أبي حمزة، قال: كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة، فدعا بطعام ما لنا عهد بمثله لذاذة وطيبا، حتى تملينا

---

(١) وسائل الشيعة: ٦: ٤٦٣.

(٢) سورة ابراهيم : الاية من ٣٢ الى ٣٤ .

(٣) الصحيفة السجادية: ١٧٥.

وأوتينا بتمر، ينظر فيه إلى وجوهنا من صفائه وحسنه، فقال رجل: (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن هذا النعيم الذي نعمتم عند ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو عبد الله عليه السلام: الله أكرم وأجل من أن يطعمكم طعاما فيسوغكموه، ثم يسألكم عنه، ولكنه أنعم عليكم بمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله[(١)].

٢- الرضا بالاسلام:

فالاسلام خاتم الاديان وهو الشريعة الكاملة التي ارتضاها الله تعالى للبشر الى يوم القيامة فلا يتوقع ان تاتي شريعة اخرى تحل محل الاسلام وعليه يجب التسليم والرضا بالاسلام يقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[(٢)]. آل عمران ١٩

ويقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[(٣)].

٣-الرضا بالنبي الاكرم صلى الله عليه وآله:

باعتباره الانسان الكامل الذي اختاره الله تعالى لرسالته العالمية لكل البشر والله تعالى اعلم حيث يجعل رسالته يقول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[(٤)].

وباعتباره خاتم الانبياء والمرسلين كما يقول تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

---

(١) تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي: ٣٦٣.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٧٥.

(٣) سورة المائدة : الاية ٣ .

(٤) سورة الانبياء : الاية ١٠٧ .

عَلِيماً﴾[١]. فلا يتوقع بعث نبي بعد النبي الاكرمﷺ.وقد قال النبيﷺ الى عليعليه السلام كما ينقل ذلك الرواة من العامة، والخاصة انه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وخلف عليا رضي الله عنه فقال له أتخلفني قال له أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي[٢]. وهذا دليل على ان النبي لا يوجد بعده نبي ولكن رسالته خاتمة الرسائل فيجب على البشرية جميعا ان تنقاد الى النبيﷺ وتكون تحت لوائه .

٤- الرضا بالائمة الاطهار عليهم السلام:

يجب الرضا بالائمة الاطهار عليهم السلام ائمة وقادة وخلفاء للرسولﷺ باعتبارهم امتداد النبي الاكرمﷺ والبشر الكاملين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا واستخلصهم الله لدينه وجعلهم الذريعة اليه والوسيلة الى رضوانه وقد حدد الرسولﷺ الهداية باتباعهم والضلال والغواية بالانحراف عنهم، يقولﷺ كما ينقل ذلك الخاصة والعامة: (أيها الناس اني تارك فيكم أمرين لن تضلوا ان اتبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي ثم قال أتعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات قالوا نعم فقال رسول اللهﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه)[٣].

القسم الثاني: الرضا باحكام الله تعالى

أي فيما يخص فروع الدين من احكام الشريعة الاسلامية.

---

(١) سورة الاحزاب : الاية ٤٠ .

(٢) مسند احمد: الإمام احمد بن حنبل: ١: ١٧٠.

(٣) المستدرك: الحاكم النيسابوري: ٣: ١١٠.

الشريعة الاسلامية فيها مجموعة كبيرة من الاحكام الالهية التي جاءت لتنظم حياة الانسان

اولا: في العبادات التي يعبر عنها بالاحكام التكليفية «الصوم والصلاة والحج والزكاة الخمس والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاء والبراءة»

وثانيا: والمعاملات التي هي العقود ويعبر عنها بالاحكام الوضعية «البيع والاجارة والزواج الدائم والمنقطع ....الخ»

وهذه الاحكام تابعة للمصالح والمفاسد وليست نابعة من الاهواء النفسية والشهوات الحيوانية، فلا واجب إلا لمصلحة في فعله ولا حرام إلا لمفسدة في اقترافه، ويشهد بذلك كتاب الله في موارد

قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾[1]. فالآية تعلل حرمة الخبيثين باستتباعهما العداوة والبغضاء وصدهما عن ذكر الله.

وقال سبحانه:﴿...وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ ..﴾[2].إلى غير ذلك من الآيات التي تصرح بملاكات الأحكام.

وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيتعليهم السلام على أن الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر علي بن موسى الرضاعليه السلام: إن

(١) سورة المائدة : الاية ٩١ .

(٢) سورة العنكبوت ك الاية ٤٥ .

الله تبارك وتعالى لم يبح أكلا ولا شربا إلا لما فيه المنفعة والصلاح، ولم يحرم إلا ما فيه الضرر والتلف والفساد(١).

وقال عليه السلام في الدم: إنه يسئ الخلق، ويورث القسوة للقلب، وقلة الرأفة والرحمة، ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده(٢).

وهذا باقر العلوم وإمامها عليه السلام يقول: إن مدمن الخمر كعابد وثن، ويورثه الارتعاش، ويهدم مروته، ويحمله إلى التجسر على المحارم من سفك الدماء، وركوب الزنا(٣).

وغيرها من النصوص المتضافرة عن أئمة الدين(٤).

وعلى هذا فيجب التسليم والرضا بكل احكام الدين لانها جاءت من اجل حفظ الانسان كفرد والمجتمع ككل والوصول بالانسان الى الكمال الانساني.

القسم الثالث: الرضا بالقدر والقضاء

وفيه مسائل:

المسألة الاولى: القدر– قال الراغب(٥).: (القدر، تبيين كمية الشيء يقال قدَرَتهَ وقدَّرته وقدَّره بالتشديد: أعطاه القدرة فتقدير الأشياء على وجهين:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٢: ١٦٥.

(٢) المحاسن: ٢: ٣٣٤.

(٣) الكافي:٦ :٢٤٣.

(٤) راجع علل الشرائع للشيخ الصدوق فقد أورد فيه ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في بيان علل التشريع .

(٥) انظر مفردات غريب القران: ٣٩٥

أحدهما ـ بإعطاء القدرة (وهذا خارج عن موضوع البحث)

والثاني ـ بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسب ما اقتضت الحكمة. ثم قال ـ إن فِعل الله تعالى ضربان ـ ضربٌ أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملاً دفعة واحدة لا تعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء أن يغنيه أو يبدله كالسموات وما فيها.

ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزاءه بالقوة وقدره على درجة لا يتأتى منه غير ما قدره فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الإنسان أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوانات وعلى ذلك، قال تعالى:﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[٣]

المسألة الثانية: القضاء لغةً: هو فصل الأمر والفراغ منه

قال الراغب الاصفهاني: القضاء فصل الأمر قولاً، كان ذلك أو فعلاً، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٤]. أي أمر بذلك، ومن الفعل الإلهي قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[٥].أشارة إلى إيجاده

---

(١) سورة الطلاق : الاية ٣ .

(٢) سورة القمر : الاية ٤٩ .

(٣) سورة عبس : الاية ١٩ .

(٤) سورة الاسراء : الاية ٢٣ .

(٥) سورة فصلت : الاية ١٢ .

الإبداعي والفراغ منه[١].

هذا ما ذكره الراغب. وقد سبقه أئمة أهل البيت ففسروا القدر والقضاء بهذا النحو عن الرضاعليه السلام وقد سأله يونس عن معنى القدر والقضاء فقال: هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء والقضاء هو الإبرام وإقامة العين[٢].

يعني إحكام الشيء وإقامته في الأعيان وهو في إحكامه بمعنى الخلق والإيجاد على وفق الحكمة.

وكذلك رواية أخرى عن الرضاعليه السلام قال ليونس مولى علي بن يقطين أوتدري ما قدر؟ قال لا ؟قال هو الهندسة من الطول والعرض والبقاء ثم قال وان الله إذا شاء شيئاً أراده، وإذا أراده قدره وإذا قدره قضاه وإذا قضاه أمضاه[٣].

المسألة الثالثة: انواع القضاء والقدر: ذكر العلامة السبحاني انواع للقدر والقضاء[٤].

أ- القدر العيني.

ب- القضاء العيني.

ج- القدر العلمي.

د- القضاء العلمي.

أ- القدر العيني: فالقدر عبارة عن جميع خصائصه الزمانيه والمكانية

---

(١) انظر مفردات غريب القران : ٤٠٦

(٢) الكافي: الكليني: ١: ١٥٨.

(٣) المحاسن: البرقي: ١: ٢٤٥.

(٤) انظر الإلهيات: العلامة السبحاني: صفحة ٥٠٠ وما بعدها من الصفحات.

والكيفية والكمية وبعبارة أخرى القدر ـ عبارة عن الخصوصيات الوجودية التي تبين مكانة وجود الشيء على صفحة الوجود وأنه من قبيل الجماد أو النبات أو الحيوان أو فوق ذلك وأنه من الوجودات الزمانية والمكانية الى غير ذلك من الخصوصيات التي تبين وضع الشيء وموضعه في عالم الوجود.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾[٤].

ب- القضاء العيني: فهو عبارة عن وصول الشيء حسب اجتماع أجزاء علته إلى حد يكون وجوده ضرورياً وعدمه ممتنعاً ومثال على ذلك (حتمية وجود المعلول عند وجود علته التامة فإن احتكاك عود الثقاب بالغشاء الكبريتي يولد الحرارة والنار بالضرورة وبشكل حتمي وقطعي.

فإذن لكي يوجد المعلول ـ لا بد

أولاً: المقتضي

ثانياً: الشرط.

---

(١) سورة القمر : الاية ٤٩ .

(٢) سورة الحجر : الاية ٢١ .

(٣) سورة الاعلى : الاية من ٢ الى ٣ .

(٤) سورة عبس : الاية ١٩ .

ثالثاً: ارتفاع المانع.

يقول السيد الطباطبائي[1] :«إنا نجد الحوادث الخارجية والأمور الكونية بالقياس إلى عللها والأسباب المقتضية بها على إحدى حالتين فأنها قبل أن تتم عللها الموجبة بها وقبل إن تتم الشرائط وترتفع الموانع التي يتوقف عليها حدوثها لا يتعين بها التحقق والثبوت فإذا تمت عللها الموجبة بها وكملت ما تتوقف عليه من الشرائط وارتفاع الموانع. خرجت من التردد والإبهام وتعين لها أحد الطرفين وهذا هو القضاء والى ذلك يشير

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[4].

ويتفرع على ذلك:

أولاً: إن التقدير مقدم على القضاء، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام (إن الله إذا أراد شيئاً قدره فإذا قدره قضاه فإذا قضاه أمضاه)[5] وهكذا عن الرضا عليه السلام قال يا يونس لا تتكلم، قال إني لا أتكلم بالقدر،

---

(١) انظر تفسير الميزان: ١٣: ٧٢.

(٢) سورة البقرة : الاية ١١٧ .

(٣) سورة يوسف : الاية ٤١ .

(٤) سورة فصلت : الاية ١٢ .

(٥) المحاسن: ١: ٢٤٤

ولكن أقول لا يكون ألاما أراد الله وشاء وقضى وقدر. فقال ليس هكذا أقول ولكن أقول: لا يكون الا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى)[١].

ثانياً: أن كون التقدير والقضاء العينين من الله تعالى لا يلازم كون الإنسان مسلوب الاختيار لأن المفروض ان الحرية والاختيار من الخصوصيات الموجوده في الإنسان، فالله تعالى عندما خلق الانسان قدر وجوده بخصوصيات كثيره منها كونه فاعلاً بالاختيار مقابل الفواعل الطبيعية والتي لا تفعل إلا بالجبر. وكذلك الله قضى على أفعال الإنسان أن تصدر منه باختيار).

ثالثاً: السنن الإلهية الواردة في الكتاب والسنة كلها من تقدير الله وقضائه سبحانه وتعالى.

أ ـ على مستوى الفرد: مثلاً الشاب الذي يبدأ حياته بإمكاناته الحرة وأعصابهِ المتماسكة وذكائه المعتدل فإما أنْ يصرف تلك المواهب في سبيل تحصيل العلوم والفنون والكسب والتجارة فمصيره وتقديره هو الحياة الرغيدة. وأما أن يسيء الاستفادة من رصيده المادي والمعنوي ويصرفه في الشهوات واللذات الزائلة فتقديره هو الحياة الشقية المظلمة والتقديران كلاهما من الله تعالى والشاب حر في اختيار أحد الطريقين والنتيجة تعود إليه بقضاء الله وقدره، وأما الآيات الواردة في هذا الصدد التي تعتبر من تقدير الله وقضائه:

---

(١) المحاسن: ١: ٢٤٤

١. قال تعالى ﴿إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً﴾[١].

٢.قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٢].

ب- على مستوى المجتمع: ثم أن هناك في القرآن الكريم آيات كثيرة التي تبين السنن السائدة على المجتمع الإنساني التي تعد هذه السنن من تقدير الله سبحانه وقضائه:

١. الآية الأولى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[٣].

٢. الآية الثانية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[٤].

٣. الآية الثالثة: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٥].

٤. الآية الرابعة: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٦].

ج- التقدير العلمي: عبارة عن تحديد كل شيء بخصوصياته في علم

---

(١) سورة الانفال : ٢٩ .

(٢) سورة الطلاق :من الاية ٢ الى ٣ .

(٣) سورة نوح : الاية الاية من ١١ الى ١٣ .

(٤) سورة الاعراف : الاية ٩٦ .

(٥) سورة الرعد : الاية ١١ .

(٦) سورة الانبياء :الاية ١٥٠

الله الأزلي قبل أن يخلق الخلق، حيث كان تماماً بالخصوصيات المادية والمعنوية ومقدارها قال تعالى:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]. وكذلك قوله تعالى:﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾[2].

د- القضاء العلمي: عبارةٌ عن علمه تعالى بضرورة وجود الأشياء وإبرامها أي يعلم بوجوب تحقق أي شيء أو عدم تحققه)، وبعبارة أخرى (إن القضاء العلمي علمه سبحانه بحتمية وجود تلك الأشياء عن عللها ومبادئها)

١. وجود الإنسان إذا وجدت العلة التامة.

٢. وجود الأشجار إذا تحققت العلة التامة لها.

٣. وجود الانهيار في المجتمع إذا تحققت العلة التامة.

٤. وجود الإصلاح في المجتمع إذا تحققت العلة التامة.

٥. وجود الزلازل والفيضان إذا تحققت العلة النامة.

٦. وجود الأوبئة والإمراض إذا تحققت عللها التامة .

المسالة الرابعة: الاقوال في القضاء والقدر

القول الاول: ان الانسان مجبور على فعله سواء كان صالحا او طالحا وكما يقول شاعرهم:

مشيناها خطى كتبت علينا ومن كتبت عليه خطى مشاها

يقول العلامة الشيخ محمد رضا المظفر ذهب قوم وهم (المجبرة) إلى أنه

---

(١) سورة الملك: الاية ١٤ .

(٢) سورة القمر : الاية ٥٣ .

تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين فيكون قد أجبر الناس على فعل المعاصي وهو مع ذلك يعذبهم عليها، وأجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلك يثيبهم عليها، لأنهم يقولون إن أفعالهم في الحقيقة أفعاله وإنما تنسب إليهم على سبيل التجوز لأنهم محلها[١].

ولكن هذا القول: وإن تضمن إثبات السلطنة المطلقة للباري عز وجل إلا أن فيها القضاء الحاسم على عدالته سبحانه وتعالى ونسب الظلم اليه وما ربك بظلام للعبيد.

القول الثاني: ان ليس لله قدرة وقضاء وافاضة على العبد، وانما العبد هو من يمد نفسه بالقدرة على الفعل وهؤلاء ذهبوا الى هذا الراي اعتقادا منهم انهم ينزهون الله عما ذهبت اليه المجبرة من نسبة الظلم الى الله تعالى.

يقول المظفر: وذهب قوم آخرون وهم (المفوضة) إلى أنه تعالى فوض الأفعال إلى المخلوقين ورفع قدرته وقضاءه وتقديره عنها، باعتبار أن نسبة الأفعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه[٢].

ولكن هذا القول: وإن تضمن إثبات العدالة للباري تعالى إلا أنه ينفي بشكل قاطع سلطنة الله المطلقة وقدرته وقضائه في الانسان والوجود وأسرفت في تحديدها فكانما لا وجود لله في حياة الانسان بعد وجوده.

القول الثالث: وهو نظرية الامر بين الامرين التي صدرت عن ائمة الهدى الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.عن المفضل بن عمر عن

---

(١) انظر عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر: ٤٣ – ٤٤.

(٢) عقائد الإمامية: ٤٣ – ٤٤

أبي عبد الله عليه السلام قال(لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)[١].

وتوضيح هذه النظرية نقول: أن أفعال العباد تتوقف على مقدمتين:

المقدمة الأولى: حياتهم وقدرتهم وما شاكل ذلك.

المقدمة الثانية: مشيئتهم وإعمالهم القدرة نحو إيجادها في الخارج.

والمقدمة الأولى: تفيض من الله تعالى وترتبط بذاته الأزلية ارتباط ذاتيا، وخاضعة له، يعني: أنها عين الربط والخضوع، لا أنه شيء له الربط والخضوع.

وعلى هذا الضوء لو انقطعت الإفاضة من الله سبحانه وتعالى في آن انقطعت الحياة فيه حتما.

والمقدمة الثانية: تفيض من العباد عند فرض وجود المقدمة الأولى، فهي مرتبطة بها في واقع مغزاها، ومتفرعة عليها ذاتا، وعليه فلا يصدر فعل من العبد إلا عند إفاضة كلتا المقدمتين.

أما إذا انتفت أحدهما فلا يعقل تحققه وعلى أساس ذلك صح إسناد الفعل الى الله تعالى كما صح إسناده إلى العبد.

ومثال ذلك: كما إذا افترضنا أن للمولى عبدا مشلولا غير قادر على الحركة فربط المولى بجسمه تيارا كهربائيا ليبعث في عضلاته قوة ونشاطا نحو العمل، وليصبح بذلك قادرا على تحريكها، وأخذ المولى رأس التيار الكهربائي بيده وهو الساعي لإيصال القوة في كل آن إلى جسم عبده بحيث لو رفع اليد في آن عن السلك الكهربائي انقطعت القوة عن جسمه فيه وأصبح عاجزا. وعلى هذا فلو أوصل المولى تلك القوة إلى جسمه وذهب باختياره وقتل

---

(١) الكافي: ١: ١٦٠

شخصا والمولى يعلم بما فعله ففي مثل ذلك يستند الفعل إلى كل منهما. أما إلى العبد فحيث إنه صار متمكنا من إيجاد الفعل وعدمه بعد أن أوصل المولى القوة إليه وأوجد القدرة في عضلاته وهو قد فعل باختياره وإعمال قدرته. وأما إلى المولى فحيث إنه كان معطي القوة والقدرة له حتى حال الفعل والاشتغال بالقتل، مع أنه متمكن من قطع القوة عنه في كل آن شاء وأراد، وهذا هو واقع نظرية الأمر بين الأمرين وحقيقتها.

القسم الرابع: الرضا برضا الله تعالى

الرضا برضا الله تعالى وهو محو صفات العبد بصفات الله تعالى فلا يرى العبد لنفسه رضى ولا سخطا بل تكون ارادة العبد فرع ارادة الله تعالى ورضا العبد فرع رضا الله تعالى وعلى هذا فلا يكون للعبد اختيار في قبال اختيار الله تعالى ولو ادخل الله العبد النار

يقول امير المؤمنين عليه السلام: وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أني أحبك[١].

يقول الشاعر:

وحقك لو أدخلتني النار قلت   للذين بها قد كنت ممن يحبه[٢]

المطلب الرابع: كيفية تحصيل الرضا

اولا: التصديق: [٣] بان الله تعالى خير مطلق ولا يمكن ان يصدر منه

---

(١) بحار الأنوار: ٩١: ٩٨.

(٢) فوات الوفيات: الكتبي: ١: ٦٠٩.

(٣) التصديق: اذعان النفس بخلاف التصور الذي هو ادراك الشيء

ذرة شر في هذا الوجود ولذا كل ما يحدثه الله تعالى في هذا العالم فهو نابع من كماله وجماله للسنخية[١] بين العلة والمعلول.

ان قلت: ما تقول في الزلازل والفيضانات والاوبئة وغيرها التي تقضي على الكثير من الناس التي تفرزها الطبيعة.

قلت: لا شك ان هذا من تقدير وقضاء الله تعالى ولكن هذا جزاء مترتب على الاعمال سواء على مستوى الفرد او على مستوى المجتمع.

(أ) القران الكريم

١- يقول تعالى﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢] .

٢- وقوله تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٣] .

(ب) الاحاديث الواردة من المعصومين

١-عن أبي عمر المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: كان أبي عليه السلام يقول: إن الله قضى قضاء حتما ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها

---

(١) السنخية: يعني ان النار لازمها الحرارة فلا تصدر من النار البرودة وهذا معنى السنخية بين العلة والمعلول وكما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم ابطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذي فيه ينضح

(٢) سورة الروم : الاية ٤١ .

(٣) سورة الشورى : الاية ٣٠ .

إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة[١].

٢- عن سدير قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: " قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم. .. الآية " فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض وأنهار جارية وأموال ظاهرة فكفروا نعم الله عز وجل وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله فغير الله ما بهم من نعمة. وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم فغرق قراهم وخرب ديارهم وأذهب أموالهم، وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي اكل خمط وأثل، وشئ من سدر قليل، ثم قال: ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور[٢].

٣-عن الهيثم بن واقد الجزري قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل بعث نبيا من أنبيائه إلى قومه وأوحى إليه أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلا تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلا تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون، وقل لهم: إن رحمتي سبقت غضبي فلا تقنطوا من رحمتي فإنه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره وقل لهم: لا يتعرضوا معاندين لسخطي ولا يستخفوا بأوليائي فإن لي سطوات عند غضبي، لا يقوم لها شيء من خلقي[٣].

---

(١) الكافي: الشيخ الكليني: ٢: ٢٧٣ ، ٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢: ٢٧٣ ، ٢٧٥.

(٣) الكافي: ٢: ٢٧٣ ، ٢٧٥.

ان قلت: فهل ما اصاب الانبياء والائمة مما كسبت ايديهم

قلنا لكم:

(أ): انهم معصومون ولا يمكن ان تصدر منهم الذنوب وانما هذه المصائب لرفع مقاماتهم ودرجاتهم عند الله

سأل علي بن رئاب الامام الصادقعليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].أرأيت ما أصاب علياًعليه السلام وأهل بيتهعليهم السلام من بعده أهو بما كسبت أيديهم وهم أهل البيت طهارة معصومون. فقالعليه السلام أن رسول اللهصلى الله عليه وآله كان يتوب إلى الله ويستغفر في كل يوم وليله مأته مره من غير ذنب إن الله يخص أولياءه بالمصائب ليأجرهم عليها من غير ذنب[2].

(ب): ان ما يحصل للانبياء والائمة وان كان بقضاء من الله وقدر كما يقول الامام الحسينعليه السلام وهو مخضب بدمه على رمضاء كربلاء (رضا بقضائك وتسليما لامرك)[3] ولكنه من اجل الدين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا يجري عليهم ما يجري من القتل والتشريد وهكذا.

ثانيا: المحبة الالهية: اذا استغرق الانسان في حبه لله تعالى فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفعال الحبيب حتى يجري عليه الالم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها وكل ذلك لأن القلب صار مستغرقاً بمشاهدة معشوقه

---

(١) سورة الشورى : الاية ٣٠ .

(٢) الكافي: ٢: ٤٥٠.

(٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري: ٧ :٢٤٨.

بنور البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها.فهنا يكون حال الانسان كما يقول الشاعر: في حبكم يستعذب التعذيب

وتعذيبكم عذبٌ لديَّ وجوركم علىَّ بما يقضي الهوى لكم عدلُ
وتعذيبكم عذب وسخطكم رضى وقطعكم وصل وجوركم عدل(١)

وقال اخر: وكل ما يفعل المحبوب محبوب

أحبك لا أحبك للثواب ولكني أحبك للعقاب
وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجدي بالعذاب(٢)

ورد عن حال الامام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وبعضهم ينسب ذلك الى الامام عليه السلام

الهي تركت الخلق طرا في هواك وايتمت العيال لكي اراكا
فلو قطعتني في الحب اربا لما مال الفؤاد الى سواكا(٣)

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني إنك ستساق إلى العراق، وإنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد.)(٤) وهذا دليل على ان هؤلاء قد ذابوا في محبة الله تعالى ولقائه.

ثالثا: الدعاء: والإلحاح بالدعاء الى الله تعالى من اجل تحصيل الرضا

---

(١) شرح فصوص الحكم:محمد داوود قيصري رومي: ٧٢٦

(٢) الفتوحات المكية:ابن العربي: ١: ٥١١

(٣) ليلة عاشوراء في الحديث والادب: الشيخ عبدالله الحسن: ١١٦.

(٤) بحار الأنوار: ٤٥: ٨٠ – ٨١.

فان الله تعالى لا بخل في ساحته المقدسة فمتى ما وجد صدق النية فان فيضه عميم وكرمه عظيم.

يقول الامام السجاد عليه السلام: اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك[(١)].

المطلب الخامس: نتائج الرضا

اهم نتيجة من نتائج الوصول الى الرضا هو اطمئنان النفس.

يقول تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[(٢)].

واذا اطمئنت النفس اصبحت قابلة لنزول الفيض الالهي واصبحت مراة عاكسة للجمال والجلال الالهي .

المطلب السادس: هل الدعاء يتنافى مع الرضا

ربما يتصور خطأ أن من آثار الرضا بالله تعالى أن يترك الإنسان التضرع والدعاء، ويهمل اتخاذ الأسباب لجلب الخير ودفع البلاء، ويبتعد عن استعمال الدواء عند حصول الداء.

والجواب: أن هذا فهم غير صحيح، إذ في الحقيقة أن من جملة الرضا بالله تعالى؛ أن يعمل المؤمن أعمالاً يتوصل بها إلى رضاء محبوبه سبحانه، وأن يترك كل ما يخالف أمره ويناقض رضاه.

ومما يوصل إلى رضاء الله تعالى استجابة أمره في قوله تعالى: ﴿ادعوني

---

(١) كامل الزيارات: أبي جعفر بن محمد بن قولويه: ٩٢

(٢) سورة الفجر : الاية ٢٩ .

أستَجِبْ لكُم﴾(١).

ويقول علي بن موسى الرضا عليه السلام: عليكم بسلاح الأنبياء فقيل له: وما سلاح الأنبياء يا ابن رسول الله؟ فقال عليه السلام الدعاء(٢).

قال جعفر بن محمد صلوات الله عليه: إن الدعاء يرد القضاء المبرم بعد ما أبرم إبراما فأكثروا من الدعاء فإنه مفتاح كل رحمة ونجاح كل حاجة ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، إنه ليس من باب يكثر قرعه إلا ويوشك أن يفتح لصاحبه(٣).

وقال صلى الله عليه وآله: الدعاء مخ العبادة ولا يهلك مع الدعاء أحد(٤).

فالدعاء مخ العبادة، وهو يورث في القلب صفاءً وخشوعاً ورقةً تجعله مستعداً لقبول الألطاف والأنوار الالهية .

المطلب السابع: هل الحزن والبكاء يتنافى مع الرضا

الذي يتنافى مع الرضا هو السخط وعندها يكون الانسان في مصيدة الشيطان وعندها يقول ما لايرضى الرب، ويفعل ما لايرضيه، وينوي ما لا يرضيه، واما البكاء والحزن فهذا ما لا يمكن سلخه عن الانسان لان الانسان له مشاعر واحاسيس ووجدان ولذا لا يمكن ان نقول ان الحزن والبكاء يتنافى مع الرضا ولذا قال الصادق عليه السلام: لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله قال

---

(١) سورة غافر : الاية ٦٠ .

(٢) الدعوات: ١٧ ، ١٩

(٣) المصدر نفسه: ١٧ ، ١٩

(٤) المصدر نفسه: ١٧ ، ١٩

رسول الله صلى الله عليه وآله: حزنا عليك يا إبراهيم، وإنا لصابرون، يحزن القلب وتدمع العين، ولا نقول: ما يسخط الرب[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، وعلي بن الحسين عليه السلام، فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية، وأما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره، وحتى قيل له: (تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين)، وأما يوسف فبكى على يعقوب حتى تأذى به أهل السجن فقالوا: إما أن تبكي الليل وتسكت بالنهار، وإما أن تبكي النهاروتسكت بالليل، فصالحهم على واحد منهما. وأما فاطمة عليها السلام فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تأذى بها أهل المدينة، فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، وكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأما علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال: " إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون " إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة[٢].فهولاء معصومون مطهرون لو كان البكاء يتنافى مع الرضا لما بكوا وحزنوا.

---

(١) وسائل الشيعة: ٣: ٢٨٠

(٢) وسائل الشيعة: ٣: ٢٨٠ –٢٨١.

الباب الثاني عشر

المحبة الإلهية

وفيه مطالب:

المطلب الاول: المحبة لغة

الحب ضد البغض والحب هو الوداد جاء في لسان العرب الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ والحُبُّ الودادُ والمَحَبَّةُ وكذلك الحِبُّ بالكسر[١].

واصطلاحا: المحبة- هي تعلق القلب بالله تعالى وحده لخلوه عما سواه.

فالقلب عندما يخلو من الانا والاغيار لا يبقى سوى الله تعالى فيه ولذا سوف ينطلق القلب في حبه الشديد لله تعالى وحده لانه يرى الجمال الحقيقي وكل الاشياء وهم وخيال.

يقول الامام الحسين عليه السلام: وانت الذى ازلت الاغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجئوا الى غيرك[٢].

وذكرت هناك تعاريف متعددة للمحبة الالهية وكل عارف او متصوف له وجهة وحيثية ينظر منها في علاقته بالله تعالى ومحبته له سبحانه وتعالى. واليك بعضها كما نقلها صاحب موسوعة الكسنزان

---

(١) لسان العرب: ١: ٢٨٩

(٢) بحار الانوار: ٩٥: ٢٢٦

١- يقول حارث المحاسبي: المحبة: هي ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه».

٢- وتقول رابعة: المحبة: نار تنضج الجماد، فكيف الفؤاد، فإن رأيتها لم تنضج، فهي دعوى لا حقيقة لها .

٣- يقول معروف الكرخي: المحبة: هي الأنس بالمحبوب، وبذل النفس في هوى المطلوب، وأن لا تنظر إلى سواه مخافة أن تضل فلا تراه، لأن من نظر إلى سواه ضل عن طريق هداه[(١)].

المطلب الثاني: المحبة في القران والسنة

اولا: القران. وردت المحبة في القران الكريم في حق الله تعالى، وفي حق المخلوقين، وذكر تعالى الذين يحبهم والذين لا يحبهم، وذكر سبب عدم حبه لهم.واليك بعض الايات من القسم الاول

١-قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[(٢)].

٢- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾[(٣)].

---

(١) انظر موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان: ٥: حرف الحاء: ١٥و١٦و١٧.

(٢) سورة المائدة : الاية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة : الاية ١٦٥ .

٣- وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١].

٤- وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[٢].

٥- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[٣].

٦- وقال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

٧- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٥].

٨- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٧].

القسم الثاني: وهي الايات التي ذكرت الذين لا يحبهم الله تعالى

١- يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾[٨].

---

(١) سورة البقرة : الاية ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة : الاية ٢٢٢ .

(٣) سورة آل عمران : الاية ٣١ .

(٤) سورة آل عمران : الاية ٧٦ .

(٥) سورة آل عمران : الاية ١٥٩ .

(٦) سورة المائدة : الاية ٤٢ .

(٧) سورة الصف : الاية ٤ .

(٨) سورة النساء : الاية ٣٦ .

٢- يقول تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[١].

٣- يقول تعالى: ﴿وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[٢].

٤- يقول تعالى: ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[٣].

٥- يقول تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[٤].

٦- يقول تعالى: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [٥].

٧- يقول تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٦].

٨- يقول تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٧].

الثاني: السنة

روايات اهل البيت عليهم السلام وادعيتهم كثيرة في الحب الالهي لانهم العبيد

---

(١) سورة المائدة : الاية ٦٤ .

(٢) سورة المائدة : الاية ٨٧ .

(٣) سورة الانعام : الاية ١٤١ .

(٤) سورة الانفال : الاية ٥٨ .

(٥) سورة النحل : الاية ٢٣ .

(٦) سورة الروم : الاية ٤٥ .

(٧) سورة الشورى : الاية ٤٠ .

الذين عرفوا الله تعالى حق معرفته والحب نتيجة طبيعية للمعرفة ولذا اصبحوا من التامين في محبة الله تعالى،وهم الذين علموا الناس كيف يكون الحب لله تعالى ووضعوا المنهج الصحيح للحب الالهي واليك بعض من كلامهم عليهم السلام.

١- وفي الحديث القدسي: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل والعبادات حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها[١].

٢- والحديث القدسي الاخر: كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأن أعرف[٢].

٣- عن عبد الله بن القاسم عن أبي عبد الله (عليه السلام قال: وسمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله وكان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط وإنما خالط القوم حلاوة حب الله، فلم يشتغلوا بغيره[٣].

٤ – عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله وآله وسلم: بكى شعيب عليه السلام من حب الله عز وجل حتى عمى، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، وان يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك، قال إلهي وسيدي أنت تعلم إني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا

---

(١) عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الأحسائي: ٤: ١٠٣

(٢) رسائل الكركي: المحقق الكركي: ٣: ١٥٩.

(٣) الكافي: ٢: ١٢٩–١٣٠.

إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: اما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران .اقول والله العالم: لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيبا[١].

٥- وقال عليه السلام: كيف يدعي حب الله من سكن قلبه حب الدنيا؟ وقال عليه السلام: كما أن الشمس والليل لا يجتمعان، كذلك حب الله وحب الدنيا لا يجتمعان[٢].

وقال الصادق عليه السلام: حب الله إذا أضاء على سر عبده أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله، والمحب أخلص الناس سرا لله، وأصدقهم قولا، وأوفاهم عهدا، وأذكاهم عملا، وأصفاهم ذكرا، واعبدهم نفسا، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده، يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله الله ومنزلته لديه ما تقربوا إلى الله إلا بتراب قدميه.[٣]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام حب الله نار لا يمر على شيء إلا احرقه ونور الله لا يطلع على شيء إلا أضاء وسماء الله ما ظهر من سحاب تحته من شيء إلا غطاه وريح الله ما تهب في شيء إلا حركته وماء يحيي به كل شيء وارض الله ينبت منها كل شيء فمن أحب الله أعطاه كل شيء من الملك والملك.[٤]

---

(١) علل الشرائع: ١: ٥٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٢: ٤١ – ٤٢.

(٣) مصباح الشريعة: ١٩٢.

(٤) مصباح الشريعة: ١٩٣.

و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا أحب الله عبدا من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وارواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه فذلك المحب حقا طوبى له ثم طوبى له وله عند الله شفاعة يوم القيامة[١].

يقول الامام السجاد عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجاة المحبين

إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا. إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودك ومحبتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، ويا غاية المحبين. أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، أن تجعلك أحب إلي مما سواك، وأن تجعل حبي إياك قائدا إلى رضوانك[٢].

عن ابن أبي عمير، عمن سمع أبا عبد الله الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ما أحب الله من عصاه، ثم تمثل:

تعصى الاله وأنت تظهر حبه   هذا محال في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع[٣]

المطلب الثالث: سبب الحب الالهي

الاول: الجمال الالهي

لا شك ان الجمال من اقوى اسباب الحب الالهي والجمال الالهي

---

(١) مصباح الشريعة : ١٩٣.

(٢) الصحيفة السجادية: ٤١٣ – ٤١٤

(٣) وسائل الشيعة – ال البيت: ١٥: ٣٠٨

يتصور على نحوين.

النحو الاول: جمال الذات والصفات والاسماء وجمال الافعال

فذاته سبحانه أجمل الذوات ولا يتصور وجود ذات هي اجمل من الذات الاهية يقول النبيﷺ (الله جميل يحب الجمال)[١].

ويقول الباقرعليه السلام في دعاء السحر: (اللهم ! إني أسألك من جمالك بأجمله وكل جمالك جميل، اللهم ! أني أسألك بجمالك كله)[٢]

وصفاته كلها صفات كمال فالقدرة والعلم والحياة والارادة ليس كمثلها شيء.

وأسماءه كلها حسنة﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[٣].

وأما جمال الافعال فهي من الحكمة والعدل بحيث لا يمكن النقص والنقض عليه سبحانه وتعالى ولكن اكثر الناس لا يلتفتون.

وهذا الجمال غير مدرك بالبصر وانما يدرك بالبصيرة والقلب.

يقول الامام عليعليه السلام في المناجاة الشعبانية: (الهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر ابصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور، فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك، الهي واجعلني ممن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك)[٤].

ونعم ما قيل شعرا في الجمال الالهي

---

(١) عوالي اللئالي: ١: ٤٣٦ .

(٢) مصباح المتهجد: ٧٦٠.

(٣) سورة الحشر : الاية ٢٤ .

(٤) إقبال الأعمال: ٣: ٢٩٩.

فلو شاهدت عيناك من حسننا ... الذي رأوه لمـــا وليت عنا لغيرنا
و لـــو سمعت أذناك حسن خطابنا ... خلـعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولـــو ذقت من طعم المحبة ذرة ... عذرت الـذي أضحى قتيلاً بحبنا
ولـــو نسمت من قربنا لك نسمة ... لـــمت غريباً واشتياقاً لقربنا
و لـــو لاح من أنوارنا لك لائح ... تركت جمـــيع الكائنات لأجلنا

النحو الثاني: جمال الخلق

فالعالم كله في غاية الجمال اذا نظرنا اليه مطلقا وبقطع النظر عن النسبة والقياس الى الاشياء الضارة فيه.

قال تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾(١)

وقال تعالى:﴿الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾(٢)

فلولا جمال الحق ما ظهر في العالم جمال، والانسان هو اجمل مظهر لله تعالى في هذا العالم وهذا الوجود.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٣)

وقال العرفاء: ان المراة اجمل مظهر من مظاهر الجمال والحب الالهي في عالم الخلق، ولذلك جعلوها مراة لجمال الحق والحب الالهي في اشعارهم.

---

(١) سورة الملك : الاية ٣ .

(٢) سورة طه : الاية ٥٠ .

(٣) سورة التين : الاية ٤ .

قال ابن عربي في هذا الشان:"فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل[١] إذ لا يشاهد الحق مجردا عن المواد أبدا، فإن الله بالذات غني عن العالمين، وإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعا، ولم تكن الشهادة إلا في مادة، فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله.

وكذلك قال ابن عربي في الفتوحات المكية: من عرف قدر النساء وسرهن لم يزهد في حبهن، بل من كمال العارف حبهن فإنه ميراث نبوي وحب إلهي[٢].

قال ابن الفارض

ووصف كمال فيك أحسن صورة وأقومها في الخلق منه استمدت

وينشد ابن عربي:

انتهى الحسن فيك أقصى مداه ما وسع الإمكان مثلك أخرى

ويؤيد هذا الامر هذه الاحاديث الشريفة الواردة عن النبي واهل البيت عليهم السلام.

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: حبب إلي من دنياكم النساء، والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة[٣].

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أخلاق الأنبياء

---

(١) شرح فصوص الحكم: محمد داوود قيصري رومي: ١١٦٩.

(٢) الفتوحات المكية: الشيخ ابن العربي: ٢: ١٩٠.

(٣) وسائل الشيعة ال البيت: الحر العاملي: ٢: ١٤٤.

صلى الله عليهم حب النساء[١].

وعن أبان بن عثمان عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أظن رجلا يزداد في الايمان خيرا إلا ازداد حبا للنساء[٢].

معانيك شتى وحسنك واحد وكل الى ذاك الجمال يشير

الثاني: الاحسان الالهي

فإن الإنسان عبد الإحسان، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها فالحب كما ينشأ من رؤية جمال المحبوب ينشأ من رؤية احسانه واياديه .

يقول الامام الرضا عليه السلام: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: جبلت القلوب على حب من ينفعها وبغض من اضربها[٤].

يقول الخواجة الانصاري: الدرجة الأولى من المحبة. محبة تقطع الوساوس،وتلذ الخدمة، وتسلي عن المصائب، وهي محبة تنبت من مطالعة المنة[٥].

وقد اسبغ الله نعمه واحسانه على كل الموجودات حيث اخرجها من

---

(١) الكافي: ٥: ٣٢٠.

٢) الكافي:٥ :٣٢٠.

(٣) جامع أحاديث الشيعة: ١٦: ٢٩٢.

(٤) نفس المصدر:١٦ :٢٩٢.

(٥) شرح منازل السائرين: ٣٩٠.

حيز العدم الى حيز الوجود وقد خص الانسان بأعظم النعم المادية والمعنوية اذ وهب له العقل وبعث له الانبياء لكي يوصلوه الى الغاية التي خلق من اجلها وهي الكمال الروحي والعبادي وسخر للانسان كل ما في الوجود

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وقال تعالى :﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٢].

وقال تعالى :﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[٣].

ويقول الامام السجادعليه السلام: يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالعطية يا صاحب المواهب السنية[٤].

ويقولعليه السلام: يا من لم أزل أتعرف منه الحسنى يا من يغذيني بالنعم صباحا ومساء[٥].

---

(١) سورة الجاثية : الاية ١٣ .

(٢) سورة الاسراء : الاية ٧٠ .

(٣) سورة يوسف : الاي ١٠٠ .

(٤) المصباح: ٦٤٧.

(٥) مصباح المتهجد:الشيخ الطوسي: ١٦٤.

ولذا ورد عن النبي الاكرمﷺ: اللهم لا تجعل لفاجر على يدا ولامنة[١]. إشارة إلى أن حب القلب للمحسن اضطراراً لا يستطاع دفعه، وهو جبلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها.

المطلب الرابع: الانسان الكامل مظهرا للجمال والجلال الالهي

والانسان الكامل مظهرا من مظاهر الجمال والجلال، أي أن الصفات الإلهية كافة كاللطف والقهر والجمال والجلال، منعكسة في الإنسان. وهذا يعني أنه موجود كامل لظهور جميع الصفات الإلهية.

قال سيد الأولياءعليه السلام: ان لله تعالى شرابا لأوليائه إذا شربوا سكروا، وإذا سكروا طربوا، وإذا طربوا طابوا، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا خلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا، وإذا وجدوا وصلوا، وإذا وصلوا اتصلوا، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم[٢].

وفي دعاء رجب الوارد من الامام الحجة(عج) بيان حقيقة الانسان الكامل .

أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانا لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك[٣].

وفي الحديث القدسي: لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل والعبادات

---

(١) بحار الأنوار: ٨٣: ١٨٧.

(٢) جامع السعادات: محمد مهدي النراقي: ٣: ١٢٢.

(٣) مصباح المتهجد : الشيخ الطوسي : ص ٨٠٣ – ٨٠٤

حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها[١].

ويؤيد هذا ما ورد في الحديث القدسي عن الرب العلي أنه يقول: عبدي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت، أجعلك حيا لا تموت، أنا غني لا أفتقر أجعلك غنيا لا تفتقر، أنا مهما أشأ يكن أجعلك مهما تشأ يكن[٢].

ومن ذلك: أن لله عبادا أطاعوه فيما أراد فأطاعهم فيما أرادوا يقولون للشئ كن فيكون[٣].

وفي هذا المقام أيضاً، مقام النورانية المحمدية: أول ما خلق الله نوري[٤].

وقال علي عليه السلام في حديث آخر في خطبة الحقيقة: معرفتي بالنورانية معرفة الله عزوجل، ومعرفة الله عزوجل معرفتي بالنورانية[٥].

المطلب الخامس: لوازم المحبة الالهية

الحب بما هو حب حقيقة واحدة بسيطة غير مركبة ولكن له لوازم يمكن ان نتحسسها من خلال العشق والحب الذي يكنه المحب للمحبوب .

اولا: الغرام: ياتي بمعنى الشر والعذاب

وياتي بمعنى الولوع

يقول صاحب الصحاح: الغرام: الشرُّ الدائم والعذاب. وقوله تعالى: " إن

---

(١) عوالي اللئالي: ٤: ١٠٣

(٢) مشارق أنوار اليقين: الحافظ رجب البرسي: ١٠٠.

(٣) مشارق أنوار اليقين: الحافظ رجب البرسي: ١٠٠.

(٤) عوالي اللئالي: ٤: ٩٩

(٥) بحار الأنوار: ١: ٢٦.

عذابها كان غراما "أي لزاما، والغَرامُ: الوَلوعُ؛ وقد أُغْرِمَ بالشيء أي أولع به. والغَريمُ: الذي عليه الدَيْنُ[١].

والغرام بالمصطلح العرفاني.

والغرام الالهي بمعنى ان العبد يذوب ويصطلم ويحترق بالمحبة الالهية حيث لا يرى الا محبوبه وهو اعظم نعت للمحب مع الحبيب.

يقول الشيخ ابن العربي: الغرام، وهو الأستهلاك في المحبوب بملازمة الكمد قال تعالى " أن عذابها كان غراما " أي مهلكاً لملازمة شهود المحبوب[٢].

يقول شاعر الحب ابن الفارض:

ان الغرام هو الحياة فمت به صبا ... فحقك ان تموت وتعذرا
قل للذين تقدموا قبلي ومن بعدي ... ومن اضحى لاشجاني يرى
عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا ... وتحدثوا بصبابتي بين الورى[٣]

ويقول اخر:

وجعلت في عش الغرام إقامتي ... فيه غدوي دائماً ورواحي

ويقول اخر في الغرام:

أيا صاحبي أما ترى نارهم ... فقال تريني مالا أرى
سقاك الغرام ولم يسقني ... فأبصرت مالم أكن مبصرا

ويقول اخر في الغرام:

أقول وقد جد الغرام بمهجتي ... وفاضت جفوني بعد أدمعها دما

---

(١) الصحاح: ٥: ١٩٦.

(٢) الفتوحات المكية: ٢: ٣٣٩

(٣) ديوان ابن الفارض: ٩٩.

إذا شئت أن تلقى من الناس ميتا ... على صورة الأحياء فالق متيما[(١)]

ويقول اخر في الغرام:

أحبابي أما جفن عيني فمقروح ... وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح

يذكرني مر النسيم عهودكم ... فأزداد شوقا كلما هبت الريح

أراني إذا ما أظلم الليل أشرقت ... بقلبي من نار الغرام مصابيح[(٢)]

ثانيا: الانس بالله تعالى

والأنيسُ: المُؤانِسُ، وكلُّ ما يُؤْنَسُ به[(٣)].

الانس بالاصطلاح: يقول صاحب المنارل: الانس، وهو روح القرب[(٤)].

و الأنس ثمرة والمحبة الالهية والقرب من الله تعالى فكل محب مستأنس بالله تعالى مستوحش من غيره

يقول الامام الحسينعليه السلام: يا من أذاق أحباءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين[(٥)].

ويقول الإمام عليعليه السلام: اللهم إنك آنس الآنسين (المؤانسين – خ ل) لأوليائك. .. إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك[(٦)].

---

(١) ذم الهوى: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي:٣٢٢.

(٢) المدهش: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي: ٥٠٢.

(٣) تاج العروس: ٨: ١٨٨.

(٤) شرح منازل السائرين: ٢٨٦.

(٥) بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٦.

(٦) نهج البلاغة: ٢: ٢٢١.

ويقول الإمام عليعليه السلام: من أنس بالله استوحش من جميع الناس[١].

ويقول احد العرفاء

فلي بعد أوطاني سكون إلى الفلا وبالوحش انسي إذ من الانس وحشتي[٢].

يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد وأنت رجائي أنت مؤنسي وشوق كزادي
أنت لولاك يا حياتي وأنيسي ما تشتت في فسيح البلاد

ثالثا: الشوق الى الله

الشوق عبارة عن الميل والرغبة إلى الشئ .يقول صاحب مختار الصحاح: الشوق والاشتياق نزاع النفس الى الشيء[٣].

ان فراغ القلب وطهارته من كل ما سواه تعالى يوجد حالة الشوق والاشتياق الى الله تعالى لانه الكمال المطلق والجمال الكامل والانيس.

في أخبار داودعليه السلام: إن الله عز وجل أوحى إليه: يا داود ! إني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني، ونعمتها بنور وجهي. .. فقال داود: يا رب ! بم نالوا منك هذا؟ قال: بحسن الظن، والكف عن الدنيا وأهلها، والخلوات بي ومناجاتهم لي، وإن هذا منزل لا يناله إلا من رفض الدنيا وأهلها، ولم يشتغل بشئ من ذكرها، وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي، فعند ذلك

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٤٢.

(٢) ديوان ابن الفارض: ٢٠.

(٣) الصحاح: ٤: ١٥٠٤.

أعطف عليه فأفرغ نفسه له، وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه، حتى ينظر إلي نظر الناظر بعينه إلى الشئ[١].

وفي أخبار داودعليه السلام أن الله عز وجل أوحى إليه: يا داود! إلى كم تذكر الجنة ولا تسألني الشوق إلي؟ قال: يا رب من المشتاقون إليك؟ قال: إن المشتاقين إلي الذين صفيتهم من كل كدر، وأنبهتهم بالحذر، وخرقت من قلوبهم إلي خرقا ينظرون إلي[٢].

قال الصادقعليه السلام: المشتاق لا يشتهي طعاما ويلتذ شرابا ولا يستطيب وقادا ولا يأنس حميما ويأوي دارا ولا يسكن عمرانا ولا يلبس ثيابا ولا يقر قرارا ويعبد الله ليلا ونهارا راجيا بان يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان الشوق معبرا عما سريرته كما أخبر الله تعالى عن موسىعليه السلام في ميعاد ربه (وعجلت إليك ربى لترضى) وفسر النبيصلى الله عليه وآله عن حاله انه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئا من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوما شوقا إلى ربه فإذا دخلت ميدان الشوق فكبر على نفسك ومرادك من الدنيا وودع جميع المألوفات واصرفه عن سوى مشوقك ولب بين حياتك وموتك لبيك اللهم لبيك عظم الله اجرك ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة إلا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه[٣].

---

(١) ميزان الحكمة: ٤: ٢٧٩٦ – ٢٧٩٩.

(٢) ميزان الحكمة: ٤: ٢٧٩٦ – ٢٧٩٩.

(٣) مصباح الشريعة: ١٩٦– ١٩٨.

وقال اميرالمؤ منين عليه السلام: الشوق خلصان العارفين[١].

وقال عليه السلام: والشوق شيمة الموقنين[٢].

و ما ورد في الادعية عن اهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام من طلب الشوق كثير.

قال الامام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية: الهي فاجعلنا من الذين توشجت اشجار الشوق فى حدائق صدورهم، وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم، فهم الى أوكار الأفكار يأؤون، وفى رياض القرب والمكاشفة يرتعون، ومن حياض المحبة بكاس الملاطفة يكرعون[٣].

واليك ما قاله الشعراء العرفان

أحبابي أما جفن عيني فمقروح ... وأما فؤادي فهو بالشوق مجروح
يذكرني مر النسيم عهودكم ... فأزداد شوقا كلما هبت الريح
أراني إذا ما أظلم الليل أشرقت ... بقلبي من نار الغرام مصابيح
ما نال عبد من الرحمن منزلة ... أعلى من الشوق إن الشوق محمود
(يا عاذل المشتاق دعه فإنه ... يطوي على الزفرات غير حشاكا)
(لو كان قلبك قلبه ما لمته ... حاشاك مما عنده حاشاكا)
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ... ولولا ما أؤمل ما حييت
فأحيا بالمنى وأموت شوقا ... فكم أحيا عليك وكم أموت

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤١.

(٢) ميزان الحكمة:٤: ٢٧٦٩.

(٣) الصحيفة السجادية (ابطحي): ٤١٧

رابعا: البكاء والدمع

بكاء وهو يمد ويقصر فالبكاء بالمد الصوت وبالقصر الدموع وخروجها[١].

البكاء فعل غريزي فطري في الانسان لا يملك الإنسان دفعه ولذا ترى المحبين يهطل الدمع منهم لفراقهم الاحبة ولرايتهم الاطلال ورسوم الديار وقد يكون البكاء شوقا للقاء المحبوب وقد يكون البكاء من المحب لتقصيره في حق المحبوب.

قال ابن الفارض:

فطوفان نوح عند نوحي كادمعي ۝ وايقاد نيران الخليل كلوعتي

ولولا زفيري اغرقتني ادمعي ۝ ولولا دموعي احرقتني زفرتي[٢]

ويقول اخر:

بعيني دموع لو جرين بقفرة لاضحت ۝ بقاع الارض من ملئها وحلا

وفي القلب نار لو تصب على الورى ۝ لمات جميع الناس واحترقوا كلا

عن أنس قال، قال رسول الله صلى الله وآله وسلم: بكى شعيب "ع" من حب الله عز وجل حتى عمى، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب، إلى متى يكون هذا أبدا منك، إن يكن هذا خوفا من النار فقد أجرتك، وان يكن شوقا إلى الجنة فقد أبحتك، قال إلهي

---

(١) مختار الصحاح: ٣٩.

(٢) ديوان ابن الفارض: ٢٤

وسيدي أنت تعلم إني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه: اما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران[١].اقول هنا الرؤية المراد منهاالقلبية.

ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته له عن أمير المؤمنين، قال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه قابض على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا يا دنيا إليك عني، أبي تعرضت، أم إلي تشوقت: لا حان حينك هيهات غري غيري. لا حاجة لي فيك. قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها. فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير. آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد[٢].

وعن محمد بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: رأيت علي بن الحسين عليهما السلام في فناء الكعبة في الليل، وهو يصلي، فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى، ومرة على رجله اليسرى، ثم سمعته يقول بصوت كأنه باك: يا سيدي تعذبني وحبك في قلبي !؟ أما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك[٣].

وفي كشكول البهائي :ان الربيع بن خثيم كان يبكي كثيرا ويبيت ساهرا ولا يستقر فضاق صدر أمه من كثرة بكائه فقالت له يا بني هل قتلت أحد

---

(١) علل الشرائع: ١: ٥٧

(٢) نهج البلاغة: ٤: ١٦ — ١٧.

(٣) الصحيفة السجادية (ابطحي) : ٥١٥.

ظلما حتى تبكي هذا البكاء قل لي حتى اذهب إلى أولياء المقتول واستحلهم فوالله لو علموا بحالك لرحموك وعفوا عنك فقال يا أماه بلى قد قتلت نفسي[١].

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها   لنفسي في نفسي عن الناس شاغل

خامسا: النحول والذبول

محبة الله تعالى توجب النحول والذبول لان المحب لا يشتهي طعاما او شرابا او يلاقي محبوبه.

يقال: أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم، وتغيرت ألوانهم، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الخوف من النار، قال: حق على الله أن يؤمن من يخافه، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولا وتغيرا، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطى من رجاه. ثم مر إلى ثلاثة آخرين، فإذا هم أشد نحولا، وعلى وجوههم مثل المرائي من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حب الله عز وجل، فقال: أنتم المقربون، ثلاثا[٢].

يقول المتصوف السري السقطي:

ولما ادعيت الحب قلت كذبتني   فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا

فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا   وتذهل حتى لا تجيب المناديا[٣]

---

(١) أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين: ٦: ٤٥٦ – ٤٥٧.

(٢) ميزان الحكمة:محمد الريشهري: ٣: ٢٥٣٩.

(٣) الحب والمحبة الالهيه:ابن العربي: ١١٠.

سادسا: تحمل بلاء المحبوب

المحب الصادق عليه ان يتحمل بلاء محبوبه ولو ادخله النار لان المحبوب يريد ان يختبر المحب وصدق محبته له ويريد ان يكون المحب ملتفتا اليه لا الى غيره حتى تكون منزلته لديه كبيرة بل اقتضت سنة المحبوب انه اذا احب عبدا زاد في بلائه ومحنته وهذا لا بد من معرفته للمحب وعلى هذا لا بد للمحب ان يعرف ان البلاء نعمة من الله تعالى وهذا غاية المحبة

عن أبي جعفرعليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا غته بالبلاء غتا وثجه بالبلاء ثجا[(١)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لله عز وجل عبادا في الأرض من خالص عباده ما ينزل من السماء تحفة إلى الأرض إلا صرفها عنهم إلى غيرهم ولا بلية إلا صرفها إليهم[(٢)].

وعن أبي جعفرعليه السلام قال: أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأماثل فالأماثل[(٣)].

ولذا امير المؤمنينعليه السلام يقول في المناجاة الشعبانية التي تدل على كمال المحبة لله تعالى: وإن أدخلتني النار أعلمت أهلها أنّي أحبّك[(٤)].

وينقل القشيري في رسالته يقول: حبس الشبلي وقتاً في المارستان_المستشفى_ فدخل عليه جماعة؛ فقال: من أنتم؟ فقالوا: أحباؤك

---

(١) الكافي: ٢: ٢٥٢-٢٥٦.

(٢) الكافي: ٢: ٢٥٢ – ٢٥٦.

(٣) نفس المصدر: ٢: ٢٥٢ – ٢٥٦.

(٤) إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس:٣ :٢٩٧.

جاءوك زائرين. فأخذ يرميهم بالحجر، وأخذوا يهربون.فقال: يا كذابون، لو كنتم أحبائي لصبرتم على بلائي[١].

قال ابن الفارض:

وما حل بي من محنة فهو منحة   وقد سلمت من حل عقدي عزيمتي
وكل اذى في الحب منك اذا بدى   جعلت له شكري مكان شكيتي
نعم وتباريح الصبابة ان عدت   علي من النعماء في الحب عدت
ومنك شقائي بل بلائي منة   وفيك لباس البؤس اسبغ نعمة[٢]

المطلب السادس: اثار المحبة الالهية على العبد

اذا احب الله العبد افاض عليه من النعم المعنوية العظيمة والجسيمة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لان المعطي هو الله تعالى، ولله ما في السموات وما في الارض، وعنده خزائن الغيب، ولا تزيده كثرة العطاء الا جودا وكرما.

ومن هذه النعم العظيمة التي اعطيت لهم العقل الكامل، والتصرف في الوجود، او ما نعبر عنه «الولاية التكوينية»، والاخبار بالغيب ،واستجابة الدعاء، والفراسة وغير ذلك.واليك بعض الاحاديث

١- عن حماد بن بشير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي وما تقرب إلي عبد بشئ أحب إلي مما افترضت عليه وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى

---

(١) الرسالة القشيرية: ٣٢٨.

(٢) ديوان ابن الفارض: ابن الفارض:٢٦.

أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته[١].

٢- وروى الشهيد الثاني في كتاب مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد قال: أوحى الله إلى بعض الصديقين: ان لي عبادا يحبوني وأحبهم ويشتاقون إلي فأشتاق إليهم ويذكروني فأذكرهم، فان اخذت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك ...... أول ما أعطيهم ثلاثا: اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما اخبر عنهم، والثاني لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالث اقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد ان أعطيه[٢].

٣- عن أبي جعفرعليه السلام في قوله الله عز وجل: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين " قال: هم الأئمةعليهم السلام، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل في قول الله تعالى: " إن في ذلك لآيات للمتوسمين "[٣].

٤ – عن أبي جعفرعليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا " هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب[٤].

---

(١) الكافي: ٢: ٣٥٢.

(٢) مسكن الفؤاد:الشهيد الثاني: ٢٨.

(٣) الكافي: ١: ٢١٨.

(٤) الكافي : ١: ١٠.

المطلب السابع: تفسير حديث (لا يزال يتقرب الي عبدي بالنوافل)

«لا يزال يتقرّب إلي عبدي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت أنا سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها»

ما قاله الشيخ البهائي رحمه الله: من أنَّ المراد - واللَّه العالم - أ نِّي إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلِّ الأُنس، وصرفته إلى عالم القدس، وصيَّرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت، وحواسَّه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت، فيثبت - حينئذٍ في مقام القرب قدمه، ويمتزج بالمحبَّة لحمه ودمه إلى أن يغيب عن نفسه، ويذهل عن حسِّه، فيتلاشى الأغيار في نظره حتّى أكون له بمنزلة سمعه وبصره

كما قال مَنْ قال:

جنوني فيك لا يخفى وناري منك لا تخبو

فأنت السمعُ والأبصارُ والأركانُ والقلبُ[1]

وقال الامام الخمينيقُدِّسَ سِرُّهُ: المرتبة الاولى من التطهيرات الثلاثة للاولياء تطهير الاعضاء والجوارح من الاعمال والافعال البشرية، وهذا التطهير هو نتيجة قرب النوافل كما في الحديث المتفق عليه " لا يزال يتقرّب إلي عبدي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت أنا سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها".

---

(١) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدينعليه السلام:السدي علي خان المدني الشيرازي: ٢: ٢٦٩.

فالسالك الكامل الواصل اذا خرج من بيت النفس المظلم وطوى عالم النفس بالكلية واندك جبل إنّيّته وأنانيته بتجلي الانوار الربوبية وخرق الحجب النورانية والظلمانية يتجلى الحق تعالى في وجوده فيسمع بالحق ولا يسمع غير الحق ويبصر بالحق ولا يبصر سوى الحق ويبطش بالحق ولا يصدر منه الا الحق وينطق بالحق ولا ينطق الا الحق.

فإذا تمكن في هذا المقام وتقرّب إلى الله سبحانه بقدر استعداده فتحصل له المرتبة الثانية من التطهير وهو التطهير من الصفات الخلقية فالجذبات الالهية الرحمانية تجذبه ويأنس بنار العشق من جانب طور تجلّي الاسماء فتقربه من بساط الانس، فإن جذبه من جذبات الرحمان توازن عمل الثقلين كما في الحديث ويكون كالحديدة المحماة كما في الحديث أيضاً، فكلما يتمكن من القرب يتأدّب بالاداب الربوبية المستفادة من قوله صلى الله عليه وآله " أدّبني ربي فأحسن تأديبي ". فتكمل فيه الصفات والملكات الخلقية وتصل جوهرة العبودية إلى كنها وتختفي العبودية وتظهر الربوبية وتتحقق بحقيقة " «وتخلّقوا بأخلاق الله». ثم في منتهى قرب النوافل يصل إلى المرتبة الثالثة من التطهير وهي تطهير الذات وكشف سبحات الجلال ويحصل الفناء الكلّي والصعق التام والاضمحلال المطلق والتلاشي التام ويصير القلب الهيا ولاهوتيا وتتجلى حضرة اللاهوت في مراتب الباطن والظاهر فيصل على معدن العظمة ويصير روحه معلقا بعزّ القدس كما أشار عليه السلام في المناجاة الشعبانية: " الهي هب لي كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرنا اليك حتى تخرق ابصار القلوب حجب النور وتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك ". فعند ذلك يكون وجوده حقانيا، والحق تعالى يشاهد الموجودات في مرآة وجوده، واذا كان انسانا كاملا فيوافق المشيئة المطلقة،

كما ورد في زيارة الاولياء الكمّل" ارادة الربّ في مقادير أموره تهبط اليكم وتصدر من بيوتكم" وتكون روحانية عين مقام الظهور الفعلي للحق تعالى كما قال علي عليه السلام: " نحن صنائع الله والخلق بعد صنائعنا " فيه يبصر الحق تعالى وبه يسمع وبه يبطش كما في زيارة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: " السلام على عين الله الناظرة وأذنه الواعية ويده الباسطة السلام على جنب الله الرضي ووجهه المضيء " وربما تستفاد هذه اللطيفة الربانية من حديث قرب النوافل: " كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به .. إلى آخره .. " فليتدبّر .. وفي دعاء رجب: " لا فرق بينك وبينها الا أنهم عبادك وخلقك "[(١)].

المطلب الثامن : النبي واهل البيت صلوات الله عليهم المصداق الكامل لمحبة الله تعالى

لاشك ان النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته الكرام الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا هم الكاملين في محبة الله ولا يشاركهم احد في ذلك يقول الامام الهادي عليه السلام في زيارة الجامعة

«والتامين في محبة الله»[(٢)].

وقال زين العابدين عليه السلام:« إلهي وعزتك وجلالك لقد أحببتك محبة استقرت حلاوتها في قلبي»[(٣)].

---

(١) الاداب المعنوية للصلاة: الامام الخميني قدس سره: ١١٤و١١٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام:الشيخ الصدوق: ١ :٣٠٦.

(٣) الصحيفة السجادية (ابطحي) : ٤٢٨.

وقال الله تعالى في حق اهل البيتعليهم السلام: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[١].

قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه " قال: علي بن أبي طالبعليه السلام. ويؤيد هذا القول أن النبيصلى الله عليه وآله وصفه بهذه الصفات المذكورة في الآية، فقال فيه - وقد ندبه لفتح خيبر بعد أن رد عنها حامل الراية إليها مرة بعد أخرى وهو يجبن الناس ويجبنونه لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرارا غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، ثم أعطاها إياه[٢].

ويقول عليعليه السلام وهو الذي ذاق حلاوة محبة الله تعالي: فهبني يا الهي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك[٣].

ولانهم التامون في محبة الله خلق الله العالم كله لمحبتهم ولا ضير في ذلك فانه الف عين لاجل عين تكرم. تامل ما ورد في الحديث .هبط الأمين جبرائيل وقال: السلام عليك يا رسول الله ! العلي الأعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماء مبنية، ولا أرضا مدحية، ولا قمرا منيرا، ولا شمسا مضيئة، ولا فلكا يدور، ولا بحرا يجري ولا فلكا يسري إلا لأجلكم ومحبتكم[٤].

وروي انه استسقى عباد البصرة مثل: أيوب السجستاني، وصالح المزي، وعتبة العلام، وحبيب القادسي، ومالك بن دينار، وأبو صالح الأعمى، وجعفر

---

(١) سورة المائدة : الاية ٥٤ .

(٢) تفسير الثعلبي: ٤: ٧٨.

(٣) مصباح المتهجد:٨٤٧.

(٤) موسوعة كلمات الإمام الحسينعليه السلام: لجنة الحديث في معهد باقر العلومعليه السلام: ٧٧.

بن سليمان، وثابت البناني، ورابعة، وسعدانة، وانصرفوا خائبين فإذا هم بفتى قد أقبل وقد أكربته أحزانه وأقلقته أشجانه فطاف بالكعبة أشواطا ثم اقبل علينا وحيانا واحدا واحدا فقلنا: لبيك يا شاب، فقال: أما فيكم أحد يجيبه الرحمن؟ فقلنا: يا فتى علينا الدعاء وعليه الإجابة، قال: ابعدوا عن الكعبة فلو كان فيكم أحد يجيبه الرحمن لاجابه، ثم أتى الكعبة فخر ساجدا فسمعته يقول في سجوده: سيدي بحبك لي إلا أسقيتهم الغيث، فما استتم الكلام حتى اتاهم الغيث كأفواه القرب ثم ولى عنا قائلا:

من عرف الرب فلم تغنه　　معرفة الرب فهذا شقى
ما ضر في الطاعة ما ناله　　في طاعة الله وماذا لقى
ما يصنع العبد بعز الغنى　　والعز كل العز للمتقى

فسئل عنه فقالوا: هذا زين العابدين[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣: ٢٨٢ – ٢٨٣.

الباب الثالث عشر

اليقين

وفيه مطالب:

المطلب الاول: اليقين لغة هو العلم الذي لا يعتريه شك

يقول صاحب الصحاح: اليَقينُ: العلم وزوالُ الشك. يقال منه: يَقِنْتُ الأمر يَقْناً، وأيْقَنْتُ، واسْتَيْقَنْتُ، وتَيَقَّنْتُ، كلُّه، بمعنًى. وأنا على يَقين منه. وإنّما صارت الياء واواً في قولك موقِنٌ للضمة قبلها. وإذا صغّرته رددتَه إلى الأصل وقلت مُيَيْقِنٌ. وربَّما عبَّروا عن الظنّ باليَقينِ، وباليَقينِ عن الظنّ[١].

واصطلاحا: اليقين: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال، وعند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان[٢].

المطلب الثاني: مراتب اليقين

ذكر ارباب المعرفة ان هناك مراتب ودرجات لليقين تتفاوت بينها وليس لليقين مرتبة واحدة كما يتصور ولذلك يقول الشريف الجرجاني في تعريفاته

---

(١) الصحاح: ٦: ٢٢١٩.

(٢) التعريفات:الشريف الجرجاني:١٢٨.

اولا: علم اليقين: ما أعطى الدليل بتصور الأمور على ما هي عليه.

ثانيا: عين اليقين: ما أعطته المشاهدة والكشف.

ثالثا: حق اليقين: عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً، وحالاً لا علماً فقط[١].

ومثال على ذلك: ويُمثّل لذلك باليقين بالنار الذي يكون في الدرجة الاولى بمشاهدة المرئيّات بتوسط نورها، وفي الدرجة الثانية بمشاهد النار بشكل مباشر، وفي الدرجة الثالثة بالاحتراق فيها وانمحاء الهوية بها. او مثال اخركمن أخبرك: أن عنده عسلا وأنت لا تشك في صدقه ثم أراك إياه فازددت يقينا ثم ذقت منه. فالأول: علم اليقين والثاني: عين اليقين والثالث: حق اليقين

فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم يقين فإذا أزلفت الجنة في الموقف للمتقين وشاهدها الخلائق وبرزت الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين فإذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار: فذلك حينئذ حق اليقين.

وأنـــلنا معرفةَ اليقينِ وعينه   بالحقِ وامحُ الغيرَ من أحشائي

المطلب الثالث: منزلة اليقين في روايات اهل البيت عليهم السلام

لا شك ان اليقين مرتبة سامية لا يصل اليها الا ذو حظ عظيم وقد

---

(١) انظر التعريفات: الشريف الجرجاني: تسلسل الصفحات ما يلي:

علم اليقين: ١٢٨.

عين اليقين: ١٣١.

حق اليقين: ٧٣.

اشار اهل البيتعليهم السلام الى هذه الحقيقة وهم الذين لا ينطقون عن الهوى واليك بعض من تلك الاحاديث

١- رسول اللهصلى الله عليه وآله: ألا إن الناس لم يؤتوا في الدنيا شيئا خيرا من اليقين والعافية، فاسألوهما الله[١].

٢-عنهعليه السلام كان يقول: واسألوا الله اليقين، وارغبوا إليه في العاقبة، وخير ما دام في القلب اليقين[٢].

٣- وفي الدعاء: اللهم هب لي يقينا تباشر به قلبي[٣].

٤- وعن الامام الصادقعليه السلام: خير ما القي في القلب اليقين[٤].

٥-عن الامام عليعليه السلام: باليقين تدرك الغاية القصوى[٥].

٦- وعن الامام عليعليه السلام: يحتاج الإيمان إلى الإيقان[٦].

٧- عن النبيصلى الله عليه وآله: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله[٧].

٨- الإمام الصادقعليه السلام لأبي بصير: إن الإيمان أفضل من الإسلام، وإن اليقين أفضل من الإيمان، وما من شيء أعز من اليقين[٨].

---

(١) مسند احمد: احمد بن حنبل: ١ :٨.

(٢) المحاسن:١: ٢٤٨.

(٣) الصحيفة السجادية ابطحي: ٢٧٨.

(٤) الأمالي: الشيخ الصدوق: ٥٧٦.

(٥) تحف العقول: ٤: ٢٢٣.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ٥٤٩.

(٧) مجمع الزوائد:الهيثمي: ١: ٥٧.

(٨) الكافي: ٢: ٥١.

٩- الإمام الصادق عليه السلام: إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين[١].

١٠-عن النبي صلى الله عليه وآله: لا عمل إلا بنية، ولا عبادة إلا بيقين[٢].

١١- الإمام علي عليه السلام: نوم على يقين خير من صلاة في شك[٣].

١٢-الإمام علي عليه السلام: غاية الدين الإيمان، غاية الإيمان الإيقان[٤].

المطلب الرابع: القران ومراتب اليقين

تعرض القران الكريم الى مراتب اليقين ولذا سوف نشرح هذه المراتب بحسب الرؤية القرانية

المرتبة الاولى: علم اليقين

يقول تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[٥].

علم اليقين هو العلم الذي يحصل بالدليل والاستدلال والبرهان كيقين الانسان بوجود الله تعالى ووجود اليوم الاخر.

يقول تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[٦].

---

(١) الكافي: ٢: ٥١.

(٢) مستدرك الوسائل: ١: ٨٩.

(٣) نهج البلاغة: ٤: ٢٢.

(٤) عيون الحكم والمواعظ: ٣٤٧.

(٥) سورة التكاثر : الاية ٥ .

(٦) سورة البقرة : الاية ٤ .

ويقول تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١].

وقد يستدل الانسان على وجود الله من خلال الادلة العقلية التي تورث اليقين منها

دليل السببية: وان لكل مسبب سبب ولكل اثر مؤثر ولكل مخلوق خالق قال سبحانه تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣].

وقال رجل للإمام الصادقعليه السلام: ما الدليل على صانع العالم؟ فقالعليه السلام: وجود الأفاعيل على صانعها صنعها ألا ترى إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانياً وإن كنت لا ترى الباني ولم تشاهده[٤].

وهكذا لما سئل أعرابي عن وجود الله قال بفطرتهِ السليمة البعرة تدل على البعيرة، الأثر يدل على المسير، أفسماءٌ ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على اللطيف الخبير[٥].

وكذلك سئلت عجوزاً كيف عرفت أنّ لك خالقاً فأجابت إن دولابي هذا (آله المغزل) منذ وعيت لا يتحرك بدون أن أحركهُ فكيف يتحرك ما في الكون بدون محرك.

---

(١) سورة الجاثية : الاية ٢٠ .

(٢) سورة الطور : الاية ٣٥ .

(٣) سورة فصلت ك الاية٥٣ .

(٤) الكافي: ١: ٨١.

(٥) بحار الانوار: ٦٦: ١٣٤

كذلك أحد العلماء طلب منه بعض الملاحدة أن يناظره في وجود الله تعالى وحددوا لذلك موعداً فتأخر العالم عنهم وكان تأخره عن قصد فلما جاءهم وسألوه عن سبب تأخره قال لقد حال بيني وبين مجيء أليكم نهر ولم أجد ما ينقلني إليكم غير إن الأمر لم يطل حتى أتت سفينة وهي تمشي من غير أن يقودها قائد أو يتحكم فيها متحكم فصاح بهِ الملاحدة بماذا تقول يا رجل؟ فقال لهم أنتم أنكرتم أن يكون لهذا الكون خالقاً ولم تصدقوا أن تكون سفينة من غير قائد فاعترفوا وأقروا .... ؟

ويستدل الانسان على الاخرة.

فلان الانسان يجد بحسه وعيانه ان من الناس قوما يؤمنون باللّه ورسوله ويطيعونهما، ويعملون الصالحات ويحسنون الى العباد، ومنهم قوم يكفرون باللّه ويعصونه ويصرفون اعمارهم في الجناية والظلم. فلو لم تكن بعد هذه الحياة دار يجزون فيها باعمالهم ويقتص فيها من الجاني، ويجبر كسر المظلوم كان ذلك منافيا لعدل الخالق الذي وصف نفسه بالعدل ونفي الظلم .

وايضا كان منافيا لحكمة الخالق الذي وصف نفسه بالحكمة، ووصف عمله بالتنزه عن العبث وقد نبه على هذين الحكمين في القرآن العظيم

قال تعالى:﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ﴾(١) .

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾(٢) .

وقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ

---

(١) سورة السجدة : الاية ١٨ .

(٢) سورة القلم : الاية ٣٥ .

فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[(٢)].

وقال تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[(٥)].

المرتبة الثانية: عين اليقين

يقول تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾[(٦)].

عين اليقين هي الرؤية الواضحة والمشاهدة والمكاشفة القلبية التي تورث اليقين وهذه تحصل للاولياء والانبياء عليهم السلام

يقول تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

(١) سورة ص : الاية ٢٨ .

(٢) سورة الجاثية : الاية ٢١ .

(٣) سورة المؤمنون : الاية ١١٥ .

(٤) سورة الزلزلة: الاية ٣ الى ٤ .

(٥) سورة طه : الاية ١٥ .

(٦) سورة التكاثر : الاية ٧ .

وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[(١)].

وهذه الاية المباركة تدل على ان ابراهيمعليه السلام راى ملكوت السموات والارض وهذه الرؤية كانت مقدمة لليقين الذي حصل عليه ابراهيمعليه السلام.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما أرى ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلا يزنى، فدعا عليه فمات، ثم رأى آخر فدعا عليه فمات حتى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله إليه ان يا إبراهيم ان دعوتك مجابة فلا تدع على عبادي، فانى لو شئت لم أخلقهم، انى خلقت خلقي على ثلاثة أصناف عبد يعبدني لا يشرك به شيئا فأثيبه، وعبد يعبد غيري فلن يفوتني، وعبد يعبد غيري فاخرج من صلبه من يعبدني[(٢)].

وقد تحدثت الروايات عما راه النبيصلى الله عليه وآله في عالم الملكوت من عجائب الامور.

اولا: الاسراء: حيث ان النبيصلى الله عليه وآله انتقل من مكة الى بيت المقدس كما اخبر عن ذلك الله تعالى يقول تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[(٣)].

ثانيا: والمعراج وقد تحدث القران الكريم عن هذه الرحلة الملكوتية يقول تعالى ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ

---

(١) سورة الانعام : الاية ٧٥ .

(٢) تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي: ١: ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) سورة الاسراء : الاية ١ .

قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ❁ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ❁ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ❁ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ❁ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ❁ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ❁ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ❁ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ❁ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ❁ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[1].

واما الروايات التي تحدثت عن عين اليقين

ورد عن النبيﷺ وسلم: تنام عيني ولا ينام قلبي[2].

ويقول كذلك: فإني أرى من خلفي كما أرى من جهة قبلتي[3].

وقال أمير المؤمنين عليّعليه السلام: لو كشف الغطاءُ ما ازددت يقينا[4].

والغطاء هو البدن كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم:﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[5].

يقول ابن ميثم البحراني في شرح كلام الامامعليه السلام لو كشف الغطاءُ ما ازددت يقينا: هنا الامامعليه السلام يريد الإشارة إلى أمر، وهو أنه مطلعٌ بقوتهِ القدسية على الأطوار الماورائية متصلٌ بالملأ الا على مرتوي بالكأس الأوفى مشاهد لأمور تعجز عن إدراكها الأوهام وتكل عن بيانها العبارات والإفهام مبتهجة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت حتى أنه لو فارق الدنيا وفارقت النفس

---

(١) سورة النجم : الاية من ٧ الى ١٨ .

(٢) المنتقى من السنن المسندة:ابن الجارود النيسابوري:١٦.

(٣) مسند احمد: الإمام احمد بن حنبل: ٢: ٣٠٣.

(٤) عيون الحكم والمواعظ:٤١٥.

(٥) سورة ق : الاية ٢٢ .

البدن لما زاد ذلك الاستغراق وتلك المشاهدة على ما كان قبل المفارقة[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء حبر إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنت أعبد ربا لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[٢].

وعن إسحاق بن عمار قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام «يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الصبح، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه، مصفرا لونه، قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أصبحت يا فلان؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقنا، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال: إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟ فقال: إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلائق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنة، يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الآن أسمع زفير النار، يدور في مسامعي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: هذا عبد نور الله قلبه للايمان، ثم قال، الزم ما انت عليه »[٣].

---

(١) انظر شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين: ابن ميثم البحراني: ٥٢.

(٢) المحاسن: ١ :٢٥١.

(٣) الكافي:الكليني: ٢: ٥٣.

المرتبة الثالثة: حق اليقين

يقول تعالى:﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾[١].

حق اليقين: عبارة عن فناء العبد في الحق

وللفناء أقسام:

القسم الأول:

المحق: وهو أن يصل العارف بالله تعالى، درجة لا يشاهد عندها إلا وجود الحق وهو التوحيد الشهودي حيث لا يرى العارف بالله ولا يشاهد غيره موجوداً «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»[٢].

القسم الثاني:

المحو: وهو يتحقق بوصول العارف إلى مقام لا يرى فعلاً إلا وينسبه أولاً إلى الله تعالى ثم لنفسهِ بحولٍ منه وقوة فيكون مصداق لقوله تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ» [٣].

وقوله عليه السلام :« لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[٤].

وهذا مفاد نظرية الأمر بين الأمرين الذي قال بها الإمام الصادق(ع).

القسم الثالث:

الطمس: وهنا العارف لا يرى كمالاً ولا جمالاً ولا صفة حُسنٍ إلا ويراها صفة له تعالى فالتقوى عند العرفاء في هذا المقام هو أن يتقي العارف

---

(١) سورة الواقعة : الاية ٩٥ .

(٢) سورة الحشر ك الاية ٢٢ .

(٣) سورة الانفال : الاية ١٧ .

(٤) المحاسن : ١ : ٩ .

نسبة أي صفة حسنة إليه لأنه مختص بهِ تعالى وهي مرتبة عليا لا يصل إليها إلا كل ذي حظ عظيم[(١)].

من أبصر الخلقَ كالسراب فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود تراه رتقا بلا أبتعاد ولا أقتراب
فلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الخطاب

المطلب الخامس: أهم ثمار اليقين كما تنظر اليها روايات اهل البيت عليهم السلام

أولاً: التوحيد الخالص

فالتوحيد الخالص، والفناء في الله، واشراق الانوار الالهية، ثمرة الوصول الى اليقين.

وقد ورد عن اهل البيت عليهم السلام ما يشير الى ذلك.

١- يقول الامام الحسين عليه السلام: انت الذي اشرقت الانوار في قلوب اوليائك حتى عرفوك ووحدوك[(٢)].

٢- عنه عليه السلام: سبب الإخلاص اليقين[(٣)].

٣- يقول عنه عليه السلام: غاية اليقين الإخلاص، غاية الإخلاص الخلاص[(٤)].

٤-عنه عليه السلام: عباد الله ! اعلموا أن يسير الرياء شرك، وأن إخلاص

---

(١) انظر بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: ١٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ٩٥: ٢٢٦.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٢٨٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٤٧.

العمل اليقين[١].

فما لم يكن هناك يقينا لا يوجد توحيد بل يوجد شرك وجهل وضلال ولذا يقول تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[٢].

ثانيا: العبودية

العبودية التامة اهم ثمرة من ثمار اليقين، والعبودية هي الاصطلام في المعبود ،وهي جوهرة كما ورد عن الامام الصادق عليه السلام:« العبودية جوهرة كنهها الربوبية»[٣].

ومعنى الحديث : ان العبد يتلبس بالصفات الالهية من القوة والعزة والقدرة والعزم والارادة والغنى والعلم، فيصبح العبد يفعل ما يشاء، ويصنع ما يريد، ولكن باذن الله تعالى ، وكما في الحديث القدسي :« عبدي اطعني تكن مثلي او (مثلي)أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون »[٤].

وكذلك الحديث الاخر :« عبدي أطعني أجعلك مثلي أنا حي لا أموت ، أجعلك حيا لا تموت ، أنا غني لا أفتقر أجعلك غنيا لا تفتقر ، أنا مهما أشأ يكن أجعلك مهما تشأ يكن»[٥].

ويكون مطاع حتى من قبل الوحوش والبهائم وهذا ما كان يحصل للائمة الاطهار عليهم السلام :«أخبر الحارث الأعور ، قال : كنا مع أمير

---

(١) بحار الأنوار: ٧٤: ٢٩١.

(٢) سورة يوسف : ١٠٦ .

(٣) مصباح الشريعة : المنسوب للامام الصادق عليه السلام: ٧ .

(٤) شجرة طوبى : محمد مهدي الحائري: ٣٣ .

(٥) مشارق أنوار اليقين : الحافظ رجب البرسي : ص ١٠٠ .

المؤمنين صلوات الله عليه في جبانة بني أسد وقوفا " ، إذ أقبل أسد يهوي إليه ، فتضعضعنا من خوفه ، فقال صلوات الله عليه : " مه " وأقبل الأسد حتى قام بين يديه ، فوضع يده بين أذنيه وقال : " ارجع بإذن الله تعالى ، ولا تدخل في دار هجرة بعد اليوم ، وبلغ ذلك السباع عني»[١].

ثالثا: الصبر

الصبر على الطاعة والمعصية والبلاء ياتي من قوة اليقين فما دام هناك يقين يكون هناك صبر والا فلا.

يقول الامام علي عليه السلام: الصبر ثمرة اليقين[٢].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: الصبر من اليقين[٣].

ثالثا: الامامة

الامامة منصب الهي خطير لا يعطى لكل احد من الناس ما لم تكن هناك مؤهلات خاصة وقد اشارت هذه الاية المباركة لهذه المؤهلات.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٤]. فالملاك في اعطاء الامامة هو الصبر في جنب الله في اعلى درجاته واليقين في اعلى درجاته .فالإمام يجب أن يكون إنسانا ذا يقين مكشوفا له عالم الملكوت كما قال تعالى: ﴿و كذلك نري إبراهيم ملكوت

---

(١) الثاقب في المناقب : ابن حمزة الطوسي : ص ٢٥٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٣٣.

(٣) مشكاة الأنوار: ٥٦.

(٤) سورة السجدة : الاية ٢٤ .

السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [١].

المطلب السادس: علامات الموقن كما في روايات اهل البيت عليهم السلام

العلامة هي الدلالة التي تشير الى الحقيقة وقد بين النبي صلى عليه واله واهل البيت عليهم السلام وهم الذين قد عرفوا الحقائق وتبينت لهم الاشياء اوصاف الموقنين حتى كانك تنظر اليهم عن قريب.

يقول النبي صلى الله عليه وآله: أما علامة الموقن فستة: أيقن بالله حقا فآمن به، وأيقن بأن الموت حق فحذره، وأيقن بأن البعث حق فخاف الفضيحة، وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها، وأيقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها، وأيقن بأن الحساب حق فحاسب نفسه [٢].

ويقول امير المؤمنين علي عليه السلام: عباد الله ! إن من أحب عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى في قلبه. .. قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره، واستمسك من العرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس [٣].

ويقول عليه السلام: هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استعوره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه،

---

(١) سورة الانعام : الاية ٧٥ .

(٢) تحف العقول: ٢٠.

(٣) نهج البلاغة: ١: ١٥٢.

والدعاة إلى دينه، آه آه شوقا إلى رؤيتهم[١].

ويقول الامام علي عليه السلام: الموقن أشد الناس حزنا على نفسه[٢].

وعنه عليه السلام: يستدل على اليقين بقصر الأمل، وإخلاص العمل، والزهد في الدنيا[٣].

عنه عليه السلام: من أيقن أنه يفارق الأحباب، ويسكن التراب، ويواجه الحساب، ويستغني عما خلف، ويفتقر إلى ما قدم، كان حريا بقصر الأمل، وطول العمل[٤].

وقال عليه السلام: من أيقن بالمعاد استكثر الزاد[٥].

عنه عليه السلام: الشوق شيمة الموقنين[٦].

المطلب السابع: تفاوت اليقين كما ذكرت الاحاديث الشريفة

نحن قلنا بان هناك تفاوت في درجات اليقين وبعبارة اخرى ان اليقين مفهوم مشكك باستطاعة الانسان ان يزداد يقينا في كل لحظة من لحظات حياته مصداقا لقوله تعالى (وفي ذلك فليتافس المتنافسون) وكذلك عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من استوى يوماه فهو مغبون[٧] ولذا ذكرت الاحاديث

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٥١٤.

(٢) ميزان الحكمة: ٤: ٣٧١٧.

(٣) مستدرك الوسائل: ١١: ٢٠١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٠: ١٦٧.

(٥) مستدرك الوسائل: ١١: ١٩٩.

(٦) ميزان الحكمة: ٤: ٢٧٩٦.

(٧) وسائل الشيعة (آل البيت) : ١٦: ٩٤.

الشريفة هذه الحقيقة .

قال الصادق عليه السلام: اليقين يوصل العبد إلى حال سني ومقام عجيب كذلك أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عظم شان اليقين حين ذكر عنده ان عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لو زاد يقينه لمشى في الهواء. فدل بهذا على أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير[١].

وذلك اشارة الى هذا الحديث عن داود الرقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى عليه السلام، فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام: جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام، فدخله العجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله علي، قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فأخرجه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب، فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عز وجل مما قلت، قال فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها[٢].

---

(١) مصباح الشريعة: ١٧٧-١٨٠.

(٢) الكافي: ٢: ٣٠٦ – ٣٠٧.

ويقول الامام الرضاعليه السلام. لما سئل عن قول الله لإبراهيم: (أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) أكان في قلبه شك؟ -: لا، كان على يقين، ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه[١].

ويقول الإمام الكاظمعليه السلام: تعاهدوا عباد الله ! نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا، وتربحوا نفيسا ثمينا[٢].

ويقول الإمام عليعليه السلام: من يؤمن يزدد يقينا[٣].

وهذا اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ مريم٧٦

ان الايمان اذا كان صحيحا فالله تعالى يزيد صاحبه يقينا يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت ٦٩

ويقول الامام الصادقعليه السلام «والمؤمنون أيضا متفاوتون في قوة اليقين وضعفه فمن قوى منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة بالله والاستقامة على أمر الله وعبادته ظاهرا وباطنا قد استوت عنده حالتا العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعز والذل لأنه يرى كلها عين واحد ومن ضعف يقينه تعلق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة والسعي في أمر الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطى إلا الله وان العبد لا يصيب الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر بفعله

---

(١) المحاسن: ١: ٢٤٧.

(٢) الكافي: ٢: ٢٦٨.

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٤٥٤.

وقلبه قال الله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون[١].

ويقول الامام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الاخلاق: اللهم صل على محمد وآل محمد، وبلغ بإيماني أكمل الإيمان، واجعل يقيني أفضل اليقين[٢].

المطلب الثامن: ما قاله صاحب منازل السائرين في درجات اليقين[٣]

اليقين وهو على ثلاث درجات

الدرجة الأولى: علم اليقين- وهو قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للحق والوقوف على ما قام بالحق.

(أ)قبول أوامره ونواهيه وشرعه ودينه الذي ظهر لنا منه على ألسنة رسله فنتلقاه بالقبول والانقياد والاذعان والتسليم للربوبية والدخول تحت رقع العبودية

(ب) قبول ما غاب للحق وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله من أمور المعاد وتفصيله والجنة والنار والبرزخ والصراط والميزان والحساب ...الخ

(ج) الوقوف على ما قام بالحق سبحانه، من أسمائه وصفاته وأفعاله

والدرجة الثانية: عين اليقين- وهو المغنى بالاستدراك عن الاستدلال

---

(١) مصباح الشريعة: ١٧٧-١٨٠.

(٢) الصحيفة السجادية (ابطحي) : ١١٠.

(٣) انظر: منازل السائرين: عبد الله الانصاري: ٦٨.

وعن الخبر بالعيان، وخرق الشهود حجاب العلم.

(أ) هو الغني بالاستدراك عن الاستدلال يريد بالاستدلال: الإدراك والشهود يعني صاحبه قد استغنى به عن طلب الدليل فإنه إنما يطلب الدليل ليحصل له العلم بالمدلول فإذا كان المدلول مشاهدا له وقد أدركه بكشفه فأي حاجة به إلى الاستدلال .

(ب) وخرق الشهود حجاب العلم: فيريد به أن المعارف التي تحصل لصاحب هذه الدرجة: هي من الشهود الخارق لحجاب العلم فإن العلم حجاب عن الشهود ففي هذه الدرجة يرتفع الحجاب ويفضي إلى المعلوم ببصيرته وقلبه.

والدرجة الثالثة: حق اليقين- وهو إسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء في حق اليقين.

(أ) إسفار صبح الكشف: غلبة نوره على ظلمة ليل الحجاب فينتقل من طور العلم إلى الاستغراق في الشهود بالفناء عن الرسم بالكلية،وقد اشرنا الى اقسام الفناء سابقا[1].

(ب): ثم الخلاص من كلفة اليقين:ان اليقين له حقوق يجب على صاحبه أن يؤديها ويقوم بها ويتحمل كلفها ومشاقها فأذا فني في التوحيد حصل له أمور أخرى رفيعة عالية جدا يصير فيها محمولا بعد أن كان حاملا وطائرا بعد أن كان سائرا فتزول عنه كلفة حمل تلك الحقوق.

---

(١) راجع صفحة

والحمد لله أوَّلاً وآخِراً وظاهراً وباطناً.

تم هذا الكتاب يوم ١٠: رمضان: ١٤٣١ هجري قمري

مصادر كتاب منهج العرفان

اولا : القران الكريم

ثانيا : المعاجم اللغوية

١- لسان العرب: ابن منظور: سنة الطبع: محرم ١٤٠٥: الناشر: نشر أدب الحوزة: قم – ايران .

٢- تاج العروس: الزبيدي: تحقيق: علي شير، سنة الطبع: ١٤١٤ : ١٩٩٤م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت.

٣- التعريفات: الشريف الجرجاني:ط،الاولى،سنة،٢٠٠٣،ميلادي، الناشر دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان .

٤- معجم لغة الفقهاء: محمد قلعجي: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٩٨٨ م، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان.

٥-كتاب العين: الخليل الفراهيدي: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ايران ؟ .

٦-قاموس المصطلح الصوفي، ايمن حمدي، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة، تاريخ النشر ٢٠٠٠ ميلادي.

٧- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية: ناشر دار الدعوة –تركيا، تاريخ الطبع ١٩٨٩ .

٨-الصحاح: الجوهري: تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: الطبعة: الرابعة:

سنة الطبع: ١٤٠٧: الناشر: دار العلم للملايين – بيروت.

٩-مجمع البحرين: الشيخ الطريحي: تحقيق: السيد أحمد الحسيني: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش: الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

١٠-معجم ما استعجم: المؤلف: البكري الأندلسي: تحقيق: مصطفى السقا: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: عالم الكتب - بيروت – لبنان.

١١- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا: تحقيق، عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع: ١٤٠٤: الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.

١٢.مختار الصحاح: محمد بن عبد القادر: ضبط وتصحيح: أحمد شمس الدين، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٤ م: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣-القاموس المحيط: الفيروز ابادي: (بدون تاريخ طبعة)

١٤-معجم ما استعجم: المؤلف: البكري الأندلسي: تحقيق: مصطفى السقا: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: عالم الكتب - بيروت – لبنان.

ثالثا : كتب الحديث الشيعية

١-الكافي: الكليني: تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري: الطبعة: الرابعة: سنة الطبع: ١٣٦٥ ش: : الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

٢- الجواهر السنية: الحر العاملي: سنة الطبع: ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م: المطبعة: النعمان - النجف الأشرف.

٣- علل الشرائع: الصدوق: تحقيق: تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم: سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م: الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها - النجف الأشرف.

٤- مصباح الشريعة: المنسوب للإمام الصادق عليه السلام: ط: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت: لبنان.

٥-موسوعة احاديث اهل البيت: الشيخ هادي النجفي: الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٣ - ٢٠٠٢ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦- عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق: تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

٧-بحار الأنوار: العلامة المجلسي: تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقرالبهبودي: الطبعة: الثالثة المصححة: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - البنان.

٨-مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلي: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٩٥٠ م: الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ملاحظات: انتشارات الرسول المصطفى (ص) قم: ايران.

٩-مستدرك الوسائل: الميرزا النوري: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام

لإحياء التراث، الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م: الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت – لبنان.

١٠-ميزان الحكمة: محمد الريشهري: تحقيق: دار الحديث: الطبعة: الأولى، المطبعة: دار الحديث: الناشر: دار الحديث ملاحظات: التنقيح الثاني: هجري قمري ١٤١٦.

١١- التحفة السنية (مخطوط): عبد الله الجزائري:: نسخة مخطوطة (ميكرو فيلم مكتبة آستانه قدس) تخطيط: عبد الله نور الدين بن نعمت

١٢-عيون الحكم والموعظ: علي بن محمد الليثي الواسطي: تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، الطبعة: الأولى سنة الطبع: المطبعة: دار الحديث، الناشر: دار الحديث، قم المقدسة.

١٣-الاحتجاج: الشيخ الطبرسي: تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان: سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م: الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.

١٤-المحاسن: احمد بن محمد بن خالد البرقي: ، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث): سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران.

١٥ - الاثنا عشرية: الحر العاملي: تحقيق: تعليق وإشراف: السيد مهدي اللازوردي الحسيني والشيخ محمد درودي: الناشر: دار الكتب العلمية - قم – ايران.

١٦- وسائل الشيعة (آل البيت): الحر العاملي تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر:

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

١٧- الامالي: الشيخ الصدوق: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة – قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

١٨- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: مؤلف: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: الطبعة، الثالثة سنة الطبع، ١٤١٦ - ١٩٩٥ م: الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر، قم المقدسة.

١٩-مستدرك سفينة البحار: الشيخ علي النمازي الشاهرودي: سنة الطبع: ١٤١٩: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٠-الخصال: الشيخ الصدوق: تحقيق، علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣، الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .

٢١-تحف العقول: ابن شعبة الحراني: تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .

٢٢-مشكاة الأنوار: علي الطبرسي: تحقيق: مهدي هوشمند، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، الناشر: دار الحديث: قم: ايران.

٢٣- عوالي اللئالي: ابن أبي جمهور الاحسائي: تحقيق: تقديم: السيد شهاب الدين النجفي المرعشي: تحقيق: الحاج آقا مجتبى العراقي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، المطبعة: سيد الشهداء – قم.

٢٤- موسوعة الأحاديث الطبية: محمد الريشهري: تحقيق: مركز بحوث دار الحديث: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش: الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة.

٢٥- كنز الفوائد: أبو الفتح الكراجكي: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٣٦٩ ش، المطبعة: غدير: الناشر: مكتبة المصطفوي – قم: ملاحظات: طبعة حجرية.

٢٦-جامع احاديث الشيعة: السيد البروجردي: سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٣٦٦ ش: الناشر: منشورات مدينة العلم - آية الله العظمى الخوئي، قم، ايران.

٢٧-فقه الرضا: علي بن بابويه: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم المشرفةالطبعة: الأولى، سنة الطبع: شوال ١٤٠٦ الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة.

٢٨-شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي: تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٩-الأصول الستة عشر: عدة محدثين: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٣٦٣ ش، الناشر: دار الشبستري للمطبوعات - قم – ايران.

٣٠- بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار: تحقيق: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش: الناشر: منشورات الأعلمي – طهران.

٣١- الفضائل: شاذان بن جبرئيل القمي: سنة الطبع: ١٣٨١ - ١٩٦٢

م: الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها - النجف الأشرف.

٣٢- معاني الإخبار: الشيخ الصدوق: تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٣- دعائم الاسلام: القاضي النعمان المغربي: تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م: الناشر: دار المعارف – القاهرة.

٣٤-الأمالي: الشيخ الطوسي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٤، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم.

٣٥- الامالي: الشيخ الطوسي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٤: الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم.

٣٦-بصائر الدرجات: محمد بن الحسن الصفار: تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي: سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش: الناشر: منشورات الأعلمي – طهران.

٣٧-الجواهر السنية: الحر العاملي: سنة الطبع: ١٣٨٤ - ١٩٦٤ م: المطبعة: النعمان - النجف الاشرف.

٣٨-نهج السعادة: الشيخ المحمودي: سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٥ م: المطبعة: مطبعة النعمان - النجف الأشرف.

٣٩-كتاب التمحيص: محمد بن همام الاسكافي: تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام: الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة.

رابعا : مصادر الحديث السنية

١-صحيح البخاري: البخاري: سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١ م، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢- سنن الترمذي: الترمذي: تحقيق: تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٣-غريب الحديث: الحربي: تحقيق: دكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العاير: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٥: الناشر: دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع - جدة.

٤-كنز العمال: المتقي الهندي: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، سنة الطبع ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥-فيض القدير شرح الجامع الصغير: المؤلف: المناوي: تحقيق: تصحيح أحمد عبد السلام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٤ م، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٦-المعجم الكبير: الطبراني: تحقيق: تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي: الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة: سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٩٨٥ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي

٧- صحيح مسلم: مسلم النيسابوري: الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان: (بدوسنة طبع).

٨- الجامع الصغير: جلال الدين السيوطي: الطبعة الأولى، سنة

الطبع١٤٠١ - ١٩٨١ م، الناشر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

٩- الاصابة: ابن حجر: تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٥: الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت.

١٠- الجامع الصغير: لال الدين السيوطي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠١ - ١٩٨١ م: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

١١- مجمع الزوائد: الهيثمي: الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان: سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م

١٢- المنتقى من السنن المسندة: ابن الجارود النيسابوري: تحقيق: فهرسة وتعليق: عبد الله عمر البارودي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م: الناشر: دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

١٣-مسند احمد: الإمام احمد بن حنبل: الناشر: دار صادر - بيروت – لبنان.

١٤- تكلمه حاشية رد المحتار: ابن عابدين: سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

١٥- كتاب الأربعون الصغرى: البيهقي: تحقيق: أبو إسحاق الحويني الاثري: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٨: الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

خامسا : كتب التصوف والعرفان والاخلاق

١-العرفان الشيعي: رؤى في مرتكزاته النظرية ومسالكه العملية:

ابحاث للسيد كمال الحيدري: بقلم الشيخ خليل رزق: ط١، سنة ٢٠٠٩م: ١٤٣٠هـ: طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢- العرفان الشيعي: دراسة تحليلية في الحياة الروحية والفكرية لحيدر الاملي، دكتور خنجر علي حمية: دار الهادي –بيروت: الطبعة الاولى، ٢٠٠٤.

٣- مقدمة القيصري على شرح تائية ابن الفارض المطبوعة ضمن كتاب العرفان النظري: دكتور يحيي يثربي: نشر مكتب الاعلام الاسلامي: قم المقدسة: فارسي: الطبعة الاولى، ١٩٩٥م.

٤- إيقاظ الهمم في شرح الحكم: للعلامة احمدبن محمد بن عجيبة الحسني : تحقيق : محمد احمد حسب الله: الناشر : دار المعارف :القاهرة :مصر.

٥-الرسالة القشيرية: ابو القاسم القشيري: ، تحقيق، عبدالحليم محمود، ط ١٩٨٩، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة.

٦- نقلا عن التصوف الاسلامي: صهيب الرومي: ، ناشر، بيسان للنشروالتوزيع والاعلام، بيروت، لبنان، طبعة الاولى، ٢٠٠٧ م.

٧-كتاب اللمع: لابي نصر سراج الطوسي: تحقيق دكتور عبدالحليم محمود: ط ١٩٦٠م، الناشر دار الكتب الحديثة بمصر.

٨-معراج التشوف الى حقائق التصوف: عبدالله احمد ابن عجيبة: تحقيق، دكتور عبد المجيد الخيالي، الناشر مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب.

٩- التعرف الى مذهب اهل التصوف: لابي بكر الكلاباذي: تحقيق احمد شمس الدين : الناشر : دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان : الطبعة الاولى :سنة الطبع ١٩٩٣م.

١٠-قواعد التصوف: لأبي العباس أحمد الشهير بزروق الفاسي: تحقيق محمود بيروتي :الناشر :دار البروتي ،دمشق ،سوريا :الطبعة الاول : ٢٠٠٤ م.

١١- نظرات في التصوف: محمد جواد مغنية: الناشر: منشورات المكتبة الأهلية – بيروت، لبنان.

١٢- مدرسة العرفان: إبراهيم حسين سرور: الناشر دار الكاتب العربي –بيروت، لبنان، سنة الطبع ٢٠٠٨.

١٣- منية المريد: الشهيد الثاني: تحقيق: رضا المختاري: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٣٦٨ ش: الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

١٤- لطائف الأعلام في إشارات الإلهام: للشيخ العارف عبد الرزّاق الكاشاني: صحّحه مجيد هادي زاده- نشر مؤسّسة الطباعة والنشر لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي: الطبعة الأولى- ١٤٢١هـ إيران.

١٥-القصص العرفانية: رضا محمد حدرج: الناشر، فاروس، ايران، قم المقدسة، الطبعة الاولى، سنة ٢٠٠٤ ميلادي.

١٦- شطحات الصوفية: عبدالرحمن بدوي: (بدون تاريخ طباعة): الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ٢٧، شارع فهد السالم.

١٧-شرح منازل السائرين: عبدالرزاق القاساني: تحقيق وتعليق محسن بيدار: انتشارات بيدار سنة ١٣٨١ هـ ش، قم، ايران.

١٨- مسكن الفؤاد: الشهيد الثاني: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٠٧: الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم.

١٩-كتاب الروح المجرد: العلامة محمد حسين الطهراني: الناشر دار

المحجة البيضاء بيروت، لبنان، سنة الطبع-١٤١٥ .

٢٠- موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان: محمد الكسنزان الحسيني: الطبعة الأولى، التاريخ ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، الناشر، دار المحبة سوريا - دمشق - حلبوني .

٢١-قاموس المصطلح الصوفي، ايمن حمدي، الناشر دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع -القاهرة، تاريخ النشر ٢٠٠٠ ميلادي.

٢٢ - الفتوحات المكية: ابن العربي: الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان: بدون سنة الطبع.

٢٣-مصباح الهداية الى الخلافة والولاية: الامام الخميني (قدس سره): الناشر، مؤسسة تنظيم ونشر اثار الامام الخميني، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٣٧٢ هجري شمسي.

٢٤- شرح الأسماء الحسنى: ملا هادي السبزواري: الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، قم، ايران.

٢٥-شرح فصوص الحكم: محمد داوود قيصري رومي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٣٧٥ ش: الناشر: شركة انتشارات علمي وفرهنگي، ايران.

٢٦- رسائل ابن عربي: محي الدين بن عربي: دار إحياء التراث العربي، بيروت،: طبعه ١٣١٦ هـ: كتاب الفناء في المشاهدة.

٢٧- الأربعون حديث: الامام الخميني: تعريب محمد الغروي: الناشر دار الكتاب الاسلامي، الطبعه الثالثه، ٢٠٠٤، قم المقدسة، ايران.

٢٨-كتاب التوابينﷺعبد الله بن قدامه ﷺتحقيق: عبد القادر الأرناؤوط: مكتبة الشرق الجديد، بغداد: (بدون سنة طبع).

٢٩- العهود المحمدية: الشعراني: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٠- قوت القلوب: محمد ابي طالب المكي: تحقيق عبد المنعم الحنفي: ط ١: ١٩٩١: دارالارشاد: القاهرة.

٣١- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: الشيخ محمد بن احمد بن سالم السفاريني الحنبلي : تحقيق : الشيخ محمد عبدالعزيز الخالدي :الناشر ،دار الكتب العلمية :بيروت لبنان : الطبعة الاولى ،١٩٩٦ .

٣٢-انظر الاخلاق في القران: لاية الله مكارم شيرازي: ، الناشر مدرسة الامام علي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٦.

٣٣-مكارم الاخلاق: الشيخ الطبرسي: طبعة السادسة: سنة الطبع: ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م، الناشر: منشورات الشريف الرضي.

٣٤-جامع السعادات: محمد مهدي النراقي: تحقيق: تحقيق وتعليق: السيد محمد كلانتر: تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر: الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر.

٣٥- أخلاق أهل البيت عليهم السلام: السيد محمد مهدي الصدر:

٣٦-كتاب محاسبة: الشيخ إبراهيم الكفعمي: تحقيق: الشيخ فارس الحسون، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣، الناشر: مؤسسة قائم آل محمد (عج) — قم، ايران.

٣٧-أعلام الدين في صفات المؤمنين: الديلمي: تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم: الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. قم.

٣٨-كتاب الصمت وآداب اللسان: ابن أبي الدنيا: تحقيق: أبو إسحاق الحويني، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٠ الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٣٩- أدب المجالسة: ابن عبد البر: تحقيق: سمير حلبي: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩ – ١٩٨٩، الناشر: دار الصحابة للتراث.

٤٠-بستان الواعظين ورياض السامعين: مال الدين أبو الفرج المعروف بابن الجوزى: تحقيق: أيمن البحيري: دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ – ١٩٩٨،: الطبعة: الثانية.

٤١-الحب والمحبة الالهيه: ابن العربي:تحقيق ، محمود الغراب: الطبعه الثانية: ١٩٩٢: الناشر مطبعة الكاتب العربي، دمشق.

٤٢-ذم الهوى: أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي: تحقيق: مصطفى عبد الواحد.

٤٣-احياء علوم الدين: ابي حامد الغزالي: منشورات محمد علي بيضون: دار الكتب العلميه، بيروت لبنان: الطبعة الاولى، ١٩٩٨ م .

٤٤- اصطلاحات الصوفية: كمال الدين القاشاني.

٤٥-منازل السائرين:عبد الله الأنصاري الهروي:الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٨ – ١٩٨٨.

٤٦ – العرفان : الاستاذ الشهيد مرتضى مطهري :الناشر : دار الولاء للطباعة والنشر :الطبعة الاولى :سنة الطبع ،٢٠٠٩ ،بيروت ،لبنان .

سادسا : كتب الادعية

١- مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع:

١٤١١ – ١٩٩١ م: الناشر: مؤسسة فقه الشيعة – بيروت – لبنان.

٢- الدعوات: المؤلف: قطب الدين الراوندي: تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٧: الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم

٣- العدد القوية: علي بن يوسف الحلي: تحقيق: السيد مهدي الرجائي:: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٨: الناشر: مكتبة آية الله المرعشي العامة.

٤- المجتبى من دعاء المجتبى: السيد بن طاووس: تحقيق: صفاء الدين البصري: بدون سنة طبع وناشر.

٥- مفاتيح الجنان: عباس القمي: الباقيات الصالحات: ط٣، دار المعارف للمطبوعات، لبنان، بيروت ـ سنة ٢٠٠٣م.

٦- كتاب سعد السعود: السيد بن طاووس: سنة الطبع: ١٣٦٣: الناشر: منشورات الرضى – قم، ايران .

٧- إقبال الإعمال: السيد بن طاووس الحلي: تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني الطبعة: الأولى، سنة الطبع ١٤١٦: محرم الحرام، لناشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة.

٨-عدة الداعي: ابن فهد الحلي: تحقيق: احمد الموحدي القمي، الناشر: مكتبة وجداني – قم، (بدون تاريخ طبع).

٩-اقبال الاعمال: السيد ابن طاووس: تحقيق: جواد القيومي الاصفهاني: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: رجب ١٤١٤: الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

١٠- الدروع الواقية: المؤلف: السيد ابن طاووس: تحقيق: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة: الأولى: سنة الطبع: محرم ١٤١٤: الناشر: مؤسسة آل البيتعليهم السلام لإحياء التراث — قم.

١١- المصباح: الكفعمي: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

١٢- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدينعليه السلام: السيد علي خان المدني الشيرازي.

: تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني: الطبعة: الرابعة -سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٥-الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ايران.

١٣- كامل الزيارات: عفر بن محمد بن قولويه: تحقيق: الشيخ جواد القيومي: الطبعة: الأولى -سنة الطبع: عيد الغدير ١٤١٧- الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

١٤ - الصحيفة السجادية: الامام السجادعليه السلام: تحقيق السيد محمد باقر الموحد الابطحي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ٢٥ محرم الحرام ١٤١١: المطبعة: نمونه — قم: الناشر: مؤسسة الإمام المهديعليه السلام: مؤسسة الأنصاريان للطباعة والنشر - قم — ايران.

١٥- ثواب الاعمال: الشيخ الصدوق تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٣٦٨ ش: الناشر: منشورات الشريف الرضي، قم، ايران.

١٦- فقه الأدعية والأذكار: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:الناشر: الكويت:الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ: ٢٠٠٣م .

سابعا : شروح نهج البلاغة

١- شرح مائة كلمة لامير المؤمنينعليه السلام: ابن هيثم البحراني: تحقيق: تصحيح وتعليق: مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث: الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٢-شرح نهج البلاغة: المؤلف: ابن أبي الحديد: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: سنة الطبع: ١٩٦١ م: الناشر: دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٣- نهج البلاغة: الامام عليعليه السلام: تحقيق محمد عبده: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، المطبعة: النهضة — قم، الناشر: دار الذخائر - قم — ايران.

٤- شرح مائة كلمة لامير المؤمنينعليه السلام: ابن هيثم البحراني: تحقيق، مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث: الناشر منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة(بدون تاريخ طبع).

٥-شرح المصباح شرح كبير: ابن ميثم البحراني: مجلد٤: الناشر، مطبعة خدماتي جاب، طهران، ايران، الطبعة الثانيه، ١٤٠٤ هجري قمري.

٦-منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي: الناشر، المكتبه الاسلامية، طهران، ايران، الطبعه الرابعه، سنة ١٤٠٥ هجري قمري.

٧-في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية: ٣: ص ٢٨٤: الناشر، دار العلم للملايين، بيروت: ط٢، ١٩٧٢ .

٨-شرح نهج البلاغة: السيد عباس علي الموسوي: طبعة الاولى، سنة

الطبع، ١٤١٨: الناشر، دار الرسول، بيروت، لبنان.

٩-توضيح نهج البلاغة: الحسني الشيرازي: الناشر دار تراث الشيعة، طهران ايران، (بدون سنة طبع).

١٠-بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: الشيخ محمد تقي التستري: الناشر دار امير كبير، طهران، ايران، سنة الطبع، ١٣٧٦ هجري شمسي.

ثامنا : كتب الفلسفة

١-انظر الاشارات والتنبيهات: الشيخ الرئيس ابن سينا: شرح نصيرالدين الطوسي وشرح الشرح قطب الدين الرازي: الناشر، نشر البلاغة، قم، ايران، الطبعة الاولى، تاريخ، ١٣٨٣ هجري شمسي.

٢-المبدأ والمعاد: صدر الدين الشيرازي: تحقيق: قدمه وصححه: الأستاذ السيد جلال الدين الآشتياني: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: ١٤٢٢ - ١٣٨٠ش: الناشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامي.

٣-ا لحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة: صدر الدين محمد الشيرازي: لطبعة: الثالثة: سنة الطبع: ١٩٨١ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٤- بداية الحكمة: السيد محمد حسين الطباطبائي: تحقيق عباس السيزواري: سنة الطبع: ١٤١٨: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥- بحوث في علم النفس الفلسفي: كمال الحيدري: الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤، الناشر، دار فراقد، قم المقدسة، ايران.

٦- كتاب المشاعر: ملاصدرا الدين الشيرازي: الطبعة، الأولى، سنة

الطبع: ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م: الناشر: مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتجارة، بيروت، لبنان: ص ١١٨.

٧- عيون مسائل النفس: آية الله حسن زادة الاملي: الناشر، مؤسسة انتشارات امير كبير، طهران، ايران، ط، الثانية، ١٣٨٥ .

٨- فلسفتنا: محمد باقر الصدر: الطبعة، الثالثة، سنة الطبع: ١٤٢٥، ٢٠٠٤م: الناشر: دار الكتاب الإسلامي، قم، ايران .

٩-نهاية الحكمة: محمد حسين الطباطبائي: تحقيق الشيخ عباس علي الزارعي السبزواري، الطبعة: الرابعة عشرة المنقحة، سنة الطبع: ١٤١٧الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٠-المنهج الجديد في تعليم الفلسفة: مصباح اليزدي: الناشر،مكتبة طريق المعرفة: النجف الاشرف: الطبعة الاولى، ٢٠٠٦ ميلادي.

١١- انظر تاملات في فلسفة الاخلاق : منصور علي رجب :الطبعة الاولى : ١٩٥٣ ،مطبعة مخيمر ،القاهرة ،مصر .شارع الجيش .

١٢- درر الفوائد :تعليقة على شرح المنظومة للسبزواري :الشيخ محمد تقي الاملي :الناشر ،مؤسسة دار التفسير :تاريخ النشر ،١٤١٦ هـ:ايران ،قم.

١٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم : الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر : سنة ١٩٥٣ .

١٤- في النفس والجسد (بحث في الفلسفة المعاصرة) :محمود فهمي زيدان : ص : الناشر ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت لبنان.

تاسعا : كتب الفقه

١- رسائل الكركي: المحقق الكركي: تحقيق: الشيخ محمد الحسون:

الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤١٢: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١-كتاب المكاسب: الشيخ الأنصاري: تحقيق لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: جمادي الأول ١٤١٥: الناشر: المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري.

٣- الخلاف: الشيخ الطوسي: تحقيق: المحققون: السيد علي الخراساني واخرون،: سنة الطبع: ١٤١١: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٤- تحرير الأحكام: العلامة الحلي: تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري: إشراف: جعفر السبحاني: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٠: الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

٥-مغني المحتاج: محمد بن أحمد الشربيني: سنة الطبع: ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان.

٦-نيل الأوطار: الشوكاني: سنة الطبع: ١٩٧٣: الناشر: دار الجيل - بيروت - لبنان: ص٣٦٨ .

٧-الدر المختار: الحصكفي: تحقيق: إشراف: مكتب البحوث والدراسات: سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٨-صراط النجاة: ميرزا جواد تبريزي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: جمادي الأولى ١٤١٦:المطبعة: سلمان الفارسي: الناشر: دفتر نشر برگزيده: قم ايران.

عاشرا : كتب التراجم والسيرة

١-أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين: ، تحقيق: حسن الأمين، سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م: الناشر: دار التعارف للمطبوعات: بيروت، لبنان.

٢-إكليل المنهج في تحقيق المطلب: محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني الكرباسي: تحقيق: السيد جعفر الحسيني الاشكوري، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ايران، قم المقدسة.

٣-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان:(بدون تاريخ طبع).

٤-الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: السيد على خان المدنى: تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم: سنة الطبع: ١٣٩٧: الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي — قم، ايران.

٥-فوات الوفيات: الكتبي: تحقيق: علي محمد بن يعوض الله: عادل أحمد عبد الموجود: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ٢٠٠٠م: الناشر: دار الكتب العلمية.

٦-الاختصاص: الشيخ المفيد: تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي: طبعة، الثانية، سنة طبع، ١٤١٤ - ١٩٩٣ م: الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت — لبنان.

٧- الثاقب في المناقب: ابن حمزة اطوسي: ، تحقيق: نبيل رضا علوان، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤١٢المطبعة: الصدر — قم، الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم المقدسة.

٨- الأمالي، الشيخ الصدوق: لطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٧، الناشر:

مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة قم المقدسة.

٩-الخصال: الشيخ الصدوق: تحقيق: علي أكبر الغفاري، سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ - ١٣٦٢ ش، لناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ايران.

١٠-مناقب ال ابي طالب: ابن شهر اشوب: تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، الناشر: مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

١١- الأمالي: السيد المرتضى: تحقيق: الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٢٥ - ١٩٠٧ م، الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.

١٢ - تراجم الرجال: احمد الحسيني: سنة الطبع: ١٤١٤: الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم المقدسة، ايران.

١٣- الذريعة: دليل المؤلفين: اقا بزرك الطهراني: الناشر: دار الأضواء، بيروت، لبنان.

١٤-موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري تحقيق: مركز بحوث دار الحديث :الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، ايران: قم المقدسة، الطبعة: الثانية:سنة الطبع: ١٤٢٥.

١٥- معجم البلدان: للحموي: سنة الطبع: ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٦-النوادر: فضل الله الراوندي: تحقيق: سعيد رضا علي عسكري: الطبعة: الأولى: (د، ت): الناشر: مؤسسة دار الحديث الثقافية – قم، ايران.

١٧-الفصول المهمة في معرفة الائمة: ابن الصباغ المالكي: تحقيق: سامي الغريري: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢: الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

١٨-الامالي: الشيخ الطوسي: تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٤: الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع – قم، ايران.

١٩-الأنوار العلوية: الشيخ جعفر النقدي: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٣٨١ - ١٩٦٢ م: الناشر: مكتبة الحيدرية - نجف الأشرف.

٢٠-الكنى والالقاب: عباس القمي: الناشر: مكتبة الصدر – طهران.

٢١-الوافي بالوفيات: الصفدي: تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، سنة الطبع: ١٤٢٠ - ٢٠٠٠م، الناشر: دار إحياء التراث.

٢٢- الكامل: عبد الله بن عدي: تحقيق: يحي مختار غزاوي: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: محرم ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م: الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

٢٣- الاستيعاب: ابن عبد البر: تحقيق: علي محمد البجاوي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٢: الناشر: دار الجيل.

أحد عشر : كتب التاريخ

١-مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون: الطبعة: الرابعة، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان: (بدون سنة طبع).

٢-تاريخ الإسلام: الذهبي: تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٧ - ١٩٨٧م: المطبعة: لبنان: بيروت - دار الكتاب

العربي: الناشر: دار الكتاب العربي.

٣- تاريخ دمشق: ابن عساكر: تحقيق: علي شيري، سنة الطبع: ١٤١٥ المطبعة: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٤-تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: تحقيق: دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧ م: الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٥-تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: تحقيق، وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط، الاولى، سنة، ١٤١٧ - ١٩٩٧ م: الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦- موسوعة التاريخ الإسلامي: محمد هادي اليوسفي: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ربيع الثاني ١٤٢٠، الناشر: مجمع الفكر الإسلامي، قم، ايران.

٧- مشارق أنوار اليقين: الحافظ رجب البرسي: تحقيق: السيد علي عاشور: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٩ م: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

أثنا عشر: العقائد

١- الالهيات: العلامة جعفر السبحاني: لطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م: الناشر: الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢- عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر: تحقيق: تقديم: الدكتور حامد حفني داود: الناشر: انتشارات أنصاريان - قم- ايران.

٣- التوحيد: الشيخ الصدوق: تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني:

سنة الطبع، ١٤٢٧ هجري: الناشر، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ايران قم المقدسة.

٤-بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: السيد محسن الخزازي: الطبعة: الخامسة، سنة الطبع: ١٤١٨: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥- انظر معاد شناسى(معرفة المعاد): علامه آية الله محمد حسين حسيني طهراني قدسسره: الطبعة العاشره، ١٤٢٤ هجري قمري: الناشر، انتشارات نور ملكوت القران، مشهد المقدسة، ايران.

٦- موسوعة العقائد الإسلامية: محمد الريشهري: تحقيق: مركز بحوث دار الحديث، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

٧-عصمة الانبياء: الفخر الرازي: سنة الطبع: ١٤٠٦: الناشر: منشورات الكتبي النجفي، قم، ايران.

٨- المواقف: الإيجي: تحقيق: عبد الرحمن عميرة: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٧ - ١٩٩٧م: الناشر: لبنان - بيروت - دار الجيل.

٩- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلامة الحلي: تحقيق: السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني: الطبعة: الرابعة: سنة الطبع: ١٣٧٣ ش: الناشر: انتشارات شكوري – قم: ص ٢٥١.

١٠- كتاب الالفين: العلامة الحلي: سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م: الناشر: مكتبة الألفين – الكويت.

١١- حقائق الأعيان: الشهيد الثاني: تحقيق: السيد مهدي الرجائي:

الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٩: الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة، قم المقدسة.

١٢- المنقذ من الضلال: ابي حامد الغزالي: طبعه مصر، سنه ١٨٨٥م، ١٣٠٣ هجري.

١٣- منازل الآخرة والمطالب الفاخرة: الشيخ عباس القمي: تحقيق، السيد ياسين الموسوي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: محرم الحرام ١٤١٩: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٤-منهاج الكرامة: العلامة الحلي: تحقيق: عبد الرحيم مبارك: الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٣٧٩ ش، المطبعة: الهادي – قم، الناشر: انتشارات تاسوعاء – مشهد.

١٥- شرح إحقاق الحق: السيد المرعشي: تحقيق: تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي: تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي: الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم – ايران: (بدون سنة طبع).

١٦-تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ المفيد: تحقيق: حسين درگاهي: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤١٤ - ١٩٩٣ م: الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان.

١٧- رسائل المرتضى: الشريف المرتضى: تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني: إعداد: السيد مهدي الرجائي: سنة الطبع: ١٤٠٥: الناشر: دار القرآن الكريم – قم، ايران.

١٨- محاضرات في الإلهيات: آية الله جعفر السبحاني: تلخيص، الشيخ علي رباني كلبايكاني: الناشر: مؤسسة الإمام الصادق «ع». قم، ايران.

١٩- مشارق أنوار اليقين : الحافظ رجب البرسي: تحقيق : السيد علي عاشور : الطبعة : الأولى: سنة الطبع : ١٤١٩ - ١٩٩٩ م :الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان.

ثلاثة عشر: كتب الشعر

١-ديوان السيد رضا الهندي: السيد رضا الموسوي الهندي: مراجعة وتعليق: السيد عبد الصاحب الموسوي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٩ - ١٩٨٨ م، الناشر: دار الأضواء - بيروت - لبنان.

٢- ديوان حافظ مع شرح موجز: محمد حسين ايين، انشارات برك شقايق، قم المقدسة، طبعة اولى، تاريخ الطبع ١٣٨٤ هجري شمسي.

٣-ديوان ابن الفارض: ابن الفارض: الناشر المكتبه الثقافية، بيروت لبنان: بدون سنة الطبع.

٤-رابعة العدوية في محراب الحب الالهي: مامون غريب: الناشر دار غريب، مصر، القاهره، تاريخ النشر، ٢٠٠٠ م .

٥-ديوان امام: مجموعة اشعار الامام الخميني(رض): مؤسسة نشرواثار الامام الخميني: الطبعة الاولى، ١٣٨٧هجري.

٦-شرح ديوان ابن الفارض: بدر الدين البوريني: الناشر، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، سنة الطبع، ٢٠٠٧ م .

٧- ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: المؤلف: الشيخ عبد الله الحسن: : الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤١٨ .

٨-حكايات وعبر من المثنوي: جلال الدين الرومي: تعريب –السيد محمد جمال الهاشمي: الناشر دار الحق –بيروت لبنان الطبعة الاولى –سنة

١٩٩٥.

٩- الحب الإلهي في شعر المقدسي: مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية ـ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٢٩) العدد (١)٢٠٠٧: الدكتور علي حيدر الدكتور عيسى فارس ماهر عبد القادر .

١٠- ديوان الحلاج: الحلاج: الناشر، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان: بدون سنة طبع.

١١- ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق: لابن عربى: تحقيق الدكتور عبد الرحمن الكردى: بيروت سنة ١٣١٢هـ .

١٢- يتيمة الدهر: الثعالبي: تحقيق: شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قمحية: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٠٣ - ١٩٨٣م: الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

١٣-تاملات في لوحة شعرية: للسيد عبدالله الفاطمي ـمؤسسة تراث ونشر اثار الامام الخميني: الطبعة الاولى، هجري١٤١٩، ١٩٩٨م .

اربعة عشر : كتب التفسير

١- جوامع الجامع: الطبرسي: تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٠: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢- تفسير القرآن: مصطفى الخميني: تحقيق: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: جمادي الثاني ١٤١٨ - ١٣٧٦ ش: الناشر: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

٣-تفسير مجمع البيان: الشيخ الطبرسي: الطبعة: الأولى، سنة الطبع:

١٤١٥ – ١٩٩٥ م: الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان:

٤–التفسير الصافي: الفيض الكاشاني: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ – ١٣٧٤ ش: الناشر: مكتبة الصدر – طهران.

٥–تفسير الميزان: السيد الطباطبائي: الناشر: مؤسسة اسماعيليان ايران، – قم المقدسة: الطبعة، الخامسة: سنة ١٤١٢ هجري .

٦– تفسير الآلوسي: الآلوسي: بدون تاريخ طبع.

٧– الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: اية الله ناصر مكارم الشيرازي: بدون سنة طبع وناشر .

٨– الدر المنثور: جلال الدين السيوطي: الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

٩–تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي: الكتاب: تفسير القمي: تحقيق: تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري: الطبعة: الثالثة: سنة الطبع: صفر ١٤٠٤: الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر – قم – ايران.

١٠–التسهيل لعلوم التنزيل: الغرناطي الكلبي: طبعه، الرابعة، لسنة ١٩٨٣: الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١١–التبيان: الشيخ الطوسي: تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.

١٢– تفسير الثعلبي: الثعلبي: تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٢ –

٢٠٠٢م: المطبعة: بيروت - لبنان - دار إحياء التراث العربي: الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٣- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: الزمخشري: سنة الطبع: ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م: الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء.

١٤-تفسير جوامع الجامع: الشيخ الطبرسي: تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي: لطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٠: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١٥-تفسير أبي حمزة الثمالي: أبو حمزة الثمالي: تحقيق: أعاد جمعه وتأليفه: عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين: مراجعة وتقديم: الشيخ محمد هادي معرفة: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٤٢٠ - ١٣٧٨ ش: الناشر: دفتر نشر الهادي.

١٦-تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي: تحقيق: تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة: دون تاريخ ودون طبعه، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية - طهران، ملاحظات: تصدى لطبعه ونشره: السيد محمود الكتابچي وأولاده صاحب المكتبة العلمية الإسلامية.

١٧_ المفردات: الراغب الاصفهاني: لطبعة: الثانية:سنة الطبع: ١٤٠٤: الناشر: دفتر نشر الكتاب، قم، ايران.

١٨-تفسير ابن عربي: ابن العربي: تحقيق: ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي-الطبعة: الأولى-سنة الطبع: ١٤٢٢ - ٢٠٠١م-المطبعة: لبنان: بيروت - دار الكتب العلمية-الناشر: دار الكتب

العلمية.

١٩- البرهان: الزركشي: الطبعة: الأولى: سنة الطبع: ١٣٧٦ - ١٩٥٧ م: الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاءه.

٢٠-تفسير الرازي: الرازي: بدون سنة طبع: مكتبة اهل البيت الكترونية.

٢١- التقوى في القران: للسيد كمال الحيدري: الناشر دار فراقد، قم ايران: الطبعة الرابعه: سنة الطبع، ٢٠٠٣ ميلادي .

خمسة عشر: كتب متفرقة

١- محاضرات في الايدلوجية المقارنة: محمد تقي مصباح اليزدي: ترجمة محمد عبدالمنعم الخاقاني: دار الحق: قم المقدسة:

٢-شرح أصول الكافي: مولي محمد صالح المازندراني: ط، الأولى، سنة الطبع: ١٤٢١ - ٢٠٠٠ م: الناشر: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان

٣- المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: بدون تاريخ طبع: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٤-الكشكول: الشيخ البهائي: الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط، الاولى، ١٩٩٨م:

٥- دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي: الناشر، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط، الثالثة

٦ - الحلقة الأولى للأصول: محمد باقر الصدر: الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م، الناشر: دار الكتاب اللبناني - بيروت - لبنان:

مكتبة المدرسة – بيروت – لبنان

٧– مستطرفات السرائر: ابن إدريس الحلي: تحقيق: لجنة التحقيق: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤١١: الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

٨– شرح رسالة الحقوق: الإمام زين العابدين عليه السلام: تحقيق: شرح: حسن السيد علي القبانچي: الطبعة: الثانية: سنة الطبع: ١٤٠٦: الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر قم، ايران

٩– المدهش: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي: تحقيق: د.مروان قباني: الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

١٠–شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري: الطبعة: الخامسة: سنة الطبع: محرم الحرام ١٣٨٥: الناشر: منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها – النجف الأشرف.

١١– فريادكر توحيد «نداء التوحيد»: مؤسسة تحقيقاتي فرهنكي اهل البيت: الناشر، انتشارات انصاري، قم، ايران، الطبعة السابعة، تاريخ الطبع، ١٣٨١ هجري شمسي.

١٢– جامع الشتات: الخوا جوئي: تحقيق السيد مهدي الرجائي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨.

١٤–نزهة الناظر وتنبيه الخواطر: الحلواني: تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨، الناشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام – قم المقدسة .

١٥- العاقبة في ذكر الموت: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الإشبيلي أبو محمد: الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت: طبعة أولى، ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م .

١٦- عن المدهش: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي: تحقيق: د.مروان قباني، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت: الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

١٧- مدخل إلى تحليل الخطاب الشعري في محطة ألما بعد: سليمان عشرتي: دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران: طبع ٢٠٠٢م .

١٨- الحديقة الهلالية: الشيخ البهائي: تحقيق السيد علي الموسوي الخراساني، الطبعة، الأولى، ربيع الأول ١٤١٠: الناشرمؤسسة اهل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم المشرفة.

١٨- تصميم البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية : الدكتور عبدالرحمن محمد العيسوي :الطبعة الاولى ،١٩٩٩ ميلادي : الناشر ،دار الراتب الجامعية ،بيروت ،لبنان .

١٩- اصول علم النفس : احمد عزت راجح : الطبعة العاشرة : الناشر : المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر : الاسكندرية : سنة ١٩٧٦ .

٢٠- في النفس والجسد (بحث في الفلسفة المعاصرة) :محمود فهمي زيدان : ص : الناشر ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت لبنان .

٢١- اصول التربية : احمد علي الفنيس : الناشر الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،سنة الطبع ١٩٧٩ م .

الفهرس

منهج العرفان عند الإمام علي عليه السلام

المؤلف في سطور

ولد الشيخ عبد الرضا البهادلي في مدينة العمارة وهي احدى مدن جنوب العراق، عام ١٩٧٠ م. ودرس في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والاعدادية.

وفي أول عام ١٩٩٠م. اعتقل من قبل النظام البائد بتهمة الانتماء للحركة الاسلامية، وحكم عليه بالمؤبد مع مجموعة من المؤمنين في ذلك الوقت. وبعد خروجه من السجن عام ١٩٩٢م توجه نحو مدينة قم المقدسة، ودخل في افضل مدارسها الدينية، وهي مدرسة الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، ودرس فيها المقدمات، والسطوح، ثم بعد ذلك انتقل إلى البحث الخارجي.

وكان من جملة الأساتذة والعلماء الذين درس عندهم: الشيخ آية الله محمد هادي آل راضي، والشيخ آية الله باقر الايرواني، وآية الله علي رضا الحائري، وآية الله السيد كمال الحيدري، وآية الله الشيخ محمد السند البحراني، والشيخ عبد الرسول آل عنوز، والسيد جعفر الحكيم، والسيد محمد باقر الهاشمي، والشيخ محمد الجواهري، والشيخ صادق الكاشاني، والشيخ حسين الكربي، والسيد أحمد الأشكوري، والشيخ حامد الظاهري وغيرهم الكثيرين.

وبعد سقوط النظام رجع إلى مدينته العمارة لأداء رسالته التبليغية في أماكن متعددة ومنها المسجد وتأسيس بعض المدارس الدينية الرجالية والنسائية مع بقية الأخوة طلاب العلوم الدينية في المدينة وكذلك إلقاء المحاضرات في المدارس والكليات في المدينة. وصدر له حديثاً هذا الكتاب الذي بين يديك.

مؤسسة أم أبيها
تلفون ٠٧٧٦٣٢٠-٤٦٨٣
ميسان - العراق